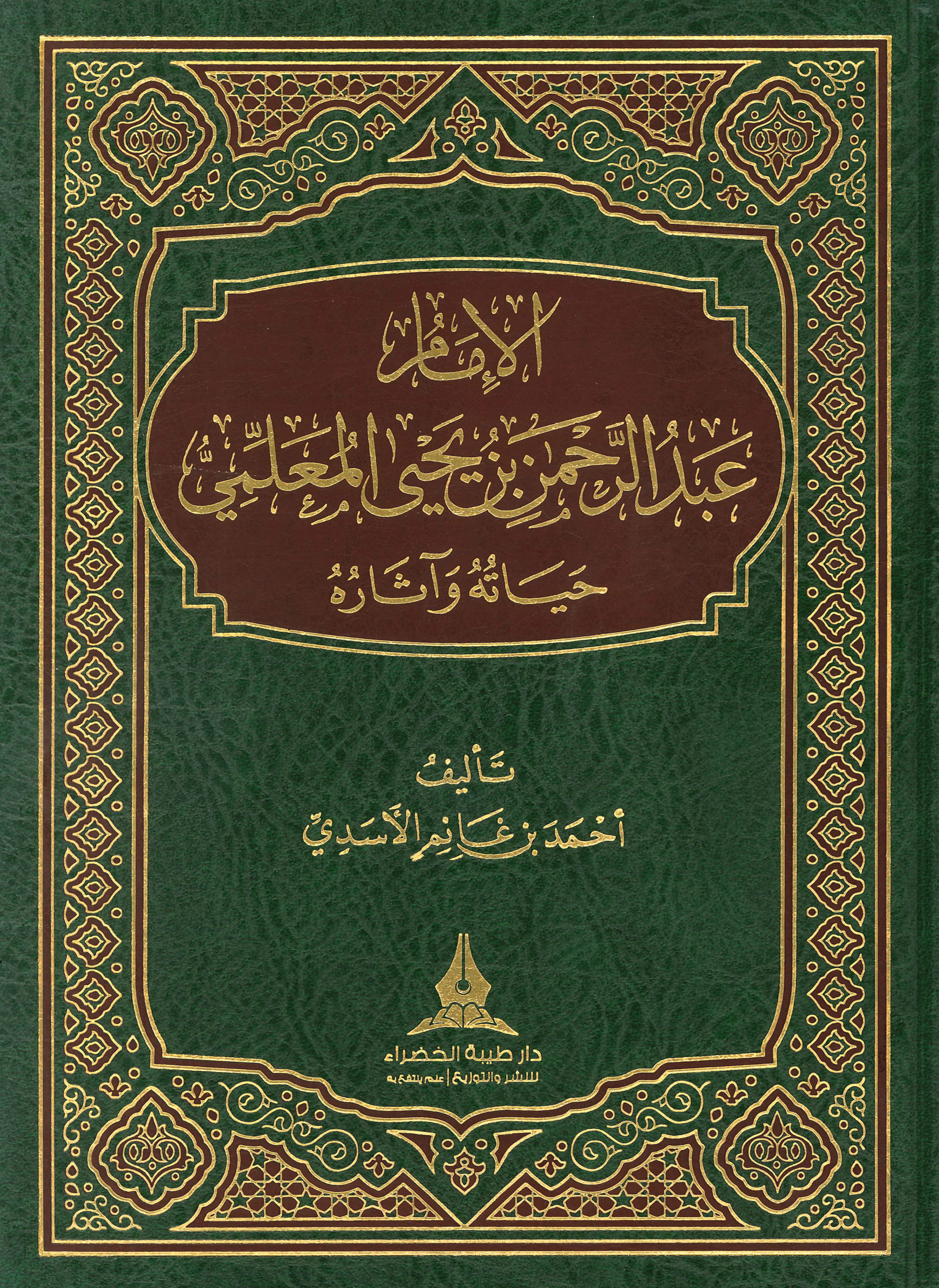
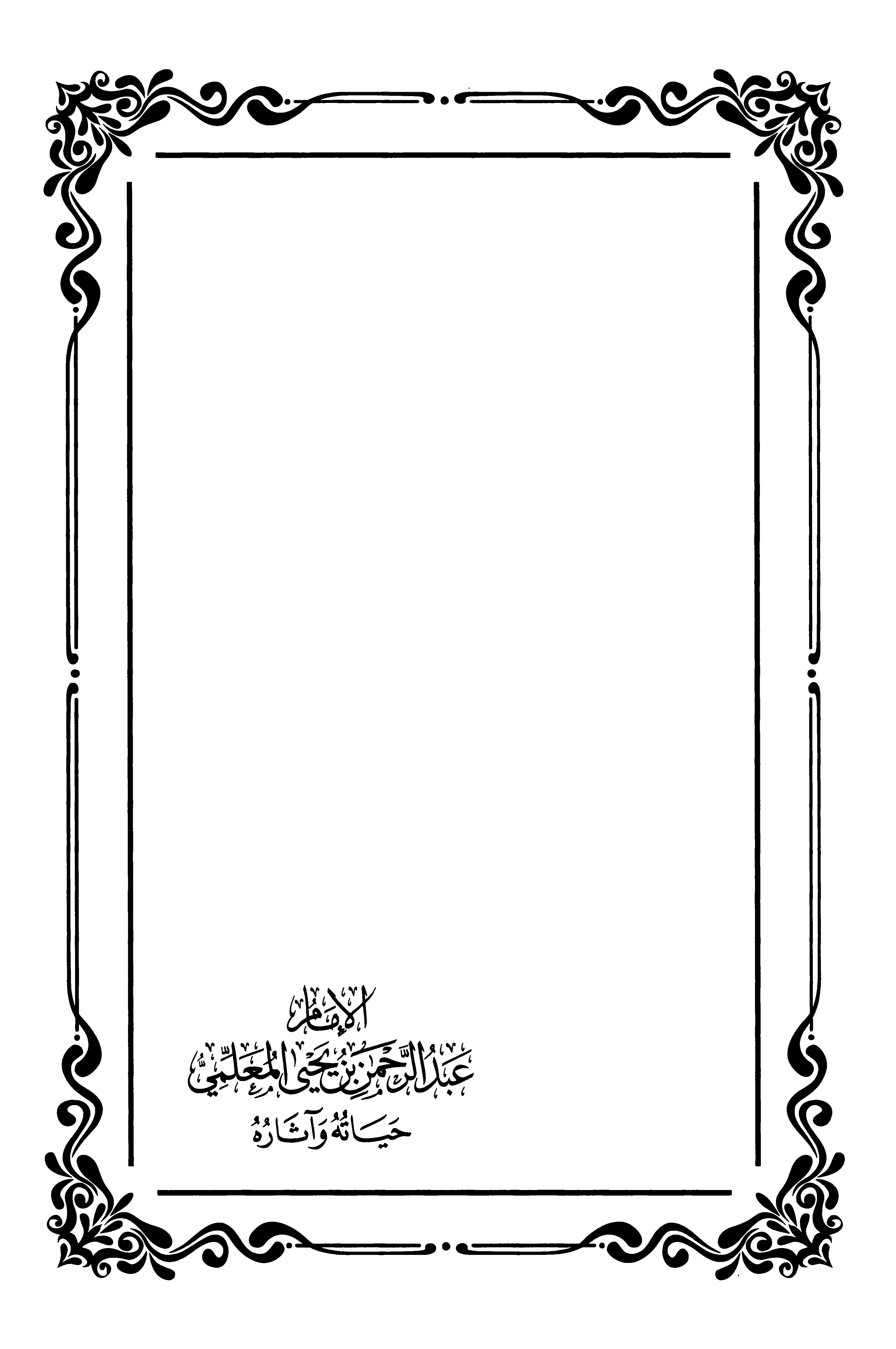

الإمام
عبد الرحمن بن يحيى المعلمي
حياته وآثاره
تأليف
أحمد بن غانم الأسدي
دار طيبة الخضراء
للنشر والتوزيع | علم ينتفع به



الإمام

عبد الرحمن بن يحيى المعلمي

حياته وآثاره

ح دار طيبــة الخضــراء، ١٤٤١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الأسدي، أحمد غانم حسن

الإمام عبد الرحمن بن يحيى المعلمي حياته وآثاره. / أحمد غانم حسن الأسدي - ط١. - مكة المكرمة، ١٤٤١هـ

٥١٨ ص؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك: ٢-٧٠-٨٢٥٩-٦٠٣-٩٧٨

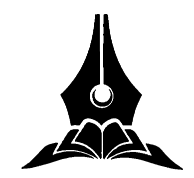
١- المعلمي، عبد الرحمن بن يحيى، ت ١٣٨٦هـ ٢- التراجم أ.العنوان

ديوي ٩٢٠ ١٤٤١/٣٢٩٠

رقم الإيداع: ١٤٤١/٣٢٩٠

ردمك: ٢-٧٠-٨٢٥٩-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى (١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م)



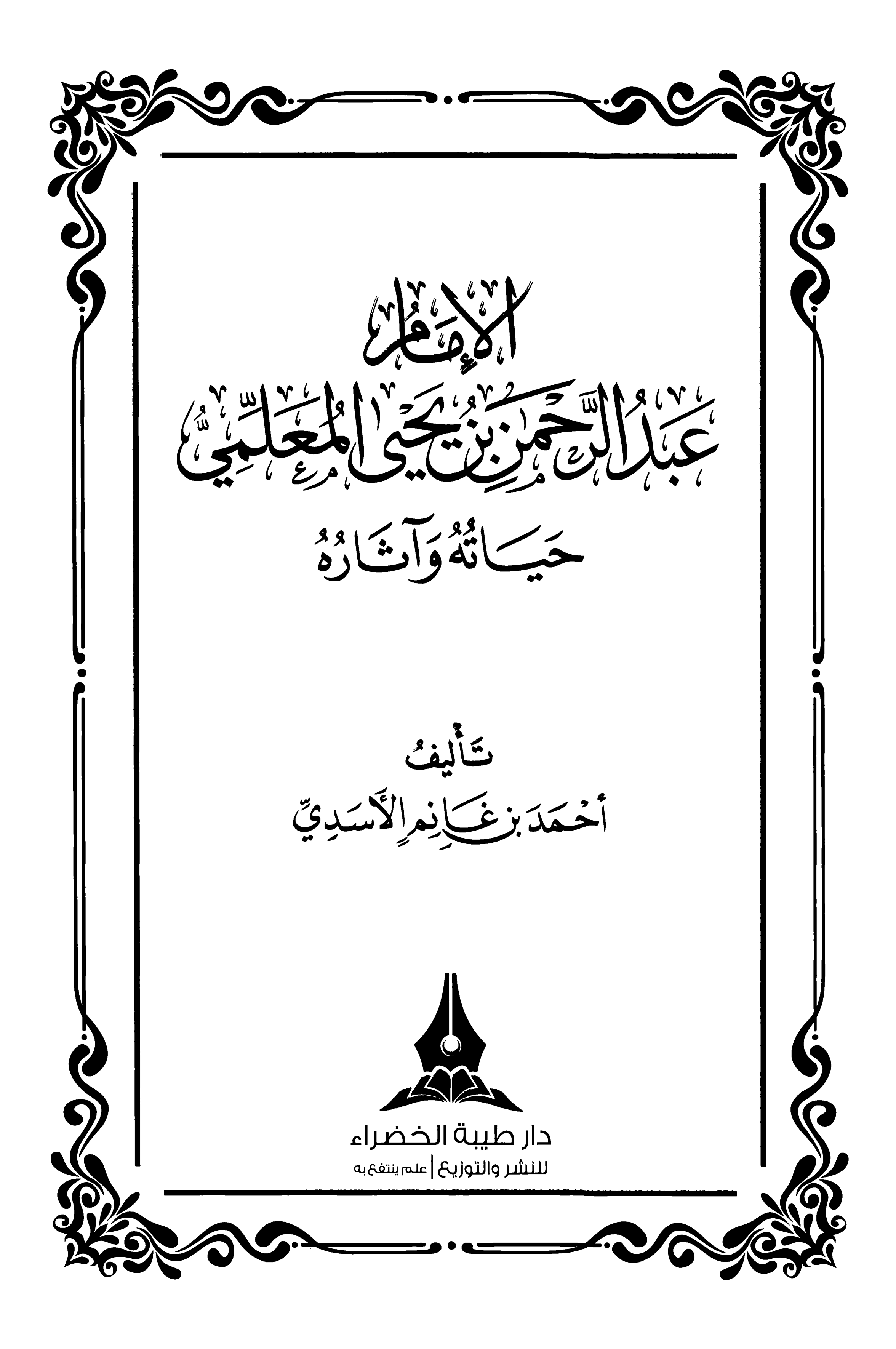
دار طيبة الخضراء
للنشر والتوزيع | علم ينتفع به

يمكنكم طلب الكتب عبر
متجرنا الإلكتروني



حيثما كنت يصلك طلبك

dar.taiba
dar.taibagreen123
dar_tg
@dar_tg
yyy.01@hotmail.com
dartaibagreen@gmail.com
0550428992
0125562986
مكة المكرمة - العزيزيــة - خلف مسجد فقيـه



الإمام عبد الرحمن بن يحيى المعلمي

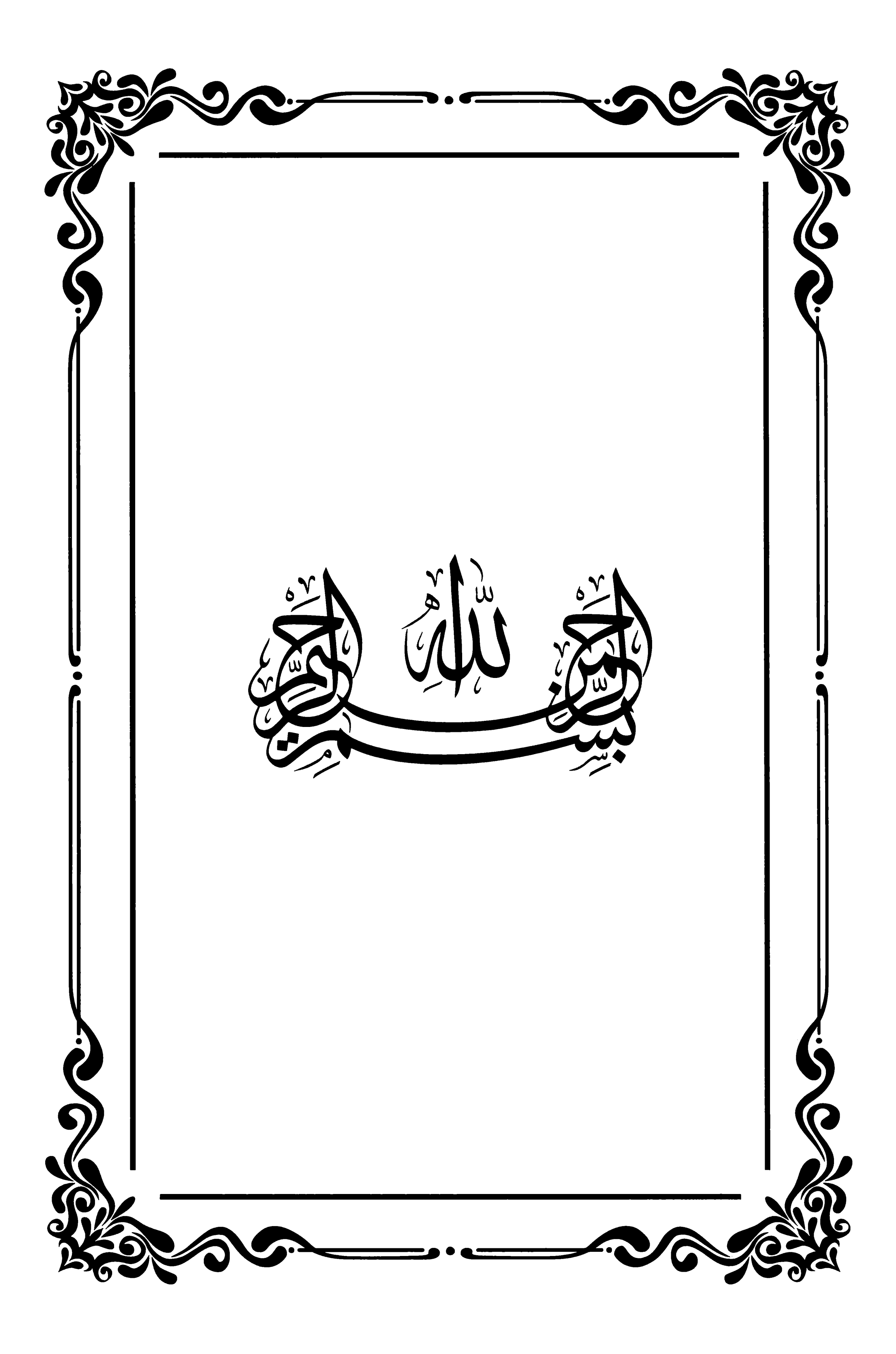
حياته وآثاره

تأليف

أحمد بن غانم الأسدي

دار طيبة الخضراء

للنشر والتوزيع | علم ينتفع به


بسم الله الرحمن الرحيم



خطبة المؤلف

الحمد لله الذي رفع أهل العلم درجات، وأبقىٰ حديثهم عطر المجالس ووشي المرقومات، وجعل في أخبارهم العبر والعظات.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أدخرها للكرب والمنغِّصات، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله حائز الفضائل ومستودع المكْرُمات، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه صلوات دائمات متتابعات، إلىٰ يوم لقائه في العرصات.

أما بعد: فإنَّ «معرفة الإنسان بأحوال العلماء، رفعة وزين، وإن جهل طلبة العلم وأهله بهم لوصمة وشَين، ولقد عَلِمَتْ الأيقاظُ أنّ العلم بذلك جم المصالح والمراشد، وأن الجهل به إحدىٰ جوانب المناقص والمفاسد، وفي المعرفة لهم معرفة من هو أحق بالاقتداء، وأحرىٰ بالاقتفاء، ولأن المعرفة بالخواص آصرة ونسب، وهي يوم القيامة وصلة إلىٰ شفاعتهم وسبب؛ ولأن العالم بالنسبة إلىٰ مقتبِس علمه بمنزلة الوالد بل أفضل، فإذا كان جاهلًا به فهو كالجاهل بوالده بل أضل».

فلما قويت العزيمة، واستوت الصريمة يمَّمتُ قِبلة القصد شطر المسجد الحرام؛ لارتشاف أخبار وأنباء عَلمٍ من أعلام الإسلام، شهدت له البرية بالرسوخ في العلم، وثبات القَدَم في التحقيق، وسيلان القلم في التحبير.

إنه علامة بلاد اليمن، ودارقطني الزمن، ذهبي العصر ونادرة الدهر: الإمام المحقق عبد الرحمن بن يحيىٰ المعلمي، فهو ممن أقامه الله لتجديد

الدين، والدفاع عن سنة سيد المرسلين؛ فقمع الملحدين، ونكل بالمتعصبين الجامدين، وكشف ظلمات الطاعنين المجازفين..

وفي مطاوي تلك الغارات: تحقيقات نيِّرة، وتحريرات دقيقة، برهنتْ لكل ذي عينين رسوخ هذا الحبر في العلم، وحذقه في الفهم، وتملكه أدوات الاجتهاد، فأتىٰ بالجديد وتنكب المُعاد، وغاص في لُجج الحُجج فأجاد وأفاد، ووفَّىٰ بالمراد، فحقًّا: لم تلد أمهات اليمن بعد ابن الوزير مثله، في سهولها والأنجاد.

ولما كان كذلك عكف أهل العلم علىٰ كتبه، نشرًا وارتشافًا؛ لأنهم وجدوه كعبة في العلم عالية، وشجرة في سماء المعرفة باسقة، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

ولقد حبب الله إليَّ هذا الحبر النحرير، بعد أن جمعتني به التربة والماء، ومنهاج خاتم الأنبياء ﷺ، فعكفت علىٰ ما طبع من كتبه، قبل أكثر من عقدين من الزمان-وهي قليلة-، فحدا بي حادي الوفاء أن أكتب فيه ترجمة، فجاءت مختصرة، لا بخلًا، وإنما ضنَّت عليَّ الدفاتر، وأجدبت علىٰ يراعي المحابر؛ لأن غالب من رآه كانوا ينظرون إليه «عاملًا في مطبعة»، و«باحثًا في مكتبة»، إن سألوه فعن موضع كتاب! فحُرِموا علمه العُباب! ثم عضوا أصابع الندم بعد موته! وإذا سئلوا عن أخباره ضربوا أفخاذهم حسرة، وعلت علىٰ وجوههم الكسرة!

أما مَن عرفت من أقاربه وتلامذته حينئذٍ، فقد رحلتُ إليهم في البوادي والحواضر، وراسلت وكاتبت.. فلم أجد منهم ما يشفي عليلًا أو يروي غليلًا؛ لأنهم فرطوا في الاحتفاء وأفرطوا في الجفاء، عفا الله عنا وعنهم.

فجمعت ما يسره الله ﷻ، ونشرته سنة (١٤٢٧)، فتلقاه أهل العلم بالتَّرحاب مع الإعذار لمؤلفه على قلة البضاعة، وضعف الصناعة..

وبعد قرابة عقد من الزمان طُبعت آثار الإمام في خمسة وعشرين مجلدًا، وظهرت للناس وهي تَرفُل في ثوبها القَشيب وحلتها البهية، وحق لها، فهي أنوار تحقيق، شُفعت ببهاء الطبع والنشر، التي رسمها حبيب القلب بكر أبو زيد آل غيهب، وترسمها ثلة من المصححين النبلاء، أثاب الله الجميع.

وظللت أتشوق الحصول على تلك الآثار ملكًا خاصًّا؛ لأن وجودها في مكتبات الوقف لا يساعد على الجرد والتقصي، وفي موسم عام (١٤٣٩) يسر الله ﷻ لي حج بيته الحرام، وفي تلك البقاع المقدسة، ومن بركاتها وفيوضها: نِلت «آثار الإمام المعلمي»، فغمرتني الفرحة، وغشتني المسرة، فلما رجعت إلى بلدي عكفت لا على صفحاتها بل على سطورها وكلماتها، فإذا بالصورة تتجلى لي أكثر وأكثر عن هذا الحبر العظيم، فجمحت بي المحبة إلى إعادة صياغة الترجمة، وتقديمها بأبهى مما قُدمت سابقًا، ولعلها تكون نبراسًا لما يكتب مضارعة لها لاحِقًا.

ولم أقف في التنقيب على أخبار هذا الحبر في تلك الآثار، بل راسلت أحفاده في مدينة (جُدة)، وأبناء وأصدقاء أخيه أحمد في بلاد (إندونيسيا)، وبعض أقاربه في مدينة (صنعاء)، وغيرهم.

فبعث إليَّ حفيده: عبد الرحمن بن عبد الله المولود سنة (١٣٨٩) برسائل، تضمنت معلومات مفيدة عن أبيه، وعن جدته أم أبيه، وغير ذلك.

وأرسل إليَّ من بلاد (إندونيسيا) الشيخ المكرم عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الحضرمي، المولود سنة (١٣٦٧)، برسائل الإمام

المعلمي إلىٰ أخيه أحمد بن يحيىٰ المعلمي، وشفعها برسالة منه تضمنت معلومات قيمة، ستراها في مواضعها معزوة إليه، وكان من أصدقاء أحمد بن يحيىٰ المعلمي الخُلَّص.

وأرسل إليَّ الشيخ الوجيه محمد بن أحمد المعلمي المولود سنة (١٣٥١)، بأربع رسائل للإمام المعلمي، إحداها لوالده، وكان من أصدقاء الإمام، كشفت تلك الرسائل عن جوانب رائعة من حياة الإمام الشخصية والعلمية، ولنفاستها جعلتها في الباب السادس.

كما أفادني الشيخ راشد نسيم، المولود سنة (١٣٨٥)، حفيد الشيخ هاشم الندوي، رفيق الإمام المعلمي وناظم دائرة المعارف العثمانية بمدينة (حيدر آباد الدكن)، بمعلومات عن جده، وعن الدائرة.

ومع ذلك فلا زلت متعطشًا -كسائر القراء- إلىٰ مزيدٍ من أخبار هذا الراسخ الشامخ، في سماء العلم، وفضاء المعرفة، ولا زالت في البال أسئلة لم أجد لها جوابًا، عسىٰ الله أن يأتيني بهنَّ جميعًا، إنه هو الحكيم العليم.

وقد دونت اسم كل مفيد في موضعه؛ التماسًا لبركة العلم، وتحميلًا لعهدة النقل علىٰ الناقل.

وإليهم جميعًا أُزجي سحائب شكري تترىٰ، وفي سُوحهم هاطلًا، بعدد قطرات غيث السماء، ولهم أعظم من ذلك جزيل الثواب، من الكريم الوهاب.

وسميت باكورة أفكاري:

«الإمام عبد الرحمن بن يحيى المعلمي حياته وآثاره».

وقد جاء الكتاب في ستة أبواب، وتحتها الفصول والمباحث:

۞ الباب الأول: حياة الإمام المعلمي من ولادته إلىٰ وفاته.

۞ الباب الثاني: لُمعٌ من حياة الإمام المعلمي العلمية.

۞ الباب الثالث: المنتخب من نفائس الدرر.

۞ الباب الرابع: آثار المعلمي العلمية، مصنفات وتحقيقات.

۞ الباب الخامس: وصية المعلمي الجامعة لتلميذه.

۞ الباب السادس: مراسلات خطية للإمام المعلمي.

مستمدًا من الله سبحانه بلوغ الغاية، والوصول إلىٰ النهاية، راجيًا منه جَلَّجَلَالُهُ أن يديم به الانتفاع ويجعله من الذخائر التي ليس لها انقطاع.

كَتَبَـه

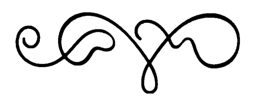
أبو الخطّابِ أحمدُ بنُ غانِم بنِ حسنٍ الأَسَديُّ

عصر الجمعة غرة ربيعٍ الأول، لعام أربعين وأربعمِئةٍ وألفٍ

من هجرةِ الرسولِ الأعظمِ ﷺ

(١/ ٣/ ١٤٤٠)

البريد الشَّبَكِي: alghanm20@gmail.com



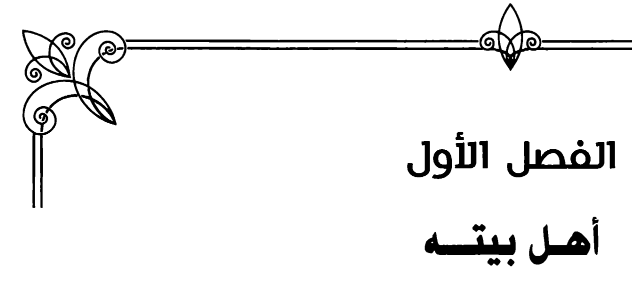


الباب الأول

حيـاة الإمـام المعلمي

من الـولادة إلى الوفـاة





الفصل الأول

أهل بيتـه

مدخـل:

«التعرف على آل عالِمٍ ما يُلقي الضوء على شخص ذلك العالم ومدى اتجاهه واستعداده؛ وذلك لما للآل والبيئة التي يعيش فيها الإنسان من تأثير عجيب على تكوينه وانطباعاته وميوله».

وقد اقتفيت أثر الإمام المعلمي، الذي ينقب عن آل مَن ترجم لهم بداءً بالأب، ثم عمود النسب، ثم الوالدة والولد، والزوجة والحفد، كما صنع في ترجمة ابن ماكولا، والسمعاني، والخطيب، والسهمي، وابن قتيبة.

وسأقتصرعلى ذلك، وإلا فهو من عشيرة علمية، توارثت العلم كابرًا عن كابر.

قال مؤرخ اليمن العلامة محمد بن علي الأكوع رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اتسمت أسرة آل المعلمي بالعلم والعرفان والفقه والأدب، وظهرت مهذبة متدينة على مسرح التاريخ فيما أظن حوالي القرن التاسع الهجري»[1].



(١) «حياة عالم وأمير» (٢/ ٥٧).

المبحث الأول: والده:

هو الفقيه العلامة العماد[١] يحيىٰ بن علي بن محمد المعلمي، ولد ونشأ في محلة (الطُّفن) ببلاد (عُتُمة)، وسافر إلىٰ مدينة (زَبيد) لطلب العلم، فأقام بها خمس سنين، ثم عاد إلىٰ (الطفن).

وتزوج سعيدة بنت علي كُرْد[٢]، فوُلد له منها: فاطمة، ومحمدٌ، وعبد الرحمن، وعطية.

ثم تزوج فاطمة بنت أحمد المعلمي، فوُلد له منها: أحمد، وعبد المجيد، وسعيدة وميمونة.

وبعد مدة انتقل العماد من مَحلَّة (الطُّفن) إلىٰ قرية (بلاد الريمي)[٣].

---

(١) شاع في اليمن إضفاء ألقابٍ ترادف الأسماء، منها: البدر، أو العزي، أو عز الإسلام لمن اسمه: محمد. وشمس الدين، أو الصفي، أو صفي الإسلام، لمن اسمه: أحمد. والشرفي، أو شرف الدين، أو شرف الإسلام، لمن اسمه: حسن، أو حسين. والحُسام، لمن اسمه: محسن. والعَلَم لمن اسمه: القاسم. والجمال، أو الجمالي أو جمال الدين، لمن اسمه: علي. والعماد أو عماد الدين لمن اسمه: يحيىٰ. والضياء أو ضياء الدين، لمن اسمه: إسماعيل. والوجيه، أو وجيه الدين، للأسماء المعبدة لله. والفخري، أو فخر الدين، لمن اسمه: عبد الله. انظر: «الكنىٰ والألقاب والأسماء عند العرب، وما انفردت به اليمن» بحث لشيخنا إسماعيل الأكوع نشر في مجلة اللغة العربية بدمشق جـ ٢٢، ٥٣، سنة (١٣٩٨).

(٢) بحثت عن اسم والدته حتىٰ عثرت عليه من الشيخ الوجيه محمد بن أحمد المعلمي، الذي نقَّب في وثائق عقارية لآل الإمام المعلمي، فوجده كما أثبتُّه، فجزاه الله خيرًا، والله أعلم بتاريخ وفاتها، رَحِمَهَاٱللَّهُ.
وبني كرد -بضم الكاف وإسكان الراء، قبيلة تسكن جنوب مَحلَّة (الطُّفن).
ومعرفة اسم والدة المترجم له من تمام الترجمة، ولهذا قال المعلمي في ترجمته للحافظ السمعاني: «ولا أعرف الآن شيئًا من حال والدة أبي سعد» «آثار المعلمي» (٢٥/ ٨٥).

(٣) (بلاد الريمي): عُزْلة تضم عددًا من القريات، تتبع مخلاف (حِمْيَر الوسط)، من بلاد (عُتُمة)، إلىٰ الجنوب الشرقي منها.

وأراد أن يبني له منزلًا فوجد في رأس جبل مرتفع بيوتًا متهدمة قديمة على شكل أطلال يسمى الجبل (بيت الولي)، فبعد أخذ الإذن من صاحب الأرض بنى البيت، ثم المسجد؛ ليمضي في الإمامة والخطابة، والتعليم، جريًا على سنة الأسلاف رحمهم الله(١).

كان الإمام المعلمي بارًا بوالده، بالصلة والمكاتبة، بلغة الإجلال والتبجيل.

ينعته بقوله: «ووالدي الفقيه العلامة العماد يحيى بن علي المعلمي موجود في الناحية، وهو مقيم بعُزْلة (العَقَد) التابعة لمخلاف (حمير الوسط) من الناحية المذكورة».-أي: ناحية (عُتُمة)(٢).

ويخاطبه بقوله: «سيدي الوالد العماد الفقيه يحيى بن علي المعلمي- حفظه الله، ورزقني دوام رضاه، وصالح دعاه، آمين-».

وفي أخرى بقوله: «سيدي الوالد البركة عماد الإسلام الفقيه: يحيى بن علي المعلمي-حفظه الله وعافاه ورزقني بره ورضاه-».

وتمنى العودة إليه ليخدمه فقال: «...بل من المفروض عليَّ أن أترك كل شيء وأُبادر إلى زيارة والدي والفوز بخدمته، ولكن إيماني أضعف من ذلك، مع أني أُعلل نفسي بأن والدي راضٍ ببقائي هاهنا، ولا أدري إذا عزمت على الوصول إليه أأتمكن من الوصول أم لا؟! أما ولدي عبد الله فهو وأبوه وأمه لكم الفداء!

---

(١) مقدمة كتاب «هل يدرك المأموم الركعة بإدراك الركوع» (٧).

(٢) «آثار المعلمي» (٢٢/ ٢٣٨).

وقد شق عليَّ جدًّا قولكم: «أَشفقْ على والدك كما تشفق على ولدك»، ولكن لكم الحق في ذلك؛ فإن مرور هذه المدة الطويلة بدون أن يصلكم كتابٌ مني كافٍ للإيقاع في الشك والارتياب، وإنا لله وإنا إليه راجعون»(١).

وأخلاق بِرٍّ أخرى أفاض بها الإمام تجاه والده، يأتي بعضها في الفصل الأول من الباب السادس.

وكان الوالد فخورًا بولده -وحُقَّ له- ففي ديباجة إحدى رسائله يقول: «حضرة الولد الأجلّ الأمجد العلامة القاضي عبد الرحمن بن يحيى المعلمي حرسه الله تعالى ووفّقه لرضاه آمين.

صدرت الأحرف الحقيرة لأداء مسنون السلام ورحمة الملك العلّام تغشاك على الدوام... كافأكم الله بالحُسنى، ولا تنسونا من صالح دعائكم، وعرِّفونا حالكم وحال الأولاد، ولا تقطعونا مكاتبتكم، والسلام يغشاكم مع كافة من حوى مقامكم... جزاكم الله خير الدنيا ونعيم الآخرة..

مستمدّ الدعاء والدكم. (التوقيع) يحيى المعلمي»(٢).

توفي العماد ببلاد (عُتُمة)، سنة (١٣٦١)، رَحِمَهُ اللَّهُ



---

(١) هذه النصوص مقتبسة من رسائل الإمام المعلمي إلى والده، وستأتي كاملة في الفصل الثاني من الباب السادس-إن شاء الله تعالى-.

(٢) «المدخل إلى آثار العلامة المعلمي» (٢١٣-٢١٤).

المبحث الثاني: إخوانــه:

الأول: محمد بن يحيىٰ المعلمي، نشأ وتعلم علىٰ والده وبعض فقهاء عشيرته، ثم سافر إلىٰ مدينة (زبيد) للدراسة، ثم عاد إلىٰ (الطفن) وسافر إلىٰ (تربة ذُبْحَان) التابعة لمدينة (تعز) وعمل كاتبًا للمحكمة الشرعية هناك وكان يحسن اللغة التركية.

ذكره الإمام في إحدىٰ وصاياه فقال: «ولي أخ فاضل مقيم بـ (ذُبْحَان) مركَز قضاء (الحُجَرية) التابع للواء (تَعِز)»[1].

توفي محمد سنة (١٣٤٠) تقريبًا، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أيام مُقام الإمام في إمارة الإدريسي، وقد ذكره في إحدىٰ خطب الجمعة هناك فقال[2]: «وإنه قد بلغني ما قضاه الله تعالىٰ من وفاة سيدي الأخ الفاضل العالم العامل عز الإسلام: محمد بن يحيىٰ بن علي المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وهذا حوض مورود، وسبيل مسلوك، لا مفرَّ منه، ولا محيدَ عنه.

كلُّ ابنِ أمٍّ وإن طالت سلامتُه ... يومًا علىٰ آلةٍ حدباءَ محمولُ

ولقد -والله- ذرفت العيونُ، وتسعَّرت الشجونُ، وتصاعدت الزفراتُ، وتوقَّدت الحسراتُ. إذا ما استنجدتُ الصبرَ لم يُجِبْ، وإذا دعوتُ الجَلَد لم يُلبِّ. فإذا التفتُّ إلىٰ الدموع وجدتُها مُسْعِدةً بصبيبها، مُرجَحِنَّةً بشآبيبها...

---

(١) «آثار المعلمي» (٢٢/ ٢٣٨)، وقد تصحفت البلدة إلىٰ (ذَيحان).

(٢) «مقدمة هل يدرك المأموم الركعة بإدراك الركوع» (٨)، «المدخل» (٩٦)، «آثار المعلمي» (٢٢/ ٢٢-٢٣). مُرجَحِنَّةً. أي: مائلة بدمعها.

فأنا تارةً أسلِّي نفسي، وتارةً أغالط يأسي. وأيَّ شيءٍ تفيد المراجعة، أو تُجدي المغالطة والمخادعة! ولكنِّي أقول:

أحقًّا عبادَ الله أن لستُ رائيًا شقيقيَ بعدَ اليومِ إلا توهُّما».

وترك محمدٌ مكتبة عظيمة، وحين وصل خبر وفاته إلىٰ والده ذهب إلىٰ هناك، وحمل كتب ابنه، علىٰ بعيرين، ونقلها إلىٰ (عُتُمة).

وقد ذكر المعلمي بعض أخباره مع أخيه محمد، فمن ذلك قوله: «كان في اليمن في قَضاء الحُجَرية قاضٍ كان يجتمع إليه أهل العلم ويتذاكرون، وكنت أحضر مع أخي، فلاحظتُ أن ذلك القاضي - مع أنه أعلم الجماعة فيما أرىٰ - لا يكاد يجزم في مسألة، وإنما يقول: «في حفظي كذا، في ذهني كذا» ونحو ذلك. فعلمت أنه ألزم نفسه تلك العادة حتىٰ فيما يجزم به، حتىٰ إن اتفق أن أخطأ كان عذره بغاية الوضوح»[1].

وكان الإمام حريصًا علىٰ الوفاء لأخيه محمد، بالقيام بشأن ولديه: أحمد وأبي بكر، كما سيحكي بعض ذلك في رسائله الخاصة، الآتية في الباب السادس، إن شاء الله تعالىٰ.

الثاني: أحمد بن يحيىٰ المعلمي، ولد سنة (١٣١٠) تقريبًا، ونشأ عند والده، ثم أرسله والده إلىٰ أخيه الإمام المعلمي، وبقي معه في إمارة الإدريسي، وبعد وفاته كانا معًا في الرحلة إلىٰ مدينة (عدن)، ثم سافرا معًا إلىٰ مدينة (حيدر آباد) الهندية، فالتحق الإمام بدائرة المعارف العثمانية، وبقي أحمد مدة هناك ثم سافر مع بعض تجار الحضارم إلىٰ مدينة

(١) «آثار المعلمي» (٩/ ١٧٩ و١٠/ ٩٢).

(ســورابايا) بــبلاد (إندونيســيا)، وعمــل في مكتبــة ســليمان مرعــي الحضرمي، وكان له بعض المعرفة باللغة الأُردية.

وكان بينه وبين والده مراسلات ومشاورات، وحينما استشاره في الزواج، قـال لـه والـده في رسـالة: «...شـاور في ذلـك أخـاك شـيخ الإسـلام»، يعنـي: الإمام المعلمي.

فتزوج أحمد بمريم، من أصول يمنية[1]، فوُلـد لـه منهـا: محمـد، ويحيىٰ، ونزار، ونوفل، وفريد، وناصر، وفريـدة، -ذكرهـا الإمـام في بعـض رسـائله إلىٰ والدها-، وبلقيس، وعزيزة، وعزة، وزكية، وذريته هنـاك، أحيـاء-سـوىٰ: فريـد وناصـر فقـد توفيـا- ولكـنهم لا يتحـدثون بالعربيـة، ولا يعرفـون عـن عمهـم (الإمام) شيئًا ذا بال!

وكان بين أحمد وأخيه الإمام مراسلات تدل المطلع عليها علىٰ استحكام المحبة بين الأخوين بما لا مزيد عليـه، يقـول الإمـام في إحـدىٰ تلـك الرسـائل: «فإنك تعلم حقيقة هذا الأمر من نفسك، أنت مني وأنا منك، وليس علىٰ وجه الأرض بعد سيدي الوالد -حفظه الله تعالىٰ- من يسرني سروره أزيَد منـك، ولا أعلم لك ذنبًا»!

وكان أحمد فخورًا بأخيه، لا يفتـأ مـن ذكـره والثنـاء عليـه، والتـأوه لفقـده، وكان حريصًا علىٰ تلك الرسائل؛ محتفظًا بها في صندوق، يخفـف بهـا لوعـة الشوق، والحنين، بل قرصات الألم والأنين!

---

(١) ولدت سنة (١٣٣٧)، ثم أخبرني الشيخ التميمي أنها توفيت في الخامس من شهر شوال سنة (١٤٤٠)، بعد مرض طويل الأمد، فرحمها الله وغفر لها، وألحقها بالصالحات.

ولما كان بين الشيخ عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الحضرمي، وبين أحمد بن يحيىٰ المعلمي مودة أكيدة، صور تلك الرسائل منه سنة (١٤١٣)، ثم أعطاها الشيخَ مشهور بن حسن آل سلمان، حينما زارهم إلىٰ تلك البلاد، سنة (١٤٢٢)، فأعطىٰ الشيخ مشهور تلك الرسائل الشيخَ علي العمران، فأثبتها في «المدخل إلىٰ آثار العلامة المعلمي».

وأما أصول تلك الرسائل فقد حملتها زوجة أحمد بن يحيىٰ المعلمي إلىٰ مدينة (جدة)، حينما دخلت للعمرة بعد وفاة زوجها، وسلَّمت تلك الرسائل وغيرها، إلىٰ عبد الله ابن الإمام المعلمي، وهو فرَّقها في زواره من العلماء والفضلاء، قائلًا لهم: «أنتم أولىٰ بها مني»!

توفي أحمد بن يحيىٰ المعلمي في (١٤/ ١٠/ ١٤١٩)، رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1].

الثالث: عبد المجيد بن يحيىٰ المعلمي، نشأ عند والده ولازمه حتىٰ مات، وتعلم القرآن الكريم، وأجاد القراءة والكتابة، وبقي في منزل والده في (بيت الريمي) ثم سافر إلىٰ مدينة (صنعاء) وأقام عند أحد أولاده، وعليه سيما الخير والصلاح».

وقد ذكره الإمام في رسائله الخاصة كما سيأتي في الفصل الثاني من الباب السادس، بما يدل علىٰ تفقده له، في دينه ودنياه.

توفي عبد المجيد بن يحيىٰ المعلمي سنة (١٤١٥)، رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2].

---

(١) «المدخل» (٩٦-٩٧)، وإفادات من رسائل: الشيخ أبي عوف عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الحضرمي، ورسائل حفيد الإمام: الأخ عبد الرحمن -أثابهما الله تعالىٰ-

(٢) من إفادات ابن أخته الشيخ عبد الرحمن بن عبد القادر المعلمي.

وللإمام أربع أخوات:

الأولى: فاطمة بنت يحيىٰ المعلمي، أخت شقيقة، ذكرها الإمام في إحدىٰ رسائله لأبيه فقال: «ثم أدعو كذلك للوالدة وللأخ محمد، والأخت فاطمة ﷺ».

ولم أقف علىٰ تاريخ وفاتها رَحِمَهَاٱللَّهُ.

الثانية: عطية[1] بنت يحيىٰ المعلمي، أخت شقيقة، ذكرها الإمام في إحدىٰ رسائله[2]، وذكر أن لها بنتًا من الشيخ إبراهيم القاضي، وأن لهذه البنت ابنًا، قدم إليه بمكة، ثم عاد إلىٰ اليمن وتزوج بابنة خاله عبد المجيد.

وفي إحدىٰ رسائله الآتية في الفصل الأول من الباب السادس، غبط الإمام أخته عطية؛ لفوزها بخدمة والدها فقال: «هنيئًا للكريمة عطية هي والله خيرنا، وأفضلنا، وأسعدنا، رزقها الله هذه السعادة العظيمة: خدمة والدها، عند عجزه، وتقصير بقية أولاده!».

وفي رسالة أخرىٰ يخاطب والده قائلًا: «فضلًا اقرؤوا سلامي علىٰ الإخوان والأصدقاء، والتمسوا لي الدعاء منهم، ولا سيَّما الكريمة عطية، الفائزة بسعادة خدمتكم، ليتني كنت معها، وعسىٰ أن يكون لي من رضاكم ودعائكم بعض العِوَض».

توفيت عطية بنت يحيىٰ المعلمي سنة (١٣٧٥) تقريبًا، رَحِمَهَاٱللَّهُ.

---

(١) عطية من الأسماء المشتركة بين الذكور والإناث، وهو في نجد اليمن شائع بين الإناث، ومن المحدِّثات: عطية بنت سليمان.. أسند لها ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» [الممتحنة: ١٢]، وانظر: «معجم النساء» لعمر رضا كحالة (٣/ ٢٨٧).

(٢) سيأتي لفظها في الفصل الثاني من الباب السادس.

الثالثة: سعيدة بنت يحيىٰ المعلمي، أخته لأبيه، وهي والدة الشيخ الأديب عبد الرحمن بن عبد القادر المعلمي -عافاه الله وختم له بالحسنىٰ-، وكان لها -كما يقول ولدها- اليد الطولىٰ مع والده في تربيتهم وتوجيههم، وكانت تحفظ سورًا من القرآن، صالحة خيِّرة».

توفيت سعيدة بنت يحيىٰ المعلمي سنة (١٣٩٣)، رَحِمَهَا ٱللَّهُ.

الرابعة: ميمونة، بنت يحيىٰ المعلمي، أخته لأبيه، زوجة الفقيه الفاضل محمد بن سليمان المعلمي المتوفَّىٰ (ليلة الجمعة ٢٤شعبان (١٣٦١)، أرسل إليه الإمام بالرسالة الثالثة، الآتية في الفصل الثاني من الباب السادس، خاطبه في ديباجتها بقوله: «الأخ الفاضل الكريم حليف الوفاء أليف الصفاء شريف الأخلاق ماجد الأعراق، الفقيه: محمد بن سليمان المعلمي حفظه الله».

توفيت ميمونة بنت يحيىٰ المعلمي سنة (١٣٥٧) تقريبًا، رَحِمَهَا ٱللَّهُ.

وكان الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بارًّا بذوي رَحِمه، يصلهم بالدعاء لهم، وبالمال، والتفقد لأحوالهم، ويسألهم العفو عن تقصيره، ففي وصيته التي كتبها وهو في مدينة (عسير) يقول: «وأسأل والدي وأخي أن يستبرئوا لي كريمَتيَّ مما قصَّرتُ فيه من حقهما ويرضيانهما عني»[1].



(١) «آثار المعلمي» (٢٢/ ٢٣٩)، وإفادات من الشيخ عبد الرحمن بن عبد القادر المعلمي.

المبحث الثالث: زوجــه:

وصـل الإمـام إلـىٰ الـديار الهنديـة سـنة (١٣٤٤)، وتـزوج هنـاك قُبيـل سنة (١٣٥٠)، وهـو في الثامنـة والثلاثـين مـن عمـره، واسـم زوجـه: زكيـة بنـت يحيىٰ بن يحيىٰ الهمداني[١].

وقد تتابعت الأمراض علىٰ زوجه، فكان معها بارًّا وفيًّا، قـال: «...أُصيبت بالمرض الذي يسمَّىٰ «اختناق الرَّحِم»، واشتدَّ عليها حتىٰ خُولِطَت في عقلهـا، وكانـت تعـرض لهـا عـوارض شـديدة مـن التشـنُّج والحركـات المضـطربة وغير ذلك...

وعلىٰ كلِّ حالٍ فقد كنتُ أعالج زوجتي بالأدويـة التي يشـير بها الطبيـب، وأرقيها بالرقية النبوية وغيرها من الآيات والأدعية، وألحَّت أمها ونسـاؤها، في أن نذهب بها إلىٰ بعض من عُرِف بالرُّقية، فتطييبًا لنفوسهنَّ قلتُ: علىٰ شـرط أنَّه إذا أشار بذبحٍ أو تقريبٍ أو فعل شيء لا ينفِّـذ ذلـك، فإنِّي أخشىٰ أن يكـون في ذلك ضررٌ أكبر من هذا الضَّرر»[٢].

وعاودها المرض بأشـد، ففـي إحدىٰ رسـائله الآتية في الفصـل الأول مـن الباب السادس يحكي لأبيه فيقول: «زوجتي أصابها مرض صـعب، بحيـث زال عقلها، وصارت في حالة جنون مطبق، وبقيت كـذلك نحـو سبعة أشـهر، تعبـتُ في أثنائها تعبًا شديدًا، ولا سيما بالخسارة والمداواة!

فإن الطب هاهنا منتشر، وبعض الأدوية غالية جـدًّا، والأطبـاء يطـالبون بـأجرة فاحشة، وبفضل الله تعالىٰ، ثم ببركة دعائكم عافاها الله، وهي الآن بعافية».

---

(١) أرَّخ المعلمي وفاته فقال: «توفي يحيىٰ بن يحيىٰ الهمداني صباح يوم الأحد لخمس خلون من ذي القعدة سنة (١٣٦٩) هـ الموافق عشرين أكَست سنة ١٩٥٠ م». «آثار المعلمي» (٢٤/ ٤٣٨).

(٢) «آثار المعلمي» (٦/ ١٠٢-١٠٥).

وفي رسالة منه بتاريخ (٩/ رجب/ سنة (١٣٧٥)، لأخيه أحمد يقول فيها: «وزوجتي لا تزال في (الهند) وهي مريضة مرضًا مزمنًا لا يمكنها معه القيام بمصالح نفسها فضلاً عن غيرها، وأنا مرتّب لها معيشتها هناك، ولي فكرة في الزواج إذا وجدت امرأة عاقلة فيها بقية»[١].

ولعل الإمام شُغل عن فكرة: زوجة مرْضية فرضي بالعزوبية، لا سيما وقد تحققت البُغْية، وطاب المُقام، وحُق له أن يطيب؛ وهو بين الطروس والدروس، بجوار البيت المحروس!

فلم يتزوج غيرها بلا ريب، كما أخبرني بعض تلاميذه، وحفيده عبد الرحمن، ولذلك قال في رسالة إلى أخيه أحمد: «الأخ عبد المجيد حجَّ العام الماضي ومعه ولده عبد اللطيف يريد أن يبقيه عندي فلم يتيسر ذلك؛ لأني وحيد مشغول..».

ولذلك اتخذ حُجْرَةً في مكتبة الحرم الشريف للسُّكْنى، وكان فيها كتبه وأوراقه ومؤلفاته وما إليها، وقد توفي فيها بين أوراقه وكتبه، كما سيأتي بيانه، إن شاء الله تعالى.

ثم إن الإمام قد عمل على قدوم زوجه مع ولده عبد الله، وعاشا في مدينة (جُدَّة) وبها توفيت في الحادي والعشرين من شهر ذي الحجة سنة ثماني عشر بعد الأربعمئة والألف (٢١/ ١٢/ ١٤١٨)، رَحِمَهَا ٱللَّهُ[٢].

---

(١) «المدخل إلى آثار المعلمي» (٢٣٥).

(٢) ملخص رسائل بعث بها إليَّ حفيد الإمام، الأخ: عبد الرحمن بن عبد الله -أدام الله توفيقه-.

المبحث الرابع: ولده:

ليس للإمام المعلمي من الولد سوىٰ ولده الذي سمَّاه (عبد الله) وأرَّخ لولادته فقال: «بحمد الله ﷻ ولد الولد المبارك الصالح -إن شاء الله تعالىٰ- عبد الله، ضحىٰ يوم الثلاثاء سادس شهر ربيع الثاني من عام واحد وخمسين وثلاثمئة وألف من الهجرة النبوية.

اللهم اجعله من عبادك المخلصين، العلماء العاملين، الهداة المهديين، وإني أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم، وأسألك أن تجعله من العلماء الراسخين، العارفين بكتابك المبين، وسنة نبيك الأمين - صلىٰ الله وسلم وبارك عليه وعلىٰ آله - وأن تجعله من حفظة كتابك، والواقفين عند حدودك، وأن تجعله قرة عين لأبويه، إنك أنت الكريم الوهاب الرزاق من تشاء بغير حساب»(١).

وبعد مدة مرض عبد الله، وقد قصَّ الإمام تفاصيل المرض وما احتف به فقال: «ولقد أصيب ولدي بالمرض الذي يعتري الأطفال ويسميه الأطباء «أمَّ الصبيان»، فقالت بعض العجائز لامرأتي: ينبغي أن تَفْدُوا عنه بذبيحة، فقالت لي زوجتي: فقلت لها: الفِدية إنَّما تكون مرَّةً واحدة، وهي العقيقة، وقد عملناها، ثم رأيتُ زوجتي اشترت دجاجة فظننتُ أنَّها تريد تذبحها لأهل البيت، ثم فقدتُ الدجاجة، فتوهَّمتُ أنَّها أَرْسَلَت بها، فأُطْلِقَت في الصَّحراء، فأنكرتُ عليها ذلك، وعرَّفتها أنَّ هذا الفعل خطر علىٰ الدِّين، وأنِّي أرىٰ هلاك ولدي وهلاك أمِّه وهلاكي وهلاك كل من نحبُّه خيرًا لنا من مثل هذا الفعل.

---

(١) «المدخل إلىٰ آثار المعلمي» (٩٩).

ثم لم تلبث زوجتي أن عَرَفَت أنَّ الذي بالطِّفل مرضٌ من الأمراض، ينشأ عن القَبْض وغيره، وينفع الله فيه بالأدوية، فزال عنها اتِّهام الشيطان»[١].

وكان الإمام حريصًا علىٰ ولده عبد الله، ففي إحدىٰ وصاياه قال: «ثم أُوصي إلىٰ الشيخ (إبراهيم رشيد) أن يحتاط لولدي (عبد الله) -أصلحه الله- إذا توفَّاني قبل بلوغه، ويجتهد في تربيته تربية صالحة، ويمنعه من الاختلاط بالأطفال السفهاء، وينفق عليه وعلىٰ أمِّه ما لم تتزوَّج... ثم إذا وصل حدَّ القراءة ألزمَه بحفظ القرآن الكريم، ولقَّنَه التوحيدَ الحقَّ، ثم يُربِّيه تربية دينيَّة علميَّة»[٢].

وفي إحدىٰ رسائله لأخيه أحمد سنة (١٣٧٧)، يقول الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الولد عبد الله يسلم عليكم ويُقبِّل يديكم وهو الآن بجُدَّة؛ لأنه اختار أن يتحصَّل علىٰ خدمة هناك، ولم يسعني إلا السماح له؛ لأنني أحبّ أن يشقَّ طريقه بفكره ورأيه، وعلىٰ كل حال فهو بحمد الله تعالىٰ حَسَن السيرة، طيب الأخلاق، بعيد عن مخالفتي، وأرجو أن يفوز بمقصوده قريبًا إن شاء الله تعالىٰ، تعليمه متوسّط يكفي لحصوله علىٰ خدمة طيبة.

قضية زواجه فِكرتي فيها موافقة لفكرتك، وقد كنت لمَّحت له، فإذا رأيه أنه يريد أولاً أن يتحصَّل علىٰ الخدمة ويستقر فيها»[٣].

---

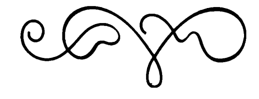
(١) «آثار المعلمي» (٦/ ١٠٢).

(٢) «آثار المعلمي» (٢٢/ ٢٤٢-٢٤٣)، والشيخ إبراهيم رشيد أحد العرب القاطنين بمدينة (حيد آباد الدكن) كان خطيب الجامع الكبير المسمىٰ (مكة مسجد)، «المدخل» (٧٦)، ولم أقف علىٰ تاريخ وفاته بعد البحث والتتبع. رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

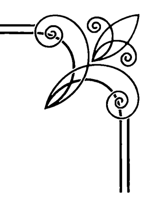
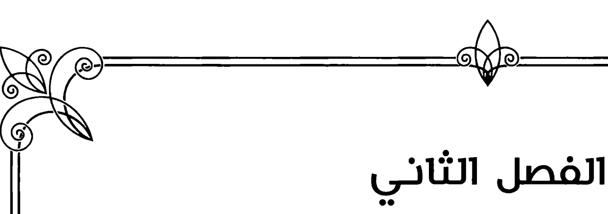
(٣) نص مقتبس من الرسالة الآتية في الفصل الثاني من الباب السادس. والخدمة بمعنىٰ: الوظيفة.

قلت: وقد تزوج عبد الله علياءَ بنت صالح جباري اليافعي -كان والدها من أصدقاء الإمام، المحبين له- فولد له منها، فاروق، وفواز، وقد أدركا جدهما (الإمام)، ونجوىٰ -وقد توفيت-، وعبد الرحمن، ونبيهة، وفينا، ومحمد، ويحيىٰ -سلك الله بهم سبيل جدهم، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

توفي عبد الله ابن الإمام المعلمي في الثاني من شهر جمادىٰ الآخرة سنة إحدىٰ وثلاثين بعد الأربعمئة والألف (٢/ ٦/ ١٤٣١)، وتوفيت زوجته في الثلاثين من شهر محرم سنة تسع وثلاثين بعد الأربعمئة والألف (٣٠/ ١/ ١٤٣٩) رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ[1].



(١) ملخص رسائل بعثها إليَّ حفيد الإمام، الأخ: عبد الرحمن بن عبد الله -حفظه الله تعالىٰ-.

الفصل الثاني
الاسـم والنسب، والألقاب

المبحث الأول: الاسم وعمود النسب:

هو: عبد الرحمن بن يحيىٰ بن علي بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن الحسن بن صالح[1].

المبحث الثاني: المعلمي:

بضم الميم، وفتح العين، وتشديد اللام المكسورة، وكسر الميم بآخره ياء النِّسبة، إلىٰ الجد الأعلىٰ (حسين)، الذي لقب بالمُعلِّم؛ لكثرة تعليمه للناس، وهكذا عُرِفَتِ العشيرة، في (عُتُمة)، وفي غيرها من الأقطار التي حلُّوا بها، رحمهم الله.

وقد حقق الإمام نسب عشيرته، فنقل عن الملك الأشرف قوله: «أما عَكّ بن عدنان فهم أصلان: الشاهد، وعبد الله أبناء عَكّ، فأما عبد الله بن عَكّ فبَطْنانِ: (عبس) وبَوْلان، فبطون (عبس) من عَكّ، ومنهم (بَجيلة)، وهم بسهام قبيلة محمد بن حسين البجَلي الصالح».

(١) هذا آخر ما وقفت عليه من عمود نسبه رحمه الله، انظر: «المدخل» (٥١)، «آثار المعلمي» (٢٢/ ٢٤٠).

ثم قال: «ومحمد بن حسين البجلي هو أخو جدنا علي بن حسين، وأبوهما هو جدنا المعلم حسين. وقد ذكرهم الشَّرْجِيُّ في ترجمة محمد بن الحسين البجلي، وأنهم بـ (عُواجه)»(١).

ثم قال: «وبنو البجلي هؤلاء من (بجيلة عبس) بن عَكّ بن عدنان».

إلىٰ أن قال: «وبالجملة فالأكثر أن عَكًّا الذي نُسب إليه محمد بن حسين البجلي وآله، هو أخو مَعَدّ بن عدنان جد النبي ﷺ.

فهذا هو الظاهر في نسبنا آل المعلمي، أنه ينتهي إلىٰ عَكّ بن عدنان، والله أعلم»(٢).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «بجيلة عك: بطن من بني عبس بن سمارة بن غالب بن عبد الله بن عك، منهم كما في «طُرفة الأصحاب» (ص/ ٦٥) محمد بن حسين البجلي الصالح، وهو مشهور جدًّا في اليمن، يقال للمنتسبين إليه (بنو البجلي)، وله أخ اسمه علي، وكان أبوهما حسين يُعرف بـ(المُعلِّم)؛ لكثرة تعليمه الناس، وإلىٰ علي بن حسين هذا ينتسب جدنا محمد بن الحسن المعلمي الذي ينتسب إليه عشيرتنا بنو المعلمي»(٣).

---

(١) عواجه ضبطها المؤرخ الجندي فقال: «عواجه بضم العين وفتح الواو ثم ألف ثم جيم ثم هاء ساكنة، أول من شهر فيها بالعلم أبو عبد الله محمد بن حسين البجلي (ت: ٦٢١)...». «السلوك في طبقات العلماء والملوك» (٢/ ٣٦٣)، وهي اليوم قريةٌ عامرة من عُزلة الرَّامية العليا في وادي سهام في الشرق الجنوبي من مدينة (الحديدة).

(٢) نص مأخوذ من رسالة آتية في الفصل الثاني من الباب السادس.

(٣) «الأنساب» للسمعاني (٢/ ٩٣) عند حرف الباء مع الجيم.

وهذا اللقب (المعلمي) أشهر مما بعده من الألقاب؛ يسطره الإمام في ألواح مؤلفاته، وتحقيقاته، ويصدر به أقواله وتعقباته في بطون كتبه، في عشرات المواضع، وإذا ذُكر هذا اللقب في المجالس والمدارس انصرف الذهن إلى الإمام؛ لأنه هو الذي رفعه في سماء العلم وفضاء المعرفة، فيا ليت شباب هذه العشيرة يدركون هذا المجد، فيعرجون إليه، على معارج التلقي وطلب العلم، قفيًا لسنة إمامهم ومفخرتهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.



المبحث الثالث: العتمي:

نسبة إلىٰ (عُتُمة) بضم العين والتاء، ثم ميمٌ مفتوحة، هكذا ضبطها المؤرخون، وهو الدائر علىٰ ألسنة أهلها، بالتوارث عن أسلافهم، فهو المختار، بحجة الاستصحاب المقلوب المعروف في علم الأصول، فالظاهر أن هذا الضبط المستعمل الآن هو الذي كان عليه أجدادهم، وتسكين التاء، ضعيف. والله الموفق والمستعان[1].

«وإنما سميت بذلك باسم شجرة كبيرة تسمىٰ شجرة العُتُم..»[2].

وهي بلاد واسعة، مرت بثلاثة تقاسيم:

الأول: يتبع مدينة (زَبيد)، قال المؤرخ ياقوت: «عُتُمة: حصن في جبال وُصاب، من أعمال (زَبيد)».

وقال المؤرخ الوُصابي: «اعلم أن حصن (عُتُمة) من الحصون الملوكية المنيعة، والقلاع الشامخة، والعمارة الجاهلية، يحيط بكل جوانبها حيودٌ هائلة»[3].

قلت: وهذا الحصن هو ما يُعرف اليوم بقلعة بني أسد، عشيرة راقم السطور، وهو من حصون ممالك حمير قبل الإسلام، كان في قُلَّته ثلاثمئة وستون مدفنًا لحبوب المحاصيل الزراعية، واثني عشر حاجزًا للماء، وقد تدافن أكثرها، وإنما نسبت (عُتُمة) إليه؛ لأنه أكبر حصونها المنيعة الواسعة، وفي قمته ماءٌ عذب لا يَنضب!

---

(١) «آثار المعلمي» (١٨/ ٤٠٢).

(٢) انظر «تاريخ وصاب» المسمىٰ: «الاعتبار في التواريخ والآثار» (١٢٢-١٢٤).

(٣) «المصدر السابق».

وعلىٰ هذا التقسيم لعُتُمة، كثيرٌ ممن ترجم للإمام المعلمي، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

التقسيم الثاني: يتبع مدينة (صنعاء)، قال الإمام المعلمي: «ووطني بلد (طُثَن) من مخلاف (رَازِح)، من ناحية (عُتُمة)، من قضاء (آنِس)[1] التابع لولاية (صنعاء)».

وتبعه علىٰ هذا التقسيم، بعض من ترجم له.

الثالث: يتبع مدينة (ذَمار)، وهو أقرب التقاسيم، إذ هي علىٰ بعد اثنين وخمسين كِيلًا، إلىٰ الغرب الجنوبي منها.

ويجاور (عُتُمة) من الشرق، بلاد (مَغْرِبَ عَنْس)، ومن الغرب بلاد (وُصاب العالي)، وبعض بلاد (رَيمة)، ومن الشمال بلاد (آنِس)، وبعض بلاد (رَيمة)، ومن الجنوب بلدة (رحاب القَفْر) التابع لمدينة (إب).

وتضم (عُتُمة) بين جنباتها، خمسة مخاليف، وهي: رَازِح، والسُّمَل، وبني بَحْر، وحِمْيَر الوَسَط، وسَمَاه.

ولعل خيرات تلك البلاد هي سبب تعدد تقسيمها.. من يدري؟!

فهي من أحسن بلاد الله في أرض اليمن، جبال شاهقة، تمطر السحب دون بعضها، مشتملة علىٰ المدرجات الزراعية، والأودية المزدهرة بالخضرة الكَحلىٰ، والأقوات الكثيرة، والثمار اليانعة النافعة.

وهذا اللقب: «العتمي» ضمَّه الإمام إلىٰ لقب: «المُعلِّمي»، في بعض رسائله ووصاياه، وعليه بعض معاصريه، وبعض من ترجم له.

---

(١) وعلىٰ هذا التقسيم كتب المؤرخ زبارة في ترجمة المعلمي: «الآنسي». وفيه نظر.

أما شيخنا إسماعيل الأكوع رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد ضرب عليه في عنوان كتابي هذا، لما عرضته عليه، بمنزله بمحروس مدينة (صنعاء)، سنة (١٤٢٦)، معللًا ذلك، بأن المعلمي من (عُتُمة) بلا شك ولا ارتياب، وأن من سكن في غيرها فمنها نزح، ومن سوحها ارتحل![1].

ولقد كان الإمام المعلمي مطلعًا على أحوال بلاده (عُتُمة)، يسره ما يسر أهلها، ويغمه ما يغمهم، اسمع إليه وهو يخاطب صهره الفقيه محمد بن سليمان المعلمي: «تفضلوا اقرؤوا سلامي على الشيخ الهمام سعيد بن أبي بكر مَعُوضه، أطال الله بقاءه، وإني وإن سرني سروره بالتخلص من متاعب الوظيفة ومصاعبها، فقد غمني حرمان أهل الناحية من ولايته، فإن ولايته وإن كانت تعبًا عليه ففيها راحة لأهل الناحية، وإني لأتأسف من العوارض التي اضطرته مع همته القعساء وهمته الشماء، إلى أن يؤثر راحة نفسه على راحة أهل الناحية كلهم»[2].

وهذا البلد هو اليوم من أخصب بلاد اليمن في الدين والدنيا، فقد انتشرت مدارس التعليم، في ربوعه، وتزخر بلاد اليمن بالعلماء والوعاظ، وحفاظ الكتاب المجيد، وحملة السنة المطهرة، من أهل تلك الديار، حفظ الله عليهم دينهم، وجمع كلمتهم..

---

(١) «صفة جزيرة العرب» (١٥٠)، «السلوك في طبقات العلماء والملوك» (٢/ ٢٩٨)، «تاريخ وصاب المسمى: الاعتبار في التواريخ والآثار» (١٢٢-١٢٤)، «اليمن الخضراء مهد الحضارة» (١٠١-١٠٢)، «حياة عالم وأمير» (١/ ٩٠ و٢/ ٥٧)، «حياة الشوكاني»، للشجني، تحقيق الأكوع (٤٠٠)، «آثار العلامة المعلمي» (٢٢/ ٢٣٨)، «الموسوعة اليمنية» (٣/ ٢٠٣١).

(٢) لفظ من الرسالة الآتية في الفصل الثاني من الباب السادس.

المبحث الرابع: اليماني:

نسبة إلىٰ البلاد السعيدة، بإذن الله تعالىٰ، وهذا اللقب ضمه الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ لقب «المعلمي»، في كثيرٍ من مؤلفاته وتحقيقاته، ومراسلاته، وتبعه عامة أهل عصره، ومن ترجم له، وبنعته له أكثرَ الكوثري، وله في بعضها مغزىٰ!

وربما كتب الإمام اسمه هكذا: «كتبه: عبد الرحمن بن يحيىٰ اليماني»[1].

ولقد أصبح لقب: «المعلمي اليماني» أشهر من نار علىٰ علم.

وكانت بادية اليمن حاضرة في ذهنه قبل حاضرتها، حتىٰ في لُجج المنازلة؛ أنصت إليه وهو يدحض شبهة أبي رَيَّة في صحة كل ما في كتب الحديث فيقول: «أقول: العامة في باديتنا باليمن، والعامة من مسلمي الهند، إذا ذكرتَ لأحدهم حديثًا قال: أصحيح هو؟ فإن قلت له: هو في «سنن الترمذي» مثلًا - قال: هل جميع الأحاديث التي في الكتاب المذكور صحيحة؟ فهل هؤلاء أعلم من شيوخ الدين في مصر؟»[2].

وأمثلتها علىٰ طَرَف ثُمامه وأسنة يراعه، ففي مَيدان المنازلة لصاحب كتاب «الاستفتاء عن حقيقة الربا» وهو يبطل شبهاته في تجويز الزيادة المشروطة في القرض قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «...ولكن صاحب الاستفتاء تعرَّض للقياس الذي استند إليه بعض الفقهاء ممن لم يكلِّف نفسَه تدبُّرَ الكتاب والسنة،

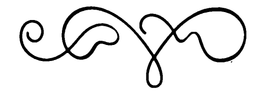
---

(١) «آثار المعلمي» (٢٤/ ٤٤٤ و٢٥/ ١٧٤، ٢٩٦، ٣٠٠).

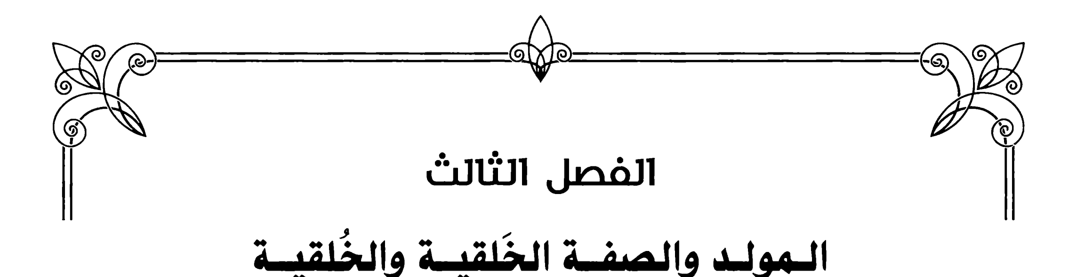
(٢) «آثار المعلمي» (١٢/ ١٣-١٤).

ثم ردَّه صاحب الاستفتاء زاعمًا أنه بذلك قد أثبت أنه لا يوجد دليلٌ صحيح على حرمة الزيادة المشروطة في القرض وأنها ربًا.

فرأيتُ أن أتعرض لذلك عملًا بالمثل المشهور في اليمن: «اتبع الكذابَ إلى باب بيته»[١].



(١) «آثار المعلمي» (١٨/ ٤٧٥).



الفصل الثالث

المولد والصفة الخَلقية والخُلقية

ولد الإمام المعلمي في أواخر سنة (١٣١٢) في قرية (المحاقرة)[1]، إحدىٰ قرىٰ محلة (الطُّفن)[2]، عُزْلة (الغَرَابي)، مخلاف (رَازِح)، ببلاد (عُتُمة).

أما صفته فقال تلميذه عبد الكريم الخراشي: «كان أستاذي الشيخ عبد الرحمن، غفر الله لنا وله، رَبعة مليء البدن نوعًا ما، ذا لحية كَثة بيضاء، تَلْمح علىٰ وجهه سيما الوقار، ونور الإيمان يشع علىٰ مُحيَّاه، وتظهر علىٰ قَسَماته السماحة، والكرم، ولين الجانب، والسمت، لا يبخل بعلم، ولا بمساعدة من يريد البحث والتحصيل»[3].

---

(١) بفتح الميم والحاء، وكسر القاف، و فتح الراء: قرية علمية قديمة شهدت كغيرها من قرىٰ (الطفن) نزوحًا لساكنيها الذين انتشروا في أماكن كثيرة داخل اليمن وخارجه، ولكن لا يزال فيها بقايا من آل المعلمي، منهم الأستاذ المكرم: عبد الرحمن بن عبد الله بن عبدالقادر المعلمي إمام وخطيب جامع (الطفن) ووجيه تلك الجهة -وفقه الله ونفع به-.

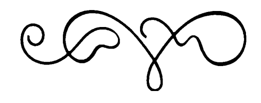
(٢) بضم الطاء المشددة وفتح الفاء، محل يحتوي علىٰ عدد من القريات المنفصلة ولكل منها اسم معين، والاسم القديم لها (الطثن)، بالثاء المثلثة، لا بالفاء وبهما كتبها الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ووهم من كتبها (الظفر) و(الطفل)، انظر «المدخل» (٤٧)، «آثار المعلمي» (٢٢/ ٢٣٨)، «هجر العلم ومعاقله في اليمن» (٣/ ١٢٦٢/ ح).

(٣) «عبد الرحمن المعلمي وجهوده في السنة» لهدىٰ بالي (٥٢)، « مقدمة فوائد كتاب العلل لابن أبي حاتم» لعبد الرزاق بن عبد الرؤوف (٢٠).

وقال تلميذه محمد بن عثمان الكَنَوي: «كان المعلمي رَحِمَهُ اللَّهُ، شيخًا وقورًا، سمح الخلق، حسن السجية، زاهدًا ورعًا، مقبلًا على شأنه، بصيرًا بزمانه، عزوفًا عن المناصب، سخيًّا في خفاءٍ، يكاد لا يعلم أحد ما يقوم به من إنفاق في سبيل الخير خصوصًا لذوي رحمه وعشيرته»(١).

وقال تلميذه عبد الله المعلمي: «كان دَمِثَ الأخلاق»(٢).

وفي «دفتر حِفْظ النفوس» جاء وصفه بما يلي: «لون العينين: عَسَليَّتين، ولون الوجه: قَمْحي»(٣).



(١) «المصدر السابق».
(٢) «المصدر السابق»، الدمث: اللين السهل الكريم. «لسان العرب» جذر (د م ث).
(٣) بعث إليَّ بصورٍ منه: حفيد الإمام: الأخ عبد الرحمن بن عبد الله المعلمي -وفقه الله-.



الفصل الرابع

مراحل النشأة العلمية بالديار اليمنية

أما مراحل نشأته العلمية فأترك الكلام فيها له، فهو بالحال أدرىٰ، وللمحب أروىٰ!

قال[1]: «رُبِّيتُ في كفالة والديَّ، وكانا من خيار تلك البيئة، وهي بيئة يغلب عليها التديُّن والصلاح».

ثم ذكر كيفية طلبه للعلم، وكيف ترقىٰ فيه، والعلوم التي درسها فقال:

«قرأتُ القرآن علىٰ رجل من عشيرتنا، وعلىٰ والدي، وكانت طريقة القراءة: تحفيظ القرآن في اللوح حفظًا موقتًا، أي: أن يحفظ الدرس في اليوم الأول ثم يُعيد حفظه في اليوم الثاني، ثم لا يُسأل عنه بعد ذلك؛ إلا الالتزام بتلاوة القرآن في المصحف كل يوم صباحًا ومساءً لكل أحد، حتىٰ بعد الكِبَر. وعلىٰ كل حال، فإن قراءتي كانت متقنة من جهة القراءة والكتابة.

وقبل أن أختم القرآن ذهبتُ مع أبي إلىٰ (بيت الرَّيمي) حيث كان أبي يمكث هناك يعلِّم أولادهم ويصلِّي بهم.

---

(١) في ترجمته لنفسه، كتبها في أوراق عثر عليها الشيخ ماجد الزيادي وأثبتها في «مقدمة عمارة القبور» (٩-١٦)، ونقلها الشيخ العمران في «المدخل» (٤٥-)، وأخبرني أن تلك الأوراق أُخفيت من مكتبة الحرم المكي.

ثم سافرتُ إلى (الحُجَرية)[١]، حيث كان أخي الأكبر محمد بن يحيى رَحِمَهُ ٱللَّهُ كاتبًا في المحكمة الشرعية.

وهناك شَرِكتُ في مكتب للحكومة كان يعلِّم فيه القرآن والتجويد والحساب واللغة التركية[٢].

فمكثتُ هناك مدة ومرضت في أثنائها مرضًا شديدًا. طال مرضي فحوَّلني أخي إلي بيت أرملةٍ من الجيران تُمَرِّضني. وكان لي في مرضي إسهال مستمر، فجاء أخي مرَّة بطبيب فوصف دواءً زعم أنه يصفِّي بطني، فجيء بالدواء في كأس فامتنعَتْ ممرِّضتي أن تسقينيه وأهرقتْه؛ قالت: بطنه يتصفَّى كل يوم، فالدواء الذي يصفِّي عسى أن يقتله، ثم دعتْ لي رجلًا كان يوصف بالصلاح فجاء بسفوف[٣]، فصارت تعطيني من ذاك السفوف، ورزقني الله العافية».

---

(١) الحجرية: بضم الحاء، وفتح الجيم، وكسر الراء، ثم ياء مشددة مفتوحة، هكذا ينطقها أهلها اليوم، وبه أفادني بعض علمائها، وهي بلاد واسعة جنوب مدينة (تعز)، حلَّت محل اسم مخلاف المعافر، وهو اسم حميري قديم يضم المرتفِعات الجنوبية الواقعة ما بين (جبل صَبِرْ) شمالًا و(الصَّبيّحة) جنوبًا، وما بين (بلاد المخا) و(مَوْزع) غربًا و(خَدِير) شرقًا.

ولا يُعرف بدء تاريخ هذا التحول في التسمية، إلا أن اسم (الحجرية) بدأ ذكره في المصادر اليمنية منذ القرن الثامن.

ومركَز الحجرية الإداري (تُرْبة ذُبْحان)، بضم الذال وإسكان الباء، وفتح الحاء، تبعد عن مدينة (تعز) بنحو سبعين كِيلًا. انظر «الموسوعة اليمنية» (٤/ ٢٧٤٠-٢٧٤١).

وقد صحَّفها بعض مترجمي المعلمي إلى (الحُجرة)!، وضبطها بعضهم بفتح الحاء، وآخرون بكسرها، ولا مستند له، والله أعلم.

(٢) كان حكَّام تلك الديار هم الأتراك.

(٣) السَّفُوف: كُلُّ دواءٍ يؤخذ غيرَ معجون فهو سَفوفٌ بفتح السين، مثل سَفُوفِ حبِّ الرمانِ ونحوه. «الصحاح» جذر (س ف ف).

«تلك هي المرحلةُ الأولىٰ في التعلّم التي لم تتعد القراءة والكتابة وتعلّم القرآن ومبادئ الحساب، والظاهر أنه لم يكن في هذه المرحلة قد جاوز الخامسة عشرة من عمره رَحِمَهُ ٱللَّهُ».

ثم بدأت المرحلة الثانية من طلبه للعلم من حين قدوم والده إلىٰ (الحجرية) وتوجيهه لدراسة النحو، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ثم جاء والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لزيارتنا ومكث هناك مدَّة. سألني عمّا أقرأ في المكتب فأخبرته. ثم قال لي: فالنحو؟ فأخبرته أنه لا يُدرَّس في المكتب، فقال: ادرسه علىٰ أخيك. ثم كلَّم أخي أن يقرِّر لي درسًا في النحو، فكان يُقرئني في «الآجرُّومية» مع «شرح الكفراوي». استمرَّ ذلك نحو أسبوعين ثم سافرتُ مع والدي. ولا أدري ما الذي استفدته تلك الأيام من النحو، غير أن رغبتي اتَّجهت إليه، فاشتريتُ في الطريق بعض كتب النحو.

ولما وردْتُ (بيتَ الرَّيمي) وجدت أحمد بن مصلح الريمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد عاد من «شُهارة»[1]، معقل الإمام يحيىٰ حميد الدين، وقد كان تعاطىٰ هناك طلب

---

(١) أحمد بن مصلح بن علي بن سعيد بن إبراهيم بن ناصر الريمي. عالم فاضل، وفقيه فَرَضي، وشاعر مُجيد، كان مولده سنة (١٣١٣)، ونشأ في (عُتُمة)، ثم رحل إلىٰ بلدة (السُودة) وحفظ القرآن، ثم انتقل إلىٰ بلدة (قَفْلَة عَذُر)، التابعة لمدينة (عَمْرَان)، شمال (صنعاء)، فدرس علىٰ العلامة علي بن محمد الخُباني، والعلامة محمد المقدمي، والقاضي حسين بن محمد العَرَشي، والعلامة يحيىٰ بن علي الذاري. وفي سنة (١٣٣٦) رحل مع الإمام المعلمي إلىٰ بلدة (صَبْيَا)، من بلاد (المخلاف السليماني)، ثم عاد إلىٰ بلده (عُتُمة)، ثم رحل إلىٰ مدينة (تعز) للعلاج، فتوفي هناك سنة (١٣٨١)، ونُقل جثمانه إلىٰ (عُتُمة)، ودفن مع أسلافه رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.
«السمط الحاوي» للعلامة ابن عبد الجبار السماوي-مخطوط-بواسطة «نزهة النظر في تراجم رجال القرن الرابع عشر» للمؤرخ محمد زبارة (١٦٩-١٧٠).
ووهم بعض من ترجم للمعلمي فحسبه شيخ قبيلة بلاد الريمي.
وشُهارة بضم الشين، عند الزبيدي، وتبعه جماعة من المؤرخين، والدائر علىٰ الألسنة هو الفتح أو الكسر، وتعرف بشهارة الأمير، وبجوارها من جهة الشرق (شهارة الفَيش)، =

النحو، وكانت معه كُرَّاسة فيها قواعد وشواهد وإعرابات.

فاصطَحَبْنا وكنّا عامة أوقاتنا نتذاكر، ونحاول إعراب آيات أو أبيات، وكنا نستعين بتفسيرَي «الخازن» و«النَّسفي».

وأخذَتْ معرفتي تتقوَّىٰ، حتىٰ طالعتُ «مغني ابن هشام» نحو سنة، وحاولت تلخيص قواعده المهمَّة في دفتر.

وحصلَتْ لي بحمد الله تعالىٰ مَلَكَة لا بأس بها، في حال أن زميلي لم يحصل علىٰ كبير شيء، وكان مني بمنزلة الآلة».

تُعدُّ هذه الحقبة الزمنية فترةَ التأسيس العلمي للإمام المعلمي، بسبب عنايته بعلم النحو؛ دراسة، وفهمًا، وقراءة، برغبة وإقبال.

ولِمَا وهبه الله من الذكاء البالغ، والفطنة القوية فقد استوعب النحو وفهمه في مدة وجيزة، إذْ لم تتعدّ مدة دراسته عند أخيه الأسبوعين، ثم اتجه بنفسه إلىٰ القراءة والبحث فيه، بدليل ما يأتي من كلام شيخه أحمد بن محمد بن سليمان المعلمي.

= ويفصل بينهما هاوية سحيقة، حتىٰ ربط بينهما الوالي العثماني سنان باشا رَحِمَهُ ٱللَّهُ بجِسْرٍ محكم بديع معلق بين الجبلين؛ لانتقال الناس عليه.
كانت هذه المدينة من أعظم حصون بلاد اليمن وأمنعها، ثم من معاقل العلم المشهورة، قصدها طلاب العلم من أماكن كثيرة في اليمن، وبزغ فيها البدر الأمير رَحِمَهُ ٱللَّهُ بفجر السنة النبوية، حينما أقام به ثمانية أعوام.
انظر «تاج العروس من جواهر القاموس» جذر (ش هـ ر)، «اليمن الخضراء مهد الحضارة» (١٠٢)، «هجر العلم ومعاقله في اليمن» (٢/ ١٠٥٧-١٠٥٩)، «البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي» (١٥٩).
وستأتي ترجمة الإمام يحيىٰ حميد الدين، وقد تصحف علىٰ بعضهم فكتبه: يحيىٰ حميد المدني، ثم قال: لم أعثر له علىٰ ترجمة!.

ثم انتقل الإمام بعد هذه المرحلة التأسيسية إلىٰ مرحلة جديدة من العلم، وهي الانتقال إلىٰ قراءة علم الفقه والفرائض، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ثم ذهبتُ إلىٰ بلدنا (الطُّفن)، ورأىٰ والدي أن أبقىٰ هناك مدَّةً لأقرأ علىٰ الفقيه العلامة الجليل أحمد بن محمد بن سليمان المعلِّمي، وكان متبحِّرًا في العلم، مكث بـ (زبيد) مدة طويلة، ثم عاد بعلمه إلىٰ جهتنا، ولم يستفيدوا من علمه إلا قليلًا[1].

فأخذتُ من كتب والدي كتابَ «منهاج النووي»[2]. مخطوطًا وذهبتُ إلىٰ الشيخ، وكان يختلف إليه جماعة من أبناء عشيرتنا يقرؤون عليه، فبعد أن سلَّمت عليه وأخبرته خبري قال: في أي كتاب تريد أن تقرأ؟ قلتُ: في «منهاج النووي» فوَجَم[3]. ثم لمَّا جاء دوري أمرني أن أقرأ، فشرعت أقرأ خطبة «المنهاج» وهو يستمع لي. فبعد أن قرأت أسطرًا تناول مني الكتاب ونظر فيه، ثم قال لي: هل صحّحت هذا الدرس علىٰ أحد؟ قلت: لا. قال: فهل قرأتَ في النحو؟ قلتُ: قليلاً. قال: «لا، ليس بقليل»، وكرَّرها. ثم قال: أخبرْتَني أولاً أنك تريد القراءة في «المنهاج» فلم يُعجبني ذلك؛ لأني أرىٰ أنّ علىٰ طالب العلم الذي يريد أن يقرأ في «المنهاج» أن يبدأ قبل ذلك بدراسة النحو حتىٰ يتمكّن من الفهم، لكن كرهت أن أكسر خاطرك، فرأيتُ أن آذن لك في القراءة،

---

(١) توجُّعُ علماء اليمن من جفاء أهلهم لعلمائهم، وقلة انتفاعهم بعلومهم، كثير شهير، ذكرت بعض ذلك في خطبة: «سهام الإصابة في الذب عن أعراض الصحابة» للعلامة محمد بن يحيىٰ السماوي.

(٢) «منهاج الطالبين وعمدة المفتين» للإمام الأوحد أبي زكريا النووي، رَحِمَهُ ٱللَّهُ مَدْرس الطلبة الشافعية.

(٣) الواجم: الذي أسكته الهم وعلته الكآبة. «النهاية في الغريب» جذر (و ج م).

وطبعًا تخطئ في الإعراب فأردّ عليك فيكثُر ذلك فتنتبه بنفسك إلىٰ احتياجك إلىٰ دراسة النحو أولًا[(١)]، ولكن لمَّا قرأتَ لم تخطئ، فظننتُ أن الكتاب مضبوط بالحركات، فلمّا رأيته غيرَ مضبوط قلتُ: لعلك قد صححت ذاك الدرس على بعض العلماء، فلما نفيتَ ذلك علمتُ أنك قد درست النحو. فأخبرته بالواقع، وأني في الحقيقة لم أدرسه دراسة مرتّبةً. فقال: علىٰ كل حال معرفتك بالنحو جيدة، فاقرأْ في «المنهاج» وتحضر عندما يتيسَّر لك مع هؤلاء في درسهم في النحو.

ثم درستُ عليه شيئًا في الفرائض فتيسَّرت لي جدًّا لمعرفتي السابقة بمبادئ الحساب، ولم تطُل قراءتي علىٰ شيخنا المذكور، بل رجعت إلىٰ (بيت الرَّيمي) وانكببت علىٰ كتاب «الفوائد الشَّنْشُورية»[(٢)] في الفرائض أَحُلُّ مسائله، وأَفرِض مسائل أخرىٰ وأحاول حلَّها ثم امتحانها وتطبيقها.

وكانت في كتب والدي كتاب «مقامات الحريري» وبعض كتب الأدب فأُولعتُ بها، ثم حاولت قرض الشعر.

ثم جاء أخي من مقرِّه بـ(الحجرية) وأُعجب بما شدوته من النحو والفرائض، ثم رجع إلىٰ (الحجرية) وتركني. ثم كَتَب يستقدمني، فقدمت عليه وبقيت هناك مدّةً لا أستفيد فيها إلا حضوري معه بعض مجالس نتذاكر فيها الفقه».

---

(١) لله دره من درس للمعلمين، الذين يُقوِّمون ولا يهدمون، ولقد ذكرني بقول الكسائي: «كنتُ أقرأ علىٰ حمزة، فجاء سُلَيْمٌ، فتلكأتُ، فقال حمزة: تهابُه ولا تهابني؟ قلتُ: أيها الأستاذ! أنتَ إنْ أخطأتُ، قوَّمتني، وهذا إنْ أخطأتُ، عيَّرني!» «سير أعلام النبلاء» (٩/ ٣٧٦).

(٢) «الشَّنْشُورِيَّة في شرح المنظومة الرَّحَبية» للشيخ عبد الله بن محمد الشنشوري الشافعي، (ت: ٩٩٩). و(شنشور) قرية من قرىٰ مدينة (المنوفية) بالديار المصرية.

«ثم رجعت إلىٰ (عُتُمة)، وكان القضاء وقتها قد صار إلىٰ الزيدية[١]، وعُيِّن الشيخ علي بن مصلح الريمي كاتبًا للقاضي. فلزمت القاضي، وكان هو السيد علي بن يحيىٰ المتوكِّل رجلاً عالمًا فاضلًا معمَّرًا. آسَفُ لتقصيري، إذْ لم أقرأ عليه شيئًا ولا طلبتُ منه إجازةً. ثم عُزل، ووَلِي القضاء بعده السيد محمد بن علي الذاري، وكتبتُ عنده مدّةً، وكان رجلاً شهمًا كريمًا علىٰ قلّة علمه»[٢].

وكان عُمْرُ المعلمي حين عمله كاتبًا: ثلاثةً وعشرين عامًا، كما سيأتي بعد سطور، إن شاء الله تعالىٰ.

فهذه هي مراحل نشأته العلمية باليمن، وهي كما ترىٰ زاخرة بأنواع العلوم من تعلّم القراءة والكتابة، والقرآن والتجويد، وعلم الحساب، ثم العناية بالنحو وحذقه إياه في أقرب مدة، وبراعته فيه، ثم الفقه، والفرائض، وإتقانه لها وحلّه لمسائلها، ثم إكبابه علىٰ كتب الأدب وقرضه للشعر!

وقد بثّ المعلمي بعض أخباره وهو باليمن، يستظهر منها القارئ: عناية الله بهذا الحبر، وعصاميته المبكرة.

---

(١) كان ذلك بعد صلح (دَعَّان) بين الأتراك والإمام يحيىٰ حميد الدين سنة (١٣٢٩) الموافق سنة (١٩١١م)، و(دعان) بلدة من (هَمْدان) في الشمال الغربي، من مدينة (عَمْران)، الواقعة في شمال مدينة (صنعاء). انظر لهذا الصلح: «حياة عالم وأمير» لمؤرخ اليمن الأكوع (٢٢٩-٢٣١، ٣١٤-).

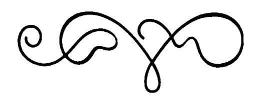
(٢) المتوكل ذكره شيخنا الأكوع في «هجر العلم» (٣/ ١٢٥٦)، (ضُوران)، ولم يزد علىٰ اسمه هنا، وأنه عالم مشارك.

والذاري ترجم له شيخنا الأكوع في «هجر العلم» (٢/ ٦٦١)، (الذَّاري)، وأنه تولىٰ للإمام يحيىٰ بعد صلح (دعان) أعمال: (خُبَان)، ثم (النَّادرة)، فـ(عُتُمة)، ثم (زَبيد)، وقد عزله الإمام منها بعد أن ضج منه أهلها بالشكوىٰ؛ لقسوته وجوره، فعاد إلىٰ (الذاري)، وتولىٰ أعمال ناحيتها، حتىٰ توفي بها سنة (١٣٤٤).

وقد تصحف علىٰ بعض من ترجم للمعلمي إلىٰ (الرازي) بالزاي، فلم يعثروا له علىٰ ترجمة!

ففي بلدته (الطُّفن) قصَّ خبره مع ساحرٍ، فقال: «وقد دعاني بعضهم وأنا صبي صغير، فكتب أسماء، ووضع على ظفر إبهامي نقطة كبيرة من المداد، وبقي يكرر ألفاظًا أعجمية، فيما أحسب، وأمرني بالتحديق في النقطة، وأن أقول: احضروا، ثم سألني هل ترىٰ أشخاصًا فلم أرَ شيئًا؛ ولكن من شدَّة التحديق وتعب النظر مع جهد الفكر كنت أرىٰ خيال بعض الأشياء الحاضرة، فأَتَوهَّمُ أنها صورة شخص، فإذا تأملت لم أثبته، فاعتذر العامل بأني ليس في نفسي استعداد لذلك. وهذا العمل من الشرك؛ لما فيه من الخضوع للجنِّ ودعائهم وغير ذلك»(١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو في الثالثة والعشرين: «قد تقع لي بعضُ الخواطر فتصدُق وأنا أزِنها بميزان الشرع، فما كان ظاهره الخير رجوتُ أن يكون من الملَك، وما كان ظاهره الشرُّ خشيتُ أن يكون من الشيطان، ومن ذلك أني كنت سنة ٣٥(٢) ببلدتي (عُتُمة) بمركَزها المعروف بـ (الربوع)، وأنا إذْ ذاك أكتب لحاكمها السيّد محمد بن علي الذّاري، وكان قد أرسل رسولاً إلىٰ الإمام يحيىٰ بن محمد، فأبطأ الرسول. وبينا أنا يومًا جالس أمام القلعة خطَر لي أن ذلك الرسول الذي ينتظره سيمرّ حينئذٍ من تحت القلعة، فصوّبت نظري إلىٰ تحت القلعة؛ وإذا بذلك الرجل مارًّا من ذلك المكان»(٣).



---

(١) «آثار المعلمي» (٣/ ٩٨٧).

(٢) أي: سنة (١٣٣٥)، والربوع هو ما يُعرف اليوم بـ(الحكومة)، ولا زال مركَز (عُتُمة) الإداري، ويقع في مِخْلاف (حِمْير الوسط)، أحد مخاليف (عتمة) الخمسة.

(٣) «آثار المعلمي» (٤/ ٣٦٠-٣٦١).



الفصل الخامس

النبوغ المبكر

بتدبر أطوار حياته في اليمن، يتجلىٰ بوضوح أن الإمام المعلمي نال من العلم نصيبًا وافرًا، وقسطًا مباركًا وهو ببلده اليمن، متنقلًا بين هِجَر العلم ومعاقله فيها، ينهل من مَعين علم علمائها، فهو لم يرث العلم عن كلالة وإنما نشأ في بيت برَّز أهله في حلائب العلم، ومعارج المعرفة، وعليه فمن نفىٰ تَمَكُّنِ الإمام المعلمي من العلوم قبل رحيله من اليمن؛ فإنما ينادي علىٰ نفسه بالجهل بسيرة الإمام، أو التحطط علىٰ البلد!

قال الشيخ العِمران: «المراحل التي مرّ بها الشيخ في نشأته باليمن وتلقيه أنواع العلوم من تعلّم القراءة والكتابة، والقرآن والتجويد، وعلم الحساب، ثم النحو والاهتمام به وحذقه إياه في أقرب مدة وبراعته فيه، ثم الفقه الشافعي، والفرائض وإتقانه لها وحلّه لمسائلها، ثم وَلَعه بكتب الأدب وقرضه للشعر.

وقد كشفت لنا دفاتر الشيخ ومجاميعه مدىٰ عنايته باللغة والأدب والشعر، ففي المجموع [٤١٠٤] فوائد شتىٰ وتقييدات كثيرة نحْوية وصرفية[1] وأدبية، وقصائد برمتها منها المعلقات السبع ولامية الشَّنْفرىٰ وقصيدة لأُحيحة بن الجُلَاح، ومرثية لأخت المنذر بن عبد شمس وغيرها كثير، قيّدها بخطه الدقيق المتقن.

---

(١) وقد شارك أخاه محمدًا في نسخ «الزنجانية» في الصرف، سنة (١٣٣٠)، أي: في الثامنة عشر من عمره. انظر «آثار المعلمي» (٢٠/ ٨م).

ولا أجزم أن كل ما في هذا المجموع مكتوب إبان إقامته في اليمن، بل من الواضح أن بعضه مكتوب في اليمن وبعضه الآخر حين إقامته لدى الإدريسي، ومع ذلك فليس الفاصل الزمني بينهما كبيرًا بل يمكن أن يعدّا في فترة زمنية واحدة؛ لأنه ارتحل إلى الإدريسي وعمره خمسة وعشرون عامًا وبقي عنده خمس سنوات فقط.

فالمحقَّق أن فنون العربية بأنواعها كانت محلّ اهتمام الشيخ وعنايته، وقد برع فيها وأصبح ذا مَلَكة قوية وهو لم يزل بعدُ في سن مبكرة، مع تفننه في العلوم الأخرى كالفقه والفرائض والحساب وغيرها»[1].

ومما يبرهن على نبوغه المبكر، أنه لما رحل إلى الأمير الإدريسي ولّاه رئاسة القضاء وهو دون الثلاثين، وفوّضه الرد على مكاتبات الرؤساء والملوك، ولقبّه بشيخ الإسلام، وأذن له بالدخول عليه في آية ساعة يشاء بغير إذن من رئيس الحرس، حتى صار من كبار رجال الدولة وأقرب مستشاري الإدريسي.

ولو لم يكن من براهين نبوغه المبكر إلا كتابه البديع النفيس: «تحقيق الكلام في المسائل الثلاث»، «حقّق فيه الكلام على مسائل كبرى تتعلق بالعقيدة، والسنة والبدعة، والاجتهاد والتقليد، فدقّق وحقّق، وناقش واستدلّ وتعمّق، وأطال وتوسّع وأغْدَق، وناقش المخالفين وأنصفهم وتحقّق. والعجب أنه ألّف هذا السِّفر النفيس في مقتبل شبابه، وهو في الثانية والثلاثين من عمره! فبرهن على براعته المبكّرة، وامتلاكه لناصية علوم الاجتهاد في تلك

(١) «المدخل» (٥٣-٥٤).

السنين، ودلل أيضًا على صفاء مشربه، ووضوح طريقته، وانتهاجه نهج السلف الصالحين والعلماء المحققين؛ في قضايا الاعتقاد، ومسالك السنة والبدعة، ومسائل الاجتهاد والتقليد».

وسيأتي بعض تلك التحقيقات النيِّرة في بعض الفصول الآتية، إن شاء الله تعالى.

ولقد كانت معرفته بعلم الحديث مبكرة، ففي «رده على الضالعي» سنة (١٣٤١)، ذكر حديثًا استدل به ثم قال: «فأنت ترى هذا الحديث -على عِلَّاته- كيف مسخه وشوَّهه»(١).

هذا كلامه وهو دون الثلاثين من عمره رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

بل ذَكَرَ بعض فتوحه العلمية في الصغر فيقول: «اعْلم أنَّ الإمامةَ كالإمارة، والسُّنَّةُ أن يؤمَّر في كلِّ عملٍ أهلُ الاقتدار فيه، وإن لم يكونوا من أولي الأفضلية، كما وُلِّيَ عمرو بن العاصي على كثيرٍ من أكابر الصحابة؛ لمزيد علمه بالحروب ونحو ذلك.

واليقينُ الذي لا يشوبه ريبٌ أنَّ هذا الدين لم يزل يَسُوْسُه الله تعالى عند تأسيسِه فما بعده بما يصلحه، ولا سيّما بعد موتِ رسول الله ﷺ وارتدادِ العرب قاطبةً، ولله الحكمةُ البالغةُ، والذي يظهر من الحِكَمِ ما سيفتح الله به:

فأولاً: حكمة الله في الأنبياء أن لا ينبَّؤوا إلَّا بعد بلوغِ سِنِّهم أربعين سنةً، وعند موتِ النبي ﷺ كان سيِّدُنا عليٌّ دون الأربعين، وكذا عند موت أبي بكرٍ.

---

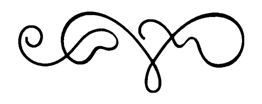
(١) «آثار المعلمي» (٦/ ١٨٥).

وثانيًا: أنَّه قد سبق في علم الله تعالىٰ أنَّ كلًّا من الأربعة له حقٌّ في تولِّي الخلافة، وللدِّين مصلحةٌ في تولِّيه، فحينئذٍ لا بد أن يتولَّاها قطعًا.

فلو تولَّاها أولًا عليٌّ وقد سبق تأخُّر أَجَلِه فلا تَصِلُ إلىٰ غيره إلَّا بموته قبل أَجَلِه، وهذا محالٌ. أو بعَزْلِه وهذا ينافي الحكمة، ليس لمجرد التكدُّر، بل لِما يلزم العزلَ من المفاسد المشوِّشة.

فاقتضت الحكمة الإلهية أن يُوَلَّوها علىٰ ترتُّب آجالهم، **وهذا الوجهُ قد كان فُتِحَ عليَّ به في الصِّغَر** ثم رأيته محرَّرًا مقررًا للشيخ...»[1].

وللحديث بقية حينما ترسو بنا سفينة التَّطواف في شاطئ الآثار، إن شاء الله تعالىٰ.



(١) «آثار المعلمي» (٦/ ٣١٨).



الفصل السادس

شيوخ الإفادة

❁ والده الفقيه العلامة العماد يحيىٰ بن علي المعلمي (ت: ١٣٦١).

❁ أخوه العلامة الجليل محمد بن يحيىٰ المعلمي (ت: ١٣٤١)، قرأ عليه في القرآن، والتجويد، والنحو، والحساب، واللغة التركية.

❁ رجل من عشيرته لم يسمِّه، رَحِمَهُ اللَّهُ.

❁ الفقيه العلامة صفي الإسلام أحمد بن محمد بن سليمان المعلمي (ت: ١٣٤١)، أخذ عنه في الفقه: «متن أبي شجاع»، بشرح القاسمي، و«حاشية الباجوري»، و«منهاج الطالبين» للنووي، وفي النحو: «المتمِّمة»، وشرحها «الفواكه الجَنيَّة»، و«الكواكب الدُّرية»، و«المغني» لابن هشام، و«شرح المُلْحة» لبَحْرق، والأزهري، والكفراوي، وعلم المعاني والبيان من «المفتاح»، للسكاكي[1]، وأجازه إجازة عامة، ممزوجة بالثناء والإعجاب، وعُمْر الإمام المعلمي حينها (٢٣) عامًا، وهذا نصها:

(١) «نشر الثناء الحسن» (٣/ ٢٢١)، وهذا يوهن تلقيه هذه العلوم علىٰ الأمير الإدريسي.

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ الحمد لله الذي جعل الرواية من الدين؛ لكونها سببًا موصلًا إلى سيد المرسلين بل إلى رب العالمين. وبذلك أيضًا حصلت الصيانة له عن تحريف الغالين وانتحال المبطلين، حتى قيل: إن كل فائدة لم تُسند إلى صاحبها فهي لقيطة كالطفل المنبوذ الذي لا يُعرف أبوه في المنتسبين.

والصلاة والسلام على سيدنا وواسطتنا إلى ربنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وأصحابه أجمعين. وبعد: فإن من جملة طرق الإسناد الإجازةَ التي مضى عملها بين الزهاد، ومضى العمل بها قديمًا وحديثًا، وسعوا في طلبها سعيًا حثيثًا.

وقد التمسها من الحقير مَن هو أحقّ بها وأهلُها لحسن ظنِّه بأنه يحسنها ومن رجالها. والحقيقة بأنه كالسُّلَّم لسبب الرُّقيّ إلى ذروتها. فالآمر المقرّر على الارتقاء إلى السطح آمرٌ بالسُّلَّم، ليس فيه فضيلة سوى الصعود عليه، فهو كالواو من «عَمْرٍو» المنسوب إليه.

ولكون رواية الأعلى عن الدون واردةً في صحيح الأخبار - كما أخبر ﷺ بحديث الجسّاسة عن تميم الداري - أجاب الطالبَ إلى مطلوبه وساعده على مرغوبه، لرجاء دعوةٍ صالحة تدركه لحياته وموته، أو تدرك عَقِبه وذريته. فأقول متلفظًا وكاتبًا:

أجزتُك أيها العالم الكريم، والنحرير الذي هو بهذا الوقت في النظير له عديم، إجازةً عامَّةً بكل ما يجوز روايته وتنفع درايته من منقول ومعقول، وبكل ما يقرّب إلى رب البرية، بشَرْطه المعتبر المقرر عند أهل الأثر.

وأجزتُ له أن يروي الأوراد القرآنية والنبوية، والأدعية... وأن يبيِّن طريق الإسناد بيانًا يزيل الظنون الرَّديَّة.

وتلك الإجازة لمن ذكرنا هو الفقيه الوجيه: عبد الرحمن ابن العلامة يحيىٰ بن علي المعلمي، كما أجازني كذلك السيد الجليل والعلامة الحفيل محمد بن محمد بن حسن الأهدل، والشيخ النحرير جمال الإسلام علي بن أحمد المِزجاجي، والشيخ الولي عباس بن داود السالمي الزبيدي، والسيد المحقق الصدّيق ابن إبراهيم البطاح الأهدل، بطرقٍ أخذهم عن الشيخ داود بن العباس السلامي الزبيدي، ما خلا الشيخ علي بن أحمد المزجاجي فهو شيخ المذكورين. كما أخذ ذلك هو والشيخ داود عن السيد الجليل محمد بن عبد الرحمن بن سليمان الأهدل.

وأوصي المُجاز بما وصَّانا به مشايخنا من ترك ما لا يعني، وبما وصىٰ الله به خلقه الأولين والآخرين بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١]، وأن لا ينساني من الدعاء ولا ينسىٰ مشايخي وأولادي إن ذَكَر وتسهَّل له، نسأل الله أن يحقق في الخير أمله والله ولي التوفيق.

والحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله كلما ذكره الذاكرون وغَفَل عن ذكره الغافلون.

قاله بفمه وكتبه بقلمه أحمد بن محمد بن سليمان بن يحيىٰ بن محمد أحمد بن محمد بن الحسن بن صالح المعلمي عفا الله عنهم آمين.

والتحرير يوم الاثنين لإحدىٰ عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان أحد شهور سنة خمسٍ وثلاثين وثلاثمئة بعد الألف قمرية هجرية» اهـ.

۞ **الأمير محمد بن علي بن محمد بن أحمد الإدريسي** (ت: ١٣٤١)، أخذ عنه بعض الفنون، ولا سيما النحو، وقد جمع ما ألقاه الإدريسي من دروس في النحو في كتاب سماه بـ«الأمالي النحْوية»، هكذا قال بعض من ترجم له، ويلوح لي أن نعت المعلمي للإدريسي بقوله: شيخنا. إنما هو على جهة التواضع، وإلا فهي مذاكرة أكثر منها أخذًا وتلقيًا؛ لأنها في علوم قد برع فيها المعلمي، وهو ببلاد اليمن، قبل أنْ تتشرف الحضرة الإدريسية به! فليحرر.

وقد أشار المعلمي إلى هذا فقال: «لازمت شيخنا نحو ست سنين لا يكاد يخلو يوم منها [أن أذاكره] في العلوم النافعة»[١].

۞ **الشيخ محمد عبد القدير الصديقي القادري** (ت: ١٣٨١) شيخ الحديث بكلية الحديث في الجامعة العثمانية بالهند، قرأ عليه بعض «صحيح البخاري» و«صحيح مسلم»، وأجازه بروايتهما، وأجازه أيضًا بـ «جامع الترمذي» و«سنن أبي داود» و«سنن ابن ماجه» و«سنن النسائي» و«الموطأ».

۞ **الشيخ سالم بن عبد الرحمن باصهي** (ت: ١٣٦٦)، قال عنه المعلمي: «شيخنا، إمام الشريعة والحقيقة في وقته، الشيخ العلَّامة سالم بن عبد الرحمن باصهي»[٢].

وذكره الحافظ السقاف فقال: «ومن متأخري علماء (شبام): الشيخ سالم بن عبد الرحمن باصهي، أحد تلاميذ والدي، وشيخ العلامة الجليل الأمير محمد بن علي الإدريسي، وكان هو همزة الوصل بينه وبيني في المعرفة، التي كان

---

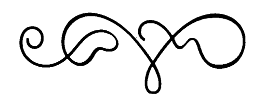
(١) مقدمة «عمارة القبور» للزيادي (٢٦، ٢٧، ٣٤)، «آثار المعلمي» (٦/ ١٨٥).

(٢) «آثار المعلمي» (٦/ ١٨١).

أولها تعزية منه لي بواسطته عن والدي، ثم استمرت المواصلات والمراسلات، بم آثارها من القصائد موجودة في «الديوان»[١].

هذا ما تيسر الوقوف عليه من شيوخ الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولو كان ثمَّ غيرهم لذَكَرهُمْ، فقد ذكر من كان على جهة المذاكرة شيخًا!!

والناظر في تراجم هؤلاء الشيوخ يدرك أن الله أسال لهذا الحبر الريق، وأوضح له الطريق، برفيق التوفيق، مع ذكاء حاد، ونظر ثاقب، وذهن صائب، أغناه به عن شيوخ راسخين، لا سيما في علم الحديث الذي كان أستاذ العصر فيه، فحق فيه ما قاله شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني في علامة اليمن الإمامِ الفَخْمِ محمد بن إبراهيم الوزير الصنعاني (ت: ٨٤٠): «ولم يكن في زمنه من يقوم له لكونه في طبقة ليس فيها أحد من شيوخه فضلًا عن معارضيه والذي يغلب على الظن أن شيوخه لو جمعوا جميعًا في ذاتٍ واحدة لم يبلغ علمهم إلى مقدار علمه وناهيك بهذا»[٢].



(١) «إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت» (٢٦٧).

(٢) «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» (٢/ ٩٢).



الفصل السابع

رحــلات الـتـطــواف

بعد أن دلف الإمام إلىٰ السنة الرابعة والعشرين، وقد نبغ في العلم، شَخَصَتْ له صورة بلاده اليمن الحالكة بجهالات الرعايا، وطغيان الرعاة، الذين لا يُعِيْنون علىٰ تبديد ظلمات الجهالة، وكشف حُجب العمَاية!

حين ذلك أخذ الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بيده عصا التَّسيار، فطاف عددًا من الأقطار، وهو في سنين التَّرحال علىٰ سُنن العلم وسبل المعرفة، لم يخبُ له نجم، ولم يزل به قدم، حتىٰ دُعي به فأجاب، عليه رحمات الكريم الوهاب.

➢ اسمع إليه وهو يقص بدء الرحلة إلىٰ الغربة وفراق الأحبة، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لما كان ليلة الاثنين لعله عاشر شهر ربيعٍ الأول من سنة (١٣٣٦) رأيته ﷺ رؤيا منامية[١]، كأنه في مسجد لا أعرفه، وحوله جماعة كثيرة، فدخلت المسجد فقبّلت يده الشريفة، وقلت له: يا رسول الله إني أحبك، فالتفت إلىٰ رجل واقف عن يمينه، وقع في ذهني أنه الصدّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقال له: أنشد البيتين، فقال:

زُر مَن تحبّ وإن شطّت بك الدارُ ... وحال من دونه حُجْبٌ وأستارُ
لا يمنعنّك بُعدٌ مِنْ زيارته ... إنّ المحب لمن يهواه زوّارُ

(١) وقد ذكر عن نفسه رؤيا أخرىٰ حاصلها: أنه رأىٰ رسول الله ﷺ في المنام وطلب منه الدعاء، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اغفر لعبيدك هذا، اللهم اغفر لعبيدك هذا، اللهم اغفر لعبيدك هذا». قيدها بخطه، ونقلها منه الزيادي في مقدمة «عمارة القبور» (٦٨).

فالتفتَ ﷺ إليَّ فقال: هل سمعت؟ ثم انتبهت، فتقوّت النيَّة...»[١] اهـ.

فانطلق رحمه الله متجهًا إلى مدينة النبي ﷺ، ثم رجع إلى مكة لأداء فريضة الحج التي كان يتشوق إليها، فمن أبيات كتبها سنة (١٣٣٦)، قال رحمه الله:

متى يبلغ المشتاق مَقْصِده الأسنى ... متى تُنجزِ الأيامُ آمالَه الحسنى

متى يشهد النور الجمالي ساطعًا ... حوالَيه في هاتيكم الروضة الغنّا

متى يتراءى نورَ مكة يقظةً ... وقد حقق الرحمنُ آماله مَنّا

متى نبهَرُ البيت الرفيعَ عمادُه ... فنغتنم القربى ونستلم الرُّكنا

ولابد أن نبتاع كتبًا شريفةً ... تكون لنا من جهلنا دائمًا حِصْنا

فيا طالما اشتقنا إلى نيلها ولم ... نَزَل نتمنّى نَيلها مُذْ تحقَّقْنا

- ثم بعد ذلك اتجه رحمه الله إلى الأمير الإدريسي حاكم المخلاف السليماني حينئذ، وقد كان بينهما مراسلات سابقة، يتمنى فيها الإدريسي قدوم الإمام إليه، فيقول في آخر إحدى رسائله إلى المعلمي في شهر محرم سنة (١٣٣٦) : «ونسأل الله أن يمنَّ بالاتفاق عاجلًا على أحسن وفاق»[٢].

---

(١) ذكرها عنه المؤرخ إسماعيل الوَشَلي في كتابه «نشر الثناء الحسن» (٣/ ٢٢٠)، قصَّها له المعلمي حينما التقاه سنة (١٣٣٦)، بمدينة (المنيرة)، وهو في طريقه إلى (المدينة النبوية).
والمنيرة: بضم الميم، وكسر النون، بلدة غرب مدينة (الزيدية)، شمال مدينة (الحديدة) بمسافة خمسة وستين كيلًا. «الموسوعة اليمنية» (٤/ ٢٨٧٤-٢٨٧٥).

(٢) انظرها في «المدخل» (٢٥٥).
والإدريسي: هو محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن إدريس. قدم جده من مدينة (فاس) بالمغرب العربي، وولد الحفيد بمدينة (صَبْيَا) شمال (جيزان)، سنة (١٢٩٣)، وأسس إمارة الأدارسة سنة (١٣٢٧)، وبقي على عرشها حتى وافاه الأجل في شعبان سنة (١٣٤١). وفي أخباره مؤلفات مفردة.

وقد أرَّخ الإمام المعلمي زمن وصوله إلىٰ الأمير الإدريسي بأنه كان في أواخر شهر صفر سنة (١٣٣٧)، أي بعد أداء الزيارة، وحج بيت الله الحرام.

ولم يكن الإمام المعلمي إلا باحثًا عن مكان آمن لتعلم العلم ونشره، بعيدًا عن عسف الحكام وجبروتهم، لكن الأمير الإدريسي رأىٰ من ألمعية الإمام ونبوغه ما وجد فيه ضالته المنشودة في رجل كُفْءٍ؛ ليستعين به في تسيير شؤون دولته، فأوكل إلىٰ الإمام المعلمي رئاسة القضاء، ومخاطبة الأمراء والملوك، وغير ذلك من الأعمال، فقبلها الإمام علىٰ مضض؛ لما فيها من إعاقة له عن التفرغ التام للعلم، وقد أبان ذلك فقال: «ومسألة القضاء نسأل الله تعالىٰ أن يجعل لنا منها فرجًا ومخرجًا»[(١)].

ولكنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ نظَّم وقته، بما أعانه علىٰ اقتطاع وقت كبير للعلم الذي هو حياة روحه.

بقي الإمام المعلمي في الحضرة الإدريسية خمس سنوات من سنة (١٣٣٧) إلىٰ سنة (١٣٤١)، وقد كانت خمسًا صاخبة، ذكرتني بما قاله في ترجمته لابن قتيبة: «يظهر أنّ حياة ابن قتيبة كانت حياة هادئة، إنّما أولها في طلب العلم وآخرها في تصنيف الكتب وإملائها، ولم يُنقل عنه كبير اختلاط برجال الدولة، إلا أنّه ولي قضاء الدِّينَور، فأقام بها مدة حتىٰ نُسِب إليها، ثم عاد إلىٰ بغداد فقضىٰ فيها بقية عمره في جمع العلم ونشره»[(٢)].

➢ وبعد وفاة الأمير الإدريسي في الثالث من شعبان سنة (١٣٤١)، تولىٰ ابنه الأكبر علي الإمارة، بعد نزاع مع عمه الحسن، وقد كان هذا الشاب دون

---

(١) «المدخل» (٢٦٤).

(٢) «آثار المعلمي» (٢٥/ ٢٢٠-٢٢١).

العشرين من عمره، وأحيط بثلة من نظرائه، وتنكّب سيرة أبيه، لا سيَّما مع رجال دولة والده!

وقد كتب الإمام المعلمي أوراقًا أبان فيها رغبته في البقاء هناك؛ لنشر العلم، وأنه راغبٌ عن ولاية القضاء وغيره من الأعمال التي كان يقوم بها أيام الإدريسي الأب.

لكن يبدو أن الغلبة كانت لبطانة الشاب الطائش، فقرر التخلّص من كبار مستشاري أبيه وأعوانه بمكيدة مدبّرة لإخراجهم من عاصمة مملكته إلىٰ مدينة (عدن)، قال القاضي عبد الله العَمُودي: «ففي شهر ربيعٍ الأول من سنة (١٣٤٢) أجلىٰ أهل مجلسه ومشورته من رجال دولته، فطلبهم الإمام المذكور إلىٰ مجلسه، وأوهمهم بأن يتوجّهوا إلىٰ (الحُديدة)؛ لأجل النظر في الصلاحية، وقد أعطىٰ أمرًا إلىٰ واليه بالحديدة عبد المطلب في نفيهم وإدخالهم البحر إلىٰ (عدن)، فتمّ له ذلك... ومنهم القاضي العلامة عبد الرحمن بن يحيىٰ المعلمي العتمي»[1].

وهذه المكيدة المفاجئة لم تُمَكِّن الإمام المعلمي من أخذ شيء من كتبه وأوراقه ومتاعه، وإنما طلبها من تلك الجهة بعد ما استقرّ في (الهند)، كما في كتاب منه إلىٰ الشيخ محمد نصيف في ذي القعدة سنة (١٣٥٥)[2].

---

(١) «إمارة الإدريسي» للقاضي العمودي (٦٩-٧١)، «نشر الثناء الحسن» (٤/ ٢٢٤)، «المدخل» (٧١).

وتوريخه للحادثة بسنة (١٣٤٢) يعارضه أن الإمام أوضح بأنه كان في مدينة (عدن) أواخر سنة (١٣٤١)، كما في خطبة كتابه: «الرد علىٰ حسن الضالعي». انظر «آثار المعلمي» (٦/ ١٨١).

(٢) «إمارة السيد الإدريسي» للعمودي (٦٩-٧١)، «نشر الثناء الحسن» (٤/ ٢٢٤)، «المدخل» (٧١).

➢ ظل الإمام المعلمي رَحِمَهُ اللَّهُ في مدينة (عدن) أكثر من عامين، اشتغل بالتدريس والوعظ والتأليف، فقد ألّف في هذه المدة رسالته في «الوتر»، و«الرد علىٰ حسن الضالعي»، و«مسألة في صبيين مسلمين أخذهما رئيس الكنيسة فنشآ علىٰ دينه، وبلغا عليه وتزوَّجا، ثم أسلما». وهي قضية ظهرت في مدينة (عدن) وفي أثناء ذلك ذهب إلىٰ مدينة (زنجبار) شرق مدينة (عدن)(١).

وهو في تلك المدة يفكر في مكان آمن للمضي في سبيل العلم؛ لأن اليمن -الخاضع لحكم الإمام يحيىٰ حميد الدين(٢)- غير صالح، لا سيَّما بعد ولايته القضاء للأمير الإدريسي خصم يحيىٰ السياسي والمذهبي، «فلو عاد إلىٰ بلده لهذا المقصد السامي النبيل لواجه محنةً تمنعه من المضي في طريقه العلمي؛ إذْ كان سيواجه سطوة الإمام يحيىٰ حميد الدين الذي إن لم يأمر بضرب عنقه فإنه سيودعه السجن الطويل، والمضايقة والأذىٰ.

ودليلنا(٣) علىٰ هذا: أن الفقيه العلامة أحمد بن محمد المعلمي ذهب إلىٰ مدينة (زبيد) لطلب العلم، ومكث فيها مدة سبع سنوات، وفي نهاية مدة الدراسة سافر من مدينة (زبيد) لأداء فريضة الحج، ومرَّ عند عودته إلىٰ اليمن بالبلاد التي كان فيها حكم الإدريسي مارًّا بها، ولما عاد إلىٰ (الطُّفن) ببلاد (عُتُمة)، هجم عليه عساكر الإمام يحيىٰ حميد الدين واعتقلوه هو ووالده،

---

(١) انظر لبعض تقييداته العلمية في هذه المدينة «آثار المعلمي» (٢٤/ ٣٤٣).

(٢) يحيىٰ بن محمد بن يحيىٰ حميد الدين. عالم، فقيه، شاعر أديب، ولد سنة (١٢٨٦) بمدينة (صنعاء)، ودعا لنفسه بالإمامة في يوم الجمعة العشرين من ربيع الأول سنة (١٣٢٢)، عقب وفاة والده بيوم واحد، ولم تصف له الحياة من حروب متتابعة داخل اليمن وعلىٰ حدودها هنا وهناك، وظل حلس بيته، لم يعرف بحر مملكته حتىٰ وفاه الأجل قتلًا في (سواد حزيز) شمال مدينة (صنعاء)، ظهر يوم الثلاثاء السابع من ربيع الآخر سنة (١٣٦٧) الموافق سنة (١٩٤٨م)، علىٰ يد الثوار الجمهوريين. وفي أخباره مؤلفات مفردة.

(٣) هذا الدليل خلاصة رسالة بعث بها إليَّ الشيخ عبد الرحمن بن عبد القادر المعلمي.

وأخويه، وساقوهم جميعًا إلىٰ مدينة (صنعاء) مشيًا علىٰ الأقدام علىٰ مسافة أربعة أيام، أو أكثر، وأودعهم الإمام يحيىٰ حميد الدين في السجن أشهرًا، كل هذا العقاب الشديد؛ لأن هذا الفقيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ مر عند عودته من سفر الحج، بالأماكن التي كان يحكمها الإدريسي، وبعد إطلاقهم من السجن، لم يلبث والدهم إلا أيامًا يسيرة ثم توفي، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فانظر ماذا نزل بهؤلاء الأربعة من الإمام يحيىٰ حميد الدين، بغير ذَنْبٍ اقترفوه، فكيف لو كان هذا الفقيه البريء، ممن ناصر الإدريسي، وتربع علىٰ عرش مملكته قاضيًا؟! ماذا سيصنع به الإمام يحيىٰ حميد الدين؟!

فبهذا ينكشف لك سبب عدم عودة الإمام المعلمي إلىٰ مرتع شبابه، ومشعل نبراسه، بين والده وأهله، مع شكاية الحنين، وزفرات الأنين، من كرب الاغتراب وبُعد الأحباب!

فما بقي إلا البحث عن مكان بعيد، فكان هو بلاد الهند، التي وصلها سنة (١٣٤٤)، والتحق بدائرة المعارف العثمانية[1] بمدينة (حيدر آباد الدكن) سنة (١٣٤٥).

---

(١) أُنشئت هذه الدائرة سنة (١٣٠٦)، ويعود الفضل في إنشائها إلىٰ العلامة النواب السيد حسين البلجرامي (ت: ١٣٢٩)، في عهد النظام السادس للدولة الآصفية: الملك آصف جاه محبوب علي خان، الذي أمدها بالعون السنوي، حتىٰ توفي سنة (١٣٢٩)، ولما آل حكم مدينة (حيدر آباد الدكن) إلىٰ النظام مير عثمان علي خان بهادر آصف جاه السابع، تغير اسم الدائرة من (دائرة المعارف النظامية) إلىٰ (دائرة المعارف العثمانية) نسبة إليه، وقد أمدها بالعون المالي كل عام، من أمواله الخاصة.
نشرت الدائرة مئة وسبعين مؤلفًا، جاءت في ستمئة مجلد، في مختلِف فنون العلم والمعرفة، وحظيت بتقدير معاقل العلم في ديار الإسلام قاطبة، انظر «دور الهند في نشر التراث العربي» (١١٩-١٣٣).
=

➢ استقر الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الهند مدة تربو علىٰ ربع قرن من الزمان، أكب فيها علىٰ التأليف والتحقيق، لكثير من مدونات التراجم، والطبقات، والأنساب، وغيرها، فاشتهر صيته في الآفاق؛ لجودة التحقيق، ومتانة التدقيق، من هناك.. من دائرة المعارف العثمانية بمدينة (حيدر آباد الدكن)، الصرح العلمي الشريف، والطود الأدبي المنيف، في أيام علمية مضت، وسنين زاهية ولَّت، أما اليوم فقد سكنت الريحُ وانطفأت المصابيح!

وعاش تلك الحِقْبَةَ الزمنية في الهند بين اضطرابات سياسية، وغُصصٍ نفسية، وهكذا «رجالات العزِّ ما زالت مقسَّمة الأفكار، مبلبلة الخواطر، منغَّصة العيش من حيث استراح صغار النفوس، وتنسَّم العيش سَفِلة الخلق!».

وستقف علىٰ بعض وصف تلك الحال في بعض رسائله إلىٰ أخيه أحمد، الآتية في الفصل الثاني من الباب السادس، إن شاء الله تعالىٰ.

➢ لذلك بقي الإمام يفكر في المكان المناسب منذ سنة (١٣٦٦)؛ وكان قد وصله من مكة سنة (١٣٦٠) رسالة من القاضي محمد بن عبد الرحيم المعلمي (ت: ١٣٩٥)، يُرَغِّبُه فيها بالقدوم إلىٰ مكة، وفيها: «وقد حررت هذا من أم القرىٰ مكة المكرمة، بلد آمن وبيت حرام، إذْ لو سكنتموه لكان خيرًا لكم، ولعَمري أنْ لو تَشرَّفوا بقدومكم للحج لرأيتم ما يسركم ويُقِرّ أعينكم...»[1].

فلعل الإمام المعلمي بهذه الرسالة بتَّ في المكان البديل، فحزم الإمام متاع السفر إلىٰ بلد الله الأمين، مكة المكرمة.

= ولا زالت الدائرة قائمة بنشر بعض المؤلفات، ولكن لا مقارنة بالماضي المجيد، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

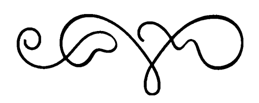
(١) انظر لفظ الرسالة في «المدخل» (٣٥٨-٣٥٩)، وعليه فتعبير بعض مترجمي المعلمي بقولهم: «ثم عاد إلىٰ مكة..» غير دقيق؛ لأنه لم يكن فيها قبل ذلك!

فوصل إلىٰ مدينة (جُدة) في شهر ذي القعدة سنة (١٣٧١)، وعُيِّنَ مُدرسًا بـ (مدرسة الأنجال)، لكن نفسه كانت تتوق إلىٰ ميدان البحث والمطالعة، فجاء اختياره أمينًا لمكتبة الحرم المكي الشريف في (١٨/ جمادىٰ الآخرة/ ١٣٧٢)[1].

وهناك تحققت البغية، وطاب المُقام، وحُقَّ له أن يطيب؛ وهو بين الطروس والدروس، بجوار البيت المحروس!

ولم يكل عن المواصلة فيما وهبه الله من حسن التأليف والتحقيق، بل بقي في دربه، لم يخبُ له نجم، ولا زل به قدم، حتىٰ دُعي به فأجاب، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

تلك هي رِحَلات هذا الحبر، كلها في سبيل العلم، وطريق المعرفة، بعيدة عن الأهل والوطن، فبارك الله له في وقته، ورزقه السَّعة والسعادة في التأليف، ووهبه الله إخلاصًا، ظهرت بركاته بعد وفاته، فأقبل بقلوب أهل العلم علىٰ كتبه، طباعة، ونشرًا، وتدريسًا وبحثًا، ولكنوز التحقيق استخراجًا وبثًّا، فرحمه الله وجمعنا به في جنات النعيم.



---

(١) «المدخل» (٨٧).



الفصل الثامن

الصلة بعلماء العصر

الصلة بين العلماء أمر عال القدر، رفيع المعنىٰ، شيق حلوٌ، ضارب بجذوره في القدم، متجدد في العصور، ولا أجد من كلام يروي الغليل في فضل الصلة بين العلماء إلا بعض كلام المترجَم له رَحِمَهُ ٱللَّهُ فحينما قام وفد من علماء الديار المصرية بزيارة إلىٰ دائرة المعارف العثمانية بمدينة (حيدر آباد الدكن) الهندية سنة (١٣٥٦) ألقىٰ المعلمي خطبة: سمَّاها: «صفة الارتباط بين العلماء في القديم والحديث»، ومما جاء فيها:

«الحمد لله الذي أرانا بأعيننا ما كنا نتمنىٰ أن نراه، من مظاهر الارتباط، والتعاون العلمي بين العلماء، فأصبح علماء (الهند) يستقبلون وفدًا كريمًا، من خيرة إخوانهم علماء (مصر)، تكلفوا المشاق والمتاعب، حبًّا في تعرف أحوال إخوانهم في (الهند)، وتوثيق عرىٰ التواصل معهم، تمهيدًا للتعاون فيما يرفع شأن الإسلام والعلم.

كان العلماء في العصور الأولىٰ متواصلين، علىٰ بعد الأقطار وصعوبة الأسفار، فلا تكاد تطلع علىٰ ترجمة رجل منهم إلا وجدت فيها: ذكر ارتحاله في أوان الطلب إلىٰ الأقطار النائية؛ للقاء العلماء والأخذ عنهم، وسياحته بعد التحصيل، وكلما دخل بلدة سأل عمّن بها من العلماء، واجتمع بهم، واستفاد منهم، وأفادهم، وبقي يواصلهم طول عمره، بالمكاتبة والمراسلة.

وكانت المكاتبات لا تنقطع، بين علماء الأقطار، لتبادل الأفكار في المسائل العلمية، وفي الجزء الأول من «إعلام الموقعين» (ص/ ٢٨وما بعدها) ذكر رسالة من الليث بن سعد إلىٰ مالك تشتمل علىٰ عدة مسائل، وفيها ما يدل علىٰ أن المكاتبة بينهما في المسائل العلمية كانت متواصلة.

وهكذا كانت المكاتبة بين الشافعي وأحمد بن حنبل...

وكثير من المؤلفات العلمية كان سببها المكاتبة بين العلماء، وكثير من الفتاوىٰ المطولة صادر عن ذلك...

وقد كان هذا العمل -أعني المكاتبة بين العلماء في المسائل العلمية- جاريًا في اليمن، إلىٰ مدة غير بعيدة، وقد رأيت في المخطوطات اليمنية كثيرًا من ذلك.

فأصبح العلماء في هذا العصر متقاطعين، لا صلة بين علماء هذا القطر وعلماء القطر الآخر، بل ولا بين علماء القطر الواحد!! بل ولا علماء البلد الواحد!!

فقد كان علماء البلد الواحد في العصور السابقة لا يكاد يمر عليهم يوم، إلا وهم يجتمعون فيه، ويتذاكرون.

أما الآن فقد تمر علىٰ العالم شهور، بل سنون، لا يجتمع بعالم آخر، قد يكون معدودًا من جيرانه! وإذا جمعتهما الجماعة أو الجمعة، أو العيد، فقد يرجعان عن المصلىٰ ولم يلتقيا! وإذا التقيا تجنب كل منهما فتح باب المذاكرة، إما رغبة عن العلم، وإما استحقارًا لصاحبه، وإما أنفة أن يظن الناس أن صاحبه أعلم منه، وإما خوفًا من أن تجر المذاكرة إلىٰ المنازعة، أو غير ذلك!!

وهكذا يحج كل سنة جماعة من العلماء، ويرجع كل منهم، ولم يجتمع بأحد من علماء الحرمين، أو العلماء الذين حجوا في ذلك العام.

وقد كان العلماء في العصور السابقة علىٰ خلاف هذه الحال، فكان من أعظم ما يهتم به العالم إذا حج: الاجتماع بالعلماء، والاستفادة منهم، وإفادتهم.

ولقد كان بعض العلماء يحج، وأعظم البواعث علىٰ الحج: الاجتماع بالعلماء، مع أن هذه العبادات -أعني الجماعة والجمعة والعيد والحج- من أعظم الحِكَم في شرعها الاجتماع والتعارف، وتبادل الفوائد العلمية وغيرها.

وهكذا قد يتفق لأحد علماء هذا العصر، سفر إلىٰ بلد من البلدان فيرِده ويمكث فيه مدة، لا يسأل عمن به من العلماء، ولا يجتمع بهم، وإذا اجتمع بهم تجنب المذاكرة العلمية، فلا يكاد يُفيد ولا يستفيد، وإذا كان يصنع هذا مع جيرانه من العلماء، فكيف يُرجىٰ منه خلافه مع علماء البلدان البعيدة عنه؟!

وكم من عالم تُشكل عليه مسألة، أو يخشىٰ أن يكون مخطئًا فيها، فلا يدعوه التوفيق إلىٰ الاجتماع بغيره من العلماء، والبحث معهم فيها، أو إلىٰ مكاتبتهم في ذلك.

هذا مع تيسر طرق المواصلات في هذه الأعصار، فأصبحت المسافة التي كانت لا تُقطع إلا في أشهر أو سنين، مع المشاق والمخاوف والعوائق والقواطع-تُقطع الآن في أيام، مع الأمن والراحة، وكذلك حال المكاتبات.

ولقد كان العالمِ يبيع ضنائنه، لكي يتزود لسفر بعيد، ليجتمع بعالم آخر، وكثيرًا ما كانت تعرض لهم المشاق الشديدة، في البر والبحر، ويُعرِّضون أنفسهم للمهالك، كل ذلك رغبة في العلم...

هكذا كان القوم، فأصبح أحدنا يتثاقل عن بضع خطوات يمشيها إلىٰ عالم أو يضن ببضعة أفلس؛ يبتاع بها طوابع للبريد؛ ليكتب بها إلىٰ عالم!

وكم من عالم أخطأ في مسألة، فلم يهتم إخوانه من العلماء بأن يزوروه، ويذاكروه فيها، أو يكاتبوه في شأنها، بل غاية ما يصنع أحدهم أن ينشر اعتراضه في مجلة أو رسالة يُشنِّع علىٰ ذلك العالم ويُجَهِّلُه، أو يُبدِّعه ويُكفره، فتكون النتيجة عكس المطلوب.

وكم من مسائل يفتىٰ فيها بـ (مصر) بشيء، وبـ (الشام) بخلافه، وفي (الهند) بخلاف ذلك، ولو كانت المواصلات جارية بين العلماء، لما وقع هذا الخبط الشديد، الذي يوسع خَرْقَ الافتراق، ويؤول إلىٰ النزاع والشقاق.

وعلماء الدين أحوج الناس إلىٰ التواصل والتعاون، خصوصًا في العصر الذي تفشَّىٰ فيه وباء الإلحاد، وقلَّت الرغبة في العلوم الدينية، بل كادت تعم النفرة عنها، واستغنىٰ كل أحد برأيه.

فعلماء الدين مفتقرون إلىٰ التعاون؛ لإيجاد طرق تقرب المسافة بينهم وبين المتعلمين العلوم الحديثة، وتُجلىٰ فيها المسائل الدينية، في معارض تتفق وطريق التفكير العصري، فيستطاع بذلك إيقاف الوباء، عن زيادة الانتشار، ومعالجة المرضىٰ، بل والدعاية المثمرة - إن شاء الله -.

فأما الدواء المعروف الآن، وهو التكفير والتضليل، فإنه لا يزيد الداء إلا إعضالًا، ومثله مثل رجل ظهر ببعض أصابعه برص، فقطعه، فظهر البرص بأخرىٰ فقطعها !! فقيل له: حنانيك قبل أن تقطع جميع أعضائك!

وهذا موضوع واسع، أكتفي بالإلماع إليه، وأهم من ذلك حال الجوامع والمدارس والدوائر العلمية، فإن احتياجها إلىٰ التواصل والتعاون أشد، لأن النقص في بعضها يضرُّ الأمة جمعاء، خصوصًا في هذا العصر، الذي اضطربت فيه نُظُمُ التعليم، واحتاج الناس إلىٰ التغيير فيها والتبديل بحسب ما تقتضيه المصلحة...»(١).

فهذا قوله ونصحه وحرصه، والآن نقف علىٰ صلته بأهل العلم في عصره، بالمذاكرة والمراسلة، ومنهم:

❁ العلامة صالح بن محسن الصَّيلمي (ت: ١٣٤٩)، جرت بينه وبين الإمام مذاكرات، وأرسل له الإمام برسالة صدَّرها بقوله: «سيدي العلَّامة الهمام علم الإسلام السيد صالح بن محسن الصيلمي حرسه الله. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: فأرفع إليك مقالة محب صادق ومصادق غير ماذق، فاعْلم غير مُعلم...».

وأرسل الصيلمي إلىٰ المعلمي برسالة صدرها بقوله: «أخانا في الله سبحانه، الوجيه في الأولىٰ والآخرة، العلامة الشيظَمي عبد الرحمن بن يحيىٰ المعلمي»(٢).

---

(١) «آثار المعلمي» (١٥/ ٤١٧-٤٢٣).

(٢) «المدخل» (٣٤١)، «آثار المعلمي» (٧/ ٢٤٣، و١٦/ ٨٣، ٤٢١، ٤٣١-٤٣٣).
وقوله: (ماذق) أي: غير مخلص في الود.
والشَّيْظَمِيُّ: المِقْوَالُ من الرِّجَالِ، المستجمِعُ لخصالِ الخيرِ، وَقيل: الطَّلْقُ الْوَجْه الهش، الَّذِي لا انْقِباض فِيهِ. «المحيط في اللغة»، «تهذيب اللغة»، جذر (ش ظ م)، «متخير الألفاظ» لابن فارس (٨٠)، والمعاني متقاربة، وهي وصف مسجوع وليست نسبة مرفوعة إلىٰ بلدة أو قبيلة.

۞ العلَّامة المِفضال أبو الأشبال ناصر السنة محقق العصر الشيخ العلامة أحمد بن محمد شاكر (ت: ١٣٧٧).

هكذا نعته المعلمي، وأرسل إليه بعدة رسائل، عُثر علىٰ اثنتين منها[١].

۞ الشيخ العلامة محمد حامد الفقي (ت: ١٣٧٨)، في مبحث «التعليم والحكمة» همَّش الشيخ علي العمران بقوله: «هذا المبحث كان في صدر رسالةٍ عزم الشيخ علىٰ تأليفها تعقُّبًا علىٰ الشيخ محمَّد حامد الفقي في بعض تعليقاته علىٰ رسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية، أثنىٰ علىٰ الشيخ الفقي فيها لكنه بيَّن أنه لم يوفَّق في التعليق لا من جهة بيان ما في نفس الأمر، ولا من جهة الحكمة والنصيحة. ولكن لم نقف إلا علىٰ صدر هذه الرسالة، فأثبتنا منها هذا المبحث هنا لأهميته»[٢].

۞ العلامة المؤرخ الرَّحَّال: محمد بن محمد بن يحيىٰ زَبَارَة الصنعاني (ت: ١٣٨١)، صاحب المؤلفات المشهورة في تاريخ اليمن، اجتمع بالإمام المعلمي في مكتبة الحرم المكي الشريف سنة (١٣٧٣)[٣].

۞ فضيلة العلامة الجليل الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع الوهيبي التميمي (ت: ١٣٨٥)، صاحب كتاب: «مختصر عنوان المجد في تاريخ نجد»، و«إرشاد الطلاب إلىٰ قضية العلم والعمل والآداب»، وغيرها[٤].

---

(١) «المدخل» (٣١١-٣١٥)، «آثار المعلمي» (١٢/ ٤٦٢).

(٢) «آثار المعلمي» (٢٤/ ٤٠٥).

(٣) «نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر» (٣٥٣-٣٥٤) «كواكب يمنية في سماء الإسلام» (٧٢٧-٧٢٨).

(٤) «آثار المعلمي» (٧/ ٣٠٥).

۞ الأستاذ المحقق النحرير فؤاد بن سيد عمارة المصري، أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية (ت: ١٣٨٧)، هكذا نعته الإمام، وذكره في «حاشية الإكمال»، وأنه راسله بخصوص نسبة (العندي)، وقد وقف الشيخ العمران على رسالتين منه إلى الإمام[1]، كلتيهما سنة (١٣٨٥)، وهو صاحب اللقاء المؤثر بالإمام، وسيأتي ذكره في الفصل الرابع، من الباب الثاني، إن شاء الله تعالى.

۞ الناقد البحاثة المحقق الشيخ سليمان بن عبد الرحمن الصنيع العنيزي المكي (ت: ١٣٨٩) -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-[2].

۞ الشيخ العلامة عبد الله بن محمد بن حمد القرعاوي النجدي، (ت: ١٣٨٩)، رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3].

۞ السيّد الكريم المحسن العظيم نصير السنة صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن حسين بن عمر بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد نصيف (ت: ١٣٩١) رَحِمَهُ ٱللَّهُ[4].

---

(١) «المدخل» (١١٢، ٣٢٧-٣٣١)، «آثار المعلمي» (٢٥/ ٨، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٥).

(٢) هكذا نعته المعلمي، ويصفه بقوله: «صديقي العزيز البحّاثة...»، وقال: «وقد استفدت من هذه النسخة كما أستفيد من كلِّ كتاب أريده من مكتبة الشيخ سليمان»، انظر «آثار المعلمي» (٢٥/ ٨، ١٠، ١٩، ١٩٥).

(٣) «الشيخ المعلمي وجهوده في السنة ورجالها» (٢٤)، «المدخل» (١١١).

(٤) هكذا ينعته الإمام في أكثر رسائله إليه، وقال أيضًا: «وبلغت القضية حضرة المحسن الكبير السلفي الشهير صاحب الفضيلة الشيخ محمد نصيف، فبعد أيام أهدى إليَّ نسخة مصورة مكبَّرة للجزء الثالث [من إكمال ابن ماكولا] مع فِلْمها...
وليست هذه بالأولى ولا المئة من أيادي فضيلة الشيخ محمد نصيف عليَّ وعلى العلم والعلماء، بل لم تزل أياديه تترى بضروب الإحسان الذي تعشقه نفسه وتقرّ به عينه، أطال الله عمره وزاده من فضله». =

۞ خطيب اليمن الشيخ محمد بن سالم البيحاني (ت: ١٣٩١)، أرسل إليه الإمام يسأله عن نسبة (العندي)، وقد أبان جواب البيحاني عن علاقة جيدة بينهما، واعتراف بفضل الإمام قال البيحاني: «أما ما أشرتم إليه من تقصيركم في المراسلات فلا عتب ولا لوم إلا على مثلي فيما يجب لأمثالكم من أهل العلم والفضل، وأعاذك الله من سوء الخلق أو العجز عن أي واجب أو مندوب، ولعلك تعذرني أنا لما تعلم من حالي. وأرجو أن يكون قد وصلكم القسم الأول من كتابي «أشعة الأنوار على مرويات الأخبار»، من طريق الشيخ عبد الملك بن إبراهيم»[1].

۞ الشيخ عبد الحق الهاشمي (ت: ١٣٩٢)، وقد طلب من الإمام أن يكتب تقريظًا على كتابه «مسند الصحيحين»، فكتبه. وكان المعلمي يقف على حلقته فيسأله - وهو واقف - عن مكان حديث أو أثر في «صحيح البخاري»، فيقول: إنه في زاويةٍ من زواياه[2].

= وقال: «حضرة المحسن الكبير نصير السنة ملجأ العلم وأهله، صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن حسين نصيف الوجيه المشهور بجدة».
وقال: «حضرة المحسن الكريم، الواقف نفسَه طول عمره المبارك على إحياء علوم السنة النبوية، والعناية بأهلها وكُتُبها، وبَذْل كل مرتخص وغالٍ في ذلك السبيل، وهو صاحب الفضيلة: الشيخ محمَّد بن حسين نصيف، بارك الله في عمره، وأحسن مثوبته». انظر «المدخل» (٢٩٥-٣٠٧)، «آثار المعلمي» (١٢/ ٣ و٢٥/ ١٧، ٥٧، ٢٤٥).

(١) «المدخل» (٣٣٤).

(٢) «المدخل» (١١٣).

۞ الشيخ العلامة محمد بن عبد الرزاق حمزة المصري (ت: ١٣٩٢)، مدير دار الحديث بمكة، ومدرس بالحرم المكي الشريف ومؤلف كتاب: «ظلمات أبي رَيَّة»(١).

۞ القاضي الرئيس العلامة عبد الرحمن بن يحيىٰ الإرياني (ت: ١٤١٨)، تولىٰ إمارة الحجاج اليمنيين سنة (١٣٧٩) ولما وصل (مكة) زار المعلمي وقال: «قمنا بزيارة مكتبة الحرم وحافظها العالم الجليل القاضي عبد الرحمن بن يحيىٰ المعلمي، وهو عالم ومؤلف، كان يعمل مع الأدارسة، ولما نكبوا غادر البلاد إلىٰ (الهند)، وهناك أصدر جريدة عربية إسلامية، وأخيرًا رجَّح أن يعيش مجاورًا، فعهد إليه السعوديون بمحافظة مكتبة الحرم، وبالمصادفة وصل الشيخ العالم النجدي عبد العزيز بن باز، وهو من كبار علماء (نجد)، ويعتبر الرجل الثاني بعد المفتي محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ويقول العارفون: إنه أوسع علمًا من المفتي، ولكن قرابة المفتي من الشيخ المصلح محمد بن عبد الوهاب أهَّلته للفتوىٰ، وقد جاء ليبحث عن مسألة تاريخية، في «تاريخ ابن كثير»، وكنت مندمجًا في مذاكرة مع الشيخ عبد الرحمن المعلمي، حول جواز نقل مقام إبراهيم، إلىٰ غير المحل الذي هو فيه؛ لتوسيع المطاف، وله رسالة في جواز ذلك»(٢).

---

(١) «آثار المعلمي» (١٢/ ٥، و١٦/ ١٠٣).

(٢) «مذكرات القاضي الرئيس عبد الرحمن بن يحيىٰ الإرياني» (١/ ٣٥٢-٣٥٣).
وسفر المعلمي من إمارة الإدريسي كانت قبل النكبة المشار إليها.
ولا علم لي بالجريدة المشار إليها.

❁ الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله ابن باز (ت: ١٤٢٠)، فقد راسله الإمام المعلمي، بثلاث رسائل:

الأولى: حول مذاكرة في حديث نبوي شريف.

الثانية، والثالثة: فيها اعتذار الإمام المعلمي عن القيام بتحقيق «فتح الباري» للحافظ ابن حجر العسقلاني[١].

❁ العلامة الشهير محمد حميدُ الله أستاذ الجامعة العثمانية بمدينة (حيدر آباد الدكن)، (ت: ١٤٢٣)[٢].

تتمة:

➢ أما الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠) فقد عاصر الإمام بلا ريب، بل ذكره المعلمي فقال: «...وفي كتاب «فضائل الشام» للربعي سبع عشرة حكاية عن كعب. قال فيها مخرِّجه الشيخ ناصر الدين الأرنؤوط: كل الأسانيد لا تصح. وفي هذا تصديق لما قلته مرارًا: إن غالب ما يروى عن كعب مكذوب عليه»[٣].

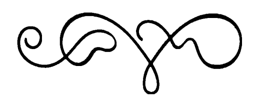
(١) انظرها في: «الرسائل المتبادلة بين الشيخ ابن باز والعلماء» (١٨٩-١٩٧).

(٢) «آثار المعلمي» (٨/ ١٣٠)، قال في الحاشية -معلقًا على ما نقله في الأصل أن اسم كبير الفيلة لهدم الكعبة (محمود)-: «استظهر صديقي الدكتور محمَّد حميد الله، أستاذ الجامعة العثمانية بحيدر آباد الدكن في بعض مقالاته أن أصل الكلمة مَمُّوت، أو مَمُّود (mammoth) اسم لنوع من الفيلة».

(٣) «آثار المعلمي» (١٢/ ١٧٧).

أما اللقاء بينهما فقال الألباني: «وقد التقيت به -أيضًا- في تلك السفرة، التي لقيت فيها الشيخ أحمد شاكر في (مكة)، حيث كان هو: مدير مكتبة الحرم المكي، يوم كانت المكتبة في نفس الحرم، فأنا كنت أتردد على المكتبة في كل يوم، وأراه هناك منكبًّا على البحث والتحقيق، لكن ما كان لي معه جلسات يومئذ؛ لأنه ما كان يوجد تعارف سابق، ولا وجد من ييسر لنا التلاق»[1].

قلت: الرحلة هذه كانت سنة (١٣٦٨)، والإمام المعلمي حينها في الخامسة والخمسين من عمره، وكان العلامة الألباني في الثالثة والثلاثين، فكان الأولى به أن يذهب إلى المعلمي، لا سيَّما وهو كما يراه: «منكبًا على البحث والتحقيق». ولم يكن ثمَّ حاجة لتعارف سابق ولا لمعرف لاحق، فكثير من أصدقاء الإمام إنما كان تعارف العلم والتحقيق، والعلم رَحِمٌ بين أهله، فسبحان من له الكمال المطلق!



(١) «سلسلة الهدى والنور» الشريط (رقم/ ٣٧)، والذي أعرف أن مدير المكتبة هو الشيخ سليمان الصنيع، وإنما كان المعلمي أمين قسم المخطوطات.



الفصل التاسع

التلاميذ

للإمام المعلمي رغبة في المدارسة والتدريس، منذ نشأته إلىٰ وفاته.

أما في اليمن فقد تقدم مدارسته للشيخ أحمد بن مصلح الريمي، ومدارسته لأخيه محمد ونسخهما لكتاب «الزنجانية» في علم الصرف.

وقال شيخنا الأكوع: «درس ودرَّس في (الطُّفن)»[1].

وأما أيام مقامه في دولة الإدريسي ففي رسالة منه إلىٰ القاضي العمودي قال: «وأخوكم مشغول بالقراءة أولاً مع سيدنا في «[صحيح] مُسلِم» مجلسين صباحًا إلىٰ بعد الظهر، ومساءً من بعد العصر إلىٰ دخول المغرب، ومذاكرة نحن والشيخ محمد بن إسماعيل، ومذاكرةٍ مع الطلبة علىٰ اختلاف دروسهم».

وقال: «...عقب وصولي كان مُنزِلًا لي [أي: الإدريسي] منزلة العلماء للمذاكرة في حضرته الشريفة وتدريس الطلبة».

وقال: «... الطلبة الشافعية ضائعون بلا شيخ، وقد تعب عليهم سيدنا [الإدريسي] تعبًا شديدًا، فلا يضيعوا»[2].

---

(١) «هجر العلم ومعاقله في اليمن» (٣/ ١٢٦٦).

(٢) انظر هذه النصوص الثلاثة في «المدخل» (٢٦٤، ٦١، ٧٠).

فهذه النصوص الثلاثة تدلك على عناية المعلمي بالتدريس أيام مُقامه عند الأمير الإدريسي، لكن -ويا للأسف- لم يُعثر على أسماء لأولئك الطلبة الذين أخذوا عن المعلمي هناك!!!

وأما أيام مكثه بمدينة (حيدر آباد)، فيقول: «...أشغالي هنا كثيرة، لا أكاد أجد فرصة في اليوم إلا ساعة، أو نحوها، فثماني ساعات للخدمة، وثلاث ساعات للتدريس»[1].

ولك أن تتصور مبلغ تلك الثلاث الساعات الممتدة طيلة ستة وعشرين عامًا، قضاها في تلك الديار، ومع ذلك لم يُعرف اسم تلميذ واحد!

وأما أيام مجاورته لبيت الله الحرام فقد كان له درس بعد صلاة الفجر في حَصوة باب السلام، ودروس بعد العصر يحضرها خاصته من طلبة العلم، يدرّس فيها النحو والبلاغة والفقه والفرائض. وهذه المرحلة هي التي عُرِفَ بعض تلاميذه.

ويعود قلة تلاميذ الإمام -عمومًا- إلى أسبابٍ، ومنها:

الأول: ضعف عناية كتبة التاريخ لذلك العهد، فلم يزبروا من أسماء الذين أخذوا عن المعلمي إلا قليلًا.

الثاني: تفريط كثير من أولئك التلاميذ في كتابة ونشر أخبارهم مع شيخهم؛ إما لأنهم لم يقدروا الأمر حق تقديره؛ وإما لانقطاعهم عن العلم! والله أعلم.

(١) نص مقتبس من رسالة آتية في الفصل الثاني من الباب السادس.

وبعد البحث والتتبع، وسؤال أعيان عشيرة آل المعلمي، عُثر على بعض أسماء أولئك التلاميذ، وهم:

❁ **عقيل بن أحمد حنين الهمداني** (ت: ١٣٨٣).

❁ **حافظ بن أحمد بن علي الحكمي** (ت: ١٣٧٧)[١].

❁ **فضل الله بن أحمد بن علي الجيلاني الهندي** (ت: ١٣٩٩)، صاحب كتاب: «فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد»[٢].

❁ **حماد بن محمد الأنصاري** (ت: ١٤١٨)، قال: «شيخي عبد الرحمن المعلمي -رحمة الله عليه- كان كثير البحث جدًّا، يبحث في أكثر من كتاب في وقت واحد، وكنت أجالسه في مكتبة الحرم...سنة (١٣٦٧)». وقال أيضًا: «المعلمي رجل محدث عالم، وهو شيخي». وقال: «ليست عندي إجازة في الحديث من الشيخ المعلمي، إنما عندي إجازة من مشايخه الهنود. والمعلمي شيخي، كنت معه حتى مات»[٣].

❁ **أبو تراب الظاهري عبد الجميل بن عبد الحق العُمري** (ت: ١٤٢٣)، أخذ عن الإمام المعلمي «السراجية» في الفرائض، للفقيه سراج الدين محمد بن محمد السجاوندي الحنفي (ت: ٦٠٠)، تقريبًا»[٤].

---

(١) «الشيخ حافظ الحكمي حياته ومنهجه» لأحمد علوش (٦٧-٦٨)، «جهود المعلمي في تقرير عقيدة السلف» (١٤).

(٢) «آثار المعلمي» (٢٥/ ٣٠٤).

(٣) «المجموع في ترجمة المحدث حماد الأنصاري» (٥٩٢، ٥٩٣، ٦٢٢).

(٤) قال المعلمي وهو يعرف بالنسخ القلمية لكتاب «الإكمال» لابن ماكولا: «...كراريس من نسخة نُقلت عن نسخة في (السِّند)، أهداها إليَّ حضرة الشاب العالم الفاضل، أبو تراب الظاهري، استفدت منها في الجملة وعلامتها (س)» «آثار المعلمي» (٢٥/ ٥٧).

❁ **أحمد بن محمد المعلمي** (ت: ١٤٢٤) قرأ عليه في النحو «الآجرومية»، وأعرب من القرآن من سورة الناس إلىٰ سورة فصلت.

❁ **عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المعلمي**، (ت: ١٤٢٨)، ولد سنة (١٣٤٧) في قرية (السآتي) من بلاد (القفر) التابع لمدينة (إبّ) وفي سنة (١٣٦١) رحل والده إلىٰ (جيزان) ثم انتقل إلىٰ (مكة)، وهناك تلقىٰ علومه علىٰ جماعة من علماء البلد الحرام، ولما قدم الإمام المعلمي إلىٰ (مكة)، لازمه عشر سنوات، وقرأ عليه «شرح ابن عقيل» و«النحو الواضح» و«الرحبية» ومصطلح الحديث «الكفاية» وغير ذلك.

ولعله أول من ترجم للإمام، ولكنها لا تبلغ عَشْر ورقات، مع ملازمته له عشر سنين، ولله في خلقه شؤون.

من مؤلفاته: «أعلام المكيين من القرن التاسع إلىٰ القرن الرابع الهجري» يقع في سِفْرين كبيرين طبع سنة (١٤٢١)[1].

❁ **عبد الله بن محمد بن عبد الله بن زكي الحكمي الجيزاني** (ت:١٤٢٨)، لازم الإمام عدة سنوات إبّان عمله في مكتبة الحرم المكي إلىٰ حين وفاته، وهو الذي دفع إليه الإمام «ديوان شعره»، وسيأتي الحديث عن الديوان مفصلًا في الفصل الثاني من الباب الرابع، إن شاء الله تعالىٰ.

❁ **محمد بن عثمان بن علي بن إبراهيم بن أبي بكر بن حسين الكَنَوي النيجيري المكي** (ت: ١٤٣٣)، عمل كاتبًا في مكتبة الحرم المكي حينما كان الإمام أمينًا

---

(١) «هجر العلم ومعاقله في اليمن» (٣/ ١٢٧٠)، «المدخل» (١٠٧)، «أعلام المكيين» (٢/ ٨٩٨-٨٩٩)، مذكراتي.

عامًّا لها، وأول لقائه به كان سنة (١٣٧٩)، واشتغل بعد ذلك في فهرسة مخطوطاتها. وربما ساعد الإمام في نسخ بعض المخطوطات، ثم عمل رئيسًا لقسم المخطوطات بجامعة أم القرىٰ.

❁ **محمد بن سعيد بن عبد الله بامردوف العمودي (ت: ١٤٣٥)**، له إجازة من الإمام منها نسخة في مكتبة الحرم المكي الشريف، وكان والده علىٰ صلة بالإمام، فقد سأله بسؤال عن إعجاز القرآن فأجابه بجواب نفيس، وكان يوصل بعض رسائل أحمد بن يحيىٰ المعلمي من مدينة (سورابايا) إلىٰ (حيدر آباد)[١].

❁ **محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد المعلمي (ت: ١٤٣٥)**، رحل إلىٰ (مكة) سنة (١٣٧٢) لأداء فريضة الحج، فالتقىٰ بالإمام المعلمي، وقرأ عليه: «قَطْر الندىٰ»، و«الآجرومية»، و«النحو الواضح»، في قواعد اللغة العربية، وبقي هناك حتىٰ عام (١٣٧٤) ثم رجع إلىٰ اليمن[٢].

❁ **محمد بن علي بن حسن بن إسماعيل الروافي الآنسي (ت: ١٤٣٧)**، ترجم له شيخنا الأكوع فقال: «عالم في الفقه والفرائض والنحو، له مشاركة قوية في علم الحديث، درس في (ذمار)، و(صنعاء)، ثم رحل إلىٰ مكة المكرمة سنة (١٣٧٩) فأخذ عن بعض شيوخ العلم، مثل: الشيخ عبد الرحمن بن يحيىٰ المعلمي اليماني، أمين مكتبة الحرم المكي، وعن غيره، وله إجازات ممن أخذ عنهم، كما درس في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وقد عاد إلىٰ اليمن

---

(١) «المدخل» (١٠٩)، «آثار المعلمي» (٢٤/ ٧٩-٨١)، وبعض رسائل الإمام إلىٰ أخيه أحمد، وإفادات من الشيخ عبد الرحمن التميمي.

(٢) وهو صاحب الوصية، الآتية في الباب الخامس.

سنة (١٣٨٢) فأخذ يدرس في هجرته، فقه السنة، وتجويد القرآن الكريم، وانتفع به من تلقى العلم عنده، ثم رحل مرة أخرى إلى مكة المكرمة سنة (١٣٩١) فدرس في مدرسة دار الحديث، التابعة للجامعة الإسلامية، وقد منحته شهادة علمية»[١].

۞ **عبد الكريم بن عبد العزيز الخراشي المكي** (ت: ١٤٣٨)، قال: «كنت أنصرف من كلية الشريعة من جامعة أم القرى، فأدخل عليه بعد الظهر... وأسأله عما يُشكل عليّ، وكنت أنسخ له بعض ما يريد نسخه، ومن آخر ما قمت بنسخه عشرة ألواح من كتاب «مجمع البحرين» للهيثمي، وإنني أدعو الله له كل يوم في صلاتي»[٢].

۞ **عبد الرحمن بن حسن بن محمد شجاع الدين التعزي** (ت:١٤٣٩)، قرأ عليه «الآجرومية».

۞ **عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن عبد الكريم المعلمي**، (ت:؟)، مكث عند شيخه المعلمي ثلاث سنين، فقرأ عليه في النحو «الأجرومية» ثم «الألفية» وقرأ عليه في علم الفقه.

۞ **محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكريم المعلمي**، (ت:؟)، مكث عنده قرابة ثلاث سنين، فقرأ عليه في النحو «الألفية» وفي الفرائض بعض «الرحبية»، ثم عاد إلى اليمن.

---

(١) «هجر العلم ومعاقله في اليمن» (٢/ ٨٩٩)، وقد راسلت بعض أقربائه لمزيد من الأخبار عنه، فلم أظفر بجواب، ولله في خلقه شؤون.

(٢) مقدمة «عمارة القبور» للزيادي (٦٢-٦٣)، «المدخل» (١٠٧).

۞ **محمد بن فارع الصعدي** (ت:؟)، جاء في رسالة له إلىٰ الإمام: «حضرة سيدي وعمدتي العلامة القدوة الفهامة الشيخ عبد الرحمن... أخوكم وتلميذكم محمد فارع». وقد وصفه الإمام في موضع بـ «الشيخ العلامة»(١).

۞ **أحمد بن صالح بن عبد الله دحوان الآنسي** (ت:؟)، نزيل الطائف، أرسل للإمام رسالةً يقول فيها «حضرة الوالد الشيخ العلامة الورع شيخنا عبد الرحمن بن يحيىٰ المعلمي» والرسالة مؤرّخة في (٢٦/ رمضان/ ١٣٧٣)(٢).

۞ **أحمد بن سالم باسويدان الشبامي الحضرمي** (ت:؟). جاء ذكره في رسالة من عبد الله بن أحمد بن مذحج إلىٰ المعلمي. ووصفه بأنه تلميذ للإمام(٣).

۞ **عبد العزيز بن إسماعيل بن محمد بن مثنىٰ الوشاح** المولود سنة (١٣٤٧)، بمدينة (إب)، رحل إلىٰ الحجاز ونجد، والتقىٰ الإمام المعلمي سنة (١٣٧٤)، وأخذ عنه بعض «قطر الندىٰ» في علم النحو. وأفاد أن زميلًا له الكميم من بلاد (الحَداء) هو الذي رغَّبه في الحضور. وكان الشيخ الوشاح من الملازمين للعلامة ابن باز، وأفاد أنه دخل به ذات مرة بعد طواف القدوم في موسم (١٣٨١)، إلىٰ مكتبة الحرم المكي، فرأىٰ القاضي الرئيس عبد الرحمن بن يحيىٰ الإرياني عند الإمام المعلمي، فهمس في أذن الشيخ ابن باز أن أحد زعماء اليمن الكبار حاضرٌ عند المعلمي فقال له ابن باز: هل عنده علم؟ فقال: هو رئيس القضاء في اليمن، فدخلا إلىٰ حجرة الإمام المعلمي

---

(١) «المدخل» (١٠٩).

(٢) «المدخل» (١٠٦)

(٣) «منهج المعلمي وجهوده في تقرير عقيدة السلف» (١١٣)، «جهود المعلمي في تقرير عقيدة السلف» (١٥).

فقام المعلمي وأخذ بيد الشيخ ابن باز وأجلسه بجانب القاضي الإرياني وتبادلا التحية والحديث، ثم سأله قائلًا: كيف أحمد؟ يعني الإمام أحمد حميد الدين ملك اليمن في ذلك الوقت، فذهل الإرياني من السؤال! فأعاده الشيخ ابن باز بلفظ: كيف أحمد بعد الرصاص؟! فزاد ذهول الإرياني، فهمس الشيخ الوشاح في أذنه قائلًا: أنت بين مأمنين؛ بيت الله الحرام، والرجل [أي: ابن باز] مأمون الغيلة. ثم قال الشيخ ابن باز: الله يُعدِّلُه أو يُبدِّلُه![1].

۞ **مُشَرِّف بن عبد الكريم بن محسن بن أحمد بن عبد الله المحرابي**، المولود سنة (١٣٥٥)، ترجم له شيخنا الأكوع فقال: «عالم مشارك، درس في (ذي جِبْلة)، ثم رحل إلىٰ (مكة) المكرمة، فلازم الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيىٰ المعلمي، أمين مكتبة الحرم المكي، وعمل معه، فأقبل علىٰ القراءة والمطالعة، وانتفع بشيخه المذكور، وشيوخ آخرين، وبقي هناك مدة، ثم عاد إلىٰ (ذي جبلة)، موطنه... ثم ذهب إلىٰ (عدن) فلازم الشيخ محمد [بن] سالم البيحاني، ورجع إلىٰ (تعز) فعهد إليه بالعمل في مكتب التربية فيها...جمع ثروة كثيرة من المخطوطات، وفيها نوادر لا مثيل لها، وهو ميسرٌ لاقتنائها بيسر وسهولة، فقد كان مسلَّطًا علىٰ كثير من بيوت العلم في (جِبْلة) و(إب) و(تعز)، وكثير من مدن (تهامة)»[2].

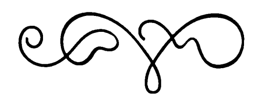
---

(١) ملخص ما سمعته من الشيخ الوشاح.
وكانت حادثة إطلاق الرَصاص علىٰ الإمام أحمد بن يحيىٰ حميد الدين مساء ليلة الأحد العاشر من شوال سنة (١٣٨٠)، الموافق (٦/ ٣/ ١٩٦١)، بمدينة (الحديدة) وظل يعاني ألم تلك الرصاصات الخمس التي اخترقت جسمه حتىٰ توفي متأثرًا بها يوم الخميس ٢١/ ربيع الآخر سنة (١٣٨٢)، الموافق (١٩/ سبتمبر/ ١٩٦٢)، انظر «هجر العلم ومعاقله في اليمن» (٢/ ٨٥٢-٨٥٣).

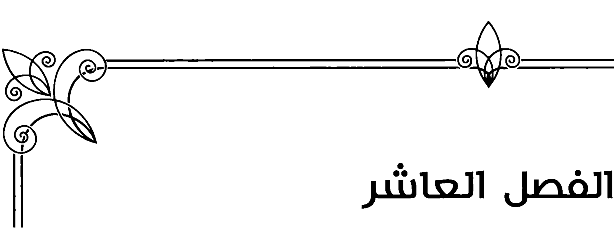
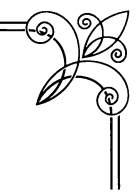
(٢) «هِجَر العلم ومعاقله في اليمن» (٤/ ١٩٥١-١٩٥٢).

هؤلاء الذين تيسر العثور علي أسمائهم من تلاميذ المعلمي، وتدبر في عناية هذا الحبر بتدريس علم النحو، وما ذاك إلا لأنه بلا شك مفتاح لكل علم، ومَن عرفه كان لها سُلَّمًا، وهو مصباح الفهم، وحجاب عن الوهم(١).

وقد تقدم في الفصل الرابع قصته مع شيخه أحمد بن محمد بن سليمان المعلمي في فضل دراسة علم النحو قبل دراسة غيره من علوم الشرع المطهر.



(١) «آثار المعلمي» (٢٤/ ٤٠٩).

الفصل العاشر

الإمـــام يـــودع الـحـيـــاة

بعد حياة العلم والمعرفة تأليفًا وتحقيقًا، دفاعًا وبيانًا، مع رِحَلات متباعدة الأقطار، طويلة الأسفار، محفوفة بكُرَب الاغتراب، وفراق الأهل والأحباب..

ودعت أم القرىٰ ومِنْ ورائها الدنيا: سلطان التحقيق، وفارس التحبير، وإمام النقد، وشيخ الصناعة، ومقدم الجماعة.. عبد الرحمن بن يحيىٰ المعلمي اليماني..

صبيحة يوم الخميس السادس من شهر صفر سنة (١٣٨٦)، والمخالف واهمٌ.

قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المعلمي (ت: ١٤٢٨): «في ليلة الأربعاء وبعد صلاة العشاء جاء بعض الطلاب عند الشيخ ومعه كتاب في الأصول وطلب منه أن يشرح له بعض العبارات وكان يظهر علىٰ هذا الطالب علامات التسرع وبيد الشيخ سلسلة فقال للطالب: «انظر لهذه السلسلة التي بيدي! صانعها مكث في صنعها مدة أخذ يركب حَلْقة حَلْقة وهكذا العلم مسألة مسألة...وفي هذه الليلة وبعد انتهاء الدوام رفعتُ عنه جميع الكتب التي كانت أمامه، وكان أمامه «الإكمال» و«الأنساب»، وفي صباح يوم الخميس وجدته وقد وضعها أمامه، وبعد أداء صلاة الفجر في المسجد الحرام عاد إلىٰ مكتبة الحرم حيث كان يقيم دخلت عليه مع بداية العمل في المكتبة فوجدته علىٰ سريره، وقد توفي، رَحِمَهُ اللَّهُ»[1].

---

(١) «أعلام المكيين» (٢/ ٩٠٢)، مقدمة «عمارة القبور» للزيادي (٦٩).

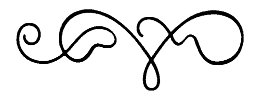
وذكر الشيخ حَمَد الجاسر وعنه الزِّرِكلي: أن الإمام المعلمي توفيّ منكبًّا على بعض الكتب في مكتبة الحرم المكي الشريف![1].

قال العلامة محمود الطناحي: «قيل: شوهد في مكتبة الحرم المكي منكبًا على بعض الكتب، وقد فارق الحياة، وقيل: بل توفي على سريره، وهذا هو الصحيح، أخبرني به أخي الشيخ محمد بن عثمان الكنوي، رئيس قسم المخطوطات بالمكتبة المركَزية، بجامعة أم القرى، وكان زميلًا للشيخ المعلمي في مكتبة الحرم المكي، وأخبرني أن الشيخ المعلمي كان يبيت في المكتبة، إذ كانت له غرفة خاصة بها»[2].

وصُلي عليه في المسجد الحرام، وشهد جِنازته خلق كثير من الفضلاء والوجهاء، ودفن الجسد المبارك في مقبرة المعلاة، بمكة المكرمة[3].

وبوفاته طُوي بساط المحققين، فإن لله وإنا إليه راجعون

رحم الله الإمام المعلمي وجمعنا به في جنات النعيم.



(١) «مجلة العرب» سنة (١٣٨٦) (ص ٢٤٥)، «الأعلام» (٣/ ٣٤٢).

(٢) «مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي» (٢٠٤-٢٠٥)، ولم يكن الكنوي تِرْبًا للمعلمي بل كان تلميذًا.

(٣) مقدمة «عمارة القبور» للزيادي (٦٩).



الفصل الحادي عشر

أغلاط وأوهام في ترجمة الإمام

➢ **الوهَم الأول:** شاع بين عشيرة المعلمي سواء الساكنين في محلة (الطُّفن) أو الذين انتقلوا منها إلىٰ مدينة (صنعاء) وغيرها من القرىٰ والمدن اليمنية، لا سيَّما الذين عندهم بعض الاطلاع علىٰ تاريخ هذه العشيرة، شاع بينهم أن نسب آل المعلمي يرتقي إلىٰ خليفة رسول الله ﷺ أبي بكرٍ الصديق رضي الله عنه، وهو ما كان عليه الإمام المعلمي في أول حياته، فحينما ارتحل من اليمن مر علىٰ بلدة (المُنيْرة)، أملىٰ سلسلة النسب علىٰ المؤرخ إسماعيل الوَشَلي (ت: ١٣٥٦)، الذي أثبتها في «نشر الثناء الحسن»، ولكن الإمام المعلمي رجع عن القول بصحة هذا النسب، ورفع نسب عشيرته إلىٰ (بَجيلة)، كما تقدم بيانه، في الفصل الثاني من هذا الباب.

وقال رحمه الله: «فأما كون آل المعلمي من ذريِّة الصديق رضي الله عنه فلا دليل عليه، غير أن بعض أصحابنا يستأنسون بالشهرة وبما عليه أفراد العشيرة من الفضل والصلاح والخير والمواظبة علىٰ تلاوة القرآن وتعلمه وتعليمه والصبر والقناعة، ونحو ذلك، وليس هذا بحجة، فإن الاشتهار حادث، ولعله إنما حدث بعد التركيب الذي في ذلك النقل، والمبني علىٰ الباطل باطل، وفي الدنيا عشائر كثيرة متصفة بصفات الخير، وليست كلها من ذرية الصديق رضي الله عنه، وقد عارض ذلك ما ذكره النسابون القدماء!»[1].

---

(١) «نشر الثناء الحسن» (٣/ ٢١٩-٢٢٠)، الرسالة الرابعة الآتية في الفصل الثاني من الباب السادس.

وبَيَّن رجوعه فقال في رسالته إلى الفقيه أحمد المعلمي: «أما ما حكاه الأخ الأجل الشيخ أحمد بن مصلح الريمي من حفظه عن كتابي إليه فلا أتذكر الآن تفصيل ما في ذلك الكتاب، فإن كان فيه ما يُخالف ما حققته هنا فقد رجعت عنه، وإذا اجتمعتم به فاعرضوا عليه كتابي هذا، وإلا فإذا لم يكن عليكم كلفة فانقلوه وابعثوا إليه نقله».

كما نقل في رسالته هذه تشكيك شيخه العلامة أحمد بن محمد بن سليمان المعلمي في شجرة النسب المرفوعة إلى الصديق رضي الله عنه(١).

➢ **الوهَم الثاني**: أنه ولد سنة (١٣١٣)، وليس بشيء مع توريخه لنفسه بسنة (١٣١٢)، وعليه أطبق عامة من ترجم له.

➢ **الوهَم الثالث**: أن قرية (المحاقرة) التي ولد فيها الإمام، ومخلاف (رازح)، التي ينتمي إليها، من بلاد (سَنْحان)، وهذا وهَمٌ سافر بصاحبه من (عُتُمة) غرب مدينة (ذمار) إلى (خولان) جنوب مدينة (صنعاء)!

➢ **الوهَم الرابع**: أنه بقي في اليمن ثلاثين عامًا، أو أنه خرج من اليمن سنة (١٣٢٩). ويبطل هذين الوهمين أنه ولد سنة (١٣١٢)، وخرج سنة (١٣٣٦)، وكلا التاريخين بخطه، فيكون خرج وهو في الرابعة والعشرين من عمره، رحمه الله.

➢ **الوهَم الخامس**: أن ابن الإمام المعلمي (عبد الله) ترجم لوالده. وهذا وهم؛ لأن الذي ترجم للشيخ هو عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المعلمي، وهو من عشيرة الإمام الملازمين والتلاميذ المقصرين!

---

(١) انظر لفظ الرسالة في الفصل الثاني من الباب السادس.

➢ **الوهَم السادس:** أن له في (المملكة السعودية) ذرية صالحة. فإن أريد به أولاد الصلب، فليس له إلا عبد الله، وإن أريد الأحفاد فنعم.

➢ **الوهَم السابع:** أن ولده عبد الله توفي في حياته، ولم يعقب، فانقطع نسل الإمام، وهذا وهم لراقم هذه السطور، أوقعه فيه بعض تلاميذ الإمام المقصرين، وقد نشره في خطبة: «أربع مراسلات شخصية»، فنبهه الشيخ عليٌّ العمران، ثم راسلت حفيد الإمام، الأخ عبد الرحمن، فأفاد بما تقدم ذكره، في المبحث الرابع، من الفصل الأول.

➢ **الوهَم الثامن:** أن له أخًا اسمه (عبد الله)، وأنه قُتل في دولة ابن الإدريسي. والواهم سافر به الوهم إلىٰ عبد الله بن عبد الرحيم بن محمد المعلمي، الذي قتل سنة (١٣٥١)، وهو والد الأديب يحيىٰ المعلمي (ت: ١٤٢١)[١].

➢ **الوهَم التاسع:** أن أحمد بن عبد الرحمن المعلمي ولده. وهذا وهمٌ؛ فالرجل من عشيرة الإمام، ومسلكه مغاير، والله أعلم بالسرائر.

➢ **الوهَم العاشر:** أن آمالًا المعلمي أخته. وهذا وهمٌ فاسد، فهي آمال بنت يحيىٰ بن عبد الله بن عبد الرحيم بن محمد المعلمي، وقد تقدم ذكر عمود نسب الإمام في الفصل الثاني.

➢ **الوهَم الحادي عشر:** زيادة بعض الناشرين لقب (الهندي ثم المكي) علىٰ بعض ألواح مؤلفاته المطبوعة، بناءً علىٰ أنه عاش بالهند، وبمكة المكرمة، وبها توفي، ولم أرها في شيء من كتبه ورسائله، إلىٰ غيره، ولا في رسائل غيره إليه، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ربما كتب محل إقامته في بعض مراسلاته: «مكتبة الحرم

---

(١) وهو مترجم في «هجر العلم ومعاقله في اليمن» (٣/ ١٢٦٧-١٢٦٨).

المكي بمكة المكرمة»[1]، ولو طُرد السبب لزدنا (التعزي، العسيري، العدني، الأبيني)؛ لأنه عاش فيها بعض سنين عمره رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فالأولىٰ الوقف حيث وقف هو وعلماء عصره، مع الألقاب الثلاثة: «المعلمي، العتمي، اليماني»، والله أعلم.

➢ **الوهَم الثاني عشر:** أنه كان في الفقه علىٰ منهج فقهاء المحدثين. فإن أريد به ما بعد مرحلة التلقي، حين بلغ رتبة الاجتهاد فنعم، وإن أريد عموم حياته فغير مَرضيٍّ كما سيأتي، إن شاء الله تعالىٰ.

➢ **الوهَم الثالث عشر:** أن مخلافًا في لغة أهل اليمن: قرية، فجعل بعض مترجميه (المحاقرة) قرية، و(الطفن) قرية، و(رازح) قرية، و(عُتُمة) حصن في جبل وُصاب! وهذه أوهام بعضها فوق بعض، وإنما أراد المعلمي ذكر بلدته تَرَقِّيًا من الأدنىٰ إلىٰ الأعلىٰ، ومن الأخص إلىٰ الأعم، علىٰ ما تقدم بيانه في الفصل الثالث من هذا الباب، وتتمة للفائدة، فمصطلح المخلاف عند أهل اليمن حميري قديم مستعمل إلىٰ اليوم، ولأهل اليمن استعمالان في المخلاف، قديم وحديث، أما القديم وهو ما يسمىٰ عند المؤرخين: الكُورة، والرُّستاق، ولذلك كانت التسميات القديمة: مخلاف (همدان)، ومخلاف (زبيد)، ومخلاف (سَنْحان)، ومخلاف (ذمار)، وهذه أماكن واسعة جدًّا، تعرف بلغتهم اليوم بالمديرية، بل بالمحافظة، التي تضم عددًا من المديريات والمخاليف باستعمالهم القريب، فأصبح التسلسل المتصاعد عندهم: قرية، عُزْلة، مخلاف، مديرية، محافظة. فالقرية، بيوت مجتمعة قد تكون لفخذ من العشيرة، والعُزلة تضم عددًا من القريات المتناثرة، والمخلاف، يضم عددًا من

---

(١) «المدخل إلىٰ آثار المعلمي» (٢٣٤، ٢٣٦).

العُزَل المتفرقة، والمديرية تضم عددًا من المخاليف الواسعة، والمحافظة تضم عددًا من المديريات(١).

➢ **الوهَم الرابع عشر:** أن الشيخ أحمد بن مصلح الريمي من شيوخه. وإنما كان قرين مذاكرة، بل قال المعلمي: «ولما وردْتُ (بيتَ الرَّيمي) وجدت أحمد بن مصلح الريمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد عاد من (شُهارة)، معقل الإمام يحيىٰ حميد الدين، وقد كان تعاطىٰ هناك طلب النحو، وكانت معه كرَّاسة فيها قواعد وشواهد وإعرابات. فاصطَحَبْنا وكنّا عامة أوقاتنا نتذاكر، ونحاول إعراب آيات أو أبيات، وكنا نستعين بتفسيرَي «الخازن» و«النسفي»، وأخذَتْ معرفتي تتقوَّىٰ، حتىٰ طالعتُ «مغني ابن هشام» نحو سنة، وحاولت تلخيص قواعده المهمَّة في دفتر، وحصلَتْ لي بحمد الله تعالىٰ مَلَكَة لا بأس بها، في حال أن زميلي لم يحصل علىٰ كبير شيء، وكان مني بمنزلة الآلة»، بل قال العلامة السماوي (ت: ١٤١٢)، في ترجمة الريمي: «وفي سنة (١٣٣٦) رحل مع شيخه الفقيه عبد الرحمن المعلمي إلىٰ (صَبْيَا)...»(٢).

➢ **الوهَم الخامس عشر:** أن القاضي علي بن يحيىٰ المتوكل من شيوخه، وهذا وهم، فقد بيَّن المعلمي أنه لم يقرأ عليه شيئًا ولا طلب منه إجازة. فمن أي وجه جاء التشييخ؟!

➢ **الوهَم السادس عشر:** أنه لم يكن له تلاميذ، وهذا وهم، وقد تقدم بيانه في الفصل التاسع من هذا الباب.

---

(١) انظر لمصطلح المخلاف: «صفة جزيرة العرب» (٢٠٦)، «معجم البلدان» (١/ ٣٧)، «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (٢١/ ٥٠٦)، «فتح الباري» (٨/ ٦١).

(٢) «السمط الحاوي» مخطوط، بواسطة «نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر» (١٧٠).

➢ **الوهَم السابع عشر:** أنه ذهب إلىٰ بلاد (إندونيسيا)، وقد أنكر ذلك أحمد بن يحيىٰ المعلمي (أخو الإمام)، مرارًا، كما أخبرني بذلك صديقه: الشيخ عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الحضرمي. وأما الاستدلال بتأليف الإمام كتابه: «تحقيق الكلام في المسائل الثلاث»، هناك، احتجاجًا بأن الشيخ السوركتي هو شيخ الدعوة في تلك البلاد، وهو المنصور بهذا الكتاب، فغير ظاهر؛ فلعل الشيخ سعيد ابن عبد الله بامردوف -أو غيره- أخذ كتاب السوركتي وأطلع المعلمي عليه، كما أشار إلىٰ ذلك المعلمي في خطبة كتابه «تحقيق الكلام في المسائل الثلاث»، وقد كان الشيخ بامردوف يتنقل بين (الهند) و(إندونيسيا) و(حضرموت)، كما تشير إلىٰ ذلك مراسلات الإمام لأخيه أحمد، وكان له أسئلة علمية للإمام المعلمي كما تقدم.

ولو سلَّمنا بهذا التعليل لاتجه إلىٰ «التنكيل»، و«الأنوار الكاشفة»، فيستنبط منها أن المعلمي رحل إلىٰ الديار المصرية، ولا قائل بذلك!

ولو كان الإمام المعلمي قد ذهب إلىٰ (إندونيسيا)، فلِمَ لم يلتق بالشيخ أحمد السوركتي (ت: ١٣٦٢)، الذي كان يتردد بين (جاكرتا) و(سورابايا)؟! ولذلك لا يعرف أكثر تلاميذ السوركتي الإمام المعلمي، بل كان أحمد بن يحيىٰ المعلمي يذكره لبعضهم فيتعجبون ويقولون: مَنْ هذا المعلمي الذي لم نعرفه ولم نسمع به؟!

➢ **الوهَم الثامن عشر:** أنه كان مُشرِفًا علىٰ دائرة المعارف العثمانية أو أنه أُقيل منها، أو أنه بقي فيها ثلاثين عامًا. وكلها وهم، فإنما كان مصححًا فيها، لأمات كتب الحديث وطبقات الرجال، ولم يُقَل منها، بل بقيت الدائرة متمسكة به حتىٰ بعد مغادرته مدينة (حيدر آباد)، ومجاورته بمكة المكرمة، فكانت ترسل إليه الكتب لتصحيحها حتىٰ توفي، وحُقَّ لها أن تتمسك به فقد عرفت قدره،

وعلَت بتحقيقه.. وارتفعت!، وأما مدة مكثه بها فهي ستٌّ وعشرون عامًا (١٣٤٥-١٣٧١).

➢ **الوهَم التاسع عشر:** أنه عُرض عليه التدريس بجامعة الملك سعود، أو عُرض عليه القضاء بمدينة (عسير)، وكل ذلك وهَم، فالجامعة لم تكن حينئذ، و(عسير) كان بها قاضيًا أيام دولة الإدريسي، فلعل الوهم رجع بصاحبه إلىٰ تلك الحقبة الزمنية!

➢ **الوهَم المتمم للعشرين:** أنه توفي سنة (١٣٨٧)، أو سنة (١٣٨٣)، وليست بشيء مع إطباق المؤرخين علىٰ سنة (١٣٨٦).

➢ **الوهَم الحادي والعشرون:** أنه ذكر في كتابه «القائد إلىٰ تصحيح العقائد» بعض حجج الإمام أبي العباس ابن تيمية دون عزوٍ، وقد نمت إليه هذه القضية، فأبطلها برسالة قال فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم، آنست من كلام بعض الإخوان أنه ينكر عليَّ أني في كتاب «القائد إلىٰ إصلاح العقائد» ربما ذكرت شيئًا من حجج شيخ الإسلام بدون عزوٍ فأرىٰ أن أشرح حقيقة الحال:

لم أجمع ذاك الكتاب ليقرأه الإخوان وغيرهم ممن قد تفضل تعالىٰ عليهم بحسن العقيدة، وإنما جمعته دعوةً لغيرهم، فههنا أمور:

١) كان الشيخ الخضر الشِّنْقيطي وصل إلىٰ (حيدر آباد) حين كنت بها، وجرت له أمور، وجرىٰ مرة ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال الشنقيطي: «أنا لا أحب كتب ابن تيمية ولا تطاوعني نفسي علىٰ قراءة شيء منها ولقد جاء (يوسف ياسين) مرة بجزء من فتاوىٰ ابن تيمية فتركه في بيتي، فلما علمت بذلك غضبت واضطرب خاطري وكرهت أن يبيت الجزء في بيتي فلم أستقر حتىٰ أرسلت به إلىٰ صاحبه».

هذا معنى كلامه، هذه حاله وحال أشباهه، ينفرون من كتب شيخ الإسلام ومن اسمه أيضًا، على نحو ما ورد في عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن الشيطان يفر منه، فظننت أن هؤلاء لو رأوا في كتابي تَرداد ذِكر شيخ الإسلام يوشك أن يعرضوا عن قراءته البتة، وأنا أرى المصلحة أن أجترهم إلى مطالعته لعل الله أن ينفعهم به.

٢) كنت استعجلت في تأليف ذاك الكتاب ولم يكن تحت يدي إذ ذاك من كتب شيخ الإسلام إلا «شرح العقيدة الأصفهانية»، وكنت قبل ذلك قد طالعت عدة من كتبه، وعَلِق بذهني كثير من فوائدها، لا من حيث أنه ذكرها بل من حيث أنها حجج واضحة، وما كان من هذا القبيل فلم يزل أهل العلم يحتج آخرهم بما احتج به من قبله، ولا يتكلف العزو إليه، كما استدل عمر بن عبد العزيز بقول الله جل جلاله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ على أن الإجماع حجة، ثم استدل بها كثير ممن بعده كالشافعي وغيره، غير عازين إليه»[1].

➢ **الوهَم الثاني والعشرون**: ما زعمه عبد الله بن محمد أبو داهش المولود سنة (١٣٧٠)، حين تحدث عن شعر المعلمي[2]. فقال: «لولا أن ذلك الشعر كان يصطبغ بصبغة صوفية ظاهرة، إذ تكاد تظهر تلك المسحة الغالية في معظم ذلك الشعر الذي نظمه المعلمي في تلك الفترة»، وهذا تسرع في الحكم، سببه قلة الصبر وضعف السبر، ويتبين زيفه من أوجه:

---

(١) اطلع على هذه الرسالة بخط الإمام، كل من: الشيخ منصور السماري كما في كتابه «الشيخ عبد الرحمن المعلمي وجهوده في السنة ورجالها» (٣٥-٣٦)، والشيخ ماجد الزيادي كما في «مقدمة عمارة القبور» (٥٥-٥٦)، والشيخ علي العمران، كما أخبرني بذلك.

(٢) كتبه في أوراق سودها ونشرها في مقال سمَّاه: «الحياة الفكرية والثقافية في جنوب الجزيرة».

الأول: أن الشعر المشار إليه قديم في حياة الإمام، فأقدم قصيدة فيه قِيلت سنة (١٣٢٩) وعمره سبعة عشر عامًا، وآخر تاريخ مزبورٌ فيه سنة (١٣٤١) وعمره تسعة وعشرون عامًا، فلو سلمنا وجود بعض التساهل في الكلمات، فلماذا لا تُنسخ بصريح الأقوال التي هي على ضلالات الصوفية كالشهب الثاقبة.

الثاني: أن الشعر المشار إليه في مدح الأمير الإدريسي، ولا يخفى على أديب أن المبالغة هي روح المدح، فيكف إذا كان الممدوح ولي النعمة، ومسبغ العطية، والإنسان صنيعة الإحسان، كيف والإدريسي كان يُجِل الإمام المعلمي ويُفخِّم شأنه، فقد ولاه القضاء وأضفى عليه لقب (شيخ الإسلام)، وكانت الرسائل تُصدَّر بعلَامة (خُدّام الإدريسي)، فأمر الإدريسي أن تُجعل علَامة تحارير المعلمي: «نائب الشرع الشريف» بدل: «خدام الإدريسي»، والخطابة في حضرته، مخاطبة الملوك والقادمين في غيبته، كل ذلك والإمام دون الثلاثين من عمره، فشأن مثل هذا التوادّ اقتران المبالغة بالثناء، فليست تلك الأشعار في التوسل والاستغاثة بالأموات، ولا في اختلاق الكرامات، ولا في أكاذيب المكاشفات، بل هي في مدح ملك عاش المعلمي وبعض فقهاء عشيرته في كنف رعايته وإحسانه، التي فقدوها في بلدهم بسبب تضييق حاكم صنعاء!

ولو قرأ أبو داهش شعر الحافظ ابن حجر في مدح الملك الرسولي وقرأ سيرة الممدوح لرمى ابن حجر بالجلاميد!

الثالث: أن المعلمي قد أشار بطيِّ صفحة هذا الشعر، ولذلك كُتب على ظهر ذلك الديوان: «لا يجوز طبعه ولا إعارته لأحد، وإنما يُعدّ وثيقة تاريخية لفترة من فترات الشيخ عبد الرحمن المعلمي في مقتبل عمره كشاعر وأديب

وقاضي في نفس الوقت والزمان. حرره تلميذه عبد الله بن محمد حكمي، مكة المكرمة سنة ١٣٨٦ هـ». فمن المستفيد من هذه البعثرة؟!

الرابع: أن جهود الإمام المعلمي في بيان أباطيل الصوفية وتثبيت عقائد السلف الصالح لا تخفى على من أرحب النظر في مؤلفاته، العامة أو الخاصة في الرد عليهم، وهي: «الرد على حسن الضالعي»، ورسالة في «ما وقع لبعض المسلمين من الرياضة الصُّوفية والغلو فيها»، وأما كلامه في كتبه العامة فكلام المحققين الراسخين، فقد أطال وأطاب وأبدى وأعاد في إبطال الاستناد إلى الكشف الصوفي، ومفتريات الكرامات، في كتابه العظيم «العبادة»، ولو عمدتُ إلى نقله لطال المقام، ولكن أكتفي بهذا التلخيص البديع لبدء التصوف ونهايته، فقد بدأ الإمام المعلمي ببيان أن مآخذ العقائد الإسلامية أربعة: سَلَفيَّان، وهما الفطرة والشرع. وخَلَفيَّان، وهما النظر العقلي المتعمَّق فيه، والكشف التصوفي. ثم شرحها فأفاض حتى ملأ الوِفاض، ومما قاله في الكشف: «وأما المأخذ الخَلَفي الثاني، وهو الكَشْف التصوفي، فقد مضى القرن الأول ولا يعرف المسلمون للتصوف اسمًا ولا رسمًا، خلا أنه كان منهم أفراد صادقو الحبِّ لله تعالى والخشيةِ له، يحافظون على التقوى والورع على حسب ما ثبت في الكتاب والسنة. فقد يبلغ أحدهم أن تظهر مزيته في استجابة الله ﷻ بعض دعائه أو عنايته به على ما يقلُّ في العادة، ويُلَقَّى الحكمةَ في الوعظ والنصيحة والترغيب في الخير. وإذا كان من أهل العلم ظهرت مزيته في فهم الكتاب والسنة، فقد يفهم من الآية أو الحديث معنًى صحيحًا، إذا سمعه العلماء وتدبروا وجدوه حقًّا، ولكنهم كانوا غافلين عنه حتى نبَّههم ذلك العبد الصالح.

ثم جاء القرن الثاني، فتوغَّل أفرادٌ في العبادة والعُزْلة، وكثرة الصوم والسهر، وقلة الأكل لعزة الحلال في نظرهم، فجاوزوا ما كان عليه الحالُ في

عهد النبي ﷺ، فوقعوا في طرف من الرياضة، فظهرت على بعضهم بعض آثارها الطبيعية كالإخبار بأن فلانًا الغائب قد مات أو سيَقْدُم وقت كذا، وأن فلانًا يُضمِر في نفسه كذا، وما أشبه ذلك من الجزئيات القريبة، فكان الناس يظنون أن جميع ذلك من الكرامات. والواقع أن كثيرًا منه كان من آثار الرياضة، وهي آثار طبيعية غريبة تحصل لكل من كان في طبعه استعداد، وتَعانَى الرياضة بشروطها، سواء أكان مسلمًا - صالحًا أو فاجرًا - أم كافرًا، فأما الكرامات الحقيقية فلا دخلَ فيها لقوى النفس. فلما وقعوا في ذلك وجد الشيطانُ مسلكًا للسلطان على بعض أولئك الأفراد بمقدار مخالفتهم للسنة، فمنهم من كان عنده من العلم ما دافع به عن دينه، كما نقل عن أبي سليمان الداراني أنه قال: «ربما تقع في قلبي النُّكتة من نُكَت القوم أيامًا، فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلَيْن: الكتاب والسنة»...

ومنهم من سَلِم لهم أصل الإيمان، لكن وقع في البدع العملية. ومنهم من كان سلطانُ الشيطان عليه أشدَّ، فأوقعه في أشدَّ من ذلك... ثم صار كثيرٌ من الناس يتحرَّون العزلة والجوع والسهر لتحصيل تلك الآثار، فقوي سلطانُ الشيطان عليهم. ثم نُقِلتْ مقالات الأمم الأخرى، ومنها الرياضة وشرحُ ما تُثمِره من قوة الإدراك والتأثير، فضمَّها هُواتُها إلى ما سبق، مُلْصِقين لها بالعبادات الشرعية، وكثر تعاطيها من الخائضين في الكلام والفلسفة. فمنهم من تعاطاها ليروِّج مقالاته المنكرة بنسبتها إلى الكشف والإلهام والوحي، ويتدرَّع عن الإنكار عليه بزعم أنه من أولياء الله تعالى. ومنهم من تعاطاها على أمل أن يجد فيها حلًّا للشكوك والشبهات التي أوقعه فيها التعمّقُ في الكلام والفلسفة.

ومن أول من مزج التصوف بالكلام الحارثُ المحاسبي، ثم اشتدّ الأمر في الذين أخذوا عنه فمَن بعدهم. وكان من نتائج ذلك قضية الحلَّاج، ولعله كان في أقران الحلَّاج مَن هو موافق له في الجملة، بل لعل فيهم مَن هو أوغلُ منه إلا أنهم كانوا يتكتمون، ودعا الحلَّاجَ إلىٰ إظهار ما أظهره حبُّ الرئاسة. وكذلك مَزْجُ الفلسفة بالتصوف كان معروفًا عند بعض الفلاسفة الأقدمين، وتجد في كلام الفارابي وابن سينا نُتفًا من ذلك.

وكذلك في كلام متفلسفي المغاربة كابن باجة وغيره. وهكذا الباطنية كانوا ينتحلون التصوُّف، فلما جاء الغزالي نصب التصوفَ منصب الكلام والفلسفة الباطنية، وزعم أن الحقَّ لا يعدو هذه الأربع المقالات، وقضىٰ ظاهرًا للتصوف مع ذكره كغيره أن طائفة من المتصوفة ذهبوا إلىٰ الإباحة المحضة، وفي ذلك نَبْذُ الشرائع البتة. ثم لم يزل الأمر يشتدُّ حتىٰ جاء ابن عربي وابن سبعين والتلمساني، ومقالاتهم معروفة.

ومن تتبع ما كان عليه النبي ﷺ والصحابة وأئمة التابعين، وما يصرِّح به الكتاب والسنة وآثار السلف، وأنعمَ النظرَ في ذلك، ثم قارن ذلك بمقالات هؤلاء القوم عَلِمَ يقينًا أنه لا يمكنه - إن لم يُغالطْ نفسه - أن يصدِّق الشرعَ ويصدِّقهم معًا. وإن غالط نفسَه وغالطتْه، فالتكذيب ثابت في قرارها ولا بدَّ»[(١)].

فهل يَحْسُن بمن نصَب نفسه للحكم علىٰ عقائد الناس أن يُعرِض عن هذا البيان الجلي، الكاشف عن اعتقاد المعلمي في أهل الكشف الصوفي وأباطيلهم إلىٰ كلمات مظنونة، ومن دخل في غير فنه أتىٰ بالعجائب، وإن شئت فقف علىٰ

---

(١) «آثار المعلمي» (١١/ ٣٧٨-٣٨٠).

حواشيه على كتاب المعلمي: «مناظرة أدبيَّة بين المعلمي والسنوسي»، فقد همَّش على إيراد المعلمي قوله تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ [آل عمران: ١١٥] بقوله: في الأصل: ﴿تَفْعَلُوا﴾ والصواب ما أثبت، في الأصل: ﴿تُكْفَرُوهُ﴾ والصواب ما أثبت». اهـ «والصواب أن كلا الوجهين صواب، وذلك أنهما قراءتان سبعيتان، فقرأ بالياء التحتية حمزة والكسائي وحفص، وقرأ بالتاء الفوقية نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة»(١).

➢ **الوهم الثالث والعشرون:** أن كتاب «ما لا يسع المسلم جهله من ضروريات التفكر»، من مؤلفاته، والصواب أنه من كلامه المستخرج من كتابه «القائد إلى تصحيح العقائد»، استخرجه الشيخ علي بن حسن الحلبي.

➢ **الوهم الرابع والعشرون:** أن من مؤلفاته: «النقد البريء»، وهو وهم؛ لأنه هو الاسم القديم لكتابه ذائع الصيت: «التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل».

➢ **الوهم الخامس والعشرون:** أن كتاب «العبادة» مُسَوَّدَة لم يبيضه ولم يحرر أبوابه، ولم يوص بطباعته، وهذا الوهم من كيس الشيخ حاتم العَوني.

وأقول: مُسَوَّدات الراسخين هي فوق مُبَيَّضات الباحثين! والإمام المعلمي كان قطعة من السلف حتى في طريقة التأليف، وقد رحل إلى ربه قبل وجود الشيخة الشاملة، والشيخ قوقل، وقوالب الورد، وحَشَم الكتابة، وخدم المطابقة!

---

(١) «آثار المعلمي» (٢٠/ ٣٠١)، وقد تعرض للرد عليه الشيخ حميد بن قائد البصير العتمي في كتابه القيم «عبد الرحمن بن يحيى المعلمي وجهوده النحوية واللغوية»، والشيخ فهد السنيدي في كتابه «جهود الشيخ المعلمي في تقرير عقيدة السلف» (٢٢-٢٣).

وأما أن الإمام لم يوص بطباعته فهو لم يوص بطباعة شيءٍ من كتبه، بل طوىٰ في صدره نيَّة صالحة -فيما نحسب والله حسيبه- أقبلت بقلوب أهل العلم عليها نشرًا، وارتشافًا، فلله الحمد والمنة.

ولم يُخرج الإمام كتابه «التنكيل» وهو في نهاية التحقيق عند علماء العصر، فكان ماذا؟!

ولقد كان الإمام المعلمي راضيًا بما حققه في كتابه «العبادة»، وقد تحدث بذلك في مواضع عديدة من مؤلفاته الأخرىٰ، بلغة الاغتباط والتحدث بنعمة الله تعالىٰ عليه، وحقَّ له ذلك فهو كتاب لم تكتحل عين الزمن بمثله، في تحقيق العبادة والتوحيد والشرك بالله، وإليك ما وقفت عليه من تحدثه بذلك:

١) قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد استوعبتُ أكثر ذلك في «رسالة العبادة»، أسأل الله تعالىٰ من فضله تيسير إتمامها ونشرها. والحمد لله أولًا وآخرًا»[١].

٢) وقال أيضًا: «وقد أوضحتُ هذا بدلائله من الكتاب والسنة وأقوال السلف والآثار التاريخية والمقالات في كتاب «العبادة» ولله الحمد»[٢].

٣) وقال أيضًا: «والحاصل أن الخضوع طلبًا للنفع الغيبي عبادة. فإن كان عن أمرٍ من الله تعالىٰ ثابتٍ بسلطان، فهو عبادة له سبحانه، ولو كان في الصورة لغيره كالكعبة؛ وإلا فهو عبادةٌ لغيره. ويتعلق بهذا الباب مباحث عديدة قد بسطتُ الكلام عليها في كتاب «العبادة»، وإنما ذكرتُ هنا شذرةً منه.

(١) «آثار المعلمي» (٧/ ١٠٨-١٠٩، ١٠١، ١٠٦-١٠٧).
(٢) «آثار المعلمي» (١١/ ٣٩٧).

ثم علق في الحاشية بقوله: «كتاب من تأليفي استقرأتُ فيه الآيات القرآنية ودلائل السنة والسيرة والتاريخ وغيرها لتحقيق ما هي العبادة، ثم تحقيق ما هو عبادة لله تعالىٰ مما هو عبادة لغيره. يسَّر الله نشره»[١].

أقول: قد استجاب الله تعالىٰ هذه الدعوة الصادقة، فنشر في الآفاق، وقرت به عيون المنصفين، وشرِقت به حلوق الأنصاف.

٤) وقال أيضًا: «وقد أوضحتُ ذلك في كتاب «العبادة» بما يُثلج الصدر. والحمد لله»[٢].

٥) وقال أيضًا: «وفي الحديث: «اتقو الشرك فإنه أخفىٰ من دبيب النمل» ذكرتُ طرقه في كتاب «العبادة»، وأوضحت أنه علىٰ ظاهره. وبسطُ هذا المطلب في ذاك الكتاب»[٣].

٦) وقال أيضًا: «وقد ذكرتُ الآيات والأحاديث وأقوال العلماء في هذا المعنىٰ في رسالة «العبادة»[٤].

٧) وقال أيضًا: «وقد أوضحتُ هذا بأدلته من القرآن والتاريخ في رسالة «العبادة»[٥].

---

(١) «آثار المعلمي» (١١/ ٤٣٥).
(٢) «آثار المعلمي» (١١/ ٤٤٣-٤٤٤).
(٣) «آثار المعلمي» (١١/ ٥٧٦، ٥٨٣).
(٤) «آثار المعلمي» (١٨/ ٤٨١).
(٥) «آثار المعلمي» (١٩/ ٥٥).

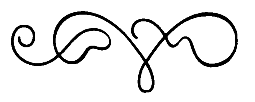
٨) وقال أيضًا: «وجعل الله تعالىٰ طاعة الرؤساء في شرع الدين عبادة لهم، وطاعة الهوىٰ عبادة له. وقد أوضحت جميع ذلك في رسالة «العبادة»[1].

٩) وقال أيضًا: «وقد أوضحت هذا المقام في «كتاب العبادة» ولله الحمد، وذكرت أدلته من السنة والتاريخ وغيرهما»[2].

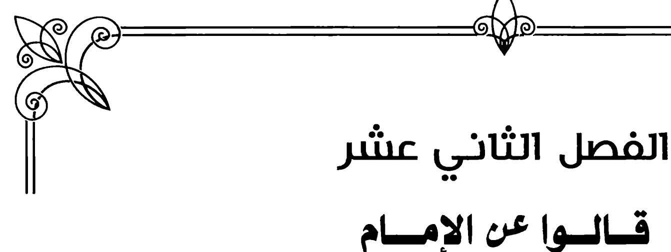
١٠) وقال أيضًا: «وقد أوضحت هذا بدلائله من الكتاب والسنة وأقوال السلف، والآثار التاريخية، والمقالات، وغير ذلك في كتاب «العبادة». ولله الحمد»[3].

والشيخ العوني قد اتجه إلىٰ محاكمات عديدة بعضها في أصول الاعتقاد!! ودخل في حلائب الصراع مع جماعة من علماء العصر، فحذروا منه ومن كتاباته لا سيَّما المتأخرة؛ لما فيها من الزلل والمجازفة في الأحكام!

إذا عرفت ذلك هان عليك الخطب، ورميت بكلامه هنا من حالق، ونهلت من معين كتاب «العبادة» الشاهق، والله الموفق والمستعان.



(١) «آثار المعلمي» (١٩/ ٦٣).
(٢) «آثار المعلمي» (١٩/ ٢٢٥).
(٣) «آثار المعلمي» (١٩/ ٢٥١)، وانظر (٧/ ٩٠، ٩٢، و١٩/ ٢٢، ٢٨٠).




الفصل الثاني عشر

قالوا عن الإمام

أطبق أهل العلم في هذا العصر على الثناء على الإمام المعلمي، ومدحه، بلغة الإكبار والإعجاب به وبمؤلفاته، التي تربعت مكانة باسقة في قلوبهم، ينهلون منها ويغترفون، ولطلابهم يوصون، ولا أَسْتَكْثِرُ من حشد الثناء، بل حسبي إيراد شذرات منه؛ لأن عالمًا كهذا الحبر غني بعلمه وفضله المبثوث في كتبه عن كلمات الثناء من زيد أو عبيد، بل إنَّ الفضل للمادح لا للممدوح؛ فهو برهان فضله وإنصافه، وتقديره لأهل العلم والفضل، والآن إلى نُتَف من ذلك الثناء:

۞ **شيخه العلامة أحمد بن محمد بن سليمان المعلمي (ت: ١٣٤١)**، قال: «العالم الكريم، والنحرير الذي هو بهذا الوقت في النظير له عديم... الفقيه الوجيه: عبد الرحمن ابن العلامة يحيى بن علي المعلمي»، وقال: «حضرة الولد الوجيه، الأريب النبيه، العلَّامة الفقيه: عبد الرحمن بن يحيى المعلِّمي»، وقال: «حضرة العلامة النحرير والبدر المنير، الولد الوجيه الفقيه عبد الرحمن بن يحيى المعلمي - سلَّمه الرب العلي -»[(١)].

۞ **المؤرخ العلامة إسماعيل بن محمد الوَشَلي اليماني (ت: ١٣٥٦)**، قال: «الفقيه العلامة الأديب عبد الرحمن بن يحيى المعلمي... رأيته فقيهًا نحويًا أديبًا لطيفًا شاعرًا فصيحًا»[(٢)].

---

(١) الكلام الأول مقتبس من إجازته وقد سبَقَتْ في الفصل السادس، والآخران من رسالتين بعث بهما إلى الإمام المعلمي، انظرهما في «المدخل» (٢٤٩-٢٥٢)، وكان عمر المعلمي حينها (٢٣) عامًا.

(٢) «نشر الثناء الحسن» (٣/ ٢١٩، ٢٢٠-٢٢١)، وكان عمر المعلمي حينها (٢٤) عامًا!.

❁ **والده العلامة الفقيه يحيىٰ المعلمي (ت: ١٣٦١)**، قال: «الولد الأجل الأمجد العلامة القاضي عبد الرحمن بن يحيىٰ المعلمي حرسه الله تعالىٰ ووفّقه لرضاه آمين»(١).

❁ **شيخه محمد عبد القدير الصديقي (ت: ١٣٨١)**: «إن الأخ الفاضل والعالم العامل الشيخ عبد الرحمن بن يحيىٰ المعلمي العتمي اليماني، قرأ عليَّ من ابتداء «صحيح البخاري» و«صحيح مسلم» واستجازني ما رويته عن أساتذتي، فوجدته طاهر الأخلاق، طيب الأعراق، حسن الرواية، جيد الملكة في العلوم الدينية، ثقة عدل، أهل للرواية بالشرط المعتبر عند أهل الحديث».

❁ **الشيخ العلامة هاشم الندوي مدير دائرة المعارف العثمانية، (ت: ١٣٩١)** قال: «حضرة العلامة الجليل والفهامة النبيل مولانا الشيخ عبد الرحمن اليماني»، وقال: «الأستاذ الفاضل العلامة مولانا الشيخ عبد الرحمن بن يحيىٰ المعلمي لله دره، قد اجتهد في تصحيح الأسماء والأنساب والمشتبهات، واستوعب النظر في الاختلافات من حيث علم الرجال ونقد الروايات من جهة الجرح والتعديل»، وقال: «الأستاذ الفاضل الناقد في الرجال الشيخ عبد الرحمن بن يحيىٰ اليماني دام فضله»(٢).

❁ **المحدث أبو الأشبال أحمد بن محمد شاكر (ت: ١٣٧٧)**، قال: «وقد حقق مصححه [يعني: «التاريخ الكبير» للبخاري] العلامة الشيخ عبد الرحمن بن يحيىٰ المعلمي»(٣).

---

(١) المدخل (٢١٣)، وكان عمر المعلمي حينها (٣١) عامًا.

(٢) خاتمة «التاريخ الكبير» (٦)، وخاتمة «الكنىٰ» (٩٤)، كلاهما للبخاري، «المدخل» (١١٤)، وانظر ثناء المعلمي علىٰ الندوي في «آثار المعلمي» (٢٥/ ٢٨٤).

(٣) «حاشية تفسير الطبري» (١/ ٣٣).

۞ **الشيخ محمد حامد الفقي** (ت: ١٣٧٨) قال في تقريظه لرسالة المعلمي «جواز تأخير المقام»: «كتب أخونا المحقق الشيخ عبد الرحمن المعلمي اليماني هذه الرسالة القيِّمة».

۞ **الأستاذ فؤاد سيّد** (ت: ١٣٨٧)، قال: «أستاذنا الجليل العلامة الشيخ عبد الرحمن المعلمي.. متّعه الله بالصحة والعافية والهناء»[1].

۞ **العلامة أبو قصي محب الدين الخطيب الدمشقي** (ت: ١٣٨٩)، قال في خطبته لكتاب: «كشف المخدَّرات»: «حضرة العالم المحقق الشيخ عبد الرحمن بن يحيىٰ المعلمي، الذي عرف الناس فضله بما صدر عنه من تصحيح كثير من الكتب الإسلامية»[2].

۞ **خطيب اليمن الشيخ محمد بن سالم البيحاني** (ت: ١٣٩١): «حضرة المحترم الشيخ العلامة الجليل بقيّة المحققين عبد الرحمن بن يحيىٰ المعلمي»[3].

۞ **القاضي عبد الله العمودي** (ت: ١٣٩٨)، قال: «حضرة أخينا ومحبّنا الهمام وجيه الإسلام قاضي القضاة عبد الرحمن بن يحيىٰ المعلمي»[4].

۞ **الشيخ القاضي محمد بن عبد الرحيم المعلمي** (ت: ١٣٩٥)، قال: «كوكب الأدباء، وتاج النجباء، من تسنَّم قُنَن المعالي، وناطح بهمته كل عالي، سليل الأكارم... الآخذ بمجامع القلوب بلا مرا الشيخ العلامة القاضي عبد الرحمن بن

---

(١) «المدخل» (٣٣٠).

(٢) «كشف المخدرات «(١٠).

(٣) «المدخل» (٣٣٢)، «آثار المعلمي» (٢٥/ ٣٢٧).

(٤) «المدخل» (٢٦١).

يحيىٰ المعلمي أدام الله معاليه وخلد لياليه، وحفظ ذاته من كل سوء وصرف عنه الشرور... »[١].

۞ **تلميذه الشيخ فضل الله الجيلاني (ت: ١٣٩٩)**، قال: «جامع الفضائل والعلوم مولانا الشيخ عبد الرحمن اليماني».

۞ **الشيخ محمد سلطان محيي الدين (ت:؟)**، قال: «هو نادرة الزمان، علامة الأوان، والأستاذ الناقد، والباحث المحقق الشيخ عبد الرحمن بن يحيىٰ المعلمي اليماني... كان من أجل العلماء الربانيين، وفضلاء اليمن الكبار... كان بارعًا في جميع العلوم والفنون، وتمهر في علم الأنساب والرجال، ونبغ في تصحيح الكتب والتعليق عليها، وله براعة في البحث والتحقيق، وتبحر وتمييز بين الخطأ والصواب، وكان واسع الاطلاع علىٰ تاريخ الرجال ووقائعهم... حقق كثيرًا من المخطوطات القيمة، وعلق عليها التعليقات المبسوطة، والتقديمات النافعة، كثيرة الفوائد العلمية والتاريخية»[٢].

۞ **الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي (ت: ١٤١٢)**، قال: «حضرة العالم الخبير الناقد البصير العلامة الشيخ عبد الرحمن بن يحيىٰ المعلمي»، وقال: «كان أوحد عصره في أسماء الرجال، وَسِيع المعرفة بالمخطوطات في ذلك الفن وما يناسبه...»[٣].

---

(١) كلامه هذا مقتبس من رسالة بعث بها من (مكة) سنة (١٣٦٠) إلىٰ الإمام المعلمي وهو حينها في (الهند) انظر لفظها في «المدخل» (٣٥٨).

(٢) «علماء العربية ومساهماتهم في الأدب العربي في العهد الآصفجاهي» (٤٢٤-٤٢٥).

(٣) اللفظ الأول من رسالة بعثها الأعظمي إلىٰ المعلمي انظرها في «المدخل» (٣٦٧)، واللفظ الثاني من «حياة أبو المآثر» (٢٦٣)، بواسطة «المدخل» (١١٥).

۞ **الأستاذ الكبير المحقق الشهير العلامة الناقد حمد الجاسر** (ت: ١٤٢٠)[(١)]، قال: «علامة جليل، وباحث صَرَف كلَّ جهده وكل عمله لكي يخرج الكتاب [«الإكمال» لابن ماكولا] في أصحّ صورة وأجملها من حيث الكمال والجمال، هو شيخنا العلامة التقي الورع الجليل الشيخ عبد الرحمن... المعلمي أمين مكتبة الحرم المكي»، وقال -وهو يُعرِّف بما طبع من كتاب «الأنساب»-فذكر أنه من تحقيق-: «...فضيلة محققه العلامة الجليل، الذي فقد تراثنا بفقدِه عالمًا فذًّا، قلّ الزمانُ أن يجود بمن يسد الفراغ الذي أحدثه فقدُه رَحِمَهُ ٱللَّهُ»[(٢)].

۞ **الشيخ الأزهري عبد الوهاب بن عبد اللطيف** (ت:؟)، قال: «الأستاذ الشيخ عبد الرحمن اليماني لا يَجهل علمه باحثٌ في علوم الحديث، وله منّة على الباحثين بما يحققه من الكتب الحديثية التي نُشرت في (الهند)، وهو ذو باع طويل في علم رجال الأثر، وقد اجتهد في تحقيق هذا الكتاب ونقد رواياته ورواته، معتمدًا على أوثق المصادر، حتى إنه صحح كثيرًا من أغاليط المؤلفات في هذا الفن، وهو بذلك جدير، وكان في علمه أمينًا رزينًا إذا لم يعلم يقول في الراوي المجهول: لم أجده، لا أعرفه، وفيمن لم يتبين له أمره: لم يتبين لي حاله، بعبارة ضابطة محققة»[(٣)].

---

(١) هكذا نعته المعلمي، انظر «آثار المعلمي» (٢٥/ ١٤، ٣٢٤)

(٢) من مقال له في «مجلة العرب»، السنة الثانية (١٣٨٧)، بواسطة: «المدخل» (١٢٠)، «آثار المعلمي» (٢٥/ ٥م).

(٣) من خطبته لكتاب : «الفوائد المجموعة» للإمام الشوكاني (١٤-١٥).

۞ **الشيخ حمود بن عبد الله التويجري (ت: ١٤١٣)**، قال الشيخ عبد الله السعد: «كنت في زيارة له، وجرى ذكر المعلمي، فقام الشيخ حمود وأتى بكتاب «التنكيل»، وقرأ تقريظ الألباني حتى وصل إلى قوله: «...على صبر من البحث والتحقيق كاد أن يبلغ الغاية إن لم يكن بلغها...» فقال الشيخ حمود معلقًا: «بل بلغها»، وقال أيضًا: «دخلت في مكتبة الحرم المكي، فسألته عن أحد الكتب، فقام مسرعًا وأتى به، ثم قال: ما عرفناه إلا بعد أن توفي»[(١)].

۞ **الشيخ حماد بن محمد الأنصاري (ت: ١٤١٨)**، قال: «إن الشيخ عبد الرحمن المعلمي عنده باع طويل في علم الرجال جرحًا وتعديلًا وضبطًا... وعنده مشاركة جيدة في المتون تضعيفًا وتصحيحًا، كما أنه ملم إلمامًا جيدًا بالعقيدة السلفية»[(٢)].

۞ **الأديب العلامة محمود محمد الطناحي المصري (ت: ١٤١٩)**، قال: «...كتاب «الأنساب» للسمعاني... الأجزاء الستة الأولى بتحقيق العلامة المرضي عنه إن شاء الله عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني المتوفى عام (١٣٨٦) بمكة البلد الأمين»[(٣)].

۞ **الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠)**، قال بعد إيراد كلام للمعلمي: «هذا كلام جيد متين من رجل خبير بهذا العلم الشريف، يعرف قدر كتب السنة وفضلها، وتأثيرها في توحيد الأمة»[(٤)].

---

(١) تقريظ الشيخ السعد لمصحح كتاب «العبادة» للمعلمي (٩-١٠).

(٢) «المعلمي وجهوده في السنة» لهدى بالي (٣٤)، بواسطة «مقدمة عمارة القبور» (٦٥)، وفي قوله: «إلمامًا جيدًا...» ضعف، بل هو من المحققين فيها.

(٣) «الموجز في مراجع التراجم والمصنفات وتعريفات العلوم» (٦٥) هامش (٢).

(٤) «مقدمة تحقيق الأدب المفرد» (٩).

وقال في خطبته لتقديم كتاب «التنكيل»: «تأليف العلامة المحقق الشيخ عبد الرحمن بن يحيىٰ بن علي اليماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ بيَّن فيه بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة تجني الأستاذ الكوثري علىٰ أئمة الحديث ورواته... مبرهنًا عليها من كلام الكوثري نفسه في هذا الكتاب العظيم بأسلوب علمي متين، لا وهن فيه ولا خروج عن أدب المناظرة وطريق المجادلة بالتي هي أحسن، بروح علمية عالية، وصبر علىٰ البحث والتحقيق كاد أن يبلغ الغاية إن لم أقل: بلغها، كل ذلك انتصارًا للحق، وقمعًا للباطل، لا تعصبًا للمشايخ والمذهب، فرحم الله المؤلف، وجزاه عن المسلمين خيرًا».

وقال أيضًا: «المعلمي سلفي العقيدة، سلفي المذهب والمشرب؛ وعنده باع طويل في تراجم الرواة، وليس فقط الرواة الذين يتعلق بهم الحديث بل هو واسع الاطلاع علىٰ تراجم الرجال من كل الطبقات، المفسرين المحدثين اللغويين ونحو ذلك؛ فهو واسع الاطلاع من هذه الحيثية؛ وتعليقاته علىٰ «تاريخ البخاري» مثلًا، وعلىٰ كتاب «الأنساب» للسمعاني وغيرهما أكبر دليل علىٰ سَعة أُفُقه في هذه المجالات، والناظر في مناقشاته مع الكوثري سواء من الناحية الحديثية أو من الناحية الفقهية فكل ذلك يدل علىٰ أن الرجل كان متمكنًا في أصول الحديث وأصول الفقه من جهة، وأنه واسع الاطلاع أيضًا من الناحية الفقهية من جهة أخرىٰ»[1].

❁ **العلامة أبو تراب الظاهري (ت: ١٤٢٣)**، قال: «هو علم من العلماء الأعلام البارزين، كان عبدًا أواهًا ورعًا زاهدًا تقيًّا، لم يكن يدنس ثوبه برذيلة ولا اخترام مروءته»، وقال أيضًا: «كان نحويًّا بارعًا وعَروضيًّا، وذا معرفة

---

(١) «سلسلة الهدىٰ والنور» الشريط (رقم/ ٣٧).

باللغة وغريبها، حفظ الألفية وبعض المتون في الأصول والفقه، ولقي الأكابر...»[١].

۞ **العلامة أبو عبد الله بكر بن عبد الله أبو زيد (ت: ١٤٢٩)**، قال: «ذهبي العصر[٢]، العلامة المحقق المعلمي عبد الرحمن بن يحيى... تحقيقات هذا الحبر نقش في حجر، ينافس الكبار كالحافظ ابن حجر، فرحم الله الجميع، ويكفيه فخرًا كتابه «التنكيل»»[٣].

وقال أيضًا: «العلامة المعلمي له جهود في خدمة السنة وعلومها كما في «التنكيل» و«طليعته» وفي تحقيقاته الحافلة في كتب الرجال، والأنساب، والموضوعات أبدا يَراعه فيها براعة، ودررًا في أصول التخريج وقواعد الجرح والتعديل في جهود انتشرت الاستفادة منها في كتب المعاصرين»[٤].

۞ **شيخنا المؤرخ العلامة إسماعيل بن علي الأكوع (ت: ١٤٢٩)**، قال: «عالم محقق في الفقه والنحو، مبرز في علوم الحديث، شاعر أديب»[٥].

۞ **الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد آل سعد المُطيري المولد سنة (١٣٨١)**، قال: «أما المعلمي فهو من مشاهير العلماء في هذا العصر، وقد اشتهر بتحقيقاته ومؤلفاته، وكان مبرزًا في علوم متعددة من علوم الشريعة واللغة، وخاصة في علمي الحديث والعقائد، وفيهما ألف أكبر كتبه كتاب

---

(١) مقال في «جريدة المدينة»، السبت صفر سنة (١٣٨٦).

(٢) كان هذا اللقب مبنيًّا على «التنكيل»، وبعد أن طبعت كل آثار المعلمي فقد برهنت على أنه إمام متفنن محقق!

(٣) «التأصيل لأصول التخريج وقواعد الجرح والتعديل» (٢٧) مع الهامش (رقم/ ٤٨).

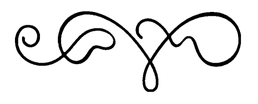
(٤) «براءة أهل السنة» ضمن كتابه «الردود» (٢٩٨-٢٩٩).

(٥) «هِجَر العلم ومعاقله في اليمن» (٣/ ١٢٦٦).

«التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل»، وهذا في علم الحديث وصناعته وإن كان مشتملًا علىٰ أقسام أخرىٰ، فهناك مباحث تتعلق بالفقهيات، وأخرىٰ في العقائد... وأما ما يتعلق بعلمه بالحديث: فقد اشتهر بتمكنه بهذا العلم وصناعته، كعلم العلل والجرح والتعديل ومناهج المحدثين، فله كلام كثير في هذا الباب...»[1].

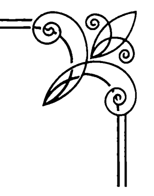
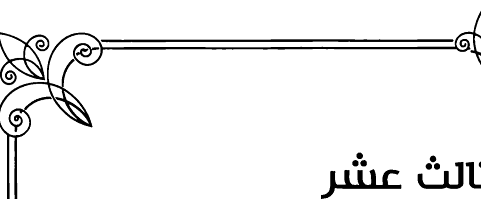
وقال أيضًا: «لا نعلم في هذا العصر ممن مات أمكن من المعلمي في علم الحديث ونقد الرجال، وهو إمام بلغ الاجتهاد المطلق، ولم يأت أحد مثله».

وقال أيضًا: «عبد الرحمن بن يحيىٰ المعلمي إمام في علم الحديث، ولم يأت في هذا العصر -فيما نعلم- أعلم منه، وهو علىٰ منهج المتقدمين، وأقواله، موثقة في الحكم علىٰ الأحاديث والرجال»[2].



(١) من تقريظه لمحقق كتاب «العبادة» للمعلمي (٥-٦).

(٢) من تسجيلات صوتية مفرغة.

الفصل الثالث عشر

كتبوا عن الإمام

المبحث الأول: الكتابة المفردة:

- «عبد الرحمن المعلمي وجهوده في السنة»، هدىٰ بنت خالد بن إبراهيم بالي.
- «الشيخ عبد الرحمن المعلمي وجهوده في السنة ورجالها» منصور بن عبد العزيز السماري.
- «المدخل إلىٰ آثار المعلمي»، علي بن محمد العمران.
- «منهج المعلمي وجهوده في تقرير عقيدة السلف»، أحمد بن علي يحيىٰ محمد بن بيْه.
- «منهج النقد عند الشيخ المعلمي من خلال كتابه التنكيل»، حمزة بن عبد الله مرغيت الجزائري.
- «تفسير العلامة عبد الرحمن بن يحيىٰ المعلمي، من أول البقرة إلىٰ آخر سورة آل عمران»، عبد المحسن بن يوسف بن ناصر المعيلي.
- «تفسير العلامة عبد الرحمن بن يحيىٰ المعلمي، من أول سورة النساء إلىٰ آخر سورة المائدة، جمعًا ودراسة»، شفقت الرحمن بن مبارك علي.
- «تفسير العلامة عبد الرحمن بن يحيىٰ المعلمي، من أول سورة الأنفال إلىٰ آخر سورة الحجر، جمعًا ودراسة»، سعيد بن صالح بن سعيد بازهير.

- «السمط الآلي في تعليقات اليماني على فتح الباري»، إبراهيم بن محمد الأمين بن خدر الهيروي.
- «جهود الشيخ المعلمي في نقد المتن الحديثي»، عبد الرحمن بن محمد العيزري.
- «عبد الرحمن بن يحيى المعلمي وجهوده النحوية واللغوية» حميد بن قايد بن علي العتمي اليماني.
- «جهود الشيخ عبد الرحمن المعلمي في تقرير عقيدة السلف والدفاع عنها»، فهد بن عبد العزيز السنيدي.
- «مشكل الحديث عند العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي جمعًا ودراسة»، فلاح بن صالح الديحاني.
- «منهجية التفكير الناقد عند الشيخ عبد الرحمن المعلمي»، سليمان بن ناصر العبودي.
- «اختيارات العلامة المعلمي الفقهية»، عمار بن صالح الخولاني.
- «حقيقة الشرك في توحيد الألوهية عند الشيخ عبد الرحمن المعلمي»، سلطان بن عبد الرحمن العميري.
- «الاستنباط عند المعلمي في التفسير جمعًا ودراسة»، فهد بن علي القرني.
- «النكت الجياد المنتخبة من كلام شيخ النقاد، ذهبي العصر العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني»، إبراهيم بن سعيد الصبيحي، ثم سماه: «موسوعة المعلمي اليماني وأثره في علم الحديث»، وقد أطلق في المعلمي قوله: «شيخنا»، وهذا توسع، قد يُوقع في الوهم.

- «حياة الشيخ المعلمي اليماني»، محمد خلف سلامة.
- «الآراء الكلامية عند المعلمي اليماني»، عمرو أحمد عبد السلام.
- «بلوغ الأماني من كلام المعلمي اليماني» أسامة النجار.
- «القول الجلي في حياة العلامة عبد الرحمن المعلمي».
- «رفع التغليس عن معنى التدليس، جمع لكلام المعلمي»، كلاهما لماجد بن عبد العزيز الزيادي[1].
- «ما لا يسع جهله من ضروريات التفكر.. من درر العلامة الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني»، علي بن حسن الحلبي.



(١) كان له اجتهاد ظاهر في نشر كتب المعلمي، ثم أفل نجمه، وأُخبرت أنه اتجه إلى العمل العقاري، وترك الاشتغال بالعلم، فالله المستعان.

المبحث الثاني: الكتابة العامة:

- عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المعلمي في «أعلام المكيين»، ونشرها في: «معجم مؤلفي مخطوطات مكتبة الحرم المكي»، و طبعت في أول كتاب «التنكيل».
- خير الدين الزِّرِكْلي في «الأعلام».
- إسماعيل الوشلي في «نشر الثناء الحسن على بعض أرباب الفِضال والكمال في اليمن، وذكر الحوادث الواقعة في هذا الزمن».
- محمد بن محمد زبارة في «نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر».
- إسماعيل الأكوع في «هِجَر العلم ومعاقله في اليمن».
- عمر رضا كحالة في «المستدرك على معجم المؤلفين».
- عاتق البلادي في «نشر الرياحين في تاريخ البلد الأمين».
- محمود الطناحي في «مدخل إلى نشر التراث».
- أبو تراب الظاهري في «مجلة المدينة».
- عبد المجيد دياب في «تحقيق التراث العربي ومنهجه وتطوره».
- محمد بهجة البيطار الأثري في «مجلة المجمع العلمي بدمشق».
- عبد الله بن محمد الحبشي في «مصادر الفكر الإسلامي في اليمن».
- عبد الرحمن طيب بعكر في «كواكب يمنية في سماء الإسلام».
- ماجد بن عبد العزيز الزيادي في «مقدمة عمارة القبور».

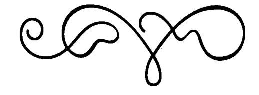
- الشبراوي بن أبي المعاطي المصري في «مقدمة كتاب العبادة».
- جمال بن حزام النظاري في «الهِجَرات الحضرمية الحديثة وتأثيراتها»، ونقله في «الموسوعة اليمنية» الصادرة عن مؤسسة العفيف بصنعاء.



المبحث الثالث: مقترحات للكتابة عن الإمام:

- «اختيارات المعلمي التاريخية».
- «منهج المعلمي في الرد على المخالف».
- «الأحاديث التي صححها أو ضعفها المعلمي».
- «اختيارات المعلمي الأصولية».
- «فقه النفس عند المعلمي».
- «الإجماعات التي ذكرها المعلمي».
- «اختيارات المعلمي التفسيرية».
- «موارد المعلمي العلمية».
- «منهج المعلمي في إعمال قاعدة الاحتياط».
- «منهج المعلمي في الاجتهاد والتقليد».
- «جهود المعلمي في بيان كيد الشيطان لإغواء الإنسان».
- «تعقبات المعلمي على الحافظين الذهبي وابن حجر، في جميع كتبه».
- «الأمثال التي ضربها المعلمي».
- «جهود المعلمي في بيان مسالك الهوى».
- «المعلمي شاعر وأديب».
- «كتب تحت مجهر المعلمي، مدحًا أو قدحًا».
- «تعقبات المعلمي الحديثية».

- «رفع الملام عن الأئمة الأعلام».
- «منهج الإمام المعلمي في التفكير وحل مشكلات العلم»(١).
- «منهج المعلمي في التأليف».
- «استخراج وترتيب تعليقات المعلمي علىٰ الكتب التي حققها».



(١) اقترحه الشيخ علي العمران، ثم قال: «يحتاج إلىٰ باحث متميّز عميق التفكير، متعدد المشاركة في العلوم».



الباب الثاني

لمعٌ في

حيـــاة الإمـــام العلميـــة



الفصل الأول

تثبيت عقـيدة الـسـلـف

➢ في خطبة كتابه: «يسر العقيدة الإسلامية» تبرأ من الانتساب إلىٰ أي فرقة، فقال: «وهواي فيها إن شاء الله تعالىٰ مع الحق، لا مع فرقة من الفرق، وتقيُّدي فيها بالإسلام، ليس لأنه ديني ودين قومي، وإنما هو لاستيقاني بعد صِدْق النظر أنه الحق»[1].

➢ وأوضح أن نتاج التدبر يقضي بتحديد مأخذ عقائد السلف فقال: «من تدبَّر القرآن وتصفَّح السنة والتاريخ علِمَ يقينًا أنه لم يكن بين يدي السلف مأخذ يأخذون منه عقائدهم غير المأخذين السلفيين، وأنهم كانوا بغاية الثقة بهما والرغبة عما عداهما. وإلىٰ ذلك دعاهم الشرع حتىٰ لا تكاد تخلو آية من آيات القرآن من الحضِّ علىٰ ذلك. وهذا يقضي قضاء باتًّا بأن عقائدهم هي العقائد التي يُثمرها المأخذان السلفِيَّان، يقطعون بما يفيدان فيه عندهم القطعَ، ويظنُّون ما لا يفيدانِ فيه إلا الظن، ويقفون عما عدا ذلك. وهذا هو الذي تبيِّنه الأخبار المنقولة عنهم، كما تراها في التفاسير السلفية وكتب السنة، وهو الذي نقله أصاغر الصحابة عن أكابرهم، ثم نقله أعلمُ التابعين بالصحابة وأخصُّهم بهم وأتبَعُهم لهم عنهم، ثم نقله صغار التابعين عن كبارهم، وهكذا نقله عن التابعين أعلمُ أتباعِهم بهم وأتبَعُهم لهم، وهلم جرًّا.

(١) «آثار المعلمي» (٥/ ٥-٦).

وهذا هو قول السلفيين في عقيدة السلف، ويوافقهم عليه أكابر النظَّار. صرَّح بذلك من لم ينصِب نفسَه منصبَ المدافع عن الدين والمحامي عن عقائد المسلمين كابن سينا وابن رشد، وأشار إليه مَن نصبَ نفسه ذاك المنصب... وأما مَن دون هؤلاء فمضطربون: فمنهم من يقف، ومنهم من يزعم أن السلف كانوا واقفين في غالب العقائد التي اختلف فيها مَن بعدهم، يُطلقون بألسنتهم ما يوافق ظاهرَ النصوص، غيرَ جازمين بأنه على ظاهره أو على غير ظاهره... »[١].

➢ وأوجز المنهج الصحيح في إثبات صفات الرب ﷻ فقال: «العرب بلسانها وفطرتها تعرف معنى الرحمة، وتصف بها الخالق ﷻ مع علمها بأنه سبحانه ليس من جنس البشر ولا غيرهم من الخلق. وجاء الكتاب والسنة مملوئين بوصف الرب تعالى بالرحمة...

ولم يشتبه معنى ذلك على أحد من العرب، ولا شكَّ فيه أو تأوَّله أحد من الصحابة والتابعين، فثبت أنَّ وصفَ الله ﷻ بالرحمة على ما يفهمه الناس بفِطَرهم حتى لا يجوز أن يرتاب فيه مؤمن بالله وكتبه ورسوله.

ولكن كثيرًا من الناس أبوا ذلك، وقالوا: «الرحمة» لغة: رقَّة القلب، كما فسَّرها بذلك أهل اللغة، وهذا مستحيل في حقِّ الله ﷻ. والمتكلمون يعرِّفونها تعريفًا يُعلم منه أنها مستحيلة في حق الله ﷻ، فلا بد من تأويل الرحمة إذا وُصف بها الرب ﷻ بالإحسان أو إرادته.

---

(١) «آثار المعلمي» (١١/ ٥٢٩-٥٣٣).

فيقال لهم: أما تفسيرها برقة القلب فهو تفسير غير محقَّق، وإنما رقة القلب كناية عن الرحمة. وإنما فسَّرها بذلك المتكلِّفون من أهل اللغة وغيرهم، فإنَّ معنىٰ الرحمة أظهر من أن يحتاج إلىٰ تفسير. ولذلك لم يتعرَّضْ لها الأوائل كابن جرير وغيره. وهذه الألفاظ الواضحة المعنىٰ إذا تكلَّف الإنسان تفسيرَها وقع غالبًا في التخليط؛ علىٰ أننا نعلم أنَّ أهلَ اللغة ولا سيما المتأخرين منهم يتسامحون كثيرًا في تفسير الألفاظ.

ونحن نجد من بقي علىٰ الفطرة من العرب يصفون الرجل بالرحمة مع ذهولهم عن القلب ورِقَّته، ويصفون الربَّ ﷻ بالرحمة ولا يتصورون له قلبًا ولا رقَّةَ قلب.

وأما تفسير المتكلمين إياها، فيُنْظر فيه، فإن كان ظاهر الاختصاص بالمخلوق فهو تفسير لرحمة المخلوق فقط. والمعنىٰ المطلق إذا فُسِّر باعتبار تقيُّده كان التفسير مقيَّدًا. ولا ينافي ذلك ثبوتَ الرحمة لله ﷻ بغير ذاك التفسير المقيَّد. وإن كان تفسيرًا مطابقًا للرحمة المطلقة علىٰ الحقيقة فلا بد أن يكون ثابتًا لله تبارك وتعالى.

وأما تأويلكم إياها بالإحسان أو إرادته، فمردودٌ عليكم. فإننا نعلم أنَّ العرب الذي سمعوا القرآنَ وصحبوا النبيَّ ﷺ كانوا يفهمون من رحمة الله ﷻ معنًىٰ وراء ذلك. فإن قلتم: وما هو؟ قلنا: هو الرحمة.

فإن قلتم: وما هي الرحمة؟ قلنا: إن كنتم تعرفون العربية حقَّ معرفتها، فسؤالُكم تعنُّت؛ وإلا فأخبرونا: أيَّ لسانٍ تتقنونه حتىٰ ننظر من يترجم لكم به!

فإن قلتم: نحن نعرف اللسان المنطقي الذي يفسِّر بالحدِّ المبني علىٰ الجنس والفصل، كقولنا في الإنسان: حيوان ناطق.

قلنا: قولكم هذا رأس مالكم في الحدود، وليس هو عندكم حدًّا صحيحًا،

وقد ملأتم الكتب بالاعتراضات عليه والأجوبة! ومع ذلك فهو بألفاظ عربية، والعربي يفهم المقصود بالإنسان أوضحَ مما يُفهِم قولُكم: «حيوان ناطق». فكذلك الرحمة المطلقة، لو حاولنا أن نحُدَّها بمنطقكم فقد لا يتأتَّىٰ، وإن تأتَّىٰ فقد يحتمل المناقشات. ولو سلِمَ لكان أخفىٰ في الدلالة علىٰ المعنىٰ من لفظ الرحمة!

وأنتم تسمُّون الحدَّ: «القول الشارح»، والشرح إنما يُحتاج إليه فيما ليس بالواضح، وإنما يكون بأوضح من المشروح، ومعنىٰ الرحمة بيِّن بنفسه.

فإن أبيتم وقلتم: قلوبُنا غُلْف عن فهم الرحمة حتىٰ تحدُّوها لنا حدًّا منطقيًّا. قلنا: فدعوها لأهلها، وهم المؤمنون بها! وهذا آخر الكلام معكم هنا. والله المستعان»[١].

➢ وبعد أن ذكر الأقوال في صفة الغضب من الله ﷻ قال: «فأمَّا السلفُ فلم يشتبه عليهم الأمر، لأنَّ معنىٰ الغضب في حدِّ ذاته معنىٰ مكشوف، والعرب تفهمه مطلقًا، ثم تنسبُه وتفهم نسبتَه إلىٰ من اتصف به علىٰ حسب ما يليق به. وقد علموا أنَّ الربَّ ﷻ ليس من جنس خلقه، فلا يفهمون من نسبة الغضب إليه سبحانه أنَّ غضبه كغضب الإنسان من كل وجه، حتىٰ يلزمَه كلُّ ما يلزم غضبَ الإنسان»[٢].

➢ وكشف أسلحة الفلاسفة التي يصطادون بها الناس، فقال: «اعلم أن للمتفلسفة وأتباعهم وأشياعهم أسلحة بها يصولون، وبها اضطروا أكثر الناس إلىٰ تقليدهم، حتىٰ كثيرًا من أكابر العلماء، فلنكشف لك عن حقيقتها بعون الله.

---

(١) «آثار المعلمي» (٧/ ٦٧-٦٩).

(٢) «آثار المعلمي» (٧/ ١٢٩).

السلاح الأول: دعوىٰ أوائلهم تصريحًا وكثيرٍ ممن بعدهم تعريضًا أنهم غير متقيدين بهوىٰ ولا دين وإنما غرضهم الحق من حيث هو.

السلاح الثاني: براعتهم في الطبيعيات والرياضيات، فيتوهم الإنسان أنهم كما فاقوا في ذلك وأدركوا حقائق لا ريب فيها، وأبانوا عن لطف نظر ودقة إدراك، فكذلك ينبغي أن يكونوا في الإلهيات. وإذا تمكن هذا الأمر من نفسه صار يأخذ أقوالهم في الإلهيات قضايا مسلَّمة، كما يفعل مثل ذلك في أقوالهم في الطبيعيات والرياضيات.

السلاح الثالث: استدلالهم في الإلهيات بقضايا طبيعية أو رياضية، وأكثر الناظرين لا يتقن الطبيعيات والرياضيات ولا يتنبّه للمغالطات فيها، فَيضْطَرُّ إلىٰ أخذ قضاياها مسلّمة، أو قل: إلىٰ أن يقلدهم فيها، ويجرّه ذلك إلىٰ أن يقلدهم فيما زعموا من الدلالة.

السلاح الرابع: تهويلهم في شأن المنطق، وأنه لا يوثق بعلم من لا يعرفه ولا يفهمه ولا يعقله.

السلاح الخامس: أنهم يقررون قضايا خاصة كإبطال الدور وإبطال التسلسل وما يسمونه برهان التطبيق وغير ذلك، فمنها ما هو باطل في نفسه ولكنهم يدَّعون أنه برهان قطعي وأنه بديهي ويكثرون من إيراد الشُّبه عليه، فيكثر أن يوافقهم الناظر عليه ثم يحتجون به في مسائل أخرىٰ، ومنها ما هو حق في نفسه في أمر خاصّ يمثلون به عند الاحتجاج علىٰ حقيقة تلك القضية في مواضع غير ما هي حق فيه، فيأخذها الناظر علىٰ أنها برهان قد سبق منه أن أدرك بنظره أنه حق ولا يتنبه للفرق.

السلاح السادس: البراعة في وضع الأسماء، فيختارون للمعاني التي يريدون إثباتها أسماء مقبولة، وللتي يريدون نفيها أسماء منفِّرة، وكذلك يسمون أنفسهم بأسماء مقبولة ومخالفيهم بأسماء مكروهة.

السلاح السابع: تعريفهم بعض الأشياء تعريفات أوسع من مفهوماتها اللغوية أو أضيق، وبذلك تسهل لهم المغالطة في تلك الأسماء.

السلاح الثامن: أنهم يقدمون بيان أغلاط الحسّ والقياس والوهم، ثم يعمدون إلىٰ ما يريدون تقسيمه من الأمور التي يرىٰ الإنسان أنها ضرورية فيدّعون أنها وهمية أي من جملة الأغلاط. وإلىٰ ما يريدون إثباته فيحتجون بالضرورة ولا يتعرضون لاحتمال الغلط، فإذا أُجيبوا بمثل جوابهم فيما نفوه قالوا: هذه سفسطة أو مكابرة.

السلاح التاسع: تدقيق الكلام وتكثير الأقسام وحشد الشبهات...

السلاح العاشر: قد علموا أن أعزّ شيء علىٰ المتدينين دينهم، فيأتونهم من طريقه فيقولون لهم: لو صحّ ما تقولونه لزم أن يكون الخالق محْدَثًا، أو أن يكون معدومًا، أو نحو ذلك من الأوصاف المنافية للدين. هذا من أنفذ أسلحتهم، فإن المتديّن إذا سمع مثل هذا اضطرب ومُلِئ رُعبًا ونفرت نفسه عن ذلك القول. وربما تمتنع من تدقيق النظر خوفًا أن يجرها ذلك إلىٰ الكفر.

السلاح الحادي عشر: زعمهم أن الكلام لا يمكن أن يُعلم منه قطعًا أن المتكلم أراد كذا.

السلاح الثاني عشر: سعيهم في تفخيم شأن متبوعيهم ومن يوافقهم، وتعظيم كتبهم، وإطلاق الألقاب الضخمة عليهم»[1].

---

(١) «يسر العقيدة الإسلامية» «آثار المعلمي» (٥/ ٢٣-٢٤/ ح).

➢ وأوضح سببين لضلال أهل الكلام فقال: «واعْلَم أنَّ سبب ضلال القوم أمور:

الأول: قِلَّة حظِّهم من معرفة الكتاب والسنة.

الثاني: تقديسهم للفلاسفة فوق تقديس الأنبياء بدرجات»(١).

وقال أيضًا: «وعامَّة من خاض في ذلك هم ممَّن لم ينشأ علىٰ العلم، ولا لازم العلماء، ولا تبحَّر في الكتاب والسُّنة، وإنَّما أئمتهم الجعد بن درهم، وجهم بن صفوان، وأشباههم مِمَّن لا تُعرَف له عناية بالعلوم الدِّينية، ولا ملازمة لأئمَّتها»(٢).

➢ وامتدح فعل خالد بن عبد الله القسْري بالجعد بن درهم الزنديق المشهور، فقال: «كان خالد أميرًا مسلمًا، خلط عملًا صالحًا -كإقامة الحدود- وآخَرَ سيئًا، الله أعلم ما يصح عنه منه...

وكان خالد يمانيَّ النسب، وكان له منافسون علىٰ الإمارة من المُضَريين، وأعداءٌ كثيرٌ يحرصون علىٰ إساءة سمعته. وكان القصاصون ولا سيما بعد أن نُكِب خالد يتقربون إلىٰ أعدائه بوضع الحكايات الشنيعة في ثلبه، ولا ندري ما يصح من ذلك؟...

فأما قضية الجعد، فإن أهل العلم والدين شكروا خالدًا عليها ولا يزالون شاكرين له إلىٰ يوم القيامة»(٣).

(١) «آثار المعلمي» (٦/ ٤٣، ٤٥-٤٦).
(٢) «آثار المعلمي» (٦/ ٣٦).
(٣) «آثار المعلمي» (١٠/ ٤١١-٤١٢).

➢ ووصف حال المتبعين المسلِّمين والمعترضين الكارهين فقال -عليه رحمات رب العالمين-: «فليت شعري عند من بقي العلم والدين؟ أعند الجهمية الذين يعزلون الله وكتبه ورسله عن الاعتداد في عَظْم الدين وهو الاعتقاديات، ويتبعون فيها الأهواء والأوهام! يُقال لأحدهم: قال الله ﷻ... وقال رسول الله ﷺ فتلتوي عنقه، ويتقبَّض وجهُه تبرُّمًا وتكرُّهًا. ويقال له: قال ابن سينا... فيستوي قاعدًا، ويسمو رأسه، وينبسط وجهه، وتتسع عيناه، وتصغي أذناه، كأنه يتلقىٰ بشرىٰ عظيمة كان يتوقعها»[1].

➢ وأبان أن خرافات بعض المسلمين صدت عن الإسلام، فقال: «وهذا الأمر هو أعظم البواعث لكثير من عقلاء العصر علىٰ عدم الإسلام؛ لأنهم يتوهمون أن الإسلام هو ما عليه هؤلاء المتصوِّفون وأضرابهم، فإذا تدبَّروا ما هم عليه وجدوا جهالات وخرافات ومحالات ودجلًا ومكرًا لعلَّه يفوق ما عند رهبان النصارىٰ وطواغيت المشركين. بل إنَّ هذا الأمر نفسه قد وَرَّطَ كثيرًا من عقلاء المسلمين في الإلحاد الصريح، وهذا الوباء يتفشَّىٰ بسرعة مخيفة.

وبالجملة، فإنَّك إذا طلبت الإسلام مما يظهر لك منه في هذا العصر وما قرُب منه تمثَّلَتْ لك صورة إذا قارنتها بالإسلام المعروف في عهد النبي ﷺ وأصحابه وما قرُب منهم، لم تكد تجد بينهما مناسبةً مَّا، فمَن أراد الإسلام حقًّا فعليه أن يطلبه من مَعدِنه من كتاب الله وسنَّة رسوله وعمل القرن الأوَّل وما قرب منه، والله الموفق»[2].

---

(١) «آثار المعلمي» (١٠/ ٣٠).

(٢) «آثار المعلمي» (٣/ ٩٤٦).

➢ وأما تثبيت اعتقاد السلف في باب الصحابة حبًّا ودفاعًا، فقد جادت يراع هذا الحبر النحرير بدفاع متين، وثناء رفيع، وكشفٍ داحضٍ لشبهات التحطط والتنقص.

➢ فحينما طعن الأستاذ الكوثري على صاحب رسول الله وخادمه: أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بأنه هَرِمَ، وخف ضبطه للحديث، واستدل لذلك بتحديثه الحجاج بعقوبة العُرنيين، فنهض الإمام للدفاع فقال: «الزعم أن أنسًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هَرِم واختلّ ضبطُه! لا أعرف أحدًا قبل الأستاذ زعم هذا... وكان اجتماع أنس بالحجّاج لما كان الحجاج بالبصرة وذلك سنة (٧٥) قبل وفاة أنس ببضع عشرة سنة، وليس في الحديث ما يصلح أن يكون شبهة للحجَّاج على ظلمه، ولو كان فيه ذلك فلم يكن الحجاج ليحتاج في ظلمه إلى شُبْهة، ومع هذا فلأنس عُذْر، وهو أنه قد كان حدَّث بالحديث قبل ذلك، فلعله لما سأله الحجَّاج خشي أن يكون قد بلغ الحجّاجَ تحديثه به، فإذا كتمه عند سؤاله إياه اتخذ الحجاجُ ذلك ذريعة إلى إيذاء أنس. ثم أقول: إن كان مقصود الأستاذ أنَّ تحديث أنسٍ للحجاج بتلك القصة يدل على اختلال ضبط أنس، فلا يخفى بطلان هذا، وإن كان مقصوده أن ذلك موجب لفسق أنس، فليصرِّحْ به»[1].

➢ وقرر أن الطعن في فهم الصحابة لحجج الوحيين طعن في الدين، فقال: «... فمَن زعم أنَّ عقولهم لم تكن - مع تسديد الشرع لها - كافيةً وافيةً بمعرفة الله تعالى وفهم كتابه، ومعرفة ما لا يتم الإيمان ولا يكمل الدين إلا بمعرفته؛ فإنما طعن في الدين نفسه»[2].

---

(١) «آثار المعلمي» (٩/ ٧٧-٨٣). وانظر: (١٠/ ٢٢٦، ٥٠٩).

(٢) «آثار المعلمي» (١٢/ ٧-٨).

➢ وأبان أن الطعن على أصحاب رسول الله ﷺ دليل الفقر المُدقِع من إجلال رسول الله ﷺ فقال: «ويأتي كلامه [أي: أبو رية] في الصحابة رضي الله عنهم، وهَجْوُه السُّوقيّ لأبي هريرة رضي الله عنه، ومحاولته قلب محاسنه عيوبًا، والاستدلال بالحكايات الكاذبة للغضِّ منه، واختلاق التُّهم الباطلة لتكذيبه؛ وذلك يُنبِئ عن فقرٍ مُدْقع من توقير النبي ﷺ واحترام جانبه، وجحودٍ شديد لبركة صُحبته وملازمته وخدمته»(١).

➢ وذب عن عرض الصحابي الجليل عبد الله بن سلام حينما طعن عليه حاطب الليل أبو رية بأنه بثَّ أخبارًا من التوراة والإنجيل وادعى أنها أحاديث سمعها من رسول الله ﷺ، فقال: «أما عبد الله بن سلام فصحابيّ جليل أسلم مَقْدَمَ النبيّ ﷺ المدينة، وشهد له النبيُّ ﷺ بالجنة كما ثبت في «الصحيحين»... وحدَّث عن النبيّ ﷺ قليلًا جدًّا، وقلَّما ذَكَر عن كتب أهل الكتاب، وما ثبت عنه من ذلك فهو مُصدَّق به حتمًا وإن لم يوجد في كتب أهل الكتاب الآن، إذْ قد ثبت أن كثيرًا مِن كتبهم انقرض. ولا يسيء الظنَّ بعبد الله بن سلام إلا جاهل أو مكذِّب لله ورسوله»(٢).

➢ وكشف عن المكيدة المَهُولة لكيد الإسلام التي يتهوك بها الشاطر أبو رية، فذكر قوله -عامله الله بما يستحق-: «لما قدم كعب [الأحبار] إلى المدينة في عهد عمر وأظهر إسلامه أخذ يعمل في دهاء ومكر لِمَا أسلم من أجله من إفساد الدين وافتراء الكذب على النبيّ ﷺ».

---

(١) «آثار المعلمي» (١٢/ ٢٠).
(٢) «آثار المعلمي» (١٢/ ١٣٢).

ثم انثنىٰ عليه بسِنانه فأصاب مقاتله فقال: «هذه مكيدة مَهُولة يُكَادُ بها الإسلام والسنّة، اخترعها بعض المستشرقين -فيما أرىٰ- ومشت علىٰ بعض الأكابر وتبنَّاها أبو ريَّة وارتكب لترويجها ما ارتكب...وهذا الذي قاله هنا رَجْمٌ بالغيب، وتَظَنٍّ للباطل، وحَطٌّ لقوم فتحوا العالم ودبَّروا الدنيا أحكم تدبير إلىٰ أسفل درجات التغفيل، كأنهم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ لم يعرفوا النبيّ ﷺ ودينه وسنته وهديه، فقبلوا ما يفتريه عليه وعلىٰ دينه إنسان لم يعرفه. وقد ذكر أبو رية في مواضع حالَ الصحابة في توقف بعضهم عما يخبره أخوه الذي يتيقّن صدقه وإيمانه وطول صحبته للنبي ﷺ، فهل تراهم مع هذا يتهالكون علىٰ رجل كان يهوديًا فأسلم بعد النبيّ ﷺ بسنين، فيقبلون منه ما يخبرهم عن النبيّ ﷺمما يُفسد دينه؟

كان الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في غنىٰ تامّ بالنسبة إلىٰ سنة نبيهم، إن احتاج أحدٌ منهم إلىٰ شيء رجع إلىٰ إخوانه الذين صحبوا النبيّ ﷺ وجالسوه، وكان كعب أعقل من أن يأتيهم فيحدّثهم عن نبيهم فيقولوا: مَنْ أخبرك؟ فإن ذَكَرَ صحابيًّا سألوه فيَبِين الواقع، وإن لم يذكر أحدًا كذَّبوه ورفضوه. إنما كان كعب يعرف الكتب القديمة، فكان يحدِّث عنها بآداب وأشياء في الزهد والورع أو بقصص وحكايات تناسب أشياء في القرآن أو السنة، فما وافق الحقَّ قبلوه، وما رواه باطلًا قالوا: مِنْ أكاذيب أهل الكتاب، وما رأوه محتملًا أخذوه علىٰ الاحتمال كما أمرهم نبيهم ﷺ. ذلك كان فنُّ كعب وحديثُه. ولم يرو عنه أحد من الصحابة إلا ما كان من هذا القبيل»[1].

---

(١) «آثار المعلمي» (١٢/ ١٤٥-١٤٦).

➢ ولما تهكم أبو رية بابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهما أنهما تلميذا كعب الأحبار، قال الإمام: «لم يتعلَّما من كعب شيئًا، وإنما سمعا منه شيئًا محتملًا فحكياه، أو سألاه سؤالَ خبيرٍ ناقد لينظرا ما يقول، ولا يضرهما تهكُّم أبي ريَّة، كما لم يضر النبيَّ صلى الله عليه وسلم قول المشركين: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣]»(١).

وقال أيضًا: «لم يتعلّما من كعب شيئًا وإنما سمعا منه شيئًا من الحكايات ظنًّا أو جوَّزا صحتها فنقلاها، والذي يصح عنهما من ذلك شيء يسير. وكأنَّ أبا ريَّة يريد أنهما لمّا سَمِعا من كعب أحبَّا أن يرويا عنه، فخافا أن ينكر الناسُ عليهما، فافتريا - والعياذ بالله - على النبيّ صلى الله عليه وسلم ذاك الحديث يدفعان به إنكار الناس، وساعدهما على ذلك غيرهما من الصحابة كأبي سعيد الخدري. كأنَّ أصحابَ محمد صلى الله عليه وسلم جماعة من اللصوص لا يَزَعهم دين ولا حياء، وكأنَّ صُحبتهم له ومجالستهم، وحفظهم للقرآن والسنن، ومحافظتهم على الطاعة طول عمرهم لم تُفِدْهم في دينهم وأخلاقهم شيئًا بل زادتهم وبالًا، فقد كانوا في جاهليتهم يتحاشَون من الكذب. ولا ريب أنَّ مِثْل هذا لا يقوله مسلم عاقل يعرف محمدًا صلى الله عليه وسلم ويؤمن بالقرآن وما فيه من الثناء البالغ على الصحابة، ويعرفُ الصحابةَ أنفسَهم»(٢).

وقال أيضًا: «الكيد اليهودي المحقَّق كيد جولدزيهر وإخوانه المستشرقين المحاولين تصوير الصحابة في صورة مغفَّلين خرافيين يتلاعب بهم كعب، وأبو ريَّة ممن سقط فريسة لهذا الكيد، ثم عاد فارسًا من فرسانه!»(٣).

---

(١) «آثار المعلمي» (١٢/ ١٦٥).
(٢) «آثار المعلمي» (١٢/ ١٧١-١٧٢، ١٧٧).
(٣) «آثار المعلمي» (١٢/ ١٨٥).

➢ وعقد فصلًا للذب عن عرض راوية الإسلام أبي هريرة رضي الله عنه وصد مطاعن أبي رية التي حشاها بألفاظ السُّوْقة والعبيد، فبدأ بدفع شبهة الاختلاف في اسمه، وقرر أن ذلك لا يضر، وأن أصح ما قيل في اسمه: عبد الله أو عبد الرحمن، ثم أردف بالذب عن نسبه وبين أنه «من قبيلة شريفة كريمة عزيزة»، وقلب على أبي رية تهكمه بخدمة أبي هريرة لبسرة بنت غزوان وهو في طريقه إلى رسول الله ﷺ، فقال: «...وبهذا تبَّين أن في القصة مَنْقَبتَيْنِ له: الأولى: أن إخدامه لنفسه إنما كان ليبلغ إلى النبيّ ﷺ ودار الإسلام. والثانية: أنه مع قلة ذات يده أعتق غلامه، شكرًا لله تعالى على إبلاغه مقصده. وفي القصة عبرة بالغة، فإنه لما أذلَّ نفسَه بخدمة تلك المرأة استعانةً على الهجرة في سبيل الله عوَّضه الله تعالى بأن زوَّجه إياها تخدمه فوق ما خَدَمها».

➢ ثم كشف الستار عن حقيقة أبي رية فقال: «ثم راح يسبّ أبا هريرة رضي الله عنه ويرميه بما هو من أبعد الناس عنه.

وهذا مما يوضِّح أن أبا ريَّة ليس بصدد بحثٍ علمي، إنما صدره محشوٌّ براكين من الغيظ والغِلّ والحقد، يحاول أن يخلق المناسبات للترويح عن نفسه منها، كأنه لا يؤمن بقول الله عز وجل في أصحاب نبيه: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩] ولا يصدّق بدعاء النبيّ ﷺ لأبي هريرة وأُمه: أن يحببهما الله إلى عباده المؤمنين».

➢ وفي خضم المنازلة عن أبي هريرة رضي الله عنه عرَض المعلمي للدفاع عن أهل الصفة[1] فقال: «وقد عرَّفهم أبو هريرة رضي الله عنه التعريفَ الحقَّ فقال كما في

(١) وله كلام مقارب لما هنا انظر في «آثار المعلمي» (١٣/ ١٤٣).

«الصحيحين» وغيرهما «وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون على أهل ولا مال». وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية [البقرة: ٢٧٣]. كان للأنصار حوائط يعملون فيها ويأكلون من غَلَّتها، وكان كثير من المهاجرين يتاجرون. ومن الواضح أنَّ التجارة في المدينة -وهي مَحوطة بالمشركين من كلِّ جانب- لم تكن لتتسع للمهاجرين كلهم، فبقي بعضهم بالصُّفَّة، وكان أهل الصُّفة يقومون بفروض عظيمة، منها: تلقِّي القرآن والسنن، فكانت الصُّفة مدرسة الإسلام، ومنها حراسة النبيّ ﷺ، ومنها الاستعداد لتنفيذ أوامره وحاجاته في طلب من يريد طلبه من المسلمين وغير ذلك. كانوا قائمين بهذه الفروض عن المسلمين، فكانت نفقتهم على سائر المسلمين وإن سُمِّيَت صدقة. وكانوا بجوار النبيّ ﷺ يُؤْثرهم على نفسه وأهل بيته، وقد حدَّث عليّ رضي الله عنه أنه قال لفاطمة عليها السلام يومًا: «والله لقد سنوتُ حتى لقد اشتكيتُ صدري، وقد جاء الله أباك بسبي، فاذهبي فاستخدميه، فقالت: وأنا والله لقد طحنت حتى مجلت يداي... » الحديث، وفيه أنهما أتيا النبيَّ ﷺ فذكرا له ذلك فقال: «والله لا أعطيكما وأَدعُ أهلَ الصُّفَّة تَطوى بطونُهم لا أجد ما أنفق عليهم...»...

وكان أبو هريرة من بين أهل الصُّفَّة يخدم النبيّ ﷺ ويدور معه، فلم يكن ليجوع إلا والنبي ﷺ وأهل بيته جياع، فهل في ذلك الجوع من عيب؟».

➢ ثم أكبرَ تواضعَ أبي هريرة فقال: «...فأبو هريرة لم يتكلم عن إسلامه ولا هجرته ولا صحبته المشتركة بينه وبين غيره من الصحابة، وإنما تكلَّم عن مزيّته وهي لزومه للنبيّ ﷺ دونهم، ولم يعلِّل هذه المزيّة بزيادة محبته

أو زيادة رغبته في الخير أو العلم أو نحو ذلك مما يجعل له فضيلة على إخوانه، وإنما علَّلها على أسلوبه في التواضع بقوله: «على ملء بطني» فإنه جعل المزية لهم عليه بأنهم أقوياء يسعون في معاشهم وهو مسكين. **وهذا والله أدب بالغ تخضع له الأعناق**، ولكنّ أبا ريَّة يهتبل تواضع أبي هريرة ويبدل الكلمة ويحرف المعنى، ويركّب العنوانَ على تحريفه، ويحاول صرف الناظر عن التحرِّي والتثبُّت...ويبني على صنيعه تلك الدعوى الفاجرة»[1].

➢ ومضى في خندق الدفاع حتى وصل إلى مُسْلِمة الفتح فجاء بالفتح، قال: «وأما مُسْلِمة الفتح، فإن الناس يغلطون فيهم يقولون: كيف يعقل أن ينقلبوا كلهم مؤمنين بين عشيَّة وضحاها، مع أنهم إنَّما أسلموا حين قُهروا وغُلبوا، ورأوا أنَّ بقاءهم على الشرك يضرّ بدنياهم، والصواب أن الإسلام لم يزل يعمل في النفوس منذ نشأته. ويَدُلُّك على قوة تأثيره أمور:

الثالث -وهو أوضحها-: إسلام جماعة من أبناء كبار رؤسائهم ومفارقتهم آباءهم قديمًا، فمنهم عَمرو وخالد ابنا أبي أُحَيحة سعيد بن العاص، والوليد بن الوليد بن المغيرة، وأبو حذيفة بن عُتبة بن ربيعة، وهشام بن العاص بن وائل، وعبد الله وأبو جندل ابنا سُهَيل بن عَمرو وغيرهم. وآباء هؤلاء هم أكابر رؤساء قريش وأعزّهم وأغناهم، فارقهم أبناؤهم وأسلموا. فتدبَّر هذا، فقد جرت عادةُ الكُتَّاب إذا ذكروا السابقين إلى الإسلام ذكروا الضعفاء، فيتوهَّم القارئ أنهم أسلموا لضعفهم وسخطهم على الأقوياء وحبهم للانتقام منهم على الأقل؛ لأنه لم يكن لهم من الرياسة والعزِّ والغنى ما يصدّهم عن قبول الحق وتحمُّل المشاق في سبيله.

---

(١) «آثار المعلمي» (١٢/ ١٩٤-٢٠٤، ٢٣١، ٢٦٧، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٨٢، ٢٨٣).

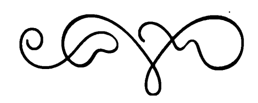
والحقيقةُ أعظم من ذلك كما رأيت، إلا أن الرؤساء عاندوا واستكبروا، وتابعهم أكثر قومهم مع شدَّة تأثرهم بالإسلام، فكان في الشُبَّان مَنْ كان قَوِيَّ العزيمة، فأسلموا وضَحَّوا برياستهم وعِزِّهم وغناهم، متقبِّلين ما يستقبلهم من مصاعب ومتاعب، وبقي الإسلام يعمل عمله في نفوس الباقين، فلم يزل الإسلام يفشو فيهم حتىٰ بعد هجرة المصطفىٰ ﷺ ثم لما كان صُلح الحديبية وتمكَّنَ المسلمون بعده من الاختلاط بالمشركين، ودعوة كلِّ واحد قريبه وصديقه فشا الإسلام بسرعة، وأسلم في هذه المُدَّة من الرؤساء: خالد بن الوليد، وعَمرو بن العاص، وعثمان بن طلحة وغيرهم، والإسلام يعمل عملَه في نفوس الباقين.

ونستطيع أن نجزم أن الإسلام كان قد طرد الشرك وخرافاته من نفوس عقلاء قريش كلهم قبل فتح (مكة)، ولم يبق إلا العناد المحض يَلْفِظُ آخر أنفاسه، فلما فُتِحَت (مكة) مات العناد ودخلوا في الإسلام الذي قد كان تربَّع في نفوسهم من قبل. نعم بقي أثر في صدور بعض الرؤساء، فبسط لهم النبيُّ ﷺ التأليف يوم فتح (مكة) وبعده، وآثرهم بغنائم حُنين، ولم يزل يتحرَّاهم بحسن المعاملة حتىٰ اقتلع البقيَّة الباقيةَ من أثر العناد.

ثم كان من معارضة الأنصار بعد النبيِّ ﷺ لقريش في الخلافة واستقرار الخلافة لقريش غير خاصةٍ ببيتٍ من بيوتها، وخضوع العرب لها ثم العجم ما أكّد حبَّ الإسلام في صَدْر كلّ قرشي. وكيف لا وقد جَمَع لهم إلىٰ كلِّ شبرٍ كانوا يعتزّون به من بطحاء (مكة) آلاف الأميال، وجعلهم ملوك الدنيا والآخرة.

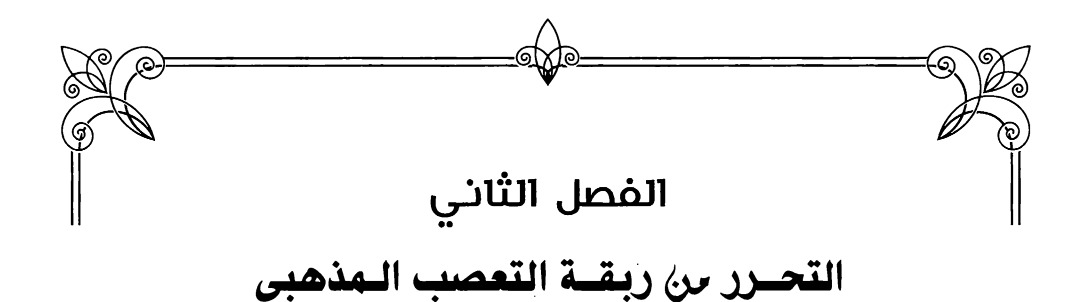
ومما يوضِّح لك ذلك: أن الذين عاندوا إلىٰ يوم الفتح كانوا بعد ذلك من أجدِّ الناس في الجهاد، كسُهَيل بن عَمرو، وعكرمة بن أبي جهل، وعمه الحارث، ويزيد بن أبي سفيان»[١].

وحين ذكر توثيق بعض المحدثين، لإسحاق بن سويد، إلا أنه كان لا يحب عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «ومن لم يحب الصحابة فليس بثقة ولا كرامة»[٢].



(١) «آثار المعلمي» (١٢/ ٣٦٧-٣٦٩).

(٢) «آثار المعلمي» (١٤/ ٦).



الفصل الثاني

التحرر من ربقة التعصب المذهبي

➢ المذهب المشهور في بلاد (عُتُمة)، ومنها محلة (الطفن)، موطن عشيرة المعلمي هو المذهب الشافعي؛ لأن مدرسة التلقي بالرحلة هي مدينة (زبيد).

وهذا ما أخبر به المعلمي عن نفسه، في أكثر من موضع من مؤلفاته المجموعة في «آثاره».

ومن ذلك قوله: «...كالشافعي-إمام مذهبي-...»[1].

وقال: «أولا يسمح لي الأستاذ -وأنا شافعي-...»[2].

ويُعبِّر عن مذهبه الشافعي بقوله: «أصحابنا الشافعية»[3].

هكذا كان الإمام المعلمي يتظاهر بمذهبه الشافعي؛ لأنه مذهب عشيرته، فمدرسة التلقي لهم هي مدينة (زبيد)، وهكذا درج المعلمي في بدء الطلب، فلما ترقىٰ في معارج العلم أخذ يدور مع الدليل، مع الإجلال وبغير الإخلال.

➢ فقد كشف عن ذلك في رسالته إلىٰ والده-وهو من فقهاء الشافعية-، فقال: «وقد نشأتْ فيهم [أي: مسلمي الهند] فرقة يقال لهم: أهل الحديث، لا يتقيدون بمذهب، بل يختارون من كل مذهب ما ظهر لهم أن دليله من

(١) «آثار المعلمي» (٩/ ٢٠٥).

(٢) «آثار المعلمي» (٩/ ٢١١).

(٣) «آثار المعلمي» (٤/ ٨١ و١٦/ ٢٦٠، ٢٦١، ٢٩٩، ٤٣٢، و١٧/ ٦٩٠، و١٨/ ٢٨، ١٤١).

الكتاب والسنة أقوى. ولهم شغف عظيم بكتب الشوكاني، وابن الأمير، وابن الوزير، **وولدكم يُحب هذه الفِرْقة**، إلا أن الغالب عليهم الجهل، فأما أصل الطريق التي اختاروها فهي الحق، وليس فيها دعوى اجتهاد، وإنما هو تقليد عن بصيرة، وهي التي أوصى بها الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «إذا صح الحديث فهو مذهبي»، وغير ذلك مما نُقل عنه، ونُقل مثله عن جميع الأئمة»(١).

➤ واعتذر لأئمة مذهبه في مسمى الوتر، إذ هو عندهم: صلاةُ الليل التي غايتها ثلاث عشرة، سواءٌ صُلِّيَتْ وصلًا أو فصلًا، ورجح أن المراد بالوتر: ما كان وترًا بتسليمةٍ واحدةٍ، سواءً أكان واحدةً أو ثلاثًا أو خمسًا... إلخ. قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا هو الحق عندي، وعامة الأحاديث والآثار تدلُّ عليه إلا ما ندر»، ثم سرد براهين ما رجحه فقال: «وهذا ما اقتضاه قولُ الحق الذي أوجبه الله على كلِّ مسلمٍ على مبلغ علمه ومقدارِ فهمه. وليس فيما قلناه غضاضةٌ على أئمة مذهبنا، فإنهم حَفَظَةُ الدين وأئمة اليقين، وهم جبالُ العلم وبِحارُه، وشُموسُ الحقِّ وأقمارُه، وإنما معنا آثارُ فوائِدهم وأسْقاطُ موائِدهم. وحسبنا الله ونعم الوكيل»(٢).

➤ ونبه إلى أن أكثر المسائل المذكورة في كتب الفروع ليست من قول إمام المذهب، فقال: «أكثر المسائل المدوَّنة في كتب الفروع ليست من نصِّ الإمام، ولا مستنبطة من نصِّه، بل كل متأخر يستنبط مِن كلام مَن قَبْله، ففي مذهب الشافعي مثلًا تجد «دحلان» يستنبط من كلام «الباجوري»، و«الباجوري»

---

(١) كلام مقتبس من الرسالة الآتية في الفصل الأول من الباب السادس.

(٢) «آثار المعلمي» (١٦/ ٢٦٠-٢٦١، ٢٧٦، ٣١١-٣١٢).

يستنبط من كلام «البجيرمي»، و«البجيرمي» يستنبط من كلام «الشبراملسي»، و«الشبراملسي» من كلام «ابن حجر»، و«ابن حجر» من كلام «الزركشي»، و«الزركشي» من كلام «النَّووي» وهكذا. ولعلَّك لا تصل إلىٰ الإمام إلَّا بعشر درجات وأكثر»[١].

➢ وزيَّف الربط بين مذهب الإمام الشافعي والأشعري فقال: «ولما ظهر كلام الأشعريِّ في العقائد مال إليه بعضُ فقهائهم وأنكره بعضهم، ثم غلب عليهم فصار عامَّةُ الشافعيَّة أشاعرةً، وصار عند المتأخِّرين كأنه جزءٌ من المذهب، حتىٰ إنه كان يُستغرب في القرن الخامس والسادس فضلًا عما بعدهما أن يُقال: إن فلانًا فقيهٌ شافعيٌّ ولكنه ليس بأشعريٍّ، ويرىٰ طلبة العلم والعامَّة أن هذا قريبٌ من المُحال لتوهُّمِهم أن رأيَ الأشعريِّ قطعةٌ من مذهب الشافعيِّ، فكيف يكون الرجلُ شافعيًّا وليس بأشعريٍّ؟!

وكانت تظهر المقالة والرأي فيتكلَّم فيها بعض فقهاء المذهب غير مستندٍ إلىٰ المذهب بل متأثِّرًا بآثارٍ خارجيَّةٍ، وقد يحاول هو إلصاقها بالمذهب أو يحاول مَنْ بعده ذلك فلا تلبث أن تَلْصَقَ بالمذهب ثم تصبح أصلًا يُقاس عليه. وربما ظهرت البدعة فقصَّرت طبقةٌ في إنكارها، فشارك فيها بعضُ الطبقة التي تليها فَضَمَّتْها الثالثة إلىٰ المذهب ثم تصبح أصلًا يقاس عليه»[٢].

➢ ومن أمثلة هذا الفصل ما ساقه في ترجمة الخطيب البغدادي الشافعي، قال: «وحكىٰ ابن السُّبْكي عن الكتاني أنه قال: «وكان -الخطيب- يذهب إلىٰ مذهب أبي الحسن الأشعري»، ثم حكىٰ عن شيخه الذهبي أنه حكىٰ ذلك ثم

---

(١) «آثار المعلمي» (٦/ ١١٧).

(٢) آثار المعلمي (٢/ ١٩٧)، وانظر (١٠/ ٢٢٠) مهم.

قال: «مذهب الخطيب في الصفات أنها تُمر كما جاءت صرّح بذلك في تصانيفه»، ثم قال ابن السبكي: «قلت: وهذا مذهب الأشعري فقد أُتي الذهبي من عدم معرفته بمذهب الشيخ أبي الحسن كما أُتي أقوام آخرون، وللأشعري قول آخر بالتأويل».

أقول: لم يزد الذهبي على التنبيه على الصواب؛ لأن المشهور من مذهب الأشعري هو التأويل، فخشي الذهبي أن يتبادر إلى ذهن السامع أن الخطيب كان يؤوّل، وابن السبكي شديد العقوق لأستاذه الذهبي. وقد نقل الذهبي في «التذكرة» من نصوص الخطيب ما هو صريح في أن مذهبه في العقائد هو مذهب السلف»[1].

➢ وحَزِنَ على استسلام الحافظ البيهقي الشافعي لتهاويل ابن فورك فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإني والله ما آسى على ابن فورك، وإنما آسى على مسحوره البيهقي الذي امتلأ من تهويلات ابن فورك وغيره رعبًا، فاستسلم لهم، وانقاد وراءهم. وكان عبد الرزاق بن همام الصنعاني قد أخذ عن جعفر بن سليمان الضُّبَعي طرفًا من التشيع، فشنَّعوا عليه بذلك، حتى قال محمَّد بن أبي بكر المُقدَّمي: فقدتُ عبد الرزاق، ما أفسد جعفرُ بن سليمان غيرَه! وليت شعري لو كان ابن فورك والبيهقي أدركا المُقدَّمي ما عسى كان يقول فيهما!»[2].

➢ وتعجَّبَ من تناقض المتعصبين للمذاهب، فقال: «والعجب من هؤلاء القوم أنهم إذا نوقشوا في بعض المسائل المختلف فيها بين المذاهب وأقيمت عليهم الحجة بآية من كتاب الله أو حديث صحيح كان آخر قولهم: إنه ليس لنا

(١) «آثار المعلمي» (١٠/ ٢١٨ و٢٥/ ٢٨٩-٢٩٠).

(٢) «آثار المعلمي» (١١/ ٥٣١)، وانظر: (١٠/ ٤٠٤).

أن نخالف مذهبنا لذلك؛ لأنا قاصرون عن معرفة الدليل، ولعل إمامنا فَهِمَ غَيرَ مَا فَهِمَ غيرُه من الأئمة أو كان عنده دليل يعارض ذلك. وإذا نوقشوا في بدعة لم يقل بها إمامهم ولا غيره من السلف فتحوا باب الاجتهاد علىٰ مصراعيه فأخذوا يحرِّفون الآيات والأحاديث الصحيحة والآثار الثابتة ويتبعون الأحاديث والآثار الواهية والمكذوبة، وعند التحقيق لا عجب أن هؤلاء القوم إنما يتبعون هواهم. والله المستعان»(١).

➢ ونعىٰ المقلدين إعراضهم عن الحجج الشرعية، التي دعا إلىٰ الأخذ بها أئمتهم فقال: «فكم من مسألةٍ ورد فيها حكمٌ عن الإمام، وصحَّ الدليلُ بخلافها، وعمل به غيرُه من الأئمة، فأعرض أصحابه عن الدليل وعملوا بكلامه، مع أنه كان لهم العملُ بالدليل وعدُّه من مذهب الإمام، لِمَا تواتَر عن الأئمة من قولِ كلٍّ منهم: «إذا صحَّ الحديث فهو مذهبي»...

وكم من مسألةٍ لم يَرِدْ فيها عن الإمام نصٌّ، وحكمها في كتاب الله تعالىٰ أو سنة رسوله واضح، وعمل به غيرُه من الأئمة لم يلتفت الأتباع إلىٰ الدليل الشرعي بل استنبطوا حكمًا من كلام الإمام، ولم يعبأوا بموافقة الدليل الشرعي ومن عَمِل به أو مخالفته.

وكم من مسألةٍ لم يَرِد فيها عن الإمام ولا عن أصحابه شيء، ودليلُها في كتاب الله أو سنة رسوله، وأخذ به غيرُه من الأئمة، فجاء متأخرو أتباعه فأعرضوا عن الدليل الشرعي ومَن عمل به، ونظروا في كلام مَن تقدَّمَهم مِن أتباع ذلك المذهب، فاستنبطوا منه حكمًا ما، غير ملتفتين إلىٰ موافقة الدليل الشرعي أو مخالفته.

---

(١) «آثار المعلمي» (٣/ ٩٠٣).

وهكذا اتخذوا القرآن مهجورًا، واستبدلوا الذي هو أدنىٰ بالذي هو خير، والتمسوا الهدىٰ في غير كتاب الله تعالىٰ. وليتَهم إذْ فعلوا ذلك تركوا الدليل المخالف لهم من الكتاب والسنة ظِهْريًّا، وجعلوه نسْيًّا منسيًّا، لكنهم يعودون عليه بالتأويل والتحويل، والتحريف والتبديل، وصَرْفِه عن ظاهره بالوجوه البعيدة حتىٰ يردُّوه عَسْفًا إلىٰ موافقة ما التزموه من الأقوال التي تخالفه، حتىٰ لقد تجيء عن الإمام أو أحدِ أتباعه عبارةٌ ظاهرها الدلالةُ علىٰ حكم، ثم نجد في كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله عبارةٌ ظاهرها الدلالةُ علىٰ خلاف ذلك، فيقدِّمون ما ظهر لهم من عبارة الإمام أو أحد أصحابه علىٰ ما يظهر من عبارة الكتاب أو السنة، وإن كانت دلالة الآية أو الحديث أظهر وأرجح من دلالة عبارتهم. بل لو اتفق ورود نصٍّ قرآني لا يقبل التأويل أصلًا أو نصّ من السنة المتواترة كذلك ما رفعوا له رأسًا. وبعضهم يجيب عن ذلك بقوةٍ: هذا منسوخ، فإن طُولِب بالناسخ قال: لا أعلمه، ولكن قول إمامي بخلافه يدلُّ علىٰ اطّلاعه علىٰ ناسخه، حتىٰ لو لم يكن قول إمامه نصًّا في ذلك، بل مما استنبطه بعض أصحابه.

فكأيِّنْ من دليلٍ من كتاب الله تعالىٰ أو من سنة رسوله ﷺ أجلب عليه مقلِّد بخيله ورَجله، وعدا عليه بنَابِه وظُفُرِه، فغادرَه يتشحَّطُ في الدم، ووَدَعَه قائلًا:

فخرَّ صريعًا لليدين وللفم
لدىٰ حيث ألقتْ رحلَها أمُّ قَشْعم

أتدري أيها الشيخ أيَّ دمٍ أرَقْتَ؟ وأيَّ أديم مزَّقْتَ؟ أتحسبُ فريستَك هي ذلك الدليل المخالف لهواك؟ كلَّا فإنه حجة من حُجج الله تعالىٰ علىٰ خلقه، وحجج الله تعالىٰ معصومة: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧].

إنما مُثِّلَ لك دينُك وإيمانُك، فعليهما كان عدوانك! ومن دَمِهما ارتوىٰ سيفُك وسِنانُك! وبمَصْرعِهما اشتفَىٰ هواك وشيطانُك! وقد كنتَ في غِنًىٰ عن هذا، فإنك تقول: إنك مقيَّدٌ بمذهبك، لا يلزمك الخروج عنه ولو ثبتَ الدليل، ولا يلزمُك إقامةُ دليلٍ علىٰ صحة مذهبك ولا دَفْعُ دليلٍ يخالفه، وتقول: إن فَهْمَ الأدلةِ كما ينبغي خاصٌّ بالمجتهد. فما حملَكَ بعد ذلك أن تسعَىٰ لتكلُّف الاحتمالات البعيدة لمناصرة مذهبك، وتعدو علىٰ الأدلة المخالفة له فتؤوِّلها وتحوِّلها وتحرِّفها عن مواضعها؟ فهل هذا إلّا التناقض المحض والتعصب البحت؟ وهل هذا إلّا غِلٌّ في قلبك علىٰ كل ما خالف مذهبك وغلوٌّ في التعصب له؟ عكس ما ورد في الحديث الصحيح: «لا يؤمن أحدكم حتىٰ يكون هواه تبعًا لما جئتُ به»[1].

➢ ولَامَ أهلَ المذاهب علىٰ تكثيرِ سوادهم ببعض المجتهدين، فقال: «العلماء الذين جاءوا بعد الأئمة الأربعة... فيهم الكثير الطيب أئمة مجتهدون، حتىٰ من الذين يظنُّ الناس أنهم مقلِّدون، حتىٰ لقد عَدَّ أهلُ كلِّ مذهبٍ كثيرًا من المجتهدين في عِدادِ المقلِّدين لإمامهم، تكثيرًا للسواد، حتىٰ تنازعت المذاهب الأربعة إمامَ السنة محمد بن إسماعيل البخاري، فعدَّه أهلُ كلِّ مذهب في المقلِّدين لإمامهم، ولا يخفىٰ علىٰ أحدٍ أنه كان مجتهدًا مستقلًّا، فكم في «صحيحه» من ردٍّ علىٰ كلِّ مذهب منها. ومن طالع مصنَّفات أولئك العلماء عرفَ الحقيقة»[2].

---

(١) «آثار المعلمي» (٤/ ٨٨-٩٠)، قاله في كتابه النفيس «تحقيق الكلام في المسائل الثلاث». أَلَّفه مبكرًا!

(٢) «آثار المعلمي» (٤/ ١٢٥).

➢ وبين رَحِمَهُ اللَّهُ سبب عزوف طلبة العلم عن الاجتهاد وميلهم إلىٰ التقليد فقال: «ولمّا تكافأت هذه الأربعة المذاهب اصطلح فقهاؤها علىٰ أن يعترف كلٌّ منهم للآخر، ويتعصبوا علىٰ مَن خرج عنهم. فصار الاجتهاد مطرودًا متعصَّبًا عليه، ومن تظاهر به قيل: هذا مبتدع خارج عن المذاهب الأربعة، فاجتمعوا علىٰ أذيته، ولم يجد من يردُّ عنه، لأن أمور الدولة بأيديهم. ثم يجيء طالب العلم، فيرىٰ هوانَ الاجتهاد وما وقع فيه صاحبه من المشقة والعناء، فتنصرف همتُه عن سلوك تلك الطريق، لما يرىٰ أن نتيجتها في الدنيا العناء والتعب، بخلاف طريق التقليد، فإنه يرىٰ نتيجتها في الدنيا القضاء والإفتاء، والمناصب العالية، والرتب السامية، والأموال الواسعة، والمواكب التابعة، إلىٰ غير ذلك.

ثم طرأتْ بعد ذلك تلك القولة، أي: انقطاع الاجتهاد، وشاعت في الناس، فكانت ضِغثًا علىٰ إبَّالةٍ، إذِ انتشر بين الناس أن الاجتهاد ممتنع، فانقطعت رغبات الناس فيه ضرورةَ أن الهمم لا تتعلق إلا بما في نيله مطمع»[1].

➢ وبين رَحِمَهُ اللَّهُ وجوب كفاية الأغنياء لنفر من طلبة العلم، ليتفرغوا لطلب علوم الاجتهاد، فقال: «وكونُ طلب رتبة الاجتهاد فرضَ كفاية مما لا يُخالف فيه مسلم، وما من بلدٍ إلا وفيه كثير من طلبة العلم، فإذا قام أغنياؤه بكفاية نفرٍ من الطلبة وكفاية عائلاتهم وساعدوهم علىٰ الرحلة إلىٰ العلماء لطلب العلم، لكانوا قد أدَّوا ما يجب عليهم في هذا. بل لو فُرِض أنه ليس علىٰ وجه الأرض

---

(١) «آثار المعلمي» (٤/ ١٤٤، و١٠/ ٣٦).
«ضِغْثٌ عَلَىٰ إبَّالة: الإبَّالة: الحُزْمَة من الحَطَب، والضِّغْث: قَبْضَة من حشيش مختلطة الرطب باليابس... ومعنىٰ المثل بَلِيَّةٌ علىٰ أخرىٰ». «مجمع الأمثال» (١/ ٤١٩).

مجتهد لما منع ذلك من وجوب طلب رتبة الاجتهاد، وذلك أن العلوم مدوَّنة، والأدلة الشرعية محفوظة مبيَّنة موضَّحة ميسَّرة، وما من علمٍ إلا وثَمَّ رجالٌ كثير يُتْقِنونه، غايةُ الأمر أنه يَقلُّ الجامعون للعلوم، وهذا ليس مانعًا، فالطالب يأخذ من هذا علم النحو، ومن هذا علم التصريف، ومن هذا علم البيان، ومن هذا علم أصول الفقه وهلمَّ جرًّا، وإذا هو قد جمع علوم الاجتهاد.

وبما أن هذا غير ممتنع قطعًا على كل تقدير، فإن ما ذكرناه من أنه يجب على أهل كل بلدٍ ترشيحُ نفرٍ من طلبة العلم لطلب علوم الاجتهاد أمرٌ لا ينبغي أن يخالف فيه أحدٌ»(١).

➢ وحذر المقلد الأعمى من وقفة السؤال بين يدي الله فقال: «وكيف بكَ يا ابنَ آدم إذا قال الله تعالى لك: ألم تعلم أن من شرط الإيمان أن تؤمن بكتابي وبرسولي؟

قلتَ: بلى يا رب.

قال: أوَ لم تعلم أن كتابي وسنة رسولي كانت موجودة في حياتك؟

قلت: بلى يا رب.

قال: أوَ لم يكن يمكنك أن تفهم معانيهما؟

قلت: بلى يا ربّ.

قال: فلماذا أعرضتَ عنهما واتبعتَ ما يقول الناس؟

---

(١) «آثار المعلمي» (٤/ ١٤٥).

ثم يقول لك: ألم تعلم أني أنزلتُ كتابي مخاطبًا به جميع بني آدم قائلاً: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ٢١].

فيقول: بلىٰ يا ربّ.

فيقول: أوَ لستَ من الناس المخاطَبين.

فتقول: بلىٰ يا ربّ.

فيقول لك: أوَ لم تقرأ فيه أنه: ﴿عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

فتقول: بلىٰ يا ربّ.

فيقول لك: أوَ لم تقرأ هذه الآية؟

فتقول: بلىٰ يا رب.

فيقول: أوَ لم تفهم معناها بالأسلوب العربي؟

فتقول: بلىٰ يا رب.

فيقول: وكيف اعتقدتَ ما يناقضها؟

فلا يسعك إلا السكوت، إذ لا يمكنك أن تقول: عملتُ بقول آبائي وأشياخي، فتعترف علىٰ نفسك أنك قدمتَ قولَ آبائك وأشياخك علىٰ كلام ربك ﷻ!»(١).

➢ وبين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن العالم مبلغٌ لا مُشرِّع فقال: «كلّ راسخ في العلم والدين مُبلِّغ لأحكام الشرع فإنه إمام، إلا أنه كالمبلِّغ لتكبيرات إمام الصلاة، وإن بان وقوعُه في مخالفةٍ للإمام اتبعنا الإمامَ دونَه»(٢).

---

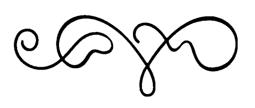
(١) «آثار المعلمي» (٤/ ٤٣١-٤٣٢).

(٢) «آثار المعلمي» (١٢/ ٤١٥).

➢ وشهد للديار اليمنية والديار الهندية ببقاء العناية بالسنة المطهرة فقال: «فأما القرون المتأخرة فصار هذا العلم نسيًا منسيًّا؛ لأن كلَّ فرقةٍ قَنِعت بما عندها في كتب مذهبها، وأقرت مخالفيها علىٰ ما عندهم في كتب مذهبهم. وضَعُف العلمُ جملةً، بل هُجِرت كتب السنة نفسها، فكم من كتاب من كتبها لا يوجد في مكاتب العالم منه إلا نسخة أو نسختان، ومنها ما فُقِد البتة، إلا أنّ الاعتناء بالسنة في الجملة بقيت منه بَقيّة في اليمن والهند، ثم في هذا القرن بدأ الناس يتراجعون إلىٰ الاعتبار بالسنة شيئًا فشيئًا. ولله الحمد»[1].

➢ ومع تحذيره من التعصب والجمود والتقليد المطلق، فقد حذر من تتبع الرخص فقال: «فأما تقليد الأئمة فمهما قيل فيه فلا ريب أنه خير بكثير من تتبُّع الرخص»[2].

فبان بما سبق أن الإمام المعلمي في أول الطلب، تفقه علىٰ المذهب الشافعي، ثم نزع مبكرًا إلىٰ الاجتهاد، والتعويل علىٰ الدليل، وهجر قال وقيل، مع الإجلال وبغير الإخلال، فلم يجف له ريق، ولا استبهم عليه طريق، بل حالفه التوفيق، والله الموفق والمستعان[3].



(١) «آثار المعلمي» (١٥/ ٨٨).
(٢) «آثار المعلمي» (١٢/ ٣٥).
(٣) وانظر: «آثار المعلمي» (٤/ ٦٧، ٧٩، ٨٨، ١٣٥، ١٥٣، ٤٣١، و١٠/ ٢٧٠، و١٢/ ٦٨).



الفصل الثالث

التواضع وهضم النفس

➢ قال الأديب محمود الطناحي: «وكان الشيخ كما وُصف لنا متواضعًا رقيق الحال؛ حدثني الأستاذ فؤاد السيد – أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «كنت في أثناء الحج، أتردد علىٰ مكتبة الحرم المكي، لرؤية المخطوطات، وزيارة مدير المكتبة الشيخ سليمان الصنيع، وكان بين الحين والآخر يأتي إلينا رجل رقيق الحال، يسقينا ماء زمزم، وبعد يومين طلبت من الشيخ الصنيع رؤية الشيخ عبد الرحمن المعلمي فقال: ألم تره بعد؟! أليس يسقيك كل يوم من ماء زمزم؟!. يقول الأستاذ فؤاد: فتعجبت من تواضعه، ورقة حاله، مع ما أعرفه من علمه الواسع الغزير»[١].

➢ وذُكر أن الشيخ أحمد شاكر رغب في سنة من السنوات رؤية المعلمي، فدخل مكتبة الحرم واتجه صوب مدير المكتبة الشيخ سليمان الصنيع رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأثناء محادثته للشيخ سليمان الصنيع جاء المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالماء والشاي، ووضعهما أمام الشيخ أحمد شاكر، والشيخ سليمان الصنيع، وانصرف المعلمي للقراءة، ثم قال الشيخ أحمد شاكر باللغة المصرية: «عاوز أشوف الشيخ المعلمي»، فقال له الشيخ سليمان الصنيع: الذي أحضر لك الشاي والماء هو المعلمي، وما هي إلا دقائق حتىٰ أخذ الشيخ أحمد شاكر في البكاء[٢].

---

(١) «مدخل إلىٰ تاريخ نشر التراث العربي» (٢٠٥).

(٢) ذكرها الزيادي في مقدمة «عمارة القبور» (٨)، بغير إسناد، فالله أعلم.

قلت: في ذكر تقديم المعلمي القهوة للشيخ شاكر أو لغيره نظر من أوجه:

- **الأول**: أن الإمام المعلمي كان أمينًا في مكتبة الحرم المكي، وليس قهوجيًا!
- **الثاني**: أن زُوَّار الإمام المعلمي كثير، كالقاضي الرئيس عبد الرحمن بن يحيى الإرياني، والمؤرخ العلامة محمد بن محمد زبارة الصنعاني، والعلامة عبد العزيز بن باز، والعلامة محمد بهجة الأثري، فقد كان هذا الحبر محط رحال قاصدي البيت الحرام من عاكفٍ وبادٍ، ولم يذكر أحدٌ منهم قهوة ولا ماء!
- **الثالث**: أن الأَوْلىٰ بأهل العلم أنهم إنما زاروه لعلمه وفضله، لا لقهوته ومائه!
- **الرابع**: أن المعلمي في تلك الفترة كان عازبًا، فقد اتخذ له غرفة خاصة بمكتبة الحرم المكي الشريف، فمن لأباريق القهوة؟!

➢ وتواضع هذا الحبر كان في الأقوال والأفعال، في الجانب العلمي والجانب الأخلاقي مع الناس فمن الأول أنه لما جمع شروط الاجتهاد والتفرد بالاستدلال أتبعها بقوله: «ولعل قائلًا يقول: وهل كاتب هذه الرسالة جامع للأمور المتقدمة؟ فأقول: لستُ هنالك ولا قريبًا من ذلك[1].

ولكــنَّ الــبلاد إذا اقْشَــعَرَّتْ وصَــوَّحَ نَبْتُهــا رُعِــيَ الهَشِــيمُ

➢ واختتم كتابه النفيس في «عقيدة العرب في وثنيتهم» بقوله: «هذا ما تيسَّر لي تعليقه في هذه الكلمة، وعسىٰ أن يكون فيه ما يحسُن موقعه عند أهل العلم، ويبعثهم علىٰ استقصاء النَّظر في هذا الموضوع وما يتَّصل به»[2].

---

(١) «آثار المعلمي» (٦/ ١٧٨).
والبيت المستشهد به يُضرب في موطن غياب الفحول وتصدر ابن اللبون!

(٢) «آثار المعلمي» (٢/ ٣١٥-٣١٨).

➢ بل قد يسمي فتح الله عليه هواجس، اسمع إليه وهو يعلل نهيه ﷺ عن استقبال القبلة ببول أو غائط فقال: «ويَهجِسُ في نفسي أن النبي ﷺ لما كان يستقبل أولاً بيت المقدس، ثم حُوِّل إلى الكعبة، وغاظ اليهودَ تركُه قبلتَهم إلى غيرها غيظًا شديدًا كما هو معروف، كان ذلك مظنةَ أن يَحمِلَ بعضَهم الغيظُ على أن يتحرى استقبال الكعبة بالبول والغائط، قائلاً: إنها لا تصلح لأن تُستقبلَ بل لأن تُستقبلَ بهذا، ويكون فعله هذا تغاليًا في الكفر، وتكذيبًا بآيات الله، وإهانةً للقبلة»[١].

➢ وقال في خطبة كتابه «الأنوار الكاشفة»: «فإن حظي من العلم زهيد.. ورجائي ممن يطالع كتابي هذا من أهل العلم أن يكتب إليَّ بما عنده من ملاحظات واستدراكات؛ لأراعيها أنا - أو من شاء الله تعالى - عند إعادة طبع الكتاب».

➢ هكذا يقول في خطبة سِفْره النفيس البديع: «الأنوار الكاشفة»، ثم عتب على أبي رية عنايته بإطراء كتابه فقال: «وكنتُ أحبّ له لو ترفَّع عن ذلك وترك الكتاب يُنْبِئ عن نفسه، فإنه -عند العقلاء- أرفع له ولكتابه إن حمدوا الكتاب، وأخفّ للذمِّ إذا لم يحمدوه»[٢].

➢ وقال في ختامه: «ثم ختم أبو رية كتابه بنحو ما ابتدأه من إطرائه وتقديمه إلى المثقفين، والبذاءة على علماء الدين، ثم الدعاء والثناء. وأنا لا أثني على كتابي، ولا أبرئ نفسي، بل أَكِل الأمر إلى الله تبارك وتعالى، فهو حسبي ونعم الوكيل. والحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على خاتم أنبيائه محمد وآله وصحبه»[٣].

---

(١) «آثار المعلمي» (١٦/ ٤٩)، ومعنى يهجس: أي: يخطر في البال.
(٢) «آثار المعلمي» (١٢/ ٣-٦).
(٣) «آثار المعلمي» (١٢/ ٤٢١-٤٢٢).

أقول: بحمد الله وفضله قد عكف أهل العلم على «الأنوار الكاشفة» واستناروا بها وبددوا بمصابيحها ظلمات أهل الضلال، وابتهلوا إلى ربهم أن يجزي راقمه خير الجزاء وأن يجمعهم به في دار البقاء، وأما ظلمات أبي رية فضرطة عَير في أرضٍ فلاة!

➢ وقال أيضًا: «أما بعد، فإنه لمّا كان أوائل رمضان سنة (١٣٤٢) سألني بعض الإخوان عن شيء من أحكام الوتر المختلف فيها، طالبًا بيانَ الراجح من الأقاويل مع بيان الدليل. ولما أخذتُ أتصفَّح الأدلة وجدتُ أحكام الوتر آخذًا بعضُها برقابِ بعضٍ، فانجرَّ بي الحالُ إلى توسعة المجال، فعزمتُ -متوكلًا على الله تعالى- على جمع كتابٍ يشتمل على عامة أحكام الوتر. على أن الباع قصير، والجناح كسير، ولكن لي في الله سبحانه وتعالى حُسن الظنِّ وصادق الرَّجاء، والفضلُ بيد الله يؤتيه من يشاء»[1].

➢ وقال في خطبة كتابه الفرد الذي لم يسبق إليه: «مقام إبراهيم»: «حاولتُ فيها تنقيحَ الأدلّة ودلالتها على وجه التحقيق، معتمدًا على ما أرجوه من توفيق الله - تبارك اسمُه - لي، وإن قلَّ علمي، وكلَّ فَهمي».

واختتمه بقوله: «وبعد، ففي علماء المسلمين -بحمد الله ﷻ- من هم أعلمُ مني وأعرف، ولا أكاد أكون -بالنسبة إليهم- طالب علم، ولا سيما سماحة المفتي الأكبر إمام العصر في العلم والتحقيق والمعرفة، الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، مدَّ الله تعالى في حياته، وهو المرجع الأخير في هذا الأمر وأمثاله.

(١) «آثار المعلمي» (١٦/ ٢٥٩).

وإنما كتبتُ ما كتبتُ لِيُعرَض على سماحته، فما رآه فهو الأولى بالحق، والحقيق بالقبول»[(١)].

هكذا يقول مع أنه قد جاء بالتحقيق الراسخ، والافتراع الكاشف لشبه المانعين فأصبحت أثرًا بعد عين، ولو وقع لبعض القاصرين بعض تلك التحقيقات لتمدح به بكرة وعشيا!

➢ وكشف عن خموله وإيثاره البحث والمطالعة على التصدر فقال: «أما بعد، فإني ممن عُدَّ لقلة العلماء عالمًا، فصار ينتابني بعض طلبة العلم، فلا يَسَعُني إلا أن أُسعِفهم بمرادهم، لا على أنني عالم معلِّمٌ، بل على أنِّي طالبُ علمٍ من جملتهم، أذاكرهم على حسَب وُسْعي... وأنا أنصح طلبة العلم دائمًا أن لا يعدُّوني عالمًا، وأن لا يعتمدوا على قولي، إلا أنني أقول لهم: من اختبرني منكم زمانًا، ثم رأى من قولي ما هو موافق لإمام من أئمة العلم، وفهم الدليلَ، وقوِيَ في نظره فلا حرجَ عليه إن شاء الله تعالى من اعتماده، وأسأل الله تعالى لي ولهم التوفيق»[(٢)].

➢ ولم يكن هذا التواضع في شيخوخة الرسوخ فقط، بل كان في شَرْخِ الشباب! اسمع إليه وهو يسوق تواضعه بقصة طريفة: «فما من مُعْتَنٍ بفنٍّ من الفنون إلا وتلوح له فيه نِكاتٌ لا يجد من تَقَدَّمَهُ نَصَّ عليها، فمِنْ محسنٍ ظَنَّه بنفسه يَتَبجَّح لما لاح له ويتعصَّب، ومن مُسِيءٍ يكون حَالُه كحال ذاك الأعمى الذي أَبْرَمَتْهُ امرأتُه بإطراء نفسها بالجمال، فقال لها: لو كنتِ كما تقولين لسَبَقَني البُصراءُ إليك فهذه نكات طريفة في العربية لم أجد من نص عليها،

(١) «آثار المعلمي» (١٦/ ٤٣٧، ٤٩٤).

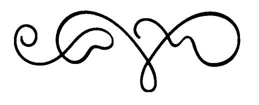
(٢) «آثار المعلمي» (١٩/ ٢٩٧-٢٩٨).

ولم أرض لنفسي أن أقبلها متبجِّحًا، ولا أن أَردَّها حاذٍ حذْوَ ذاك الأعمىٰ الذي تزوج امرأة فكانت مما تُطري نفسها بالجمال فلمَّا عِيْل صبره قال لها: لو كنت كما تقولين لما تركك المبصرون لهذا الأعمىٰ!

لكنِّي أَعرِضها علىٰ أهل العلم، فإما أن يتقبلوها فأطمئن إليها، وإما أن ينبهوني علىٰ وجه الخطأ»[1].

➢ وقال هاضمًا لنفسه معترفًا بتقصيره وهو في تلك السنين الخوالي وفي معمعة الجدال: «ولستُ أزعم أنّي متحرّز عن كلِّ خطأ، لكنّني لو نُبِّهْتُ علىٰ الخطأ لَما تمحَّلْتُ لتصويبه، بل بادرتُ بسؤال العفو والإقرار بالقصور؛ لأنَّ الإنسان رهين النسيان ولا سيَّما إذا كان في درجتنا قصورًا وتقصيرًا. وقد يقال: كفارة الذنب الإقرار والندم والاستغفار. ومُغَلِّظُ الإنكار مع المحاجَّة والاعتذار، وذلك هو عينُ الإصرار، ومُسْقِطُ الأعذار من الاعتبار»[2].

تلك شذرات نَدِيَّة من تواضع المعلمي، وهو من المحققين الراسخين، سلك الله بنا سبل الهدىٰ والرشاد.



(١) «آثار المعلمي» (٢٠/ ١٢٩).
(٢) «آثار المعلمي» (٢٠/ ٣١٠).



الفصل الرابع

الحرص على الوقت

المتأمل في تحقيقات هذا الحبر في مختلف أصناف العلم، يُدرك أن من أسبابها حفظ الوقت، فلم يبلغ درجة الاجتهاد المطلق، وسعة الاطلاع الباسقة، إلا على وقت محفوظ، وبالٍ سالم من الشتات الذهني، والتداخل العملي، وهكذا كان حال هذا الحبر، بالتأمل المشار إليه، وباعتراف رواد مكتبة الحرم المكي الشريف.

ومن تلك الشهادات الدالة على حرصه على وقته:

➢ قال العلامة محمد بهجة البيطار (ت: ١٣٩٦): «ولم يتفق لي أن دخلت المكتبة بمكة المكرمة مرة إلا ورأيته محافظًا على الوقت، مكبًّا على العلم رَحِمَهُ اللَّهُ»[١].

➢ وقال المحدث الألباني: «كنت أتردد على المكتبة في كل يوم، وأراه هناك منكبًّا على البحث والتحقيق»[٢].

➢ وقال الشيخ عبد الرحمن العجيان: «ولا زلت أذكر ما حدثنا به الثقات في شغف ذهبي العصر الشيخ العالم المحدث عبد الرحمن بن يحيى المعلمي رَحِمَهُ اللَّهُ من أنه لم يكن ينام حتى يضع عن يمينه «شرح ألفية ابن مالك»

---

(١) «مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق» العدد (٤٢ ص/ ٥٧٦).

(٢) «سلسلة الهدى والنور» الشريط (رقم/ ٣٧).

وعن يساره «شرح منتهى الإرادات»[١]. فإذا نام ترك الأنوار مضاءة فيغفو ثم يقوم، فيلتفت إلى أحد الكتابين، فيفتح على صفحة محددة، ثم ينظر فيها، ثم يرجع فينام رَحِمَهُ اللَّهُ[٢].

وأخبرني حفيده: عبد الرحمن أن والده كان إذا زار والده الإمام من مدينة (جُدة)، إلى (مكة) المكرمة، لا يبقى معه إلا برهة من الزمن، لا تزيد عن ربع ساعة، ثم ينصرف إلى البحث والمطالعة!

➢ ومن حرصه على وقته ندمه على تفويت فرص العلم، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثم رجعت إلى (عُتُمة)، وكان القضاء وقتها قد صار إلى الزيدية، وعُيِّن الشيخ علي بن مصلح الريمي كاتبًا للقاضي. فلزمت القاضي، وكان هو السيد علي بن يحيى المتوكِّل رجلاً عالمًا فاضلًا معمَّرًا. آسَفُ لتقصيري، إذ لم أقرأ عليه شيئًا ولا طلبتُ منه إجازةً»[٣].

➢ ومن ذلك أنه لم يكن يرغب في المراسلة لمجرد الإخبار بالعافية والسؤال عنها، قال: «الكتابة تثقل عليّ ما لم تكن لفائدة مهمة، ومجرد الإخبار بالعافية والسؤال عنها لا يهمني»[٤].

➢ بل تمنى من الكوثري الإنصاف والرجوع إلى الحق حفظًا للوقت، قال:

---

(١) «شرح منتهى الإرادات» ويسمى: «معونة أولي النهى شرح المنتهى»، لتقي الدين محمد أحمد بن عبد العزيز الفتوحي الحنبلي الشهير بابن النجار (ت: ٩٧٢) والكتاب يُعد من مصادر المذهب الحنبلي.

(٢) من مقال له سمَّاه «شغف العلم» موقع «منتدى الفقه».

(٣) «المدخل» (٥٢-٥٣).

(٤) من إحدى رسائله إلى أخيه أحمد، انظرها في «المدخل» (٢٣١).

«ولو اكتفىٰ الأستاذ بهذا لما احتجت إلىٰ أن أتعب في مناقشته... وبذلك يتوفَّر الوقت علىٰ الأستاذ ومخالفيه، ويسهل الوصول إلىٰ الحق عن قرب، ولا نكون ضُحْكة بين الناس، يقول أحدنا: إذا طعنوا في إمامي طعنت في إمامهم، وإذا طعنوا في مشايخي طعنت في مشايخهم، وإذا طعنوا في مذهبي طعنت في مذهبهم، وهكذا يؤول حال أهل العلم إلىٰ المهاترة، ولا يوصل إلىٰ حقيقة علمية»[1].

➢ وقال: «فالردُّ الصريحُ أخفُّ ضررًا علىٰ المسلمين وأهونُ مؤنةً علىٰ أهل العلم والدين من إثارة الشُّبَه والتطويل والتهويل الذي يغترُّ به كثيرٌ من الناس، ويَضطرُّ العالمَ إلىٰ صَرْف وقته في كشف ذلك! والله المستعان»[2].

➢ وقال: «وهذا أمر بغاية الوضوح يخجل صاحبُ العلم من شرحه، ولكن ماذا نصنع بالأستاذ؟ يحاول التلبيس علىٰ الجهّال، فيضطرنا إلىٰ أن نشرح القضية كأننا نشرحها لأجهل الناس، ويضيع وقته ووقت غيره، كأنه لا يوقن أنه مسؤول عن عمره فيم أفناه؟»[3].

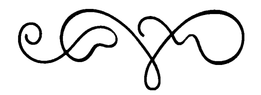
➢ وأبان أنه لولا التصدي لكشف أباطيل أبي رية لما أضاع وقته في مطالعة «ظلماته» فقال: «وليقف العاقل هنا وقفةً يتدبّر فيها حال أبي ريَّة، وهل يرضىٰ أن يضيع العاقل وقته بمطالعة كتابه إلا أن يتصدَّىٰ عارفٌ لكشف حاله لئلّا يغترَّ به الجَهَلة؟ وهل ينبغي له إن كان عاقلًا أن يتعاطىٰ الكلام في مثل هذا الأمر؟»[4].

(١) «آثار المعلمي» (٩/ ١٩٨).
(٢) «آثار المعلمي» (١٠/ ٣٥٢).
(٣) «آثار المعلمي» (١٠/ ٧٠١).
(٤) «آثار المعلمي» (١٢/ ٤٦٠).

➢ وقد لا يرد على الأستاذ الكوثري في بعض الأمور الواضحة حرصًا على الوقت قال: «والوقت أعزُّ من أن نضيعه في تعقُّب تهويلِ الكوثري»[1].

➢ ونبه المتصدرين لمجادلة النوكى فقال: «صرفُ الوقت في مداواة العقلاء أولى بي من التَّحامق مع الحَمْقى!»[2].

رحم الله المعلمي ورزقنا حفظ أوقاتنا، إنه هو الكريم الوهاب



(١) «آثار المعلمي» (١٠/ ٨٤٣).

(٢) «آثار المعلمي» (٦/ ٢٧).



الفصل الخامس

الـزهد والـورع

«واعلم أنَّ البلاء كل البلاء هو إيثار المنتسبين إلىٰ العلم للدنيا ولذَّاتها وجاهها»[1].

هكذا قال المعلمي، وبالدواء كذلك فعل، فقد آثر السلامة، وحفِظ الدِّيانة..

➢ تولىٰ القضاء في دولة الأمير محمد بن علي الإدريسي، بل كان الرجل الثاني في تلك الدولة، ولكن لم يَبْنِ قصرًا، أو يشيد دارًا، أو يبدد الضيعات، أو يكتنز الدنانير والدريهمات، بل لما عرض عليه الإدريسي أرضًا واسعة أبىٰ أن يقبلها وقال: «لا آخذ إلا مرتبي فقط»[2].

ولم يكن راغبًا ومحبًّا للبقاء في هذا المنصب الرفيع، بل قال: «وفي أثناء مدة القضاء فما بعدها لا أزال أقدم له أي: [للإدريسي] الاستعفاء من ذلك لأتفرغ لخدمة العلم»[3].

وخرج من دولة الإدريسي كما دخل، وبقي مترسمًا الزهادة، راضيًا بالكفاف، عرفه بذلك أصدقاؤه وتلاميذه:

---

(١) «آثار المعلمي» (٣/ ٩٤٥).

(٢) من إفادات الشيخ عبد الرحمن التميمي عن أحمد بن يحيىٰ المعلمي (أخو الإمام).

(٣) «مقدمة عمارة القبور» للزيادي (٢١)، «المدخل» (٦٥).

➢ فهذا صديقه الحميم الشيخ محمد نصيف يخاطبه بقوله: «أعرف زهدك في الدنيا»[(١)]، وحسبك بها شهادة من محسن شهير، كان يبدد أمواله في سبيل العلم، وإرفاق العلماء، ولكنه خص المعلمي بهذا الوسام!.

➢ وهذا تلميذه العلامة أبو تراب الظاهري يقول: «كان عبدًا أوَّاهًا زاهدًا تقيًا».

➢ وأخبرني تلميذه الشيخ محمد بن أحمد المعلمي (ت: ١٤٣٥) أنه كان جالسًا في مكتبة الحرم المكي حينما كان هناك، فجاء رجل مصري فجلس بجانبه، وقال له: عندي أسئلة ولم أجد من يشفي عليلي ويروي غليلي فيها. قال: فأشرت له إلىٰ شيخنا عبد الرحمن، فذهب إليه فلما انتهىٰ من سردها، أجابه عنها واحدًا بعد واحد فوجد الرجل بغيته، فأدخل يده في جيبه، فأخرج ملئها جنيهات وناولها الإمام فرفض الإمام أن يقبلها فقال الرجل المصري: لأن تسفك دمي أهون عليّ من أن تردني. فأجابه الإمام قائلًا: لأن تسفك دمي أهون عليّ من أن آخذها. فولىٰ الرجل شاكرًا للمعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ».

➢ وفي رسالة منه إلىٰ أخيه أحمد سنة (١٣٥٤) قال: «أنا مشتغل بتأليف رسالة مهمة وأحب أن أطبعها علىٰ نفقتي إن أمكن؛ لأني لا أطمع أن أحدًا يساعدني بطبعها، ولا تطاوعني نفسي أن أطلب المساعدة من أحد»!!.

➢ بل من دقيق ورعه بغضه لتكلف أدب الخطاب؛ وتصنع سجع الألفاظ، قال: «غَلَبت عليّ الصراحة وبُغْض الآداب المتكلَّفة، وأحب شيء إليَّ: أن تدع قلمك يترجم عن قلبك، مفوِّضًا إليه التعبير عن خواطرك بحريته الكاملة،

---

(١) «محمد نصيف حياته وآثاره» (٣٠٦).

وقد قيل: إذا ثبتت الأُلفة سقطت الكُلْفة، فما بالك بالأخوّة! مع أن خُلُقي الآن بُغْض التكلّف مُطلقًا»(١).

ذلك زهده الدنيوي وإليك ورعه الديني.

➢ ففي القضاء والقدر قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإذا انتهى البحث إلى القَدَرِ وَجَبَ الإمساك»(٢).

➢ وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «...وبيان الفرق المعنوي بين الخاصِّ والعامِّ يتعلَّق بمسألة القَدَر، ولا أحبُّ أن أُقْحِم نفسي تلك المزلقة، ولكن سأُشرف عليها من قُرْب، وأسأل الله تعالى الحفظ والتوفيق»(٣).

➢ وفي علم الكلام مزلق الأقدام قال: «فأما الضرب الأول [من كتب أصول الفقه] فإنه قد مُزِجَ بمباحثَ كثيرةٍ من علم الكلام والأصول المنطقية. وأنا وإن كان لا يتعسَّر عليَّ فهمُ كثيرٍ من هذين الفنين راغبٌ بنفسي عنهما، متحرِّجٌ من الخوض فيهما»(٤).

➢ وفي طريق الاتباع ومجانبة الابتداع قال: «والذي أختاره لنفسي: أن أُكْثِر من الصلاة على النبي ﷺ أوّل الدعاء وأثناءه وآخره، وأتتبّع الأدعية الواردة في الكتاب والسنة والإرشادات التي جاءت عن النبي ﷺ في آداب الدعاء، وأكتفي بالترضِّي والترحُّم والاستغفار للعلماء والصالحين، وأدَعُ التوسُّل

(١) نص مقتبس من الرسالة الآتية في الفصل الثاني من الباب السادس.
(٢) «آثار المعلمي» (٢/ ٣٨٦).
(٣) «آثار المعلمي» (٣/ ٨١٨).
(٤) «آثار المعلمي» (١٩/ ٢٩٧).

عملًا بحديث الحسن السبط رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» أخرجه الترمذي وابن حبان والحاكم من حديث الحسن السِّبط رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وما في معناه من الأحاديث.

وأرجو أن تكون هذه الطريقة هي الأسلم؛ لأني على يقين أنه لو ثبت التوسّل المتعارَف ثم تركه إنسانٌ لم يكن عليه إثم؛ إذ لا قائل بوجوبه، فكيف والحال أنه لم يثبت؟ فتَرْكه بنيّة الإحجام عما لم يطمئنّ القلبُ بثبوته مما أرجو أن يأجرني الله تعالى عليه.

فمن أحبّ السلامة فهذا سبيلها، ومَن أقْدَم على التوسُّل فهو وما تولّى، ولا أقطع بخطئه ولا ضلاله، بل أرجو له التوفيق والهداية إن شاء الله تعالى»[١].

➢ وفي باب حكاية الاتفاق، أنه لما ذكر القسم الثاني من أقسام التوسل، قال: «وثانيها: سؤاله بذات من ذوات خلقه، كالكعبة، والعرش والكرسي، وهذا ممنوع اتفاقًا» ثم أبدلها بقوله: «ولم أرَ التصريح بجوازه عن أحد»[٢].

➢ ومع أستاذيته في الجرح والتعديل فهو يربطه بالورع في أعراض المسلمين تأمل في قوله: «إذا دعت المصلحة لذكر مسلم بزلل وقع منه أن يقتصر على الإجمال، وأن يشفع ببيان توبته إن تاب، وبالثناء عليه بما فيه من الخير، وقد جرى على هذا أئمة الحديث في كثير من كلامهم في الرواة»[٣].

---

(١) «آثار المعلمي» (٤/ ٢٨٦-٢٨٧).
(٢) «آثار المعلمي» (٤/ ٢٦٠).
(٣) «آثار المعلمي» (٧/ ٢٣٩).

➢ ودعا التلاميذ إلىٰ ورع دقيق فقال: «ينبغي لأهل العلم أن لا ينقلوا كلمات العلماء عند الغضب... فلولا السخط لَعلِمَ أنه لا يُوجب الجرح»(١).

➢ وتألَّم وتأسَّف من تعليقات الشيخ عبد الرزاق حمزة الجارحة في الكوثري، فتبرأ منها، وألقىٰ بها علىٰ كواهل قائلها، فقال: «علق الأستاذ الفاضل عبد الرزاق حمزة علىٰ «الطليعة» تعليقاتٍ هو المسئول عنها، ولم أرتضِها، وزاد مع ذلك فأصلح (في زعمه) مواضع في صُلب الكتاب، بتغيير بعض الكلمات، وزيادة بعض الكلمات والجُمَل، كلّ ذلك لأجل التشنيع والنكاية، إظهارًا لغضبه لما يعتقد أنه الحق.

وكأنه استجاز ذلك لإذني المطلق في التعليق، ولأنه لم يتضح له قراءة خطي في بعض المواضع، أو رأىٰ العبارةَ غير واضحة، فأصلح برأيه، ولظنِّه أن التشنيع والنكاية من مقصودي، فظنَّ أنه كلما كان أبلغ في ذلك كان أرضىٰ عندي.

وقد يكون بعضُ ذلك من صنيع من وَكَل إليه مراجعة «الطليعة» في مصر، ولا أدري من هو!

وقد كنتُ عرضت النسخةَ التي أرسلتها إلىٰ الحجاز علىٰ بعض أفاضل أهل العلم هنا(٢)، فلما وصلت النسخة المطبوعة، ورأيناها استنكرنا جميعًا هذا الصنيع.

وأطْلَعتُ بعضَ أهل العلم من الحنفية علىٰ النسخة المطبوعة، وقد كان اطَّلع علىٰ الأصل الذي بخطي.

(١) «آثار المعلمي» (٩/ ١٧٦، ١٨١، و١٠/ ٨٩، ٩٤).

(٢) يعني في الهند.

وبالجملة، فإني تألّمْت وتأسَّفت لذلك الصنيع المسئول عنه الأستاذ عبد الرزاق حمزة»(١).

وقال أيضًا مخاطبًا الشيخ أحمد شاكر: «وآلمني أن الفاضل الذي علق عليها تصرف في مواضع من المتن بباعث النكاية في صاحب «التأنيب»، وذلك عندي خارج عن المقصود، بل ربما يكون منافيًا له، وفي النكاية العلمية كفاية لو كانت النكاية مقصودة لذاتها»(٢).

➢ وكشف للأستاذ الكوثري أن الحاجز له عن الغض من الإمام أبي حنيفة هو الورع، لا سواه، فقال: «قد علمتَ أنه لا شأن لي في الغضِّ من أبي حنيفة، وإنما اضطرني إلىٰ مناقشة «التأنيب» ما فيه من الغضِّ من أئمة السنة بما لا أرىٰ له مسوِّغًا. هذا هو مقصودي، ولو كان لي هوًىٰ في الغضِّ من أبي حنيفة لكان لي شأن آخر. لكن الأستاذ يحرص - كما يتراءىٰ لي - في أن يضطرني إلىٰ سلوك تلك الطريق، لمغزًىٰ يرمي إليه!

ولا يدري لعله لولا أن ديني يحجزني عن ذلك للبّيْتُ طلبه، ثم لعله لا يَحمد مغبَّة ذلك.

ومَن ظنّ ممن يلاقي الحروبَ بأنْ لا يُصابَ فقد ظنّ عجزا

فأما الدنيا فالأستاذ يعلم أن لكلِّ بضاعة سوقًا!»(٣).

---

(١) «آثار المعلمي» (٩/ ١٩٠-١٩١).

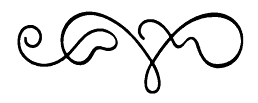
(٢) «المدخل» (٣١١).

(٣) «آثار المعلمي» (٩/ ٢٠٦).

➢ وبين سبب امتناعه عن نقل مثالب الملك عيسىٰ المعظم فقال: «ويمنعني من نقل ذلك هنا أنه كان له مشاهد في قتال الكفار، وأنه حكي عنه ما يدلّ علىٰ محافظته علىٰ الصلاة حتىٰ في مرض موته. والله أعلم»[1].

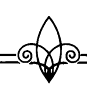
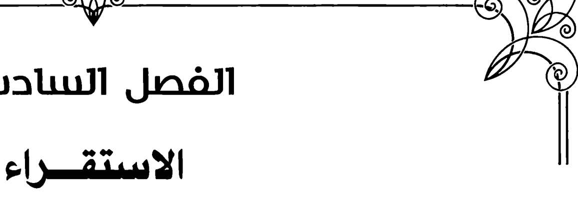
➢ ولما فرَّق بين العشق والرِّقَّة والفسق ذكر مثالين للعشق ومثالين للرقة، ثم قال: «ولا أحب أن أسمّي أحدًا فاسقًا». وقد كان كتب: «وأبو نواس»، ثم ضرب عليه، وكتب ما رأيتَ![2].

رحم الله المعلمي الزاهد الورع الأواه، ونفعنا بعلوم علمائنا، وسلك بنا سبيلهم.



(١) «آثار المعلمي» (١٠/ ١٨٨).

(٢) «آثار المعلمي» (٢٤/ ٣٨٧).


الفصل السادس

الاستقــراء

هذا الفصل والذي بعده هما أقوىٰ مآخذ الإعجاب بهذا النحرير العجاب، فحينما تقرأ له لا تحس بالمعادات، ولا تلمس المكررات، بل ابتكار وفَضُّ أبكار، واختراع وافتراع، فهناك تغبط نفسك، وتغتبط بوقتك، أنه لم يذهب سدىٰ، مع ما ينتابك من شعور آسر بقوة تماسك قواعده، وانتظام منهجه، في العرض والنقد، ولقد أشار إلىٰ استحسان هذه الصفة، فقال: «ولا نلوم الأستاذ في التشبُّث بالشبهات، فإنه أقام نفسه مُقامًا يضطره إلىٰ ذلك. ولكننا كنا نودّ لو أعرض عن الشبهات التي قد سُبِقَ إليها فحُلَّت وانحلَّت واضمحلَّت، واقتصر علىٰ الشبهات الأبكار التي يجد لذّةً في اختراعها، ويجد أهلُ العلم لذةً في افتراعها!»[1].

وإن من أعظم بلوغه هذه الغاية السامية جلده في البحث وصبره في التنقيب، فلم تتأتّ له ملكة الاستقراء والتحقيق إلا بعد طول مُثافنةٍ للكتب دراسةً وتحقيقًا وتمحيصًا، فـ«ربما كتب الرسالة الواحدة سبع مرات أو أربع مرات، مثل رسالة «في معنىٰ ما أغنىٰ»، وكتاب «عمارة القبور» ورسالة «بيع الأحرار»[2].

وإليك أمثلة من استقرائه الزم غَرْزها، وتلمَّس نظائرها، وأبدأ بما يتصل بعلم التاريخ، والرجال الذي كان رائده في هذا العصر غير مُدافَع ولا منازع:



(١) «آثار المعلمي» (١٠/ ٦٤١-٦٤٢).
(٢) «المدخل» (٣٢).

المبحث الأول: الاستقــراء التاريخي:

➢ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد تتبّعتُ كثيرًا من كلام الجوزجاني في المتشيِّعين، فلم أجده متجاوزًا الحدَّ. وإنما الرجل - لما فيه من النَّصْب - يرىٰ التشيُّع مذهبًا سيئًا، وبدعةَ ضلالةٍ، وزيغًا عن الحقّ وخِذلانًا؛ فيطلق علىٰ المتشيِّعين ما يقتضيه اعتقاده، كقوله: «زائغ عن القصد - سيِّئ المذهب»، ونحو ذلك»[١].

➢ وقال: «أبو حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ معروف بالتشدّد، قلّما وجدته يقول في رجل: «هو صدوق» إلا وقد وثَّقه غيرُه»[٢].

➢ ومن درر ابتكاراته ما حققه في درجات توثيق ابن حبان، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد أكثر الأستاذ من ردّ توثيق ابن حبان والتحقيقُ أن توثيقه علىٰ درجات:

الأولىٰ: أن يصرِّح به كأنْ يقول: «كان متقنًا» أو «مستقيم الحديث» أو نحو ذلك.

الثانية: أن يكون الرجل من شيوخه الذين جالسهم وخَبَرهم.

الثالثة: أن يكون من المعروفين بكثرة الحديث بحيث يُعلَم أن ابن حبان وقف له علىٰ أحاديث كثيرة.

الرابعة: أن يظهر من سياق كلامه أنه قد عرف ذاك الرجل معرفة جيدة.

الخامسة: ما دون ذلك.

---

(١) «آثار المعلمي» (٩/ ١٨٤، و١٠/ ٩٦-٩٧).

(٢) «آثار المعلمي» (١٠/ ٥٤٨، ٥٨٩).

فالأُولىٰ لا تَقِلُّ عن توثيق غيره من الأئمة، بل لعلها أثبت من توثيق كثير منهم، والثانية قريب منها، والثالثة مقبولة، والرابعة صالحة، والخامسة لا يؤمن فيها الخلل. والله أعلم».

وقال أيضًا: «والذي تبيَّن لي أن ابن حبان لم يلتزم الاعتبار، بل أخذ «التاريخ الكبير» للبخاري، ونقل غالبه إلىٰ «الثقات». وكثير ممن أخذه عن «تاريخ البخاري» وذكره في «الثقات» لم يعرفه ابن حبان، ولا عرف ما روىٰ، بل وكثير منهم لم يعرف عمن رووا ولا من روىٰ عنهم.

وعادته فيمن ذكره البخاري ولم يذكر عمن روىٰ ولا من روىٰ عنه أن يقول: «روىٰ المراسيل، روىٰ عنه أهل بلده». كما أن عادة ابن أبي حاتم في بعض هؤلاء أن يدع بياضًا.

فإنما يقوىٰ توثيق ابن حبان في حق المشاهير الذين يغلب علىٰ الظن أنه اطلع علىٰ الكثير من حديثهم».

وقال في خطبته لتحقيق «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم: «قد يذكر المؤلف الرجل ولا يستحضر عمّن روىٰ، ولا مَن روىٰ عنه، أو يستحضر أحدهما دون الآخر، فيدع لما لا يستحضره بياضًا «روىٰ عن.... روىٰ عنه....»، ويكثر ذلك في الأسماء التي ذكرها البخاري ولم ينصّ.

وعادة ابن حبان في «الثقات» أن لا يدع بياضًا، ولكن يقول: «يروي المراسيل، روىٰ عنه أهل بلده» كأنَّه اطلع علىٰ ذلك أو بنىٰ علىٰ أنّ البخاري إنّما لم يذكر عمّن يروي الرجل؛ لأنّه لم يرو عن رجل معين وإنّما أرسل،

وأن الغالب أنّه إذا كان الرجل ممّن يُروىٰ عنه فلا بدّ أن يروي عنه بعض أهل بلده، وطريقة المؤلف أحوط كما لا يخفىٰ»[١].

➢ وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وتوثيق العجلي وجدته بالاستقراء كتوثيق ابن حبان أو أوسع».

وقال: «فإن العجلي قريب من ابن حبان أو أشد، عرفتُ ذلك بالاستقراء»[٢].

➢ وقال: «ولا أدري متىٰ كان غرق القطيعة بالماء الأسود، وقد فتشتُ أخبار السنين في «المنتظم» فلم أره ذكر غرقًا بالماء الأسود، وإنما ذكر أنه في شهر رمضان سنة (٣٦٧) غرق بعض المَحالِّ منها قطيعة أم جعفر»[٣].

➢ وقال: «فإنِّي تتبَّعتُ أنساب من يُنسب من الصَّحابة إلىٰ عمرو بن لُحَيٍّ فوجدت أكثرهم لا تزيد الوسائط بينهم وبين عمرو علىٰ تسع، والقاعدة التاريخيَّة المبنيَّة علىٰ الأوسط: أنَّه في كلِّ قرنٍ ثلاثة آباء»[٤].

➢ أما تلك الحاشية المبسوطة لنسبة (العندي) التي كانت في أكثر من عشر صفحات، فبرهان جلد عجيب، وصبر منقطع النظير، نقَّب ما تحت يده من المصنفات في المَظانِّ، ثم انطلق يراسل علماء عصره، فراسل المحقق النحرير

---

(١) «آثار المعلمي (١٠/ ٧٣٣-٧٣٤ و١٩/ ١٧٠ و٢٥/ ١٢٨-١٢٩).
(٢) «آثار المعلمي (١٢/ ٩٠، ١٤٩).
(٣) «آثار المعلمي» (١٠/ ١٧٩).
(٤) «آثار المعلمي» (٦/ ١٥٢).

فؤاد سيد المصري، وراسل كذلك العلامة محمد بن سالم البيحاني، وعلامة الجزيرة حمد الجاسر، وغيرهم، وإن تعجب فاعجب مرة أخرىٰ أنه كتبها قبل وفاته بنحو خمسة أشهر، مع ضعفٍ وألمٍ، ولكنها الهمة العالية والعزيمة الباسقة، ثم اختتمها بهذه الكلمات المؤثرة، قال: «قد أمللتُ القارئ ولم أَمَلَّ، وحسبي أن يكون ما أثبته نموذجًا لما يقاسيه المعنيون بتحقيق الكتب، وإن أحدهم ليتعب نحو هذا التعب في مواضع كثيرة جدًّا ولكنه في الغالب ينتهي إلىٰ أحد أمرين: إما عدم الظفر بشيء فيكتفي بالسكوت، أو بأن يقول: (كذا) أو نحوها ولا يرىٰ موجبًا لذكر ما عاناه في البحث والتنقيب، وإما الظفر بنتيجة حاسمة فيقدمها للقراء لقمة سائغة ولا يهمه أن يشرح ما قاساه حتىٰ حصل عليها، والله المستعان»[1].

➢ واستقرأ مواطن المناظرة بين الشافعي ومحمد بن الحسن الشيباني فقال: «والواقع أن المناظرات التي في «الأم» وغيرها من كتب الشافعي، منها ما هو مع محمَّد بن الحسن، ومنها ما هو مع بعض أصحابه في حياته أو بعد وفاته. وربما صرَّح الشافعي باسم محمَّد بن الحسن لفائدة، فقد صرَّح باسمه وبأن المناظرة كانت معه في مواضع من كتابه «الرد علىٰ محمَّد بن الحسن» كما تراه في «الأم» (ج ٧ ص ٢٧٨ السطر الأول) و (ص ٢٨٣ السطر ٢٤) و (ص ٣٠٠ السطر ١٥). وساق (ج ٣ ص ١٠٦) المناظرة مع غير مسمىٰ ثم قال في أثنائها آخر الصفحة: «وقلت لمحمد بن الحسن: أنت أخبرتني عن أبي يوسف عن

(١) «آثار المعلمي» (٢٥/ ٣٣١).

عطاء بن السائب... ». وإنما صرَّح به لئلا يكون رواية عن مجهول، ثم صرَّح به في (الصفحة الثانية السطر ١٦)؛ لأنه قد عُرِف سابقًا، فلم يبق معنىٰ لإبهامه. وانظر (ج ٧ ص ٨٢). وربما لم يسمِّه، ولكن يكني عنه بما يعلم أنه محمَّد بن الحسن كما في (ج ١ ص ٢٣١) و (ج ٤ ص ٥) و (ج ٧ ص ٧٩). وربما يكون في السياق ما يدل أنه محمَّد بن الحسن كما في (ج ١ ص ٥٦) و (ج ٣ ص ١٨٩) و (ج ٤ ص ١٧) و (ج ٥ ص ١١٩). هذا ومناظرته لمحمد في «الشاهد واليمين» مشهورة في تلك الرواية وغيرها، ومع ذلك ساقها الشافعي في «الأم» ولم يسمِّ مناظره. ومن المناظرات ما يدل السياق أنها مع غير محمَّد كما في (ج ٣ ص ١٩٥ و٢٧٥). ومنها ما هو علىٰ الاحتمال»[1].

- واستقرأ تحديد القرون الثلاثة المفضلة بدءًا وانتهاءً فقال: «هذا، والقرون تتداخل - أعني أن القرن الأول إذا أخذَ في النقصان أخذ الذي يليه في الزيادة، وهكذا - فقد يقال: إن قَرْنه ﷺ بقي علىٰ الغلبة إلىٰ تمام ثلاثين سنة من الهجرة، ثم أخذ في الضعف، وذلك حين بدأ الناسُ في الإنكار علىٰ أمراء عثمان، وأخذ القرنان يصطرعان، فكان بعد خمس سنين قتل عثمان، وذلك مصداق حديث البراء بن ناجية عن ابن مسعود عن النبي ﷺ: «تدور رحىٰ الإسلام لخمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين، فإن يهلكوا فسبيل مَنْ هلك، وإن يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عامًا». قال: فقلت: مما بقي أو ممّا مضىٰ؟ قال: «ممّا مضىٰ» وفي بعض الروايات «مما بقي».

---

(١) «آثار المعلمي» (١٠/ ٧٠٧-٧٠٨).

وروىٰ شريك عن مجالد، عن الشعبي، عن مسروق، عن ابن مسعود مرفوعًا: «إن رحىٰ الإسلام ستزول بعد خمس وثلاثين، فإن اصطلحوا فيما بينهم علىٰ غير قتال يأكلوا الدنيا سبعين عامًا رغدًا، وإن يقتتلوا يركبوا سَنَن من قبلهم».

فكان لخمس وثلاثين حَصْر عثمان، ولم يقم الدين كما ينبغي؛ إذ لم يصطلحوا علىٰ غير قتال، بل كان هلاك ما بالقتل والفرقة والفتنة، فكان سبيلهم سبيل الأمم الماضية من الاختلاف، ثم تمت الغلبة للقرن الثاني بعد سنوات بقتل أمير المؤمنين علي عليه السلام، ثم بتسليم ابنه الحسن الخلافة لمعاوية، وذلك مصداق حديث سفينة مولىٰ النبي ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الخلافة ثلاثون عامًا ثم يكون بعد ذلك الملك».

أقول: فتمَّت الغلبة للقرن الثاني بنحو أربعين سنة من الهجرة، فثلاثون سنة منها كانت للقرن الأول، وعشر بينه وبين الثاني، ثم تمَّت للقرن الثاني ثلاثون سنة لستين من الهجرة، فكانت ولاية يزيد، ثم قتل الحسين بن عليّ عليه السلام.

وقد صحَّ عن أبي هريرة أنه كان يتعوَّذ من عام الستين وإمارة الصبيان، فمات قبلها.

ثم كانت وقعة الحرَّة، وإحراق الكعبة، ثم كان بعد السبعين رمي الكعبة بالمجانيق، وقتل ابن الزبير، واستتباب الأمر لعبد الملك.

وعلىٰ هذا المنوال يكون انتهاء القرن الثاني سنة سبعين، وانتهاء الثالث علىٰ رأس المئة.

ومن أسباب الفضل للثاني والثالث: أنه لم يزل فيهما بقايا من أصحاب النبي ﷺ، وانتهى ذلك بعد انتهاء المئة بقليل، مصداقًا لقوله ﷺ قبيل موته: «أرأيتكم ليلتكم هذه فإن على رأس مئة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحدٌ»(١).

- واستقرأ صفات العلامة الغزالي فقال: «وأما الغزالي فحاله عجيب، والذي يتراءى من صفاته أنه كان يغلب عليه ثلاثة أخلاق:

الأول: الشغف بالعلم.

الثاني: حب التفوُّق.

الثالث: الحرص على حَمْل الناس على التمسّك بالعبادات الإسلامية.

فبالخُلُق الأول نظر في الفقه وأصوله والكلام، ثم حكى عن نفسه أنه لم يقنعه الكلام، فنظر في الفلسفة فلم تشفه، فمال إلى التصوُّف، ثم عاد إلى مطالعة كتب الحديث، حتى مات و«صحيح البخاري» على صدره.

وبالخلق الثاني تجده عندما حصَّل الكلام يبالغ في مدحه، ثم لما أخذ الفلسفة صار يبالغ في مدحها، ويزعم أن من لم يعرف المنطق لا يوثق بعلمه، ويقول: «إن عامة المتكلمين مقلدون».

---

(١) «آثار المعلمي» (١٥/ ٣٠-٣٣).

ثم لما أخذ التصوّف صار يبالغ في مدحه، ويفرط في إطرائه، ثم كأنه لما شرع في مطالعة السنة صنف كتاب «إلجام العوام عن علم الكلام» ولعله لو مُدّ في عمره حتى يتمكّن في معرفة السنة لتَحَنْبَل!

وبالخلق الثالث تراه يُحَسِّن التصوفَ للمتفلسفين، ويوهِمُ في بعض كلامه أن المتصوّفة يعتقدون بعض العقائد التي يزعم المتفلسفون أنها قطعية، ويدعو المتفلسفة إلى التزام العبادات الشرعية ولو على وجه الاحتياط إلى غير ذلك»[١].

➢ واستقرأ منهج العلامة المقبلي، فقال: «المقبليّ نشأ في بيئة اعتزالية المعتقد، هادوية الفقه، شيعية تشيعًا مختلفًا، يَغْلُظ في أناس ويخفّ في آخرين، فحاولَ التحرُّر فنجح تقريبًا في الفقه، وقارب التوسّط في التشيُّع، أما الاعتزال فلم يكد يتخلّص إلا من تكفير أهل السنة مطلقًا»[٢].



(١) «يسر العقيدة الإسلامية» ضمن «آثار المعلمي» (٥/ ٣٥-٣٦).
(٢) «آثار المعلمي» (١٢/ ٣٨٣).

المبحث الثاني: الاستقراء العقدي:

وأما في الاعتقاد، فإن كتابه العظيم «رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله والفرق بين التوحيد والشركِ بالله» حافل بالاستقراءات من بابه إلى محرابه، وإليك طشة من غديره:

- قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولم أر نقلًا صريحًا في أنَّ المشركين كانوا يسجدون للأصنام، بل جاء ما ينفي ذلك...»(١).

- وقال: «هذا التفسير الذي فسرتُ به العبادةَ مقتبَس من نصوص لا تحصى من الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم. ومن أقوالهم ما هو صريح فيه أو مستلزم له حتمًا؛ ولكنها خبايا في الزوايا، وشذَرات في الفلَوات، قد التقطتُ ما عثرتُ عليه منها في «رسالة العبادة... »(٢).

- وقال: «والذي تلخَّص لي في «رسالة العبادة» بعد النظر في النصوص القرآنية ومقابلة بعضها ببعض، والنظر في أحوال المشركين من الأمم المختلفة وغير ذلك أن العبادة هي: خضوعٌ يُطلَب به نفعٌ غيبيٌّ. وأردت بالخضوع ما يشمل الطاعة والتعظيم، وبالنفع الغيبي ما هو وراء الأسباب العادية»(٣).



(١) «آثار المعلمي» (٢/ ٥١١-٥١٢)، وانظر: (١١/ ٤٣٤).
(٢) «آثار المعلمي» (٧/ ١٠٦-١٠٧).
(٣) «آثار المعلمي» (٧/ ١٠١).

المبحث الثالث: الاستقراء التفسيري:

أما في التفسير فمن براهين ذلك ما قام به في «تفسير الرازي» من جلَد في التتبع، وتذوق لأسلوب الرازي وأسلوب غيره المتمم لتفسيره، فأتىٰ علىٰ التفسير صفحة صفحة، فخرج بهذا الحكم المبني علىٰ الاستقراء التام[1]، قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

«لم تكن سَبَقَتْ لي مطالعة التفسير ولا مراجعة، ولي عنه صوارف، فرجوت أن أجد في كتب التاريخ والتراجم والفهارس ما يغني عن تصفح التفسير، فلم أجد ما يفيد التحديد إلا في بعض الفهارس الحديثة أنه وجد بخط السيد مرتضىٰ الزبيدي عن «شرح الشفاء» للخفاجي أن الرازي وصل إلىٰ سورة الأنبياء، فأحببت أن أقف علىٰ عبارة الخفاجي، وشرحه للشفاء مطبوع في أربعة مجلدات كبار، ولم تسبق لي مطالعة له أيضًا، فنظرت أولاً في فهارس مجلداته الأربعة، وراجعت ما رأيت أنه مظنة للعبارة المذكورة، فلم أجد.

فتجشمت تصفح ذاك الشرح من أوله، ولم يكلفني ذلك كبير تعب؛ لأنني وجدت العبارة في ص ٢٦٧ من المجلد الأول، ونصها: «الثابت في كتب التاريخ أن التفسير الكبير وصل إلىٰ سورة الأنبياء وكمَّله تلميذه الخويي»...هكذا قال الخفاجي وقد أوضح المعلمي بطلان كلامه، فقال:

(١) قال الشيخ محمد بن حسين الذهبي (ت: ١٣٩٧) -في معضلة «تفسير الرازي»-: «الحق أن هذه مشكلة لم نوفق إلىٰ حَلِّها حلًّا حاسمًا، لتضارب أقوال العلماء في هذا الموضوع» «التفسير والمفسرون» (١/ ٢٩١).

«واصلت النظر في تفسير سورة الحج والمؤمنين والنور والفرقان والشعراء والقصص متفهمًا تارة، متصفحًا أخرى، وأنا لا أنكر شيئًا من الروح والأسلوب، مع وجود شواهد تدل أن الكلام كلام الرازي، لكن لم أكد أشرع في النظر في تفسير العنكبوت حتى شعرت بأن هذه روح أخرى، وأسلوب يحاول محاكاة السابق وليس به، فأنعمت النظر، فتأكد ذلك وتأيد بوجود عدة فوارق، فقفزت إلى تفسير سورة الروم، ثم إلى تفسير سورة لقمان، فالسجدة، فأجد الطريقة الثانية مستمرة. فرأيت أني قد اكتشفت الحقيقة، وأن الرازي بلغ إلى آخر تفسير القصص، فما بعد ذلك هو التكملة.

لكنني تابعت تصفحي لأوائل تفسيره سورة سورة، فلما بلغت تفسير الصافات إذا بالطريقة الأولى ماثلة أمامي. فجاوزتها إلى السورة الخامسة أو السادسة بعدها، فوجدت الطريقة الأولى باقية، فجاوزت ذلك إلى السابعة والثامنة فإذا بالطريقة الثانية. وهكذا أجد كلتا الطريقتين تغيب ثم تعود، فعلمت أنه لا بد من استقصاء النظر على الترتيب...».

ثم استقرأ مواضع تفسير الرازي ومواضع التتمة، متتبعًا الإحالات في طول الكتاب وعَرضه، ومتذوقًا نَفَس الطريقتين الأصل وهي للرازي، والتتمة وهي للخويي، كل ذلك في أكثر من عشرين صفحة، خرج فيها بهذا الحكم:

«عرفنا أن القسم الأول - وهو من أول التفسير إلى آخر سورة القصص - جرت فيه الطريقة الأولى، وأن القسم الثاني - وهو من أول تفسير العنكبوت إلى آخر تفسير يس - جرت فيه الطريقة الثانية، فماذا بعد ذلك؟ عادت الطريقة الأولى من أول تفسير الصافات إلى آخر تفسير الأحقاف، فهذا قسم ثالث.

ثم رجعت الطريقة الثانية من أول سورة القتال إلىٰ آخر تفسير الواقعة، فهذا قسم رابع. ثم عادت الطريقة الأولىٰ في تفسير الحديد والمجادلة والحشر فقط، فهذا قسم خامس. ثم رجعت الطريقة الثانية من أول تفسير سورة الممتحنة إلىٰ آخر تفسير سورة التحريم، إلا أنه يتبين فيه الاستعجال وترك التدقيق، ويكاد يقتصر فيه علىٰ الأخذ من تفسير الواحدي والكشاف، فهذا قسم سادس. ثم عادت الطريقة الأولىٰ من أول تفسير الملك إلىٰ آخر القرآن، فهذا قسم سابع...

فالأصل من هذا الكتاب، وهو القدر الذي هو من تصنيف الفخر الرازي، هو: من أول الكتاب إلىٰ آخر تفسير سورة القصص، ثم من أول تفسير الصافات إلىٰ آخر تفسير سورة الأحقاف، ثم تفسير سورة الحديد والمجادلة والحشر، ثم من أول تفسير سورة الملك إلىٰ آخر الكتاب.

وما عدا ذلك فهو من تصنيف أحمد بن خليل الخويي، وهو بعض التكملة المنسوبة إليه؛ فإن تكملته تشمل زيادة علىٰ ما ذكر تعليقًا علىٰ الأصل.

هذا ما ظهر لي، والله أعلم»[١].



(١) «آثار المعلمي» (٧/ ٣٠٥-٣٣٢)، وقد حقق ترجمة الخويي صاحب «التكملة» فقال: «الخويي هو شمس الدين قاضي القضاة أحمد بن خليل الخويي توفي سنة (٦٣٧). هذا هو الصواب في اسمه ولقبه ونسبته ووفاته، ووقع في عدة كتب تخليط في ذلك».

المبحث الرابع: الاستقراء الفقهي:

وأما في الفقه فكيفيك لتعرف سَعة اطلاعه فيه ورسوخه تلك المنازلة المَيدانية مع الحنفية في باب قطع يد السارق في ربع دينار فصاعدًا، فحينما فرق بين القيمة والثمن قال: «وأصل الفرق بين الثمن والقيمة: أن الثمن هو ما يقع عوضًا عن السلعة، والقيمة ما تقوَّم به السلعة. فمن اشترىٰ سلعة بثلاثة دراهم، وكانت تساوي أكثر أو أقل، فالثلاثة ثمنها، والذي تساويه هو قيمتها. فإذا أتلف رجلٌ سلعة الآخر فقُوِّمت بثلاثة دراهم، فقضىٰ بها الحاكم، فقد لزمت الثلاثةُ عوضًا عن السلعة، فصحَّ أن تسمىٰ ثمنًا لها. فهكذا السلعة المسروقة لا يحسن أن يقال: «ثمنها ثلاثة دراهم» إلا إذا كانت قُوِّمت بأمر الحاكم بثلاثة دراهم، فقضىٰ بحسَب ذلك»[1].

زبر هذا التفريق في لجة تحقيق بسطه في أكثر من ثمانين صفحة، وعلل نهضته لهذا البسط بقوله: «وقد أطلتُ في ردِّ هذا المسلك، مع أنه لا يحتاج في ردِّه إلىٰ هذا كلِّه، ولكن دعا إلىٰ ذلك شهرةُ قائله. والله المستعان»[2].

فكيف إذا وليت وجهك شطر كلامه في وجوب قراءة الفاتحة في الجهرية، وفي وجوبها لمن أدرك الإمام راكعًا، أو إلىٰ كلامه في الربا، لرأيت ما يملأ الصدر والنحر، وسترتشف من غديرها في الفصل الأول من الباب الرابع، إن شاء الله تعالىٰ.

---

(١) «آثار المعلمي» (١١/ ١٦٣).

(٢) «آثار المعلمي» (١١/ ١٥٦، ١٨٩، ١٩٤، ٢٢٦، ٢٢٩، ٢٣٨).

الاستقراء الحديثي:

وأما في الحديث فكثير طيب، ومنه:

➢ ما استقرأه في حديث قبيصة في تحريم المسألة إلا لثلاثة فقال: «الحكمة في تحريم المسألة حتىٰ يشهد ثلاثة من ذوي الحِجا من قوم مَن يريد المسألة هي:

أولاً: منع أهل الستر عن المسألة بدون حاجة؛ لأن أحدَهم يرىٰ أنه لو اسْتَشهد ثلاثةً من قومه لا يشهدون له، وإن أقدم علىٰ المسألة بدون شهادة، كان عند الناس أنه أقدم علىٰ محرَّم، وهو يكره ذلك لحبّه السِّتْر.

وثانيًا: شَرْع طريقٍ يُرجىٰ أن يستغني بها المحتاج من أهل الصلاح أو الستر، فلا يحتاج إلىٰ المسألة البتة، وإيضاحه: أنه لا يقدم علىٰ المسألة بدون استشهاد، فيُضطرّ إلىٰ أن يطالب ثلاثة من ذوي الحِجا من قومه بأن يشهدوا له، ولا ريب أنهم إذا علموا حاجته وجب عليهم أحدُ أمرين: إما أن يقوموا فيشهدوا، وإما أن يواسوه من أموالهم بما يغنيه عن المسألة. ولعلّ هذا الثاني يكون أيسر عليهم؛ لأنهم يرون أنّ اقتصارهم علىٰ أن يقوموا فيشهدوا يحمل الناس علىٰ أن يَرْموهم باللؤم، ويقول الناس: أما كان في أموال هؤلاء الثلاثة متَّسَع لأن يواسوا ابنَ عمّهم بما يسدّ فاقته إلىٰ أن يجد قِوامًا من عيش؟ ولهذا - والله أعلم - شَرَط في الحديث أن يكونوا من قومه، وأن يكونوا من ذوي الحِجا، وأن يكونوا ثلاثة؛ لأن الغالب أن الثلاثة لا يكونون كلهم فقراء أو لؤماء.

وعلىٰ فرض أنهم قاموا فشهدوا، فالغالب أن قومه عندما يسمعون شهادة الثلاثة من ذوي الحِجا فيهم، يجمعون له ما يكفيه بدون أن يحتاج إلىٰ مسألة،

وعلى هذا فقد أغنى الله ﷻ ذلك المحتاج بدون مسألة؛ لأن مطالبته الثلاثة بأن يشهدوا ليست مسألةً لهم، وإظهاره الحاجة ليس بمسألة صريحة، وإظهاره العزمَ على المسألة ليس بمسألة، فتدبَّر»[(١)].

الاستقراء اللُّغوي:

وأما استقرآته اللغوية فمن طالع حواشيه على «المعاني الكبير» لابن قتيبة أيقن رسوخه في علم اللغة والأدب، فقد أتى في تلك التعليقات بتحقيقات فريدة، برهنتْ على جلده في البحث، وإجهاده لنفسه في التفتيش والتنقيب، ومن عيون تلك التحقيقات النفيسة، ما يلي:

- ففي (ص ٤٤٦) هامش (٨) تحرير جيد وقوي يدل على معرفته بأوهام المعاجم المتأخرة، ففي كلمة وعس من قول الشاعر:

تُرجِّع في عود وَعْس مُرِن

يقول المعلمي: «اضطربوا في كلمة (وعس) في هذا البيت، فحاصل كلام المؤلف أنها بمعنى المواعسة أضيف إليه الفاعل، فالقدح يواعس العرف أي: يواليه، وفي «الاقتضاب»: «يروي الأصمعي - عن عُسّ عود - قال الأصمعي: كأنه كان يشرب في قارورة فصيَّرها كأنها عود... ويروي غيره -عن عود وعس- وقال: أراد قدح زجاج، والزجاج يعمل من الرمل، والوعس: الرمل اللين الموطأ».

---

(١) «آثار المعلمي» (١٥/ ٤٦-٤٧)، والإمام يكثر من قوله: «فتدبر»، في عشرات المواضع من «آثاره»، وفي (١٥/ ٣٥٣): «فتدبر أيُّها الذواق».

وفي «اللسان» و«القاموس» قول ثالث - أحسبه من حَدَس ابن سِيْده في المحكم حَدَّسه من البيت بعد تغيير فيه - ففي «اللسان» آخر المادة: «والوعس شجر تعمل منه العيدان التي يضرب بها، قال ابن مقبل:

رهاوية مُنزّع دُفّها ترجع في عود وعس مرن

وزاد صاحب «القاموس» فصدَّر المادة بقوله: «الوعس كالوعد شجر تعمل منه البرابط والأعواد»، فَهِموا أنَّ البيت في وصف مغنيّة، وهذا من عيوب هذه المعاجم المتأخرة تورد المحدوسات في معرض المحققات ولم يذكر ابن دُريد في «الجمهرة» ولا الزمخشري في «الأساس» أنَّ الوعس شجر، والله أعلم»[1].

➢ وفي (ص ٥١٣) هامش (٢) عند قول ابن قتيبة: «وشربهم إذ ذاك الفضيخ».

قال المعلمي: «في النقل (الفضيح) بالحاء المهملة، والصواب بالخاء المعجمة، وهو: شراب يتخذ من البسر، ووقع في «اللسان» و«التاج» في مادتي (ف ض ح) و (ف ض خ) تصحيف وكذا في النهاية (ف ض خ)، وحاصل ذلك أن ابن عمر سُئل عن الفضيخ وهو الشراب، فقال: «ليس بالفضيخ ولكنه الفضوح» فالفضيخ بالخاء المعجمة حتمًا والفضوح بالحاء المهملة جزمًا».

فانظر إلى هذا التحرير المتين»[2].

---

(١) «آثار المعلمي» (٢٠/ ٣٧١-٣٧٢).

(٢) «آثار المعلمي» (٢٠/ ٣٧٧-٣٧٨).

➢ وفي (ص ٧٠٢) هامش (٣) تحرير لُغوي نفيس، ففي قول حُميد يصف ظَبْيةً:

تجود بمدريين قد غاض منهما

قال: «في النقل «بمذريين» بإعجام الذال، وكذا في التفسير ويأتي لذي الرِّمة: «ينحىٰ لها حدّ مذرىٰ»، وكذا يأتي: «بأطراف مذريين لم يتفللا»، وهناك أيضًا للطِّرِمّاح: «يتقي الشمس بمذريه» وأصلح في النقل في هذه المواضع الثلاثة بإهمال الدال، والمِدْرىٰ والمدراة - بكسر الميم وسكون الدال المهملة وفتح الراء فيهما - القرن وقد يستعار لغيره، فأمَّا بفتح فسكون فكسر فياء مشددة: فلم أجد في المعاجم مادتي (درا) و (ذرا) ما يحل الإشكال حتىٰ رأيت في «اللسان» (م د ر): «والمَدَرْيَة بفتح الدال رماح كانت تركب فيها القرون المحددة مكان الأسنة، قال لبيد:

فلحقن واعتكرت لها مَدَرِية... إلخ»

فتبعه صاحب «التاج» (م د ر) ثم قال: «قال الصاغاني: والصواب مدْرِيَة - بسكون الدال - أي محددة وموضع ذكره في المعتل» فاستفدنا أنه يقال للقرن ونحوه: «مُدْرىٰ» بصيغة المفعول وبإهمال الدال، لكن وقوع الكلمة في الأصل بنقط الذال في هذه المواضع كلها مشكك، والله أعلم».

فانظر إلىٰ هذا الجَلَد في البحث والتُّؤَدةِ في التحقق من المسألة»[1].

➢ وفي (ص ٧٧٤) هامش (٢) عند قول ابن قتيبة: «والملاحين: المخاصمين».

---

(١) «آثار المعلمي» (٢٠/ ٣٨٥).

قال المعلمي: «في النقل (الخياطين) وعلىٰ هامشه: «لم أقف علىٰ هذا المعنىٰ للملاح» قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أقول: وأنا فقد تعبت في البحث، وآخر ما تحصل لي هو الذي أثبته».

فانظر إلىٰ قوله: «وأنا فقد تعبت في البحث» يدل علىٰ طول أَناةٍ في العلم مع صدق التحرّي، ولعله في بحثه لتلك اللفظة قد أخذ منه وقتًا غير يسير واستنفد جهده وطاقته رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أجل البحث عن الحقيقة»[١].

➢ وفي (ص ٩٠٩) هامش (٥) عند كلمة (يجين) من قول الشاعر:

حواسر لا يُجين علىٰ الخِدام

قال: «في النقل (يجئن) بضم فكسر فهمزة ساكنة، وعلىٰ هامشه: «بالأصل يجبين» بضم أوّله. أقول: سيفسر المؤلف الكلمة بقوله: «يرخين» فالكلمة من مادة (ج أ ىٰ) مثل «رأىٰ» و«نأىٰ» ففعل الإناث من الثلاثي منها «يجأين» مثل «ينأين» فإن خفف صار «يجين» بفتح أوله وثانيه مثل: «يرين»، ومن باب الإفعال «يُجْئين» مثل: «ينئين» فإن خفف صار «يُجين» بضم أوله مثل «يُرين»، فأمّا «يجئن» فلا وجه له وإن وقع كذلك في «اللسان» (ج أىٰ) فإنه من تصرّف النساخ لجهلهم بالتصريف. والله أعلم».

وهذا فهم دقيق منه لفن الصرف، ومعرفة بما يقع في المعاجم من تصحيف أو أغلاط»[٢].

---

(١) «آثار المعلمي» (٢٠/ ٣٨٦).

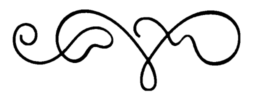
(٢) «آثار المعلمي» (٢٠/ ٣٨٩).

➢ وفي (ص ٩٦٥) هامش (٦) عند كلمة (هيخت) أفاد أنه في النقل شكل الفعل بفتح الهاء والياء المشددة، وكتب عليه «صح» والفعل في لسان العرب أيضًا مشكول كذلك قال: لكن السياق هناك يقتضي أنه بضم الهاء وكسر الياء المشددة مبنيًّا للمفعول لأن ابن منظور قال: «هيخ الطباخ الهريسة: أكثر وَدَكها» ثم ذكر البيت الوارد فيه الفعل وقال - أي ابن منظور -: «وهيخت أنيخت وهو أن يقال لها عند الإناخة: هيخ هيخ أخ أخ... إلخ».

قال المعلمي: «فالإناخة وقول: «هيخ هيخ» ودعاء الفحل للضِّراب كلها من فعل الإنسان فهو المنيخ والقائل والداعي، والفحل مُنَاخٌ مَقُولٌ له مَدْعوٌ فتدبّر، ووقع في «اللسان» في هذا الموضع «أحلامها» وذكر البيت في (خ ل م) وفيه (أخلامها) وفيه «وهُيِّجَت» بالبناء للمفعول وبالجيم، والتصحيف والتحريف في طبعة اللسان كثير فلا يركن إلى نقطه وشكله».

وهذا يبين أن المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ له تتبُّعٌ على طبعة «لسان العرب» ولا يبعد أن تكون نسخته الخاصة بها تصويبات وتصحيحات واستدراكات»[1].

أكتفي بهذه الأمثلة، ولمن أراد المزيد فلينظر[2].



(١) «آثار المعلمي» (٢٠/ ٣٨٩-٣٩٠).

(٢) «آثار المعلمي (٣/ ١٠٠١، ١٠٣٣، و٥/ ٧، ٣٠، ٣١، و٦/ ٢٨٧، ٧/ ٣٦، ٥٣، ٥٦-، ١١٧، ٢٣٦-، و ٨/ ١٣٣، و١٠/ ٤٦٦، و١١/ ٢٧٦-، ٥٣٤، و ١٢/ ٢٩، ٢٥٦-٢٥٨، و١٦/ ٦٢-٦٣، ٢٦٠).



الفصل السابع

افتراع أبكار المتشابهات

لقد كان هذا النحرير آية عجيبة في توضيح الغوامض وحلّ المعضلات وإزالة الشبهات، يخوض في لججها، ويحتج لها بما لم يخطر لهم على بال، ثم يكر عليها بالرد والتفنيد، فيذهب بهرجها، ويسطع نور بيانها، فلا يبقى لمنصف تعلق بها، بل إذعان وتسليم للحق، المؤيد بقوة البرهان، وسلامة البنيان، وهي على أقسام، أظهرها اثنان:

القسم الأول: مشكلات في فهم بعض حجج الوحيين الشريفين، فيأتي إلى الآية فيفسرها بما يُذهب الإشكال في فهمها، أو يبطل تعلق المخالف بها، ويعمد إلى الحديث فيثبت صحته، ثم يجيب عن الإشكال، أو يدحر باطل الاستدلال، وإن كان الحديث ضعيفًا هدم دعامة تصحيحه الخاوية، ثم تنزل مع المخالف فافترض صحته، ثم انثنى فأبطل شبهته فيه، فرجع المخالف بخفي حنين، فإن أنصف اعترف واغترف، وإن كابر جحد وانصرف، وإلى حيث ألقت رحلها أم قشعم.

➢ ومن أسباب عنايته بتفسير المشكلات أنه أرسى قاعدة له ولمن بذل الوسع وأنصف فقال: «استشكال النص لا يعني بطلانه»، وبين أن «الاختلاف في المتن على أضرب:

الأول: ما لا يختلف به المعنى، وهذا ليس باضطراب.

الثاني: ما يختلف به معنى غير المعنى المقصود، وهذا قريب من سابقه، ومنه القضية التي استدلَّ بها أبو ريَّة في عدة مواضع، يحسب أنه قد ظَفِر بقاصمة الظهر للحديث النبوي! وهي الاختلاف والشكّ في الصلاة الرباعية التي سها فيها النبي ﷺ، فسلَّم من ركعتين، فنبَّهه ذو اليدين، فوقع في رواية: «إحدى صلاتي العشيّ»، وفي رواية: «الظهر»، وفي أخرى: «العصر». فالأخريان مختلفتان لكن ذلك لا يوجب اختلافًا في المعنى المقصود، فإنّ حكم الصلوات في السهو الواحد[1].

الثالث: ما يختلف به معنى مقصود لكن في الحديث معنى آخر مقصود لا يختلف، كقصة المرأة التي زوَّجها النبيُّ ﷺ رجلًا بأن يعلِّمها ما معه من القرآن وقد تقدَّمت.

الرابع: ما يختلف به المعنى المقصود كلُّه، فهذا إن صح السند بالوجهين وأمكن الترجيح فالراجح هو الصحيح، وإلا فالوَقْف، والغالب أنَّ البخاريَّ ومسلمًا ينبِّهان على الترجيح بطرق يعرفها من مارس «الصحيحين»، وكذلك كتب السنن يكثر فيها بيان الراجح، لكن قد لا يتبين لأحدهم الرجحان فيرى أنّ عليه إثبات الوجهين يحفظهما لمن بعده، فربّ مبلَّغ أوعى من سامع»[2].

(١) كذا في المصدر، والصواب: فإن حكم الصلوات في السهو واحد.
(٢) «آثار المعلمي» (١٢/ ٣٥٩-٣٦٠).

القسم الثاني: ما نُمي إلىٰ الأئمة الأعلام من الصحابة الكرام، ومن بعدهم من أئمة الدين، وسادات المسلمين، سواءٌ أكان علىٰ جهة التحطط عليهم والذم، أم كان علىٰ جهة الاحتجاج الفاسد، فيأتي عليه أولًا من جهة الثبوت والصحة، فإن ثبت وجَّهه الوِجهة السلمية التي ترفع الإشكال، وتفكك الأغلال، وإن لم يثبت أو لم يتبين له ثبوته ساعة الرد، افترض صحته، وفند للمبطل شبهته.

فكان بحق من متين رفع الملام عن الأئمة الأعلام، ولذلك كان هذا أحد المؤلفات المقترحة في آثار هذا النحرير الراسخ.

ولمن أحب ارتشاف عَبَق هذا الروض الباسم هنا بعض الأمثلة في المبحثين التاليين:



المبحث الأول: الكشف عن المشكلات في الأحاديث والآيات:

➢ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي القرآن آيات كثيرة في أن الله تعالىٰ لا يهدي الكافرين، والمراد بهم من استحكم كفرُهم. وليس كلُّ كافر كذلك، فقد هدىٰ الله تعالىٰ ويهدي من لا يُحْصَىٰ من الكفار، وإنما الحق أن لا يهدي الله تعالىٰ من استحكم كفرُه»(١).

➢ وعقب علىٰ استشكال ابن حجر لحديث «طول آدم كان ستين ذراعًا، فلم يزل الخلق ينقص»، بما يوجد مِن مساكن الأمم السالفة.

فقال: «لم يتحقَّق بحجَّة قاطعة كم مضىٰ للجنس البشري منذ خُلق آدم؟ وما في التوراة لا يعتمد عليه، وقد يكون خُلِق ستين ذراعًا فلما أُهْبِط إلىٰ الأرض نقص من طوله دفعة واحدة ليناسب حال الأرض، إلا أنه بقي أطول مما عليه الناس الآن بقليل، ثم لم يزل ذاك القليل يتناقص في الجملة. والله أعلم»(٢).

➢ وأجاب عن حديث أبي سفيان مع رسول الله ﷺ، وفيه: «عندي أحسن العرب وأجمله: أم حبيبة بنت أبي سفيان أزوجكها»، فقال: «وفي سنده عكرمة بن عمَّار موصوف بأنه يغلط ويَهِم، فمِن أهل العلم من تكلَّم في هذا الحديث وقال: إنه من أوهام عكرمة، ومنهم من تأوَّله، وأقرب تأويل له: أن زواج النبيّ ﷺ لما كان قبل إسلام أبي سفيان كان بدون رضاه فأراد بقوله:

---

(١) «آثار المعلمي» (١١/ ٣٠٥).

(٢) «آثار المعلمي» (١٢/ ٢٥٩).

«أزوجكها» أَرْضَىٰ بالزواج، فاقبْل مني هذا الرِّضا»[(١)].

➢ ولما ذكر حديث سمرة بن جندب وحديث ابن عباس وظاهرهما إسرار رسول الله ﷺ بالقراءة في صلاة الكسوف، قال: «وليس في هذا كله ما يقاوم نصّ حديث «الصحيحين» علىٰ الجهر.

ولكن الذي يظهر لي أن ابن عباس وسمرة كانا في أواخر الناس، وكأن النبي ﷺ غلبه الخشوعُ، والنظرُ فيما مُثِّل له في صلاته من الجنة والنار وغيرهما، فلم يرفع صوتَه. وعلىٰ هذا يُحْمل ما روي عن عائشة من قولها: «فحَزَرْت قراءته».

وعلىٰ هذا، فلا منافاة بين الجهر وبين عدم سماع من ذُكِر»[(٢)].

➢ وحين ذكر حديث: «لا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار»، قال: «والحديث - علىٰ ما فيه - يعارض بظاهره الحديثَ الثابت: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية». لكن قد جمع بينهما العلماء بما حاصله - محرَّرًا -: أن الهجرة من دار الشرك إلىٰ دار الإسلام له علتان:

الأولىٰ: قلة المسلمين في دار الإسلام، وحاجتهم إلىٰ كثرة السواد.

الثانية: خوف الفتنة.

وكلتا العلتين انتفتا في حق أهل مكة بعد الفتح؛ لأن مكة صارت دار إسلام، وكثر المسلمون بالمدينة، ثم لم يزل المسلمون في كثرة والحمد لله.

(١) «آثار المعلمي» (١٢/ ٣١٧-٣١٨).
(٢) «آثار المعلمي» (١٣/ ٢٨-٢٩).

فلم يبق إلا العلة الثانية في حق من كان مسلمًا بدار كفر، فإذا كان لا يتمكن من إظهار دينه، وأداء ما يجب عليه، أو يخاف الفتنة، فعليه الهجرة. والله أعلم.

وفي «فتح الباري» في باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه: «أن الإسماعيلي أخرج عن ابن عمر قال: «انقطعت الهجرة بعد الفتح إلىٰ رسول الله ﷺ، ولا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار».

أقول: وهذا أوضح في الجمع، فإن الله ﷻ لما فرض الهجرة إلىٰ رسوله ﷺ جعل لذلك فضلًا خاصًّا ومزية خاصة، وسمىٰ أصحابها: «المهاجرين»، فهذه الهجرة التي ينال بها ذاك الفضل وتلك المزية، انقطعت بفتح مكة، ولا ينالها أحد بعدُ وإن وجبت عليه الهجرة وهاجر»[1].

➢ وأزال التعارض بين قول الله تعالىٰ: ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴾ [الجمعة: ٣] وحقق أنه المراد به العرب كما هو ظاهر السياق، وعليه اتفاق المفسرين من السلف وأهل اللغة، وبين حديث أبي هريرة: «كنا عند رسول الله ﷺ حين أنزلت سورة الجمعة، فتلاها، فلما بلغ ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴾ قال له رجل: يا رسول الله! مَن هؤلاء الذين لم يلحقوا بنا؟ فلم يكلِّمه، قال: وسلمان الفارسي فينا، قال: فوضع رسول الله ﷺ علىٰ سلمان يده فقال: «والذي نفسي بيده، لو كان الإيمان بالثريا لتناوله رجالٌ من هؤلاء».

فقال: «والقصة التي ذكر فيها آية الجمعة ليس فيها تصريح بأنّ فارسًا هي المراد بقوله تعالىٰ: ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ ﴾، وإنّما فيها: «قال: قلت: مَن هم

---

(١) «آثار المعلمي» (١٣/ ٥٢-٥٣)، وتأمل في قوله: «محرَّرًا».

يا رسول الله؟ فلم يراجعه حتىٰ سأل ثلاثًا، ومعنا سلمان الفارسي، فوضع رسول الله ﷺ يده علىٰ سلمان، ثم قال: لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجالٌ أو رجلٌ من هؤلاء».

إنّما أعرض النبي ﷺ مرّة بعد مرّة لأنّ في الآية نفسها البيان، فإن كان السائل لم يفهم هذا فهو مقصِّر، يستحقُّ الإعراض عنه، ليردَّه الإعراضُ إلىٰ التدبُّر. وإن فهم هذا وأراد تعيينَهم بقبائلهم أو بأسمائهم، فلا فائدةَ في بيان ذلك.

ثم نبَّه النبي ﷺ علىٰ أنّه كان الأَولىٰ بالسائل أن يسأل عن أمر آخر، وهو: هل التعليم والتزكية يختصُّ بالأمّيين أو لا يختصُّ؟ فأجاب عن هذا بقوله: «لو كان الإيمان... إلخ» أي: أنّه لا يختصُّ. وهذا هو الذي يُسمِّيه أهل المعاني: الأسلوب الحكيم، وذكروا له أمثلةً من القرآن وغيره. ولو كان المراد أنّ الآخَرين هم فارس لكان السؤال في محلّه، فلا يكون وجهٌ للإعراض، كما لم يقع الإعراض في القصة الأخرىٰ، ولكان الجواب مصرِّحًا بذلك؛ كأن يقول: هم الفرس، كما قال في القصة الأخرىٰ، والله أعلم.

وهذا بحمد الله ظاهر جدًّا، وإن لم أرَ من نبَّه عليه».

وحقًّا إنه لتحقيق نفيس، تشد إليه الرحال، وتضرب فيه أكباد الإبل، وقد عودنا هذا الجهبذ مثل هذا المبتكرات الغوالي، والمخدَّرات العوالي، رَحِمَهُ ٱللَّهُ وسقاه من سلسبيل الجنة. آمين.

- وأبطل الاحتجاج بحديث أبي بكرة علىٰ حسبان الركعة بإدراك الركوع فقال: «ولننظر فيما ذكر من الدلالتين:

فأما الأولى وهي قولهم: «لولا أن أبا بكرةَ كان يرى أنه بإدراكه الركوعَ يُدرِك الركعة لما بادر إلى الركوع قبل أن يبلغ الصفَّ» ففيها نظر، لماذا لا يُبادِر لإدراك فضلِ الركوع مع النبي ﷺ وإن عَلِمَ أنه لا تُحْسَبُ له ركعة؟ بل قد يقال: إن هذا هو الذي ينبغي أن يُظَنَّ بالصحابي، لا أن يُظَنَّ به أنه حَرَصَ على إدراك الركعة وإن فاته الخيرُ الكثير فيها تفاديًا من أن يكون عليه ركعةٌ أخرى بعد سلام الإمام، فإن هذا يدلُّ على الكسلِ والتبرُّمِ بالتعب اليسير في العبادة والرغبةِ عن زيادة الأجر، فإنه إذا أدرك بعض الركعة ولم تُحْسَبْ له ثم صلّاها بعد سلام الإمام كُتِبَ له أجرُ الصلاة كاملةً وزيادةُ أجرِ ما أدركه من تلك الركعة، فأما من لم يُدرِك إلا بعض الركعة وحُسِبَتْ له ركعة فإنه يفوته بعضُ أجر الصلاة كما لا يخفى.

وقول النبي ﷺ: «زادك الله حِرْصًا، ولا تَعُدْ» يُشْعِر بما ذكرنا، فإنه يدل أن ذاك الحرص محمود، فلذلك دعا بالزيادة منه، وإنما نهى عن العود إلى الإخلال بالمشروع من السكينة والوقار ونظم الصلاة، والحرصُ المحمود هو الحرص على زيادة الأجر، لا على التخلُّص من زيادة العمل غيرَ مُبالٍ بما فيها من زيادة الأجر»[1].

---

(١) «آثار المعلمي» (١٦/ ١٢٥-١٢٦)، وللمزيد انظر: «آثار المعلمي» (١١/ ٣٩٩، ٤٠٦-٤٠٩، و١٢/ ٣٦-٣٨، ١١٨-١١٩، ١٨٠-١٨١، ١٨٨، ١٩٢، ٣٠٢-٣٠٤، ٣٠٥، ٣٤٤-٣٤٦، و١٣/ ٢٢-٢٤، ٥٦، ٨٤-٨٥، ٩٢-٩٣، ١١٩، ١٢٣، و١٤/ ٧٦، ١٥/ ١٠-، و١٦/ ١١٣، ٣٩٢، ٤١٣-٤١٤، و١٧/ ٥٣٥، ٦٠٥).

المبحث الثاني: رفع الملام عن الأئمة الأعلام:

➢ لما جرح الأستاذ الكوثري المحدثَين الفاضلَين جريرَ بن عبد الحميد وأبا عوانة الوضاح بن عبد الله اليشكري بقول سليمان بن حرب: «كان جرير وأبو عَوانة يتشابهان، ما كان يصلح إلا أن يكونا راعيين».

أبان الإمام المعلمي أنَّ هذا ليس من الجرح في شيء وإنما «مراد سليمان من بيان صلاحية الرجلين لرَعْي الغنم هو تحقيق تشابههما في رأي العين كما يبينه السياق، ووجه ذلك: أنّ من عادة الغنم أنها تنقاد لراعيها الذي قد عَرَفَتْه وأَلِفَته وأَنِسَت به وعرفت صوته، فإذا تأخَّر ذاك الراعي في بعض الأيام، وخرج بالغنم آخر لم تَعْهَدْه الغنم لقي منها شدَّة لا تنقاد له، ولا تجتمع على صوته، ولا تنزجر بزجره، لكن لعلَّه لو كان الثاني شديد الشبه بالأول لانقادت له الغنم، تتوهَّم أنه صاحبها الأول، فأراد سليمان أنَّ تشابه جرير وأبي عوانة شديد بحيث لو رعى أحدُهما غنمًا مدة حتى أَلِفَتْه وأَنِسَت به، ثم تأخّر عنها وخرج الآخر لانقادت له الغنم، تتوهم أنه الأول»[1].

➢ ولما نسب الأستاذ الكوثري إلى البرقاني أنه قال في محمد بن أحمد الحكيمي: في حديثه مناكير، تعقبه الإمام بأن لفظ البرقاني: «ثقة إلا أنه يروي مناكير»، ثم بين الفرق بين العبارتين فقال: «بين العبارتين فرقٌ عظيم فإن «يروي مناكير» يقال في الذي يروي ما سمعه مما فيه نكارة ولا ذنب له في النكارة، بل الحَمْل فيها على مَنْ فوقه، فالمعنى أنه ليس من المبالغين في التنقّي والتوقِّي، الذين لا يحدِّثون مما سمعوا إلا بما لا نكارةَ فيه، ومعلوم أن

(١) «آثار المعلمي» (٩/ ٣٢-٣٣).

هذا ليس بجرح. وقولهم: «في حديثه مناكير» كثيرًا ما تُقال فيمن تكون النكارة من جهته جزمًا أو احتمالًا فلا يكون ثقة»[١].

➢ وهدم مستند الأستاذ الكوثري في تضعيف سُليم بن عيسى القارئ فقال: «لا مستند للأستاذ في قوله: «كان ضعيفًا في الحديث» إلا ذِكْر العُقيليِّ - ومَن تَبِعه - سليمَ بن عيسى في كتب الضعفاء... فأما ذِكْر الراوي في بعض كتب الضعفاء فلا يضره ما لم يكن فيما ذكر به ما يوجب ضعفه، وذلك أنهم كثيرًا ما يذكرون الرجل لكلامٍ فيه لا يثبت أو لا يقدح أو نحو ذلك»[٢].

➢ وأبان سبب ورود الجرح في الفضلاء الأبرياء فقال: «كان من أهل العلم والفضل مَن إذا رأى جماعةً اتبعوا بعض الأفاضل في أمر يرى أنه ليس لهم اتباعه فيه - إمّا لأنّ حالهم غير حاله، وإما لأنه يراه أخطأ - أطلق كلمات منفرة يظهر منها الغضُّ مِن ذاك الفاضل، لكي يكفَّ الناس عن الغلوِّ فيه الحامل لهم على اتباعه فيما ليس لهم أن يتبعوه فيه» ثم ساق أمثلة يحسن الوقوف عليها[٣].

➢ وأسقط جرح الأستاذ الكوثري لإسحاق بن إبراهيم الحُنَيني بأن البخاري قال فيه: «في حديثه نظر -وهي من أشد كلمات الجرح عنده-»، فقال المعلمي: «لم يقل البخاري «فيه نظر»، إنما قال: «في حديثه نظر» وبينهما فرق، فقوله: «فيه نظر» تقتضي الطعن في صدقه. وقوله: «في حديثه نظر» تُشعر بأنه صالح في نفسه، وإنما الخلل في حديثه لغفلة، أو سوء حفظ»[٤].

---

(١) «آثار المعلمي» (٩/ ٥٣).
(٢) «آثار المعلمي» (٩/ ٦٤).
(٣) «آثار المعلمي» (٩/ ١١٩، و١٠/ ١٧-).
(٤) «آثار المعلمي» (١٠/ ٣٣٩-٣٤٠).

➢ وأبطل جرح الرواة الذين أجابوا في فتنة القول بخلق القرآن المشؤومة، وفسر كلام الإمام أحمد فيهم فقال: «وأما ما جاء عن الإمام أحمد أنه كان ينهىٰ عن الكتابة عن الذين أجابوا في المحنة، فليس ذلك علىٰ معنىٰ جَرْحِ مَن أجاب مُكرهًا، بل أراد بذلك تثبيت أهل العلم والعامة. أما أهل العلم فخشية أن يبادروا بالإجابة قبل تحقّق الإكراه، وأما العامة فخشية أن يتوهموا أن الذين أجابوا أجابوا عن انشراح صدر»(١).

➢ واعتذر عن توثيق الشافعي لإبراهيم بن يحيىٰ فقال: «وأما حسنُ ظنِّ الشافعي به، فكأنه كان متماسكًا لمَّا سمع منه الشافعي، ثم ظهر فساده»(٢).

➢ واعتذر عن قلة أحاديث أبي حنيفة فقال: «وقِلَّة الأحاديث المروية عنه لا تدلُّ علىٰ قلَّة ما عنده، ذلك أنه لم يتصدَّ للرواية. وقد قَدَّمْنا أن العالم لا يُكَلَّفُ جمع السُّنَّة كلها، بل إذا كان عارفًا بالقرآن وعنده طائفة صالحة من السنة بحيث يغلب علىٰ اجتهاده الصواب كان له أن يُفْتِي، وإذا عَرَضَت قضية لم يجدها في الكتاب والسُّنَّة سأل مَنْ عنده علم بالسنة، فإن لم يجد اجتهد رأيه. وكذلك كان أبو حنيفة يفعل، وكان عنده في حَلْقته جماعة من المكثرين في الحديث، كمِسْعَر وحبّان ومِنْدَل، والأحاديث التي ذكروا أنه خالفها قليلة بالنسبة إلىٰ ما وافقه، وما من حديث خالفه إلا وله عذر لا يخرج إن شاء الله عن أعذار العلماء، ولم يدَّع هو العصمةَ لنفسِه ولا ادَّعاها له أحد، وقد خالفه كبارُ أصحابه في كثير من أقواله، وكان جماعة من علماء عصره ومَنْ قَرُب منه يُنفِّرون عنه وعن بعض أقواله»(٣).

---

(١) «آثار المعلمي» (١٠/ ٣٤٣-٣٤٤).

(٢) «آثار المعلمي» (١١/ ١٦٩).

(٣) «آثار المعلمي» (١٢/ ٦٧، ٣٩٩).

➢ ودمغ شبهة أبي رَيَّة ذَنَبِ المستشرقين الطاعنين في سنة سيد المرسلين بدعوىٰ قلة أحاديث بعض كبار الصحابة فقال: «فأما الصِّدِّيق فقلَّ حديثه وفتواه؛ لأنه اشتغل بالخلافة حتىٰ مات بعد سنتين وأَشْهُر، وكان يكفيه غيره الفتوىٰ والتحديث. وأما أبو عبيدة فشُغِل بفتح الشام حتىٰ مات سنة (١٨)، وكان معه في الجيش كثير من الصحابة كمعاذ بن جبل وغيره يَكْفُونه الفُتيا والتحديث. وقد جاءت عنه عدة أحاديث لم يتّفق أن يكون منها ما هو علىٰ شرط الشيخين مما احتاجا إليه. وأما الزبير والعباس فكانا مشتغلَيْن بمزارعهما غير منبسطَيْن لعامة الناس، فاكتفىٰ الناس غالبًا ببقية الصحابة وهم كثير. وأما سعيد بن يزيد فكان منقبضًا مُقْبِلًا علىٰ العبادة. وأما عُتْبة بن غزوان فحاله كحال أبي عبيدة بقي في الجهاد والفتوح حتىٰ مات سنة (١٧). وأما أبو كبشة فقديم الموت تُوُفي يوم مات أبو بكر أو بعده بيوم.

وكما قلَّتْ أحاديث هؤلاء قَلَّتْ فتاواهم، مع العلم بأن الفتوىٰ فرض كفاية، وأنه إذا لم يوجد إلا مُفْتٍ واحدٌ والقضية واقعة تعيَّنَتْ عليه...

ويوضِّح ذلك أنه لم يأت عن أحدٍ منهم ما يؤخذ منه أنه امتنع من التحديث بحديث عنده مع حضور الحاجة إليه وعدم كفاية غيره له. إنك لا تجد بهذا المعنىٰ حرفًا واحدًا. فاختيارهم أن لا يحدّثوا إلا عند حضور الحاجة إلىٰ تحديثهم خاصة هو السببُ الوحيد لاتقاء الإكثار ولِمَا يصح في الجملة من الرغبة عن الرواية»[1].

(١) «آثار المعلمي» (١٢/ ٨٢-٨٤).

➢ وكَشَفَ الستار عن كلمات بعض المحدثين في ذم أهل الحديث بتحقيق متين فقال: «قد قال ابن عبد البر: «وهذا كلامٌ خرج على ضَجَر، وفيه لأهل العلم نظر»

وإيضاحُ ذلك: أنَّ الرغبةَ في طلب الحديث كانت في القرون الأولى شديدة، وكان إذا اشتهر شيخٌ ثقة معمّر مكثر من الحديث قَصَده الطلابُ من آفاق الدنيا، منهم من يسافر الشهر والشهرين وأكثر ليدرك ذاك الشيخ، وأكثر هؤلاء الطلاب شُبَّان، ومنهم مَنْ لا سَعَة له من المال، إنما يستطيع أن يكون معه من النَّفَقة قدرٌ محدود يتقوّت منه حتى يرجع، أو يلقى تاجرًا من أهل بلده يأخذ منه الشيء، وكان منهم مَنْ كُلُّ نفقته جِراب يحمله، فيه خبزٌ جافّ يتقوَّت كلَّ يومٍ منه كسرة يبلّها بالماء ويجتزئ بها، ولهم في ذلك قَصَص عجيبة. فكان يجتمع لدى الشيخ جماعةٌ من هؤلاء، كلّهم حريص على السماع منه، وعلى الاستكثار ما أمكنه في أقلّ وقت، إذ لا يمكنه إطالة البقاء هناك لقلّة ما بيده من النفقة، ولأنه يخاف أن يموت الشيخُ قبل أن يستكثر من السماع منه، ولأنه قد يكون شيوخ آخرون في بلدان أخرى يريد أن يدركهم ويأخذ عنهم. فكان هؤلاء الشباب يتكاثرون على الشيخ ويُلحُّون عليه ويُبْرِمونه، فيتعب ويضيق بهم ذرعًا، وهو إنسان له حاجات، وأوقات يحب أن يستريح فيها، وهم لا يَدَعُونه، ومع ذلك فكثير منهم لا يرضون أن يأخذوا من الشيخ سلامًا بسلام، بل يريدون اختباره ليتبيَّن لهم أضابط هو أم لا؟ فيورِدون عليه بعض الأسئلة التي هي مظنَّة الغلط ويناقشونه في بعض الأحاديث، ويطالبونه بأن يُبرز أصلَ سماعه، وإذا عثروا للشيخ على خطأ أو سقط أو استنكروا شيئًا من حاله، خرجوا يتناقلون ذلك بقصد النصيحة، فكان بعض أولئك الشيوخ إذا

ألحَّ عليه الطلبة وضاق بهم ذرعًا أطلق تلك الكلمات: «أنتم سخنة عين. لو أدركنا وإياكم عمر بن الخطاب لأوجعنا ضربًا. ما رأيت علمًا أشرف ولا أهلًا أسخف من أهل الحديث. صرت اليوم ليس شيء أبغض إليّ من أن أرىٰ واحدًا منهم. إن هذا الحديث يصدّكم عن ذِكْر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون. لأنا أشدُّ خوفًا منهم من الفساق»؛ لأنهم يبحثون عن خطئه وزلله ويشيعون ذلك.

والغريب أنَّ أولئك الطلاب لم يكونوا يَدَعون هذه الكلمات تذهب، بل يكتبونها ويروونها فيما يروون، فيذكرها من يريد عتاب الطلاب وتأديبهم كابن عبد البر، ويهتبلها أبو ريَّة ليَعيب بها الحديثَ وأهلَه جملةً»[1].

➢ وقطع حبل تعلق الأستاذ الكوثري بكلمة ابن معين في الشافعي فقال -بعد نقاش مستفيض في ألفاظها وطرقها-: «كان ابن معين يرىٰ العلمَ كلَّ العلم هو جمع الأحاديث وتتبّعها، ثم النظر فيما يصحّ وما لا يصح، والبحث عن الخطأ والعلل وأحوال الرجال، ونحو ذلك مما يتعلق بالرواية. وكان يجتمع هو وأحمد وأقرانهما لذلك، وكان سنّ الشافعي قريبًا من سنهم، وليس بالمكثر من الحديث، بل كلّ من أحمد ويحيىٰ أكثر منه حديثًا وأعلم بالرواة منه. فلم ير ابن معين لانقطاع أحمد إلىٰ الشافعي ولزومه له معنىٰ. فأما الفقه فلم يكن يحيىٰ يبالي به؛ فإنه كان في نفسه يأخذ بما يتّضح له من السنة، ويقلّد في الباقي، ولا يبحث مع أحدٍ ولا يناظر، ولا يهمه اختلاف الناس شيئًا.

---

(١) «آثار المعلمي» (١٢/ ٣٩٤-٣٩٦).

وكان أحمد علىٰ خلاف ذلك، فإنه كان يتفقّه ويرىٰ وجوب الاجتهاد، ويسوؤه ردّ بعض الناس للسنة. وكان هو وكثير من أهل الحديث ينكرون علىٰ أهل الرأي ولا يستطيعون مناظرتهم، فكان أهل الرأي يسخرون من أهل الحديث ويستضعفونهم ويرمونهم بالجهل والغباوة ويستطيلون عليهم...

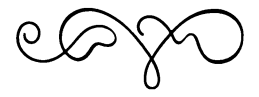
وكان الشافعي قد تمكّن من العلم بالكتاب والسنة، وعرف طرق الاجتهاد، وعرف كلامَ أهل الرأي وأقوالَهم، مع ما أوتيه من العقل والفهم وقوّة العارضة، والتمكُّن من مناظرة أهل الرأي والاستعلاء عليهم؛ فوجد به أحمد ضالّته المنشودة، ولم يكن لابن معينٍ شأن في ذلك، فاختلف نظرُ الشيخين - أحمد وابن معين - فكان ابن معين يرىٰ أن أحمد يضيّع أوقاته فيما لا يعني ويترك ما هو العلم حقًّا- في رأي ابن معين - وهو ما كانوا يجتمعون عليه من قبل من علوم الرواية، فلذلك كان ابن معين يلوم أحمد فيبالغ كما مرّ وأحمد لا يُصغي إليه.

ولما كان السبب في هذا هو الشافعي، تولّدت في نفس ابن معين شِبْه نُفرةٍ عن الشافعي. وقد يكون انضمّ إلىٰ ذلك أن الشافعي كان يشعر في نفسه بفضله علىٰ أهل الحديث لما تقدّم، ويرىٰ أن يحيىٰ لا شأن له بالفقه، فلم يختلف الشافعيُّ إلىٰ يحيىٰ، ولا اعتنىٰ بتبجيله واسترضائه، وقد كان يحيىٰ تعوّد من المشايخ الذين يَرِدون (بغداد) مراعاة جانبه، والإبلاغ في ملاطفته، فكان ذنب الشافعي إلىٰ ابن معين أنه سلبه صاحبَه ورفيقَه وأنيسَه وصديقَه الذي كان لا يكاد يفارقه حَضَرًا وسفرًا منذ شرعا في طلب الحديث؛ وبذلك فوّت عليه ما كان يجده في الاجتماع والمذاكرة من فائدة ولذَّة، وأنه مع ذلك لم يهَبْه

ولم يعرف له حقًّا كما اعتاده من سائر المشايخ الذين هم أكبر من الشافعي سنًّا وأقدم سماعًا، وفيهم مَن هو أكثر حديثًا.

أضف إلى ذلك ما كان أحمد يستقبل به عتاب ابن معين كقوله: «إن أردتَ الفقهَ فتعال فالزم ذَنَب هذه البغلة». وغير ذلك من الكلمات التي مِن شأنها أن تزيد في حَنَقِه»[1].

تلك طشات من غدير هذا العالم العَلَم، فسبحان الكريم الوهاب.



(١) «آثار المعلمي» (١٥/ ٣٢٢-٣٢٤)، وللمزيد انظر: (٢/ ٢٧٣، و٨/ ٥٨، ٧٩، ١٢٨، ١٩٦، و١٠/ ٤١١-٤١٣، ٤٩٠، ٤٩٣، ٥٠٠-، و١١/ ٣٨٥، و١٢/ ٤٧، ٧٥، ٧٧-٧٨، و١٥/ ٣٤٤).



الفصل الثامن

غـيرة الـنقد

أرسو بالقارئ هنا ليُسيِّر طرفه في بحر النقد المتلاطم، وكيف جرىٰ هذا الحبر فيه، فلم يُسفِف ولم يُشطِط، بل تحلىٰ بزين الوقار، فعسىٰ أن يحفز الهمة لجمع ما اقترحته من المؤلفات المتصلة بهذا الحبر، وهو: «منهج الإمام المعلمي في الرد علىٰ المخالف»، ومن قعدت به الهمة، وهو من المتصدرين للنقد، فلعله يتذوق هذا الأسلوب، فيتعلم كيف النقد السالم من البذاءة والفحش، المبني علىٰ الأساليب البلاغية، لا علىٰ الكلمات السوقية!

وإليك بعضًا من ذلك:

➢ فالبناني موصوف عند أشياعه من الاثني عشرية: واعظ الحجاز!

فكتبها الإمام: (واضع) بين هلالين تهكّمًا باللقب الذي ذكروه به (واعظ)![1].

➢ وقال في إبطال رد حديث أنس في الرضخ بدعوىٰ التحري: «فأما التحرّي البالغ، فإن كان هو الذي يؤدّي إلىٰ قبول ما حقُّه أن يُقبَل ورَدِّ ما حقُّه أن يُرَدَّ... فإن وقع ممن لم يقف علىٰ الأدلة المخالفة له أو ذَهَل عنها وعن دلالتها، له اسم آخر لا يضر صاحبه إن شاء الله. وإن وقع ممن عرف ذلك كلّه، فهو تجرٍّ

(١) «آثار المعلمي (٥/ ١٢٧).

بالجيم لا تحرٍّ بالحاء، أو قل: تحرٍّ للباطل، لا للحق»[١].

➢ ولما ذكر وصف الأستاذ الكوثري للحافظ الفاضل أحمد بن علي بن مسلم الأبار بـ «المأجور» اختتم دفاعه عنه بقوله: «بلى، إن الأبَّار لمأجور أجرًا عظيمًا إن شاء الله تعالى على صدقه وحُسن قصده ونيل الكوثري من عرضه!»[٢].

➢ وقال في رده على الكوثري: «وأعجب من هذا كلِّه وأغرب قول الكوثري بعد تلك الأفاعيل: «ولا أدري كيف يسوق الخطيب... ولعل الله سبحانه طمس بصيرته ليفضحه بخِذلانه المكشوف في كل خطوة».

وهذا المترجَّى واقع ولكن بمن؟»[٣].

➢ ولما كشف عن مغالطة الكوثري حينما ذهب إلى قلب لقب أحد الرواة من (جور) إلى (حور)؛ لأن الملقب بجور ثقة، والملقب بحور -بالحاء المهملة- ضعيف، قال: «...ولكنه رآه ثقة، وهو بالحاجة إلى الطعن في تلك الرواية، فعَدَل عنه إلى ذاك الضعيف: «حور». نعوذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْر، وهكذا تكون الأمانة عند الأستاذ!»[٤].

➢ وقال: «قد قرأ الأستاذ ترجمته في «الانتقاء» لابن عبد البر الذي بثّ الأستاذُ عقاربَه في تعليقاته عليه»[٥].

---

(١) «آثار المعلمي» (١٠/ ٢٢).
(٢) «آثار المعلمي» (١٠/ ٢١٥).
(٣) «آثار المعلمي» (٩/ ١٣).
(٤) «آثار المعلمي» (٩/ ١٥).
(٥) «آثار المعلمي» (٩/ ٦٧)، وانظر الكشف عن بعض تلك العقارب في: (١٥/ ٣٣٦-).

➢ ولما قال الأستاذ الكوثري: «ومنها: أنه قد تظافرت...»، فقال الإمام: «ما تظافرت الروايات بل تنافرت»(١).

➢ وقال: «لا يكاد الأستاذ يقول: «نسأل الله الصون» أو «السلامة»، أو «المعافاة» إلا حيث يكون قد فعل إحدىٰ الفَعَلات!»(٢).

➢ ولما نقل عن الأستاذ الكوثري قوله: «تعالىٰ الله عن مزاعم المشبّهة في إثبات الحرف والصوت له تعالىٰ».

قال الإمام: «جوابه: بل تعالىٰ الله عن العجز والكذب...

وقوله: «وكتبه من شر الكتب».

جوابه: بل شر الكتب ما تضمن تكذيب خبر الله تعالىٰ وخبر رسوله كذلك»(٣).

➢ وقال: «قال الأستاذ: «وربما يعذرنا إخواننا الشافعية... ».

أقول: لا ريب أنهم إذا عرفوا الأستاذ وما يقاسيه من ذات نفسه يعذُرونه في أنفسهم ويرحَمونه، وإن كان ذلك لا ينفعه عند الله ﷻ!»(٤).

➢ ولما قال الكوثري في الحافظ عبد الرحمن بن مهدي: «هذا الديلمي»، قال المعلمي: «[هذا] من بالغِ أدبه!»(٥).

(١) «آثار المعلمي» (١٠/ ٣١٥).
(٢) «آثار المعلمي» (١٠/ ٣١٩).
(٣) «آثار المعلمي» (١٠/ ٥٧٣)، تعالىٰ عن العجز في الكلام، وتعالىٰ عن الكذب في إخباره عن نفسه أن يتكلم.
(٤) «آثار المعلمي» (١٠/ ٦٧١).
(٥) «آثار المعلمي» (١٥/ ٣٣٩).

➢ وقد بين رَحِمَهُ ٱللَّهُ سبب نهوضه للرد على الكوثري فقال: «ولو كان هذا الطعن من رجل مغمور أو غير مشهور بالعِلْم الديني، لهان الخطب، ولكنه من رجل يَصِف نفسَه أو يصفه بعضُ خواصّه - كما في لوح «التأنيب»- بقوله: «الإمام الفقيه المحدث والحجة الثقة المحقق العلامة الكبير... ». ومكانته في العلم معروفة، والحنفيةُ - وهم السواد الأعظم كما يقول - يتلقَّون كلامَه بالقبول، وكذلك كثير من غيرهم ممن يعظم الأستاذ؛ لدفاعه عن جهمية الأشعرية، وعن القبورية»[١].

➢ وقال أيضًا: «والأستاذ يمرُّ بالجبال الرواسي، فينفخ ويخيِّل لنفسه وللجهال أنه قد أزالها أو جعلها هباء! والذي جرَّأه على ذلك كثرة الأتباع، وغربة العلم، وما لا أحبّ ذكره. والله المستعان»[٢].

وأترك لفطنة القارئ التأمل في الدلالات المنهجية في هذا النص الفاخر.

➢ ولولا سكوت علماء الديار المصرية عن الرد على الكوثري لما نهض لذلك، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأُسْكِتَ أهلُ العلم في (مصر) وغيرها برَمْي كلِّ مَن يَهُمّ أن ينكر عليه ببغض أبي حنيفة ومعاداته، ولما اطّلع الأستاذ على «الطليعة» جرَّد على صاحبها ذلك السلاح.

ومن تصفَّح «الترحيب» عَلِم أن ذلك -بعد المغالطة والتهويل- هو سلاحه الوحيد، فهو يُبْدئ فيه ويُعيد، ونفسُه تقول له: هل من مزيد!»[٣].

---

(١) «آثار المعلمي» (٩/ ٩٨).
(٢) «آثار المعلمي» (١٠/ ٥٦٢).
(٣) «آثار المعلمي» (٩/ ١١٠، و١٠/ ٨).

وأما أبو رَيَّة فقد كان له النصيب الأوفى من ذلك، فمنه:

➢ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن العجائب قوله: «ابن جريج كان من النصارىٰ» هكذا يكون العلم!»(١).

➢ وقال علىٰ جهة الإلزام لأبي رية في إطلاق القول في الإسرائيليات: «إن كانت الإسرائيليات تشمل عند أبي ريَّة كلَّ خبرٍ فيه فضيلة لموسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ففي القرآن كثير منها، بل في عدة آيات منه ذِكْر تفضيل بني إسرائيل علىٰ العالمين وغير ذلك. وإن كانت خاصة بما ألصق بالإسلام وليس منه من مقولات أهل الكتاب، فلم يزل أهل العلم يتتبعونها ويزيِّفونها. أما سكوتهم عن محاولة تزييف ما ثبت في أحاديث الإسراء فعذرهم واضح، وهو أنه لم يبلغ أحدٌ منهم في العلم والعقل والحياء مبلغ أبي رية»(٢).

➢ وقال: «لم يذكر [أبو رية] مصدره. وهذه عادته (الحميدة) في تدليس بلاياه»(٣).

➢ وقال رادًّا علىٰ أبي رية طعنه في أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لأنه كان يحث الناس علىٰ أداء الصدقة إلىٰ عمال بني أمية، فقال: «الحكاية بلا سند، فإنْ صحَّت فإنما هي نصيحة لا تدلّ إلا علىٰ النُّصْح لكلّ مسلم، والإسلام يقضي بوجوب أداء الصدقة إلىٰ عُمّال السلطان إذا طلبها وبحُرْمة سبِّهم إذا أخذوها. ولو منع العَجاجُ الصدقةَ لأُهين وأُخِذت منه قهرًا، ولو سَبَّ قابضيها لأثم وضرَّ نفسه

---

(١) «آثار المعلمي» (١٢/ ١٣٣)، وعلق المصحح بقوله: غيَّر أبو ريَّة هذا التعليق في الطبعات اللاحقة (ص ٢٣٨ – ط ٦) إلىٰ: «هو عبد الملك... بن جريج الرومي» وهذا التغيير له ما وراءه، فقد ذكر (ص ١٦٢ – ط ٦) «أن أصل ابن جريج رومي فهو نصراني الأصل»! فانظر واعجب!

(٢) «آثار المعلمي» (١٢/ ١٦٦).

(٣) «آثار المعلمي» (١٢/ ٢٤٤).

ولم يضرُّهم شيئًا. ويكاد أبو ريَّة ينقم على أبي هريرة قوله: لا إله إلا الله، ويبني على ذلك تهمة. قاتل الله اللَّجاج!»[١].

➢ وقال ردًّا على أبي رية في قوله: «إن أكثر أحاديث أبي هريرة عنعنة»، فقال: «ولا أدري أين كان أهل العلم من الصحابة والتابعين وأتباعهم وهَلُمَّ جرًّا عن هذا الاحتمال حتى يُثَار في القرن الرابعَ عشرَ؟ بل أين كان وعد الله ﷻ بحفظ دينه وشريعته، فلم ينبّههم لهذا الاحتمال طُوال تلك القرون؟ بل أين كان الشيطان عن هذا الاحتمال، فلم يوسْوِس به لأحد منهم؟ كلَّا، كانوا أعلمَ وأتقى من أن يطمع الشيطانُ أن ينصاعوا لوسوسةٍ مثل هذه»[٢].

➢ وقال أيضًا: «فليعلم أبو ريَّة أن مِن شيوخ الحَشْويَّة -كما يسمّيهم- مَن إن ثَقُل عليهم كتابه هذا لحُبهم للإسلام، فإنهم لا يرونه أكثر من دعوة يدعوهم الله ﷻ بها إلى الجهاد في سبيل إعلاء كلمته، ويعلمون أنهم إن شمَّروا عن سواعد الجدّ وبذلوا ما يسعهم مِن الجهد، فقد فازوا في هذا الابتلاء برضوان الله ﷻ، سواءٌ أحصل ما يرغبون فيه من استجابة كثير من الناس للحقّ أم لم يحصل»[٣].

➢ واختتم بهذا النداء للمسلمين فقال: «فليطمئنّ المسلمون على الحديث النبويّ، فإن الله ﷻ لم يهمله إلى أن يُبْعَث لتنقيحه أبو ريَّة وأضرابه بعد قرابة أربعة عشر قرنًا، وأن أئمة المسلمين المؤمنين بالله ورسوله حقًّا لم يكن جهادهم طول أعمارهم سُدًى»[٤].

---

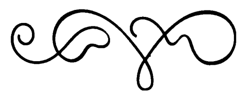
(١) «آثار المعلمي» (١٢/ ٢٩٠).
(٢) «آثار المعلمي» (١٢/ ٣٠٠-٣٠١، ٣٢٨-٣٢٩).
(٣) «آثار المعلمي» (١٢/ ٤٥٦).
(٤) «آثار المعلمي» (١٢/ ٤٦٠-٤٦١).

فهكذا نازل أبا رية بعفة لسان، عن السفة والطيش، وبذاءة اللسان التي كأنها خُلقت ثم وُهبت لأبي رية، لا سيما في حافظ الأمة أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

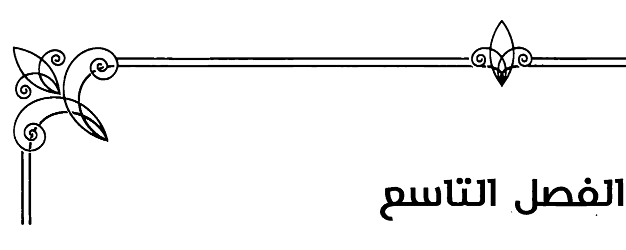
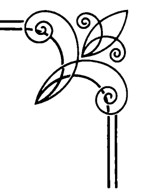
➢ ولما اتكأ أبو رية على الشيخ محمد رشيد رضا في بعض مطاعنه في حَمَلة السنة، عقد الإمام فصلًا خاصًّا بالسيد رشيد وبين بعض هفواته التي استغلها أبو رية وأمثاله، ولكن كانت لغته معه ألين، فحينما نقل عن السيد رشيد قوله: «ونحن نجزم بأنَّا نسينا وضيَّعنا من حديث نبينا ﷺ حظًّا عظيمًا لعدم كتابة علماء الصحابة كلّ ما سمعوه، ولكن ليس منه ما هو بيان للقرآن أو من أمور الدين، فإنّ أمور الدين معروفة في القرآن ومُبيَّنة بالسنة العملية، وما دُوِّن من الأحاديث فهو مزيد هداية وبيان».

قال الإمام: «قد تكفَّلَ الله ﷻ بحفظ دينه، فمحالٌ أن يذهب منه ما يقتضي نَقْصَه، والمؤسف حقًّا أن يجمع بعضُنا بين التحسُّر على ما لم يُحْفَظ، والتجنِّي على ما حُفظ، ومحاولة حطِّه عن درجته»[1].

فقلبها! فما كان أغنى السيد عنها!



(١) «آثار المعلمي» (١٢/ ٤٢٠).

الفصل التاسع

إنصاف المخالف

مع براعة الإمام المعلمي في النقد، ورسوخه وحذقه وسعة اطلاعه، الممكنة له من الكشف عن مغالطات المخالف، فقد كان العدل شعاره ودثاره، للمخالف والمؤالف.

والأستاذ الكوثري أظهر من رد عليه المعلمي، في أرأس كتبه وأعلاها صيتًا: «التنكيل» بأقسامه الستة، وكلها زاخرة برسوخ الإمام في الإنصاف، وتنكب الإجحاف، فتراه حريصًا على جمال اللفظ، وعدالة الحكم، وقد تم له ذلك، إلا في مواضع قليلة، دفعته الغيرة على أئمة السنة إلى بعض الأحرف التي لا تأتي على ربع خشونة كلمات الأستاذ الكوثري، وقد أشار إلى ذلك الإمام فقال: «وحَرَصت على توخي الحق والعدل واجتناب ما كرهته للأستاذ، خلا أن إفراطه في إساءة القول في الأئمة جرأني على أن أصرح ببعض ما يقتضيه صنيعه، وأسأل الله تعالى التوفيق لي وله»[1].

وقال: «وقد جرَّني الغضبُ للسنة وأئمتها إلى طرف مما أكره، وأعوذ بالله من شرِّ نفسي وسيِّئ عملي ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]»[2].

---

(١) «آثار المعلمي» (٩/ ٤).

(٢) «آثار المعلمي» (١٠/ ٤٣٨).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولست أدَّعي براءتي من الهوىٰ، ولا تمكّني من التغلُّب عليه كما يجب، ولكن الناس متفاوتون في اتباع الهوىٰ، فعلىٰ المنصف أن يتدبر «الطليعة»، ثم ينظر نسبة حظي من اتباع الهوىٰ إلىٰ حظ غيري»[1].

وقال: «وبالجملة، فمسالك الهوىٰ أكثر من أن تُحْصىٰ. وقد جَرّبتُ نفسي أنني ربما أنظر في القضية زاعمًا أنه لا هوىٰ لي، فيلوح لي فيها معنىٰ، فأقرِّره تقريرًا يُعجبني. ثم يلوح لي ما يخْدِش في ذاك المعنىٰ، فأجدني أتبرَّم بذلك الخادش، وتُنازعني نفسي إلىٰ تكلُّف الجواب عنه، وغضِّ النظر عن مناقشة ذاك الجواب. وإنما هذا لأني لمَّا قررتُ ذاك المعنىٰ أولاً تقريرًا أعجبني صرتُ أهوَىٰ صحته. هذا مع أنه لم يعلم بذلك أحد من الناس، فكيف إذا كنتُ قد أذعتُه في الناس، ثم لاح لي الخدش؟ فكيف لو لم يَلُح لي الخدش، ولكنّ رجلاً آخر اعترض عليّ به؟ فكيف لو كان المعترضُ ممن أكرهه؟!»[2].

واختتم بيانه لهفوات مذهب الحنفية بقوله: «هذا كلام استجراني إليه الأستاذ وأنا كاره، والذي لا أشكّ فيه أن في كلِّ مذهب من المذاهب فروعًا غير مرضيّة بل وأصولًا ضعيفة، وأنّ فرض الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ العالم أن يتفقّد ذلك تفقّدَ محترسٍ من هواه مؤثرٍ لعبادة الله، والله المستعان والمسؤول منه الهداية والتوفيق»[3].

(١) «آثار المعلمي» (٩/ ٢٠٥).
(٢) «آثار المعلمي» (١١/ ٣١٩).
(٣) «آثار المعلمي» (١٥/ ٣٣٠).

ويتجلى إنصافه للأستاذ الكوثري في جهتين:

الأولى: اعتراف الإمام بعلم الأستاذ الكوثري، فلم يكل له كلمات التحقير، والتنقيص، ويسلبه صفة العلم، وسعة الاطلاع، كما تراه من بعض الحمقىٰ في ردودهم، أما الإمام فتراه ينعت الكوثري بالأستاذ في طول الكتاب وعَرضه، وندر أن لا يقولها.

➢ وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن اطلع علىٰ «التأنيب» وغيره من مؤلفات الأستاذ عَلِم أنه لا يُؤتىٰ من جهلٍ بطريق الكشف عن تراجم الرجال الواقعين في الأسانيد، ومعرفة كيف يُعلم انطباق الترجمة علىٰ المذكور في السند وعدم انطباقها، ولا يُؤتَىٰ من بخلٍ بالوقت ولا سآمة للتفتيش...»(١).

➢ أما الأستاذ الكوثري فجعل ثناء المعلمي عليه حيلة للتوصل إلىٰ دفع خطأ الكوثري وإثبات تعمده، قال الإمام: «ثم ذكر الأستاذ وَصْفي له ببالغ التيقظ، وسَعَة الاطلاع؛ لأتوصَّل بذلك إلىٰ دفع احتمال أن يكون مخطئًا في المواضع التي انتقدتها من «التأنيب»، وإثبات أنه تعمَّد ذلك.

فأقول-عالمًا أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ رقيب حسيب-: أما ثنائي علىٰ معرفة الأستاذ وتيقُّظه، فذاك ما لا ريب فيه. ومن تأمل تأليفاته عَلِم ذلك حقّ العلم»(٢).

➢ ومما يدمغ وهم الأستاذ الكوثري هذا أن الإمام شهد له بسعة الاطلاع خارج حلْبة الصراع معه، ففي «الأنوار الكاشفة» قال: «وقد احتاج العلَّامة

(١) «آثار المعلمي» (٩/ ٨).

(٢) «آثار المعلمي» (٩/ ١٩٤).

الكوثري في رسالته «الترحيب» إلىٰ هذه الحكاية. ومع سَعَة اطلاعه علىٰ كتب أصحابه الحنفية وغيرهم لم يجد لها مصدرًا إلا مصدر أبي ريَّة هذا. وحكايةٌ مثل هذه عن محمد بن الحسن عن أبي حنيفة لا توجد في كتب الحنفية أيّ قيمةٍ لها؟»[١].

➢ وقال في خطبته لتحقيق «الجرح والتعديل»: «وقد كان لفضيلة العلامة الكبير الأستاذ محمَّد زاهد الكوثري -مدّ الله في أيامه- فضلٌ كبير بتنبيهه علىٰ وجود نسخة «التقدمة» في مكتبة (مراد ملا)، وإرشاده إلىٰ نسخ كثير من الكتب، هذا مع حسن عنايته بمطبوعات الدائرة، شكر الله سعيه، ووفّق الجميع للاستمرار علىٰ خدمة العلم ونشره»[٢].

فبان لك أنه منهج راسخ لهذا الطود الشامخ، وليست من حيل المصارعة في شيء!

➢ ولولا أن المعلمي سلك في سبيل النقد للكوثري الأسلوب العلمي القائم علىٰ الأدلة والبراهين، بغير تجريح شخص أو القدح في آخر، لانطلق الكوثري يكيل كلمات الجرح الساقطة، وحينئذ تكون الردود سجالًا لفظيًّا لا يُنصر فيها حقٌّ ولا يُدحض بها باطلٌ، ولعل الكوثري احتار في «الترحيب» كيف يرد علىٰ المعلمي، الذي هدم كل ما بناه في «التأنيب» من غير أن يمسَّ ذاته وشخصه!

علىٰ أن الأستاذ الكوثري لم يستطع كبح جماح لسانه المفرط، فتراه يخاطب المعلمي بقوله: «أهذا قولي أم قول مالك، أيها الباهت الآفك»،

---

(١) «آثار المعلمي» (١٢/ ٢٤٢).

(٢) «آثار المعلمي» (٢٥/ ١٣٩).

ولسعة حلم الإمام أتبعها بقوله: «لا أحب أن أجاري الأستاذ في حِدَّته، وإنما أقول: ليس مقصودي ما زعمتَه... »[١].

الجهة الثانية: موافقته للكوثري فيما أصاب فيه:

- فحينما أسند الخطيب عن عمرو بن قيس أنه قال: «من أراد الحق فليأت الكوفة، فلينظر ما قال أبو حنيفة وأصحابه، فليخالفهم»، فعلق الأستاذ بقوله: «منكر الحديث ساقط على ما ذكره غير واحد من النقاد»، فأتبعه الإمام بقوله: «صدق الأستاذ، ولم يحسن الخطيب بذكر هذه الحكاية»[٢].
- وقال: «مناقشتي للأستاذ إنما هي في الأسانيد، في كلامه في بعض رجال تلك الأسانيد، وقد وافقته على ضعف جماعةٍ منهم...»[٣].
- وقال: «وقد تغلَّب الأستاذ هنا على هواه إلى حدٍّ ما، إذ اقتصر على قوله: «وربما... » ولم يجزم كعادته»[٤].
- وقال: «قد أحسن الأستاذ بقوله: «مختلف فيه»[٥].
- وقال: «أما الجزم بأنه ليس أبا الشيخ، ففي محلِّه...»[٦].

---

(١) «آثار المعلمي» (٩/ ٢٦٥).
(٢) «آثار المعلمي» (١٠/ ٦٢٤-٦٢٥)، وقال الإمام في «تعليقه على الفوائد المجموعة» (ص ٢١٤): «متروك، كذّبه مالك، وهو أهلٌ لذلك». ومثل هذا التصديق في «آثار المعلمي» (١٠/ ١٧٦-١٧٧).
(٣) «آثار المعلمي» (٩/ ١١٣).
(٤) «آثار المعلمي» (٩/ ٢١).
(٥) «آثار المعلمي» (١٠/ ٤٤٧)، وانظر (١٠/ ٤٦١).
(٦) «آثار المعلمي» (١٠/ ٥٢٠).

➢ ومع هذا الإنصاف فلم يعترف له الكوثري بالإصابة إلا في موضعين-فيما أعلم-!!! حين قال: «وأما إفادة الأستاذ اليماني عن أن المراد بأبي شيخ هو محمَّد بن الحسين فأتقبّلها شاكرًا وداعيًا له بالمزيد...»[١].

وأما الآخر فقال الأستاذ: «ومع هذا.. لا مانع لدي من قبول تحقيق الأستاذ اليماني في عدِّ صالح بن أحمد في السند هو الموثَّق، مقدّرًا بحثه، شاكرًا فضله، ومعترفًا بأني كنت وهمت».

وقد جاء الاعتراف مدفونًا فيما لا يناسبه، وقد حاول الأستاذ الكوثري الرجوع فيما وهب![٢].

➢ ومع عفة لسان المعلمي عن الطعن على الإمام أبي حنيفة، وتوجيه بعض الروايات في القدح فيه، إلا أن الكوثري اعتبره من التظاهر المخالف للمخابر، فقال: «ومن المضحك تظاهره (اليماني) بأنه لا يعادي النعمان مع سعيه سعي المستميت في توثيق رواة الجروح، ولو بالتحاكم إلى الخطيب نفسه المتهم فيما عمله، مع أنه لو ثبتت ثقة حَمَلتها ثبت مقتضاها»[٣].

➢ كذا قال! ومن أرحب النظر في «التنكيل»[٤]، أيقن عفة لسان الإمام، وبُعده عن الطعن على الإمام أبي حنيفة، مما حدا به إلى إهمال الآثار التي دفنها الخطيب في جوف: «تاريخ بغداد»، وبعثرها الكوثري في «التأنيب»،

---

(١) «الترحيب بنقد التأنيب» (٣٢٩).

(٢) «الترحيب بنقد التأنيب» (٣٢٩).

(٣) «الترحيب بنقد التأنيب» (١٩).

(٤) وحتى في غيره من تصانيف هذا الحبر؛ لأن الأمر ديانة، وليست مناورة. ففي «آثار المعلمي» (١٨/ ١٥٣) قال الإمام: «والإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ عَدْل رضًا مأمون، وأكبر من ذلك...».

قال المعلمي: «أهملت ذِكر المتون لأنها خارجة عن مقصودي، ومع ذلك ففي ذكرها مفاسد:

الأولىٰ: ما أشار إليه الأستاذ في الجملة، وهو أن يطلع عليها حنفي متحمِّس، فيحمله ذِكْر المتن علىٰ أن يعرض عن كلامي البتة، ولا يستفيد إلَّا بُغْض مَن نُسِب إليه المتن من الأئمة.

الثانية: أن يطلع عليها رجلٌ مِن خصوم الحنفية، فيجتزئ بذاك المتن، ويذهب يعيب أبا حنيفة بتلك المقالة، غير مبالٍ أصح ذلك أم لا؟

الثالثة: أن يطلع عليها عاميٌّ لا يميز، فيقع في نفسه أن أئمة السلف كان بعضهم يطعن في بعض، ويكبر ذلك عليه، ويسيء الظنَّ بهم جميعًا.

فإهمال ذِكْر المتن يمنع هذه المفاسد كلّها، ولا يبقىٰ أمام الناظر إلا ما يتعلق بتلك القضايا الخاصة التي ناقشتُ فيها الأستاذ»[1].

ومراده بالقضايا الخاصة أسانيد تلك الروايات التي لا يلزم من مخالفته للكوثري في توثيق أكثر رواتها، تثبيت الذم لأبي حنيفة، إلا باجتماع عشرة أمور: يحسن بالقارئ الوقوف عليها..[2].

هكذا أظهرت هذا الموازنة إنصاف الإمام وإجحاف الأستاذ، والله الموفِّق والمستعان.

---

(١) «آثار المعلمي» (٩/ ١١٢-١١٣، و١٠/ ١٠-١١).

(٢) في «آثار المعلمي» (٩/ ١١٣-١١٤ و١٠/ ١١-١٢)، وانظر ثناء المعلمي علىٰ الدولابي الحافظ الحنفي، ووصفه لابن الهمام بأنه محقق الحنفية، ولعبد الباقي بن قانع بأنه حافظ الحنفية في «آثار المعلمي» (١٠/ ٣٢٥، ٤٠٦، ٤٠٨، ٤٣١ و١١/ ١١).

وإذا كان الإنصاف حلية وقار كسا الله بها هذا الإمام مع المخالف، فما ظنك بها مع الموافق؟!

فقد تعقب العلامة المعلم عبد الحميد الفراهي فيما ذهب إليه في «تفسير سورة الفيل» من إنكار رمي الطير، وأن الرمي لقريش، والطير أكلت جثثهم، وعليه شُرع رمي الجمرات، وغير ذلك من التخليطات، لكنه أنصفه فيما أصاب، ونهل منه فيما أطاب.

➢ قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وألَّف الأستاذ حميد الدين الفراهي الهندي رسالة سماها: «الإمعان في أقسام القرآن» أجاد فيها، وسألخِّص ها هنا ما استفدته منها ومن غيرها، وما ظهر لي»(١).

➢ وقال في خطبة التعقب: «فإني قد كنت وقفت على بعض مؤلفات العلامة المحقق المعلِّم عبد الحميد الفراهي -تغمده الله برحمته- كـ«الإمعان في أقسام القرآن»، و«الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح»، و«تفسير سورة الشمس»؛ وانتفعت بها وعرفت عبقرية مؤلفها...»(٢).

➢ ولما ذكر تعيين المخاطب في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾، قال: «وقد قرره المعلم تقريرًا بالغًا»(٣).

➢ ولما نقل اختيار الفراهي عموم الخطاب في الآية قال: «أرى أن المعلِّم رَحِمَهُ اللَّهُ أجاد باختيار هذا الوجه، وإن لم يُنقل عمن تقدم...وهو مع ذلك الأوفق بما يقتضيه المقام من تقرير الواقعة، وبيان ظهورها واشتهارها، والإبلاغ في الوعيد والتهديد والامتنان»(٤).

---

(١) «آثار المعلمي» (٣/ ١٠٠٠، ١٠٠٧).

(٢) «آثار المعلمي» (٨/ ٣).

(٣) «آثار المعلمي» (٨/ ١١٩).

(٤) «آثار المعلمي» (٨/ ١٢٧).



الفصل العاشر

الحرص على توحيد الأمة ووحدتها

مع عكوف المعلمي على العلم، وإكبابه عليه، فلم تكن غصص الأمة بعيدة عن عقله، بل إنما ألَّف وحقق، مشاركة في إصلاح أحوال الأمة، في الاعتقاد والعبادة.

➢ ومن ذلك الكثير الطيب إشارته إلى سببٍ من أسباب سعادة الأمة فقال: «فمتى رُزِقَ العامَّةُ دولةَ حقٍّ تَسُدُّ عنهم ذلك استراحوا كما كان في أوائل الإسلام، وقصة عمر مع صبيغ بن عسل معروفة، فإن لم يكن ذلك فإنما يهوِّنُ عنهم الشر تمييزُهم بين علماء الحق وغيرهم، فيقتدون بعلماء الحق ويهجرون غيرهم، ويَسُدُّون آذانهم عن سماع الشُّبَه وقَبُولِ البدع، وقد كان هذا في القرون الأولى. وأما بعد ذلك فاختلط الأمر بل انعكس، فَمَنْ رزقه الله تعالى من العامَّة معرفةَ عالمٍ من علماء الحق فاقتصر عليه وهجر سماسرة الشُّبَه وأنصارَ البدع فقد فاز»[1].

➢ وأبان أن طريق عودة الأمة إلى سالف مجدها، هو رجوعها إلى تحكيم حجج الوحيين الشريفين، ونبذ التعصب المَقيت والتقليد المميت، فقال: «ولو أن الناس فزعوا إلى هذه الطريقة التي فتح الله علينا ببيانها لعادتِ الأرضُ مُشرِقةً بنور هذا الدين الشريف، ولم يَمْضِ زمنٌ يسيرٌ حتى تعود الأمة الإسلامية من حيث علومها الدينية كما كانت عليه في القرون الثلاثة،

(١) «آثار المعلمي» (٢/ ٧٦-٧٧).

وكذلك من حيث عزّها وشرفها وقوتها، لأن تلك الطريقة تقضي على هذا التفرق والتحزُّب والتعصُّب قضاءً باتًّا، وتصبح الأمة كما كانت بالأمس على مذهب واحدٍ، ولا سيَّما إذا تيسَّرتْ لها في الاعتقاد طريقةٌ نحو هذه»[١].

➢ وأوضح سببي تفرق الأمة وتمزق شملها فقال: «وأنت إذا تأملتَ في تاريخ الإسلام وجدتَ جميع البلايا التي فرَّقتْ أهلَه ومزَّقتْ شَمْلَه ناشئةً عن سببين:

أحدهما: هو الخوض في هذه الآيات والأحاديث، والرغبة في إدخالها تحت القوانين الفلسفية.

الثاني: إحياء ما أماته الدين من العصبيات القومية، وذلك أنها لا تقوم دولةٌ إلا على أساس عصبية، والعصبية أنواع: قومية ووطنية، وكلاهما تؤدي إلى الافتراق، وتَؤول إلى الخلف والشقاق. ودينية، وهي تكفُلُ الاتحاد بين أهل ذلك الدين إذا أُمِيتَتْ بينهم العصبيات القومية والوطنية. ولذلك فإن الدين الإسلامي بُني على إماتة العصبيتين القومية والوطنية، وعلى السعي في إحياء العصبية الدينية»[٢].

➢ وتأسف على تمزق شمل الجامعة بسبب تفرق علمائها فقال: «وقد رجع الأشعري عن الخوض فيه إلى مذهب السلف، وكذلك الغزالي وكذا إمام الحرمين والرازي ولكنه -ويا للأسف- بعد أن تمزَّقت الجامعة أيدي سبأ، وسلكتْ كل فرقةٍ من الفرق مذهبًا، وحصل الاختلافُ الذي نهى الله ورسولُه عنه، والتنازع والفشل الذي حذَّر الله ورسوله منه»[٣].

---

(١) «آثار المعلمي» (٤/ ١٤٦).

(٢) «آثار المعلمي» (٤/ ١٦٥-١٦٦).

(٣) آثار المعلمي (٤/ ١٦٩)، وصحح رجوع الأشعري إلى مذهب السلف، ثم قال: =

➢ ودعا علماء الفرق الإسلامية إلىٰ الاستيقاظ من السبات وجمع الشتات، فقال: «لو أنَّ علماء الفِرَق الإسلامية استيقظوا من سُباتهم، واجتمعوا علىٰ تأليف ميزان في مسائل الاعتقاد؛ ما كان متفَقًا عليه فأمْرُه واضح، وما كان مختَلَفًا فيه ردُّوه إلىٰ الله ورسوله، فصدَّقوا بما جاء عن الله ورسوله بدون بحثٍ عن كيفية و..... وغيرها، عاملين بما أمر الله ﷻ به في قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

والتزموا الوقف عن الخوض فيه، وألزموا عامة المسلمين ذلك، ورموا بالأغلوطات العقلية وراء ظهورهم، وأرشدوا الأمة إلىٰ ما كان عليه سلفها الصالح، من تعلُّم العربية وتدبُّر كتاب الله ﷻ، وسنة رسوله، وترك الخوض في المضايق العقلية التي لا ثمرةَ لها إلا النزاع والجَدَل، والخلاف والفشل، والعداوة والبغضاء، وتجزئة الدين إلىٰ أديان لا تُحْصَىٰ.

وهذه هي الطريقة الوحيدة في ضم شمل الإسلام وأهله، والتأليف بين قلوبهم.

وكذلك يعملون فيما كان من العادات الحادثة بعد القرون الأولىٰ، يرشد العلماء إلىٰ تركها والاستغناء بما شرعه الله تعالىٰ، والإقبال عليه، وهو الكثير الطيِّب. ومتىٰ وفّينا حقّ الفرائض المشروعات بصريح الشرع فضلاً عن المستحبّات، حتىٰ نذهب إلىٰ أشياء لم تثبت نحاول بها التقرّب إلىٰ الله تعالىٰ؟

= «ولكن عامة أتباعه لم يلتفتوا إليه»، وذكر رجوع الغزالي ثم قال: «ولعله لو مُدّ في عمره حتىٰ يتمكّن في معرفة السنة لتَحَنْبَل»، «آثار المعلمي» (٥/ ٢٩-٣٠، ٣٦)، وقال في (١١/ ٣٧٤): «...لكن لم يمتع بعمره حتىٰ يظهر أثر ذلك في تصنيفه». وذكر رجوع الرازي في (١١/ ٥٠١)، ثم قال: «وإنما أشبعتُ الكلام لأن كثيرًا من الناس تبعوه في مقالاته، ولم يلتفتوا إلىٰ رجوعه».

وجِماع القول: أن الله ﷻ إنما يُعْبَد بما شرع، وهذه الأشياء المحدثة قد قامت الأدلة القطعية على بطلانها... والمسلم مَن حَرَص على السلامة بأيِّ تقديرٍ كان، ولا أسلم ولا أعلم ولا أفضل ولا أتمّ مما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وتابعوهم، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم»(١).

➢ بل من دقيق فقهه وبُعد نظره قوله: «الشرع إنما يدعو إلى بناء المساجد عند الحاجة إليها، فلو كان لقرية مسجد يكفي أهلها، لم يستحبّ بناء مسجد آخر فيها، بل يكره أو يحرم؛ لكونه يكون سببًا للتفريق، وضياعًا للمال الذي يستدعيه البناء في غير محله، وتحجُّرًا لتلك البقعة عن أن ينتفع بها المسلمون في غير فائدة»(٢).

➢ وقال أيضًا: «أمَّا المقاصد السياسية في الأعياد فأهمها: الاجتماع؛ ليطَّلع كلٌّ من أفراد الأمة على أحوال غيره، ويتبادلوا الأفكار، ويوحدوا صفَّهم، وغير ذلك.

وقد راعتِ الشريعة الإسلامية الاجتماعَ على غاية ما يمكن؛ فشُرِعَت الجماعة في الصلوات الخمس لأهل كل قريةٍ أو محلّةٍ، وشُرِعَ تقليل المساجد وتوسيعُها؛ حتى لا يزيد عددها على قدر الحاجة، فيكون الزائد كمسجد الضرار تفريقًا بين المؤمنين، مع ما في ذلك من تحجير البقعة لغير حاجةٍ، وكان يمكن أن تنفع المسلمين باتخاذها مدرسةً أو نحوها.

---

(١) «آثار المعلمي» (٤/ ٤٥٤-٤٥٥).

(٢) «عمارة القبور» (المسودة) ضمن «آثار المعلمي» (٥/ ٢٢).

وبعض الأئمة يرىٰ أنَّ الجماعة فرض عينٍ؛ بل منهم من جعلها من شروط الصلاة.

ثم شُرِعت الجمعة ليجتمع أهل كل مدينةٍ في مسجدٍ واحدٍ؛ ولذلك لم يُجوِّز بعضُ الأئمة تعدُّد الجُمع في البلد الواحد وإن اتّسعَ وضاق المسجد، بل يجب علىٰ المسلمين توسيع المسجد ولو إلىٰ أميال. وهذا هو الموافق للسنة، وعمل القرون الأولىٰ مع اتساع المدن وكثرة الناس، وهو الموافق لحكمة الاجتماع.

ثم شُرِع العيد لاجتماعٍ أعمَّ من الجمعة؛ حتىٰ شُرِع فيه إخراج النساء؛ صغارًا وكبارًا، حتىٰ الحيَّض - كما مرَّ - وبعض الأئمة يرىٰ أن العيد فريضة.

ثم شُرِع الحج؛ ليجتمع في موضعٍ واحدٍ جميعُ المسلمين.

هذا هو الأصل؛ علىٰ ما تقدَّم. ولكن - ويا للأسف - المسلمون جهلوا هذه الحِكَم؛ فقليلٌ منهم يجتمعون هذا الاجتماعات المشروعة، والمجتمعون قليلًا ما يبحثون عن مصالحهم. حتىٰ إنَّ الخطب الجُمعية والعيدية والحَجّيَّة تراها بمعزلٍ عن هذا.

وأكثر الحجَّاج لا يبحثون عن شيء من مصالح المسلمين في سائر الأقطار.

اللهم أَيقِظِ المسلمين لتدبُّر دينهم الكافل لمصالح دنياهم وأخراهم، بيدك الخير، وعلىٰ كل شيء قدير»[1].

---

(١) «آثار المعلمي» (١٧/ ٥٤٠-٥٤١).

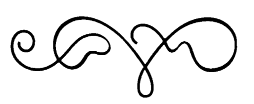
➢ وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «قد أكثر العارفون بالإسلام المخلصون له من تقرير أن كل ما وقع فيه المسلمون من الضعف والخَوَر والتخاذل وغير ذلك من وجوه الانحطاط إنما كان لبعدهم عن حقيقة الإسلام، وأرى أن ذلك يرجع إلى أمور:

الأول: التباس ما ليس من الدين بما هو منه.

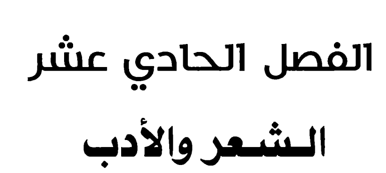
الثاني: ضعف اليقين بما هو من الدين.

الثالث: عدم العمل بأحكام الدين.

وأرى أن معرفة الآداب النبوية الصحيحة في العبادات، والمعاملات، والإقامة، والسفر، والمعاشرة، والوحدة، والحركة، والسكون، واليقظة، والنوم، والأكل، والشرب، والكلام، والصمت، وغير ذلك مما يعرض للإنسان في حياته مع تحري العمل بها -كما يتيسر- هو الدواء الوحيد لتلك الأمراض، فإن كثيرًا من تلك الآداب سهل على النفس، فإذا عمل الإنسان بما يسهل عليه منها تاركًا لما يخالفها لم يلبث -إن شاء الله تعالى- أن يرغب في الازدياد، فعسى ألا تمضي عليه مدة إلا وقد أصبح قدوة لغيره في ذلك، وبالاهتداء بذلك الهدي القويم، والتخلق بذلك الخلق العظيم، ولو إلى حد ما يستنير القلب وينشرح الصدر وتطمئن النفس، فيرسخ اليقين ويصلح العمل، وإذا كثر السالكون في هذا السبيل لم تلبث تلك الأمراض أن تزول إن شاء الله»[1].



(١) «آثار المعلمي» (٢٥/ ٣٠٣).



الفصل الحادي عشر

الشعر والأدب

مع رسوخ هذا الحبر في علم الحديث، والاعتقاد، والتفسير، والأصول، فقد كان الشاعر الأديب، بحسٍ مُرْهَفٍ، وسرعة بديهة، فالأبيات السائرة، والأمثال المضروبة، حاضرة في ذهنه، وعلىٰ أسلة قلمه، في مطاوي المطارحة والمناظرة، فمزج بها ردوده علىٰ المخالفين، فكانت ردوده مكسية بجمال العبارة، ولطيف الإشارة، مع متانة المعنىٰ، ورشاقة المبنىٰ.

ولقد كان تعلقه بالشعر والأدب قديمًا، ولَج مَهْيعه وهو دون العشرين من عمره، بعد أن حذِق أصول علم النحو، قال عن نفسه -كما تقدم-: «وكانت في كتب والدي كتاب «مقامات الحريري» وبعض كتب الأدب، فأُولعت بها، ثم حاولت قرض الشعر»، فنَظَم «القواعد الصغرىٰ» لابن هشام.

فتعلق بقرض الشعر، حتىٰ إنه ليَنظِمه في المنام، يقول: «فإني أيّام تعلُّقي بقرض الشعر كنت كثيرًا ما أرىٰ في النوم أني نظمتُ البيتَ أو البيتين أو الثلاثة فصاعدًا، وربما أسْتَيقظُ وأنا ذاكر لذلك»[1].

---

(١) «آثار المعلمي» (٤/ ٣٦٢)، وقفت لنظيرها في «ديوان ابن الأمير الصنعاني» (٤٣٧) فقال: «رأيت ليلة خامس وعشرين من شهر ذي الحِجة سنة (١١٤٤)، أربع وأربعين ومئة وألف، شيخنا العلامة زيد بن محمد بن الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ كأنَّا نقرأ عليه في تفسير أبي السعود، وكانت النسخ كأنها غير صحيحة، فجيء بصندوق فيه نسخة صحيحة فتعسّر علىٰ الحاضرين فتحه، فأخذه شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ وفتحه، فقلت مرتجلًا في المنام وأصبحت حافظًا ذاكرًا لها [الرمل]:

كيف لا تفتح صندوقًا وقد ... طالما فتحت أبكار المعاني

كل بحث مغلق تفتحه ... بعدما يعجز عنه الثقلان

وله ديوان شعر، سيأتي الحديث فيه مفصلًا، في الفصل الثاني، من الباب الثالث.

وفي محاورة بينه وبين السنوسي ترجل الإمام هذه الأبيات [البسيط]:

يا فاضلٌ دَلْوُهُ بالمكرماتِ مَلي وقَدْره كاسْمِهِ بين الأنام علي

ومَنْ علينا له الحقُّ الأكيدُ بما حواه من قربه من خاتم الرُّسُلِ

ما كان ما كان عن حبٍّ لمحمدةٍ ولم أُرِدْ سمعة بالبحث والجدلِ

لكنَّما الحقُّ أحرىٰ أنْ نُعَظِّمَهُ من الخداع بقولٍ غير معتدلِ

ولا أحبُّ لكم إلا الصواب كما أحبُّه وهو من خير المقاصد لي

فظُنَّ خيرًا كظني فيك محتملًا ما كان أثناء نصر الحقِّ من خَطلِ

فإنَّما غضبي للحقِّ حيث أرىٰ إعراضكم عنه تعليلًا بلا عِللِ

وقد علمتم صوابي في محاورتي والحمد لله ربِّ السهل والجبلِ

ثم السلام علىٰ المولىٰ الإمام أبي عليٍّ المرتقي أوجَ العُلا ابن علي

ثم السلام عليكم ما بدا قمرٌ أو ما بدا فضل ندبٍ غير منتحلِ

وحين نعىٰ بعضَ علماء العصر ترضيهم للملحدين بتأويل تعسفي لبعض حجج الشرع المطهر، ثم أتبعه ببيتين له، قال: «وعلماءُ المسلمين شديدو الغيرة علىٰ القرآن، والحرص علىٰ تبرئته عن المطاعن، فقد يحمل بعضَهم ذلك علىٰ أن يتأول بعض النصوص القرآنية، ويحمله علىٰ معنىٰ لا ينكره القوم.

ومتىٰ لم يفحش التأويل فالخطأ فيه - إن شاء الله تعالىٰ - مغفور، والباعث عليه أمرٌ محمودٌ؛ إلا أن الحقَّ أحقُّ أن يتبع، وأعزُّ من أن يُضطرَّ المنتصر له إلىٰ ترك بعضه. فالواجب علىٰ أهل العلم أن يبحثوا عن مستند القوم في إنكار الخوارق، فيهدموه بالحجة والبرهان. فأما ترضّيهم بتأويل بعض النصوص، فخَطَلٌ من الرأي...

فعلىٰ العالِم أن لا يرتكب هذه المفسدة العظيمة، لمصلحة متوهمة، وهي تخفيف سخرية الملحدين. وقد قلتُ [الطويل](1):

ومَن يَرَ نصرَ الحقِّ في هَدْمِ بعضِه ... فذاك أضرُّ من خَذُولٍ ومن خَصْمِ

ويُوشِكُ أن يختارَ تحطيمَ أُسِّه ... فيا لكَ تشييدًا أضرَّ مِنَ الهَدْمِ

ومن شعره [الكامل](2):

زارت وقد جنَّ الظلام وغابت الـ ... واشون فابتسمت ليَ الأفراحُ

سَفَرت فلم تألُ الفَرَاش تهافتا ... يحسبن أن جَبِينَها مصباح

فَشَكت إليَّ فقلت صبرًا إنها ... لَقلوبُ من يهواك والأرواح



(١) «آثار المعلمي» (٨/ ٧٩، ٨١).

(٢) هذه الستة المنتخبة من «آثار المعلمي» (٢٤/ ٤٥٦-٤٦٣).

ومن شعره [المديد]:

حِرْتُ في حبِّك يا نور عيني   رُبَّما يَصْلُدُ فكر الحكيم

أنعيمٌ كامن في عذاب   أم عذابٌ كامن في نعيم

إنَّه جرَّعَنِي كلَّ ذلّ   وهوان وبلاءٍ عظيم

ومن شعره [مجزوء الرجز]:

خيرُ بني زمانِنا   وإنْ بدىٰ مُشاهدا

سرابُ قاعٍ كلَّما   نَحَوْتَه تَباعَدا

ومن شعره [السريع]:

أفحمني من لم يكن عارفًا   لو لم يكن من ساحلي غارفًا

كالشمس منها نور بدر الدُّجىٰ   وربَّما يُلفىٰ لها كاسفًا

ومن شعره [الكامل]:

قالوا علىٰ البعداء أكثر جوده   فأجبتهم لا غرو فيه ولا عجب

فالشمس تحبو البدر بالأنوار إذ   ينأىٰ وينقص كلما منها اقترب

ومن شعره [مجزوء الكامل]:

كم من عداء في التدا ني كان ودًّا في التنائي
كالشمس فصل القيظ تُكْـ ـره وهي تُعشق في الشتاء

ومن شعره [الكامل]:

شيئان أشهى من نكاح الخُرَّدِ وألذُّ من شرب القَرَاح الأسودِ
وأجلُّ من رُتب الملوك عليهمُ وَشْيُ الحرير مطرَّزًا بالعَسْجدِ
سُود الدفاتر أن أكون نديمَها أبَدَ الزمان وبردُ ظلِّ المسجدِ[1]

---

(١) «آثار المعلمي» (٢٤/ ٤٦٣-٤٦٤)، وهذه الأبيات ذكرها المؤرخ الجَنَدي في «السلوك في طبقات العلماء والملوك» (٢/ ٦١، ٥٠٧)، وعنه الخزرجي في «العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أهل اليمن» (٣/ ١٦٤٩-١٦٥٠)، وشيخنا الأكوع في «هِجَر العلم ومعاقله في اليمن» (١/ ٤٤٤-٤٤٥)، منسوبة إلى الفقيه يحيى بن عمران وهذا لفظها:

شيئان أحلى من عناق الخرَّد وألذّ من شراب القراح الأسودِ
وأجل من رُتب الملوك عليهمُ وَشْي الحرير مطرز بالعسجد
سودُ الدفاتر أن أكون نديمها طول النهار وبردُ ظل المسجدِ
فإذا هما اجتمعا لشخص فارغٍ عن كل همٍّ نال أبعد مقصدِ
وعلا إلى رتب المفاخر كلها وحوى المحامد في الحياة وفي الغدِ
ثم الصلاة على النبي وآله ما أرقلت عِيسٌ بقاعٍ جَدْجدِ

ومن شعره [الوافر]:

سأجعل فضل مالي في كتابي وأرضى بالرثاثة في ثيابي
وأعرف أن درسًا في كتاب ألذُّ من المطاعم والشراب
ومِن لُبْس الحريرِ ووَشْيِ خَزٍّ وأحسنُ من ملامسة الكِعاب

➢ وفي ترجمته للحافظ ابن ماكولا، قال: «وله مقاطيع من الشعر من أجودها قوله[1]:

قوِّض خيامك عن أرض تُهان بها وجانِبِ الذُّلَّ إنّ الذلَّ مُجتنَبُ
وارحل إذا كانت الأوطانُ منقصةً فالمَنْدلُ الرطْبُ في أوطانه حطبُ

➢ ولم يكن هذا الأديب قمَّاشًا بل مفتشًا صيِّنًا فتراه يقول في الجاحظ: «كان في القرن الثاني جماعة ممن عُرف بسوء السيرة، والجهل بالسنة، ورقة الدين، كثمامة بن أشرس، والنظَّام، والجاحظ...»[2].

➢ وأوصى باجتناب أباطيل كتب الأدب فقال: «.. إنما يطالعون التواريخ وكتب الأدب كـ «الأغاني» ونحوها. وهذه الكتب يكثر فيها الكذب والحكايات الفاجرة، كان فَجَرةُ الأخباريين يضعون تلك الحكايات لأغراض منها: دفع الملامة عن أنفسهم. يقولون: ليس هذا العيب خاصًّا بنا، بل كان مَن قبْلنا كذلك حتى المشهورون بالفضل. ومنها: ترويج الفجور والدعاية إليه،

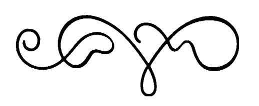
---

(١) «آثار المعلمي» (٢٥/ ٣٩-٤٠).
(٢) «آثار المعلمي» (١٠/ ٤١-٤٢). وانظر (١٢/ ٤٣٨).

ليكثر أهلُه، فيجد الداعي مساعدين عليه؛ ويقوىٰ عذرُه. ومنها: ترغيب الأمراء والأغنياء في الفجور، وتشجيعهم عليه ليجد الدعاة المتأدِّبون مراعي خِصبة يتمتّعون فيها بلذّاتهم وشهواتهم. ومنها: التقرُّب إلىٰ الأمراء والأغنياء بالحكايات الفاجرة التي يلذّ لهم سماعُها، إلىٰ غير ذلك. وما يوجد في تلك الكتب من الصدق إنما يصوِّر طائفةً مخصوصة كالأمراء المترفين، والشعراء والأدباء ونحوهم»(١).

➢ وقال أيضًا: «عزاه [أبو رَيَّة] إلىٰ «العقد الفريد»، والحكاية فيه بلا سند، وحاول صاحب «الأغاني» إسنادَها علىٰ عادته فلم يجاوز بها المدائني، وبَيْن المدائني وأبي هريرة نحو قرن ونصف، وهؤلاء سَمَرِيُّون إذا ظفِروا بالنكتة لم يهمّهم أَصِدْقًا كانت أم كَذِبًا، والعلمُ وراء ذلك»(٢).

➢ واعترف لأبي محمد بن قتيبة بالرسوخ في الأدب، فقال: «ابن قتيبة وابن النديم لا شأن لهما بمعرفة الرواية والخطأ والصواب فيها وأحوال الرواة ومراتبهم. وإنما فنّ ابن قتيبة معرفة اللغة والغريب والأدب. وابن النديم رافضيّ ورَّاق، فنّه معرفة أسماء الكتب التي كان يَتَّجِر فيها»(٣).



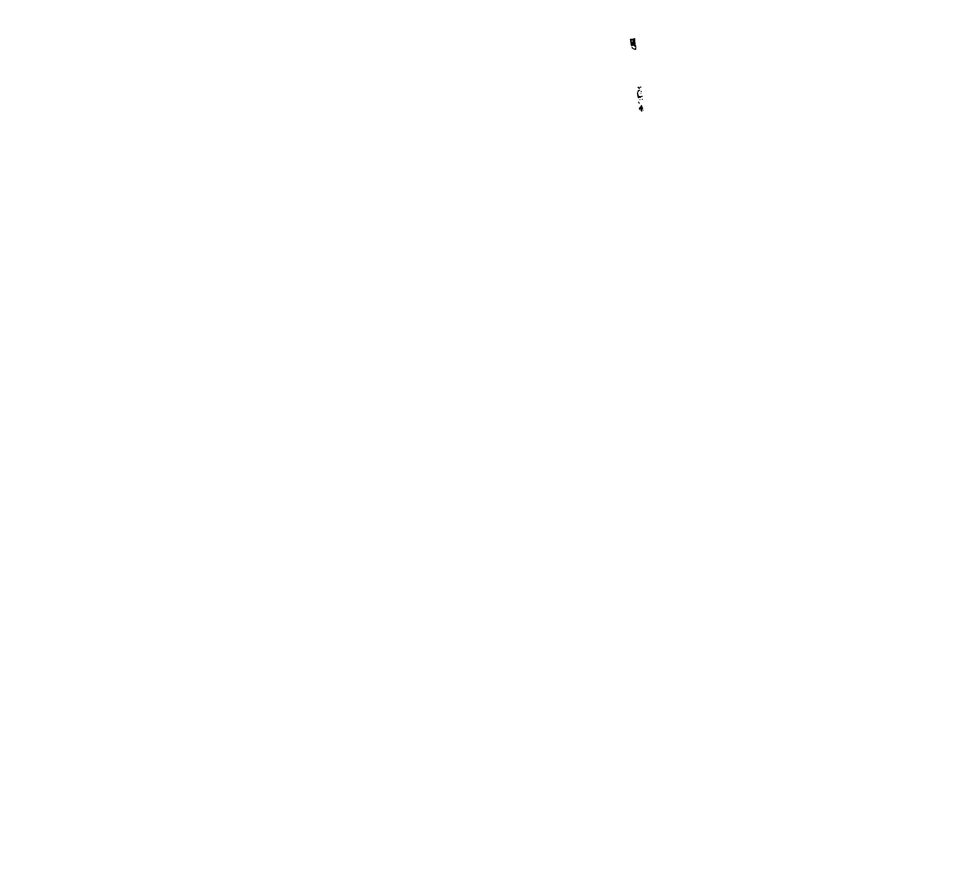
(١) «آثار المعلمي» (١٠/ ٤٤).
(٢) «آثار المعلمي» (١٢/ ٢٨٩-٢٩٠).
(٣) «آثار المعلمي» (١٠/ ١٦٦).

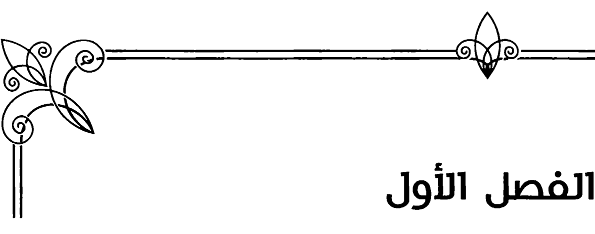


الباب الثالث

المنتخب من

نفـائس الـدرر





الفصل الأول

المنتخبات العقائدية

المبحث الأول: «حجج الحقِّ شريفةٌ عزيزةٌ كريمةٌ»:

ليست كالهَلُوك[1] تعرض نفسها، ولا كأمِّ خارجة -يُقال لها: خِطْبٌ، فتقول: نِكْحٌ-[2]، ولا كميٍّ في وقاحتها ولجاجها؛ إذ قال صاحبها[3]:

علىٰ وجهِ مَيٍّ مسحةٌ من مَلاحةٍ   وتحت الثياب العارُ لو كان باديا

فكشفت ثيابها، وقالت: هل ترىٰ عارًا؟

وإنما شأنها أن تدعو الناس إلىٰ طلبها، فمن جدَّ في طلبها وبذل وسعه في التقرُّب منها، ولم يكن له هوًىٰ في سواها، أو كان له ولكنه يؤثرها علىٰ ما عداها، كشفت عن وجهها وعرَّفته بنفسها؛ ومن فسد طبعه فلم يُعْنَ بشأنها

---

(١) الهَلوكُ من النساء: الفاجرةُ المتساقطةُ علىٰ الرجال، ولا يقال رجلٌ هَلوكٌ. «الصحاح» جذر (هـ ل ك).

(٢) من الأمثال السائرة: «أَسْرَعُ مِنْ نِكاحِ أُمِّ خَارِجَةَ. هي عَمْرَة بنت سعد بن عبد الله بن قدار بن ثعلبة، كان يأتيها الخاطبُ، فيقول: خِطْبٌ، فتقول نِكْحٌ، فيقول: انزلي، فتقول: أَنِخْ...». انظر «مجمع الأمثال» للميداني (١/ ٣٤٨).

(٣) نُسِب في «الأغاني» (١٨/ ٣٣) إلىٰ ذي الرُّمَّة، واسمه غيلان بن عقبة (ت: ١١٧)، وكان يحلف أنه ما قاله. وفيه أن ابنة عمٍ لِمَيٍّ قالته علىٰ لسانه.

أو قعدت به همَّته عن الجهاد في سبيل الوصول إليها قالت له[١]:

دَعِ المكارم لا ترحل لبُغيتها واقعد فإنَّك أنت الطاعم الكاسي

ومَن حَمَله الجهل بها والغرام بغيرها على أن يَعيبها وينفِّر عنها ازدادت عنه بعدًا واحتجابًا، وقالت: حسبه ذاك عقابًا.

ارض لمن غاب عنك غَيبتَه ذلك ذنبٌ عقابه فيه

ومَن كانت حاله بينَ بينَ أشارت إليه تشوِّقه، فإما أن يرقى به الشوق إلى درجة الأوَّل، وإما أن يحطَّه اليأس إلى درجة الثاني، وإما أن يبقى معلَّقًا فيوشك أن تَعْرِض له إحدى البغايا فتذهب به إلى حيث ألقت رَحْلَها أُمُّ قَشْعَمٍ»[٢].

---

(١) البيت للحطيئة. هجا به الزبرقان بن بدر؛ شبهه بالمرأة، وقد شكاه إلى عمر فَقَالَ عمر لحسان: مَا تَقول أهجاه؟! وعمر يعلم من ذَلِك مَا يعلم حسان وَلكنه أَرَادَ الْحجَّة على الحطيئة قَالَ: ذرق عَلَيْهِ فَأَلْقَاهُ عمر في حُفْرَة اتخذها محبِسًا فَقَالَ الحطيئة:

مَاذَا تَقول لأفراخ بذي مرخ حُمْر الحواصل لا مَاء وَلَا شجر
ألقيت كاسبهم فِي قَعْر مظْلمَة فَاغْفِر عَلَيْك سَلام الله يَا عمر

انظر «طبقات فحول الشعراء» (١/ ١١٦-١١٧).

(٢) «آثار المعلمي» (٢/ ٥٦-٥٧)، وأم قشعم كنية الموت، أي: بمَضْيَعَة حيث الهلاك والموت. وإنّما كنوا عن المنيّة بـ «أمّ قشعم»؛ لأنّ الرجل إذا قُتل، اجتمعت عليه القَشاعِمُ، وهي النُّسُور. انظر «شرح المفصل» لابن يعيش (١/ ١٢١).

وانظر لهذا المبحث: «آثار المعلمي» (١١/ ٢٩٧-٣٠٦ و١٧/ ٧٩٥ و١٩/ ١٠).

المبحث الثاني: لماذا يتخذ ملوك الدنيا بطانة تبلِّغهم حاجات الناس إليهم؟!

- «أوَّلاً: لجهل الملِك، فلا يتيسَّر له العلم بحوائج الرعية كلهم.
- ثانيًا: لعجزه فلا يستطيع الاستماع من كل أحد.
- ثالثًا ورابعًا وخامسًا: لفقره وبخله ورئائه، فهو لا يقدر أو لا يريد قضاء الحوائج كلها، ولا يحب أن يعلم الناس أنه فقير أو بخيل فهو يرائي الناس بأن يوكِّل وسائط لسماع الحوائج حتىٰ يقضيَ منها ما أراد، ويترك ما أراد، فيظن العامة أنَّه ليس به فقر ولا بخل ولكنَّ الوسائط لم يبلِّغوه.
- سادسًا: لخُيلائه لا يحب أن يصل إليه الضعفاء والمساكين.
- سابعًا: لخوفه أن يكون في غِمار الناس من يريد قتله.
- ثامنًا: لحقده فلا يحب أن يتصل به من قد أساء إليه.
- تاسعًا: لاحتياجه إلىٰ أولئك المقرَّبين ليسعوا في معونته وتأييد ملكه، فهو يوهمهم أنه لم يكن يريد أن يقضيَ تلك الحوائج لولا شفاعتهم.
- عاشرًا: لخشيته من رؤوس الناس أن يسعوا في زوال ملكه، فهو يداريهم بأن يمنحهم الرياسة والإمارة والوساطة بينه وبين الرعية.

وهناك أسباب أخرىٰ من هذا القبيل، منها: خوف الملك من نفسه أن يغضب في غير موضع الغضب، أو يبخل في غير موضع البخل، أو يكافئ علىٰ الإحسان بأقلَّ مما ينبغي، أو يعاقب علىٰ الذنب بأشدَّ مما ينبغي، وأشباه ذلك، وكلها نقائص لا يخفىٰ أنَّ الله ﷻ متعالٍ عنها وعن أشباهها.

والمقرَّبون إلىٰ ملوك الدنيا يرون أنَّ لهم حقًّا أن يشفعوا إلىٰ الملوك وأن تُقبل شفاعتهم؛ لأمور، منها: علمهم بما تقدَّم من النقائص في الملوك، ومنها: أنهم يرون لأنفسهم حقًّا علىٰ الملوك لتأييدهم لملكهم وسَترهم عيوبهم وإظهارهم محاسنهم وقدرتهم علىٰ أن يضرُّوا الملوك إذا أرادوا وغير ذلك»[1].



(١) «آثار المعلمي» (٣/ ٨٥٣-٨٥٤).

المبحث الثالث: فما عسى أن يكون حال العلماء السلفيين؟!

ساق رجوع العلامة الجويني عن علم الكلام ثم قال:

«فتدبر كلام هذا الرجل الذي طبقت شهرته الأرض يتَّضِحْ لك منه أمور:

الأول: حسن ثقته بصحة اعتقاد العجائز وبأنه مقتضٍ للنجاة.

الثاني: سقوط ثقته بما يخالف ذلك من قضايا النظر المتعمق فيه، وجزمه بأن اعتقاد تلك القضايا مقتضٍ للويل والهلاك.

الثالث: أنه مع ذلك يرىٰ أن حاله دون حال العجائز لأنهن بقين علىٰ الفطرة وسلمن من الشك والارتياب، ولَزِمْنَ الصراط، وثَبَتْنَ علىٰ السبيل، فرجا لهن أن يكتب الله تعالىٰ في قلوبهن الإيمان، ويؤيدهن بروح منه، فلهذا يتمنىٰ أن يعود إلىٰ مثل حالهنَّ، وإذا كانت هذه حال العجائز، فما عسىٰ أن يكون حال العلماء السلفيين؟!»[1].



(١) «يسر العقيدة الإسلامية» ضمن «آثار المعلمي» (٥/ ٣٤-٣٥)، وانظر: «آثار المعلمي» (١١/ ٣٧٠).

المبحث الرابع: لا حاجة بأهل السنة إلى تعسف الطعن في المجاز:

«توسعت المبتدعة في دعوىٰ المجاز، فحرّفوا كثيرًا من نصوص الكتاب والسنة، وزعموا أن نصوصهما لا تفيد إلا الظنّ. ويكفي في دحض شبهتهم بيان حقيقة المجاز وأنه لا بدّ فيه مع قوة العلاقة وحصول الفائدة من ظهور القرينة عند المخاطب، فإن المخاطب لا يجوز أن يلقىٰ إليه مجاز ليست قرينته ظاهرة له، وإلا كان الكلام كذبًا. وقد ذهب أكثر أهل العلم إلىٰ أن المجمل الذي له ظاهر لا يجوز تأخير بيانه عن وقت الخطاب، والباقون أجازوا التأخير إلىٰ وقت الحاجة فقط. ولا خلاف عند التحقيق في النصوص التي ينبني عليها اعتقاد، فإن وقت الحاجة فيها هو وقت الخطاب. فهذا وحده كافٍ لدفع ضلالات المبتدعة، كيف ومعه حجج أخرىٰ ليس هذا محل بسطها.

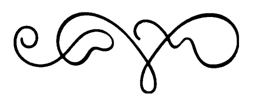
والمقصود أنه لا حاجة بأهل السنّة إلىٰ تعسّف الطعن في المجاز والتشكيك فيه، فإنه يخشىٰ من ذلك ضرر أكبر مما يتراءىٰ فيه من النفع، وذلك شأن كل باطل يتوصل به إلىٰ دفع باطل آخر، والله أعلم»[1].



(١) «آثار المعلمي» (٨/ ١٤٦-١٤٧).

المبحث الخامس: من أوسع أودية الباطل:

«من أوسع أودية الباطل الغلو في الأفاضل، ومن أمضى أسلحته أن يرمي الغالي كل من يحاول رده إلى الحق ببغض أولئك الأفاضل ومعاداتهم يرى بعض أهل العلم أن النصارى أول ما غلوا في عيسى عليه السلام كان الغلاة يرمون كل من أنكر عليهم بأنه يبغض عيسى ويحقِّره ونحو ذلك، فكان هذا من أعظم ما ساعد على انتشار الغلو؛ لأن بقايا أهل الحق كانوا يرون أنهم إذا أنكروا على الغلاة نسبوا إلى ما هم أشد الناس كراهية له من بغض عيسى وتحقيره، ومقتهم الجمهور، وأُوذوا، فثبطهم هذا عن الإنكار، وخلا الجو للشيطان، وقريب من هذا حال الغلاة الروافض، وحال القبوريين، وحال غلاة المقلدين»[1].



(١) «آثار المعلمي» (١٠/ ٨).



الفصل الثاني

المنتخبات في الاتباع والتقليد

المبحث الأول: من مسالك الهوى:

«قد تَهْوَىٰ القولَ لأن في مقابله مشقَّةً كعدم وجوب الجماعة، أو إخراجَ مالٍ كجواز الحيل لإسقاط الزكاة، أو تحصيلَ مال كجواز العِيْنة، أو شهوةً كاستحلال النبيذ والملاهي، أو موافقةً لهوىٰ مَنْ تُحِبُّ أو مخالفةً لهوىٰ مَنْ تُبْغِضُ كأن يُطَلِّقَ رجلٌ، ثم يَنْدَم فيستفتيك فتهْوَىٰ عدمَ الوقوع إن كان صديقَكَ، والوقوعَ إن كان بغيضَك.

وقد تَهْوَىٰ القولَ لأنك ترىٰ ذهابك إليه، وانتصارك له يُكْسِبُكَ جاهًا وقبولاً وشهرةً؛ كأن يكونَ موافقًا لهوىٰ الأمراء والأغنياء والعامَّة، وهذا من أَضَرِّ الأهواء وأهدمها للدِّين.

وقد تهواه لأنك ترىٰ في ظهور صحَّته فخرًا لك، وفي ظهور بطلانه غضاضةً عليك، فتهْوَىٰ القولَ الذي سبق أن قلتَ به وعرفهُ الناسُ، والقولَ الذي مضىٰ عليه آباؤُك أو مشايخُك أو إمامك، أو أي رجل أو فريق تنتسب إليه؛ لأنك ترىٰ أن ما يثبت لمن تنتسب إليه من مدحٍ بإصابة أو نقص بغلطٍ يَسْرِي إليك.

وقد تهوَىٰ القول لمناسبةٍ ما بينك وبين قائله، كأن تكون حنبليًّا فتهْوَىٰ قول مالك إن كنت مدنيًّا، أو قول أبي حنيفة إن كنت فارسيًّا، أو قول الشافعي إن كنت قرشيًّا، حتىٰ لقد نجد المرأة في عصرنا تميل إلىٰ قول يُرْوَىٰ عن عائشة.

وقد تهواه لأن في ظهور صحته نقصًا على من ينافسك من أقرانك ومعاصريك؛ لأنك تحبُّ ظهور نقصهم وظهورَ فَضْلِكَ عليهم. وكذلك تهواه إذا كان في ظهور صحته تخطئةً لمن كان ينافس أباك أو شيخك أو إمامك أو أيَّ رجل أو فريق تنتسب إليه؛ لأنك ترىٰ أن في ظهور نقص ذاك رجحانًا لمن تنتسب إليه يسري إليك، حتىٰ لقد يسمع الحنفي شعرًا منسوبًا إلىٰ الإمام الشافعيِّ فيحرص علىٰ أن يقدح في فصاحته.

وقد تَهْوَىٰ القولَ لأن فيه فضيلةً لك أو لمن تنتسب إليه أو توافقه في أمرٍ مَّا، أو لأن في مقابله نقصًا لمن يخالفك أو يخالف مَنْ تنتسب إليه، أو توافقه فتهوىٰ القول بأنَّ الأعجميَّ كفءٌ للعربيَّة إن كُنْتَ عجميًّا، ومقابله إن كُنْتَ عربيًّا، وتهوَىٰ صحةَ ما رُوِيَ في فضل العربِ دون ما رُوِيَ في فضل فارسٍ إن كنت عربيًّا، وعكسه إن كنت فارسيًّا...

وقد تهوىٰ القول لأنه يُطْمِعُكَ في النجاة في الأخرىٰ وإن ساء عملك، كالإرجاء المحض والغلوِّ في إثبات الشفاعة، وكالميل إلىٰ صحة ما رُوِيَ من الأحاديث والآثار في الفضائل الخطيرة علىٰ الأعمال اليسيرة، وفي نجاة مَنْ مات بأحد الحرمين إن كنت تُؤَمِّلُ ذلك؛ وفي أن أهل البيت مغفورٌ لهم إن كُنْتَ منهم، وغير ذلك»[1].



(١) «آثار المعلمي» (٢/ ٦٩-٧١).

المبحث الثاني: قد ينعكس الهوى:

«قد ينعكس الهوىٰ فَيَهْوَىٰ الإنسانُ أن ينقض قولَهُ السابقَ وأن يخالفَ آباءه وأجدادَه وشيوخَه وأئمّتَه وسائرَ ما تقدَّم، يَهْوَىٰ ذلك حرصًا علىٰ أن يقال: حرُّ الفكر بريءٌ من التعصُّب، وطمعًا أن يُعَدَّ مجدِّدًا يُؤْخَذُ عنه، وإمامًا يُقْتَدَىٰ به، وعلىٰ الأقلِّ يرىٰ أنه إذا خالف الأكابر فقد صار قِرنًا لهم. وقد كان أصاغرُ الشعراءِ يَتَعَرَّضون لِهَجْوِ أكابرهم كجرير والفرزدق وبَشَّار، كل ذلك ليرتفعوا بذلك فيقال: إن فلانًا ممن هاجىٰ جريرًا، ولهذا كان الأكابرُ يترفَّعُون عن إجابة هؤلاء المتعرِّضين»[1].

المبحث الثالث: من مسالك الهوى حب التيسير:

«فإن وجدته حبَّ التيسير علىٰ نفسك فعِظْهَا واستحضر فناء الدنيا وبقاء الآخرة وغير ذلك. وإن وجدته حبَّ التيسير علىٰ الناس فاستحضر أن ربهم أرحمُ بهم منك، وأن الخير لهم إنما هو في طاعة ربهم في العسر واليسر»[2].



(١) «آثار المعلمي» (٢/ ٧١-٧٢).
(٢) «آثار المعلمي» (٢/ ٧٣-٧٤).

المبحث الرابع: تفقد المسائل الخلافية!

«وتَفَقَّد المسائل الخلافية التي قد استقرَّ في نفسك الحكمُ فيها وترىٰ أنه إنما استقرّ للحجة، فتدبَّرْ تلك الحجة، فإن وجدتها قاطعة كَنَصٍّ قاطعٍ يكون القدحُ فيه قدحًا في الشارع، أو كإجماع محقَّقٍ، كفاك ذلك، وإن وجدتَهَا دون ذلك فإنك لا تأمَنُ أن تكون شبهةً رجَّحَها عندك الهوىٰ»[1]

المبحث الخامس: قد يكون الحق عند مخالفك:

«مِنْ طَبع الإنسان أنه إذا عرف في طائفة أنهم علىٰ الحق في كثير من المسائل، وعرف في طائفة أخرىٰ أنهم علىٰ باطل في كثير من المسائل، ثم ذكرت له مسألة اختلفت الطائفتان فيها، فإنه يتسرَّع إلىٰ الحكم بأن الحقَّ فيها مع الطائفة الأولىٰ، ولو لم يعرف لهم حجَّة، بل قد تُتْلىٰ عليه الحجج الموافقة للطائفة الثانية، وتكون قويَّة ولا يعرف حجَّة للطائفة الأولىٰ، ولكنه لا يستطيع دفع ذلك الوهم عنه، وهذا من أشنع الغلط.

وفي الحديث: «الكلمة الحكمة ضالَّة المؤمن، حيثما وجدها فهو أحقُّ بها»، أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة مرفوعًا»[2].

---

(١) «آثار المعلمي» (٢/ ٧٤-٧٥)، وانظر (٢٢/ ٢٥٩).

(٢) «آثار المعلمي» (٢/ ٢١٢-٢١٣) ثم نقل تضعيف الترمذي للحديث، ثم قال: «ومعناه صحيح يشهد له الكتاب والسنة...وهو يُشير إلىٰ أمور: منها: أن الحق كثيرًا ما يوجد عند مَنْ ليس من أهله فضلًا عمن أسيئت سمعته».

المبحث السادس: منصب القاضي لا منصب المحامي!

«والحاصل: أن طالب الحق إذا اختلف عليه العلماء كان عليه أن يَنْصِب نفسه منصب القاضي فيسمع قولَ كلٍّ واحد منهم وحجته، ثم يقضي بالقسط، فكما أن القاضي إذا اختصم إليه وليٌّ وفاجر أو مؤمن وكافر ليس له أن يقضي للوليِّ أو المؤمن بدون حجة، ولا أن يسمع منه ويُعْرِضَ عن خصمه، ولا أن يمتنع عن الحكم للفاجر أو الكافر إذا توجَّه له الحق، فكذلك طالب الحق في المسائل المختلف فيها...

واعلم أن أكثر العلماء المنتسبين إلى المذاهب لم ينصبوا أنفسهم منصب القضاة، وإنما نَصَبوا أنفسهم منصب المحامين، كلٌّ عن المذهب المنتسِب إليه فعلى طالب الحق أن ينزلهم منازلهم فلا يعدّهم قضاة يُقْبل قولهم في تأييد المذهب المنتسبين إليه وتخطئة غيره، بل عليه أن يعرف أنهم محامون عن مذاهبهم، فلا يسمع من أحد منهم إلا كما يسمع القاضي من المحامي»[١].



(١) «آثار المعلمي» (٢/ ٢١٥-٢١٦).

المبحث السابع: العلوم كالصنائع:

«العلوم كالصنائع، قد يكون الرجل نَجَّارًا ولا يحسن من الصنائع غيرها، ولا يمنعه ذلك أن يقال: إنه صانع ماهر، فهكذا قد يكون الرجل ماهرًا في العربية فقط؛ كسيبويه، ولا يمنعه ذلك أن يقال: إنه عالم علَّامة إمام.

وكان أهل القرون الأولىٰ من الورع والمعرفة بحيث إن العالم بفنٍّ لا يتعاطىٰ الكلام في غيره، والعامَّة لا يسألون في كلِّ علمٍ إلَّا من عُرِفَتْ له الإمامةُ فيه. فكان الناس في بغداد في زمن المأمون وما بعده مَنْ أحب أن يسأل عن شيء من الحديث وفقهه سأل الإمام أحمد وأضرابه، ومَنْ أحب أن يسأل عن شيء من الرأي والقياس سأل أصحاب الإمام أبي حنيفة، ومَنْ أحبّ أن يسأل عن شيء من العربية سأل أصحاب الكسائي وأضرابهم، ومَنْ أحبَّ أن يسأل عن شيء من الورع وأمراض القلب سأل أضراب بِشْرٍ الحافي وأصحابه، ومَنْ أحبَّ أن يسأل عن شيء من المغازي والأخبار سأل أصحاب الواقدي وأمثالهم، وقس علىٰ ذلك.

وقد كان جماعة من أئمة الحديث المضروب بهم المثل إذا سئل أحدهم عن مسألة فقهية يقول للسائل: سَل الفقهاء.

ولكن في العصور الوسطىٰ تغيَّر الحال، فكم من عارف بفنٍّ خاصٍّ تعاطىٰ الكلام في غيره، واغترَّت العامة بشهرته فقلَّدوه في جميع العلوم»[1].



(١) «آثار المعلمي» (٢/ ٢٢٢-٢٢٣).

المبحث الثامن: تحسين العلماء لبدع الأمراء:

«من أعظم مزايا السلف: ما نبَّه عليه ابن الحاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال ما معناه: كان في عهد السلف إذا ابتدعت العامّة بدعة قام العلماء في إبطالها، وأما علماء الخلف فإنهم إذا ابتدع أحد من العامَّة والأمراء والأغنياء بدعةً قام العلماء في الترغيب فيها والانتصار لها وتوجيهها.

أقول: وقد صدق وبرَّ، ومَن أراد من أمرائنا وأغنيائنا فليجرِّب بأن يُحْدِثَ بدعة، ثم يستعين بالعلماء والمتصوِّفين فسيجدهم أسرع ما يكون إلىٰ الترغيب فيها وتحريف الكتاب والسنة في سبيل تحسينها وتضليل أو تكفير مَن قد يتعرّض لردِّها، ولعلَّ الأعلم الأتقىٰ منهم هو الذي يُلزم نفسه السكوت، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

وبهذا هلكت الأمم السابقة، وقد قصّ الله تعالىٰ في كتابه عن اليهود والنصارىٰ ما فيه أعظم العبر»(١).



(١) «آثار المعلمي» (٢/ ٢٢٦).

المبحث التاسع: العباد والزهاد ليسو أهلًا للفتوى:

«قد كان في السلف الصالح كثير من الزهاد والعباد، فلم يكن الناس يرجعون إليهم ولا إلىٰ أقوالهم في الأمور العلمية، وإنما كانوا يرجعون إليهم في دقائق الورع، وترقيق القلوب، ومداواة النفوس، ونحو ذلك»(١).

وقال أيضًا: «الزُّهاد والعُبَّاد لا يعتدُّ بأقوالهم ما لم يكونوا من العلوم المعروفة بدرجة الاجتهاد»(٢).

المبحث العاشر: ليس الرسوخ بكثرة العلم:

«الرُّسوخ في العِلْم أمرٌ خفيٌّ، ليس هو كثرة العِلْم، فكم مِن رجلٍ كثير العِلْم ليس براسخٍ... فالرسوخ إذن حالٌ قلبية؛ كما قال النبي ﷺ في الغِنَىٰ: «ليس الغِنَىٰ عن كثرة العَرَض، ولكنَّ الغِنَىٰ غِنَىٰ النَّفس»؛ فكذلك نقول: ليس الرُّسوخ عن كثرة العِلْم، ولكنَّ الرُّسوخَ رسوخُ الإيمان في القلب...»(٣).



(١) «آثار المعلمي» (٢/ ٢٤٠)، وانظر (١٣/ ٢٣ و١٤/ ٧٥ و١٥/ ١٨٥).
(٢) آثار المعلمي (٦/ ١١٣).
(٣) «آثار المعلمي» (٦/ ٥٦-٥٨).

المبحث الحادي عشر: أسباب الفساد في العباد:

«وقد تدبَّرتُ أنواع الفساد فوجدتُ عامَّتها نَشَأَت عن إماتة السُّنن، أو إقامة البدع، ووجدتُ أكثر المسلمين يبدو منهم الحرص علىٰ اتباع السُّنن واجتناب البدع، ولكن الْتبس عليهم الأمر، فزعموا في كثير من السنن أنَّه بدعة، وفي كثير من البدع أنَّه سُنة.

وكلَّما قام عالم فقال: هذا سنة، أو هذا بدعة عارَضَه عشرات أو مئات من الرؤساء في الدِّين، الذين يزعم العامة أنَّهم علماء، فردُّوا يده في فِيهِ، وبالغوا في تضليله والطَّعن فيه، وأفتوا بوجوب قتله أو حبسه أو هجرانه، وشمَّروا للإضرار به وبأهله وإخوانه، وساعدهم ثلاثة من العلماء، عالم غالٍ، وعالم مفتون بالدنيا، وعالم قاصر في معرفة السنة وإن كان متبحِّرًا في غيرها.

فإذا سمع بذلك من بقي من أفراد العلماء الصادقين كان نصرهم لأخيهم أن يحرقوه باللَّوم والتَّعنيف، قائلين: قد كان يَسَعُك ما وسع غيرك من السكوت!»[(١)].

المبحث الثاني عشر: كيف تمت غربة الدين؟!

«مضت عدة قرون لا تكاد تسمع فيها بعالم قائم بالمعروف لا يخاف في الله لومة لائم، بل لا تجد رجلًا من أهل العلم إلا وهو حافظ لحديث: «حتىٰ إذا رأيت هوىً متَّبعًا وشُحًّا مطاعًا وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخويْصَّة نفسك ودع عنك أمر العامة» يعتذر به عن نفسه ويعذل به من رآه يتعرّض لإنكار شيءٍ من المنكر.

(١) «آثار المعلمي» (٦/ ١٢٧).

وقد وُجد ذلك في آخر عصر الصحابة بعد الثلاثين سنة، فكان أبو سعيد رضي الله عنه واحد عصره في التجاسُر على إنكار المنكر بقدْرِ الإمكان، حتى شدّد في ذلك عبد الملك بن مروان، خطب على منبر وقال: «والله لا يقول لي أحدٌ: اتق الله، إلا ضربت عنقه...» ثم توارثها الملوك والأمراء إلا مَن شاء الله.

ولهذا عَظم عند الناس ابن طاووس وعمرو بن عبيد وغيرهما ممن كان يتجاسر على النهي عن المنكر.

وعلى كل حال فالمعروفون من العلماء بذلك أفراد يعدون بالأصابع والجمهور ساكتون. وأما في القرون المتأخرة فشاعت المنكرات بين الملوك والأمراء والعلماء والعامة ولم يبق إلا أفراد قليلون لا يجسرون على شيء فإذا تحمّس أحدهم وقال كلمةً، قالت العامة: هذا مخالف للعلماء ولما عرفنا عليه الآباء.

وقال العلماء: هذا خارق للإجماع مجاهر بالابتداع.

وقال الملوك والأمراء: هذا رجل يريد إحداث الفِتن والاضطرابات، ومن المحال أن يكون الحق معه، وهؤلاء العلماء ومن تقدمهم على باطل، وعلى كلٍّ فالمصلحة تقتضي زجره وتأديبه!

وقال بقية الأفراد من المتمسكين بالحق: لقد خاطر بنفسه وعرّضها للهلاك، وكان يسعه ما وَسِع غيره!

وهكذا تمَّت غُربة الدين، فإنا لله وإنا إليه راجعون!»[١].



(١) «آثار المعلمي» (٥/ ١١٣-١١٤ح).

المبحث الثالث عشر: من موانع الرجوع إلى الحق:

«ومخالفة الهوىٰ للحق في الاعتراف بالحق من وجوه:

الأول: أن يرىٰ الإنسان أنَّ اعترافَه بالحق يستلزم اعترافَه بأنه كان علىٰ باطل. فالإنسان ينشأ علىٰ دين أو اعتقاد أو مذهب أو رأي يتلقَّاه من مربِّيه ومعلِّمه علىٰ أنه حقٌّ، فيكون عليه مدةً، ثم إذا تبين له أنه باطل شقَّ عليه أن يعترف بذلك. وهكذا إذا كان آباؤه أو أجداده أو متبوعه علىٰ شيء، ثم تبيَّن له بطلانه. وذلك أنه يرىٰ أن نقصَهم مستلزمٌ لنقصه، فاعترافه بضلالهم أو خطئهم اعتراف بنقصه. حتىٰ إنك لترىٰ المرأة في زماننا هذا إذا وقفتْ علىٰ بعض المسائل التي كان فيها خلاف بين أم المؤمنين عائشة وغيرها من الصحابة أخذت تُحامي عن قول عائشة، لا لشيء إلا لأن عائشة امرأة مثلها، فتتوهم أنها إذا زعمت أن عائشة أصابت وأن مَن خالفها من الرجال أخطأوا، كان في ذلك إثبات فضيلة لعائشة علىٰ أولئك الرجال، فتكون تلك فضيلةً للنساء علىٰ الرجال مطلقًا، فينالها حظٌّ من ذلك. وبهذا يلوح لك سرُّ تعصُّبِ العربي للعربي، والفارسي للفارسي، والتركي للتركي، وغير ذلك. حتىٰ لقد يتعصب الأعمىٰ في عصرنا هذا للمعرِّي!

الوجه الثاني: أن يكون قد صار له في الباطل جاه وشهرة ومعيشة، فيشقُّ عليه أن يعترف بأنه باطل، فتذهب تلك الفوائد.

الوجه الثالث: الكِبْر. يكون الإنسان علىٰ جهالة أو باطل، فيجيء آخر فيبيِّن له الحجة فيرىٰ أنه إن اعترف كان معنىٰ ذلك اعترافه بأنه ناقص، وأن ذلك الرجل هو الذي هداه. ولهذا ترىٰ من المنتسبين إلىٰ العلم مَن لا يشقُّ عليه الاعترافُ بالخطأ إذا كان الحقُّ تبيَّن له ببحثه ونظره، ويشقُّ عليه ذلك إذا كان غيرُه هو الذي بيَّن له.

الوجه الرابع: الحسد. وذلك إذا كان غيرُه هو الذي بيَّن الحق، فيرىٰ أن اعترافه بذلك الحقِّ يكون اعترافًا لذلك المبيِّن بالفضل والعلم والإصابة، فيَعْظُم ذاك في عيون الناس، ولعله يتبعه كثير منهم. وإنك لتجد من المنتسبين إلىٰ العلم مَن يَحرِص علىٰ تخطئة غيره من العلماء ولو بالباطل، حسدًا منه لهم، ومحاولةً لحطِّ منزلتهم عند الناس»[1].

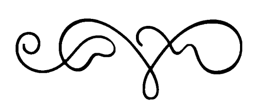
المبحث الرابع عشر: أسلافنا على ثلاث طبقات:

«وبالجملة، فأسلافنا علىٰ ثلاث طبقات:

الأولىٰ: من وَضَحَ لنا اعتصامُه بالكتاب والسنة، فهؤلاء الذين نتولاهم.

الثانية: من وضَح لنا تهاونُه بالكتاب والسنة، فعلينا أن نتبرأ منهم.

الثالثة: قوم خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا عسىٰ الله أن يعفو عنهم ويعذرهم. وعلينا أن نحمدهم فيما أصابوا فيه، ونبرأ مما أخطأوا فيه. والله المستعان»[2].



(١) «آثار المعلمي» (١١/ ٢٩٤-٢٩٧).

(٢) «آثار المعلمي» (١١/ ٥٠٨).



الفصل الثالث

المنتخبات الحديثية

المبحث الأول: تساهل المتأخرين في التصحيح:

«ومنهم من يحكي عن بعض المتأخرين، كالسبكي وابن حجر وابن الهمام والسيوطي ونحوهم، أنهم صحَّحوا ذلك الحديث أو الأثر أو حسَّنوه، ويكون جهابذة العلم من السلف قد ضعّفوا ذلك الحديث أو حكموا بوضعه، وهم أجلّ وأكمل من المتأخرين، وإن كان بعض المتأخرين أولي علم وفضل وتبحُّر، ولكننا رأيناهم يتساهلون في التصحيح والتحسين، ويراعون فيه بعض أصول الفن، ويغفُلون عما يعارضها من الأصول الأخرىٰ، وفوق ذلك أن السلف كانوا أبعد عن الهوىٰ.

ومن هنا قال ابن الصلاح: «إن باب التصحيح والتحسين قد انسدَّ، ولم يبق فيهما إلا النقل عن السلف»[1]. وهذا القول خطأ، ولكنه يعين علىٰ ما نريده، وهو وجوب الاحتياط فيما يصحِّحه المتأخرون أو يحسِّنونه.

وهكذا جماعة من المتقدمين لا يُغْترُّ بتصحيحهم، كالحاكم وابن حبان، بل والترمذي، ولا سيَّما تحسينه.

وهؤلاء أئمة كبار، ولكن الحاكم كان هَمُّه في كثرة الجمع ليردَّ علىٰ مَنْ قال من المبتدعة: إنه لم يصح عند أهل الحديث إلا ما في صحيحي البخاري

(١) «مقدمة ابن الصلاح» (٨٩)، وقد تتابع أهل العلم علىٰ رد هذا القول، كما تجده مبسوطًا في كتب علم الحديث.

ومسلم، كما ذكر هذا في مقدمة «مستدركه»، فجمع ولم يحقِّق ولم ينتقد. وكان عَزْمُه أن ينظر في الكتاب مرة أخرىٰ ليُخرج منه ما ليس من شرطه، ولكنه لم يتمكن من ذلك، كما ذكره السخاوي في «فتح المغيث»[(١)].

وقد انتقد أحاديثه الذهبي وابن دقيق العيد، وطبع كتاب الذهبي مع «المستدرك»، ولكني وجدته يتسامح أيضًا، فكثيرًا ما يكون في الحديث رجلٌ مدلِّس ولم يصرِّح بالسماع، أو رجل اختلط بأَخَرَة، وربما أخرج له الشيخان أو أحدهما مما سُمِع منه قبل الاختلاط، أو رجل ضعيف قد انتقد الأئمة مسلمًا أو البخاري في الرواية له في الصحيح، أو رجل عن رجل كان يُضَعَّف في روايته عنه، وإنما يروي له الشيخان مما رواه عن غيره، أو رجل كان يُضَعَّف في حفظه وإنما أخرج له الشيخان أو أحدهما مما حدَّث به من كتابه، أو رجل ضعيف وإنما أخرج له الشيخان أو أحدهما في المتابعات والشواهد، إلىٰ غير ذلك...

والأئمَّة المجتهدون وغيرهم من الجهابذة لا يعملون بهذا الإطلاق، بل يشترطون أن تحصل من تعدُّد الطرق مع قوة رواتها غلبةُ ظنٍّ للمجتهد بثبوت الحديث، فإن لم تحصل هذه الغلبة فلا أثر لتعدد الطرق وإن كثرت.

والمتأخِّرون يعرفون هذا الشرط، ولكنهم كثيرًا ما يتغافلون عنه. وربما توهَّم أحدهم أنه قد حصلت له غلبة ظنٍّ، وإنما حصلت له من جهة موافقة ذلك الحديث لمذهبه أو لمقصوده، والله المستعان...وأما جهلهم بالعلل فحدث عنه ولا حرج...»[(٢)].



(١) «آثار المعلمي» (٢/ ٢٩٧-٢٩٨).

(٢) «آثار المعلمي» (٢/ ٢٩٧-٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٤)، وانظر (١٢/ ٣٦-٣٨).

المبحث الثاني: الجهل بعلم العلل هو الذي أوقع في مخالفة المتقدمين:

«إذا استنكر الأئمة المحققون المتن، وكان ظاهر السند الصحة، فإنّهم يتطلبون له علة، فإذا لم يجدوا علة قادحة مطلقًا، حيث وقعت، أعلوه بعلة ليست بقادحة مطلقًا، ولكنهم يرونها كافية للقدح في ذاك المنكر. فمن ذلك: إعلاله بأنّ راويه لم يصرِّح بالسماع، هذا مع أنّ الراوي غير مدلِّس. أعلَّ البخاري بذلك خبرًا رواه عَمرو بن أبي عَمرو مولىٰ المطلب عن عكرمة، تراه في ترجمة عَمرو من «التهذيب». ونحو ذلك كلامه في حديث عَمرو بن دينار في القضاء بالشاهد واليمين. ونحوه أيضًا كلام شيخه علي ابن المديني في حديث «خلق الله التربة يوم السبت.. إلخ» كما تراه في «الأسماء والصفات» للبيهقي، وكذلك أعل أبو حاتم خبرًا رواه الليث بن سعد عن سعيد المقبري، كما تراه في «علل ابن أبي حاتم» (٢/ ٣٥٣).

ومن ذلك: إشارة البخاري إلىٰ إعلال حديث الجمع بين الصلاتين بأن قتيبة لما كتبه عن الليث كان معه خالد المدائني، وكان خالد يدخل علىٰ الشيوخ. يُراجع «معرفة علوم الحديث» للحاكم ص (١٢٠).

ومن ذلك: الإعلال بالحمل علىٰ الخطأ، وإن لم يتبين وجهه، كإعلالهم حديث عبد الملك بن أبي سليمان في الشُّفْعة.

ومن ذلك: إعلالهم بظن أنّ الحديث أُدْخِل علىٰ الشيخ، كما ترىٰ في «لسان الميزان» في ترجمة الفضل بن الحباب وغيرها.

وحجتهم في هذا: أنّ عدم القدح بتلك العلة مطلقًا، إنّما بُني علىٰ أن دخول الخلل من جهتها نادر، فإذا اتفق أن يكون المتن منكرًا، يغلب علىٰ ظن الناقد

بطلانه، فقد يحقق وجود الخلل، وإذ لم يوجد سبب له إلا تلك العلة، فالظاهر أنّها هي السبب، وأنّ هذا من ذاك النادر الذي يجيء الخلل فيه من جهتها.

وبهذا يتبين أنّ ما يقع ممن دونهم من التعقب بأن تلك العلة غير قادحة، وأنّهم قد صحَّحوا ما لا يُحصىٰ من الأحاديث مع وجودها فيها إنّما هو غفلة عما تقدم من الفرق، اللهم إلا أن يثبت المتعقّب أن الخبر غير منكر»[1].

المبحث الثالث: بين المعلمي والمتأخرين:

«عندما أقرن نظري بنظر المتأخرين أجدني أرىٰ كثيرًا منهم متساهلين، وقد يدلّ ذلك علىٰ أنّ عندي تشددًا، قد لا أُوافق عليه، غير أنّي مع هذا كله رأيت أن أُبدي ما ظهر لي، ناصحًا لمن وقف عليه من أهل العلم أن يحقق النظر، ولا سيما من ظفر بما لم أظفَر به من الكتب»[2].



(١) «آثار المعلمي» (٢٥/ ٢٥١)، قال شيخنا ومحدث ديارنا الإمام المجدد مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذه الفائدة تساوي الدنيا. ربما أعلوا الحديث ولم يستطيعوا أن يعبروا عن العلة، والفائدة لن أجيب عليها، فلا مزيد عليها». «المقترح في أجوبة بعض المصطلح» (١٠٢-١٠٣).

(٢) «آثار المعلمي» (٢٥/ ٢٤٧)، ويعني بما يبديه من تضعيف أحاديث صححها بعض المتأخرين.

المبحث الرابع: معنى التساهل في رواية الفضائل:

«معنىٰ التساهل في عبارات الأئمة هو التساهل بالرواية، كان مِنَ الأئمة مَنْ إذا سمع الحديث لم يروه حتىٰ يتبين له أنه صحيح أو قريب من الصحيح أو يوشك أن يصح إذا وجد ما يعضده، فإذا كان دون ذلك لم يروه البتة. ومنهم مَن إذا وجد الحديث غير شديد الضعف وليس فيه حكم ولا سنَّة، إنما هو في فضيلةِ عَمَلٍ متفق عليه، كالمحافظة علىٰ الصلوات في جماعة ونحو ذلك، لم يمتنع من روايته. فهذا هو المراد بالتساهل في عباراتهم. غير أنَّ بعضَ مَن جاء بعدهم فهِم منها التساهل فيما يرد في فضيلةٍ لأمر خاصّ قد ثبت شرعه في الجملة، كقيام ليلة معينة، فإنها داخلة في جملة ما ثبت مِنْ شَرْع قيام الليل. فبنىٰ علىٰ هذا جواز أو استحباب العمل بالضعيف، علىٰ أنَّ جماعة من المحدّثين جاوزوا في مجاميعهم ذاك الحدّ، فأثبتوا فيها كلَّ حديث سمعوه ولم يتبين لهم عند كتابته أنه باطل. وأفرط آخرون فجمعوا كلَّ ما سمعوا، معتذرين بأنهم لم يلتزموا إلا أن يكتبوا ما سمعوه ويذكروا سنده، وعلىٰ الناس أن لا يثقوا بشيء من ذلك حتىٰ يعرضوه علىٰ أهل المعرفة بالحديث ورجاله. ثم جاء المتأخرون فزادوا الطين بلَّة بحذف الأسانيد.

والخلاصُ مِن هذا أسهل، وهو أن تُبيَّن للناس الحقيقة، ويُرجَع إلىٰ أهل العلم والتقوىٰ والمعرفة. لكن المصيبة حقّ المصيبة إعراض الناس عن هذا العلم العظيم، ولم يبق إلا أفراد يُلمُّون بشيء من ظواهره، ومع ذلك فالناس لا يرجعون إليهم، بل في الناس مَنْ يمقتهم ويبغضهم ويعاديهم ويتفنَّن في

سبّهم عند كلِّ مناسبة ويدَّعي لنفسه ما يدَّعي، ولا ميزان عنده إلا هواه لا غير، وما يخالف هواه لا يبالي به ولو كان في «الصحيحين» عن جماعة من الصحابة، ويحتج بما يحلو له من الروايات في أيِّ كتاب وُجد، وفيما يحتج به الواهي والساقط والموضوع»[1].



(١) «آثار المعلمي» (١٢/ ١١٨-١١٩).

المبحث الخامس: لم يصح في فضل معاوية حديث:

«ذكر عن أئمة السنَّة: إسحاق بن راهويه وأحمد بن حنبل والبخاري والنسائي، ثم ابن حجر، ما حاصله: أنه لم يصح في فضل معاوية حديث.

أقول: هذا لا ينفي الأحاديث الصحيحة التي تشمله وغيره، ولا يقتضي أن يكون كلّ ما رُوي في فضله خاصّة مجزومًا بوضعه. وبعد، ففي القضية برهانٌ دامغ لما يفتريه أعداء السنَّة على الصحابة وعلى معاوية وعلى الرواة الذين وثَّقهم أئمة الحديث، وعلى أئمة الحديث، وعلى قواعدهم في النقد.

أما الصحابة رضي الله عنهم، ففي هذه القضية برهان على أنه لا مجال لاتهام أحد منهم بالكذب على النبي ﷺ، وذلك أنّ معاوية كان عشرين سنة أميرًا على الشام، وعشرين سنة خليفة، وكان في حزبه وفيمن يحتاج إليه جمعٌ كثير من الصحابة، منهم كثير ممن أسلم يوم فتح مكة أو بعده، وفيهم جماعةٌ من الأعراب، وكانت الدواعي إلى التعصّب له والتزلّف إليه متوفِّرة، فلو كان ثَمَّ مَساغ لأنْ يكذب على النبيّ ﷺ أحدٌ لقيه وسمع منه مسلمًا لأقدَمَ بعضُهم على الكذب في فضل معاوية، وجَهَر بذلك أمام أعيان التابعين، فينقل ذلك جماعةٌ ممن يوثّقهم أئمة السنَّة فيصحّ عندهم ضرورة. فإذا لم يصح خبر واحد ثبتَ صحةُ القول بأن الصحابة كلّهم عدولٌ في الرواية، وأنه لم يكن منهم أحد مهما خَفَّت منزلته وقويَ الباعثُ له محتملًا منه أن يكذب على النبي ﷺ.

وأما معاوية فكذلك، فعلى فرض أنه كان يسمح بأن يقع كذب على النبيّ ﷺ ما دام في فضيلة له، وأنه لم يطمع في أن يقع ذلك من أحد غيره ممن له صحبة، أو طمع ولكن لم يُجْدِهِ ترغيبٌ ولا ترهيبٌ في حَمْل أحد منهم على ذلك، فقد كان في وُسْعه أن يحدِّث هو عن النبي ﷺ، فقد حدَّث عدد كثير من الصحابة عن النبي ﷺ بفضائل لأنفسهم وقَبِلَها منهم الناس ورووها وصحَّحها أئمة السنة.

ففي تلك القضية برهان على أن معاوية كان من الدين والأمانة بدرجة تمنعه من أن يفكِّر في أن يكذب أو يحمل غيره على الكذب على النبي ﷺ مهما اشتدّت حاجتُه إلى ذلك. ومن تدبَّر هذا علم أن عدم صحة حديث عند أهل الحديث في فضل معاوية أدلّ على فضله من أن تصح عندهم عدة أحاديث»[1].



(١) «آثار المعلمي» (١٢/ ١٢٥-١٢٦، ١٢٨).

المبحث السادس: الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن:

«ووجه التفرقة بين الإمام والمؤذن - والله أعلم - أن الذي يتعلق بالمؤذن شيء واحد وهو دخول الوقت، والعلم بذلك متيسر للناس، فيمكنهم إذا قصَّر المؤذن أو أخطأ أن يعرفوا ذلك بسهولة، ولا يضطرُّهم شيء إلىٰ اتباع المؤذن إذا تبين لهم خطأه.

وأما الإمام فإنه يتعلق به أشياء كثيرة في الصلاة:

فمن إخلاله وتقصيره ما لا يمكن أن يعرفه المقتدي، كالحدث الخفي، والنجاسة الخفية، والإخلال بقراءة الفاتحة في السرّية، وعدم الاطمئنان في الركوع والسجود، ولا سيّما في الظلمة، وغير ذلك.

ومنه ما قد يعلمه المقتدي، ولا يمكنه الإتمام لنفسه، كترك الإمام القراءة بالسور المستحبة، كالجمعة والمنافقين في عشاء الجمعة[1]، والسجدة والدهر في صبحها.

ومنها: ما يمكنه أن يُتِمَّه لنفسه، ولكن يفوته فيه فضل الاتباع، فإن فضل الصلاة في الجماعة ببضع وعشرين، فالسنة التي يؤديها الإمام والمأموم معًا كالتسبيح في الركوع والسجود يكون ثوابها -والله أعلم- بذلك التضعيف، فإذا تركها الإمام، وأدَّاها المأموم فالأصل أن لا يكون له ذلك التضعيف، إلا أن يُعوَّضه الله ﷻ من حسنات الإمام؛ لأن الفوات إنما جاء بتقصير الإمام.

---

(١) أخرجه ابن حبان (١٨٤١)، والبيهقي (٣/ ٢٠١)، عن جابر بن سمرة بسند ضعيف.

فقوله: «الإمام ضامن» لو انفردت كان الظاهر أن يتضمن ما تعمَّد الإخلالَ به، أو أخطأ ولكن لتقصيرٍ بيِّن. فأما إذا قُرِنتْ بقوله: «والمؤذن مؤتمن» فإن ذلك يُشعِر بأن الإمام يضمن وإن لم يُقصِّر، وذلك أن من الأشياء ما تُضمن بشرط التقصير كالوديعة، ومنها ما تضمن وإن لم يقصّر، كالمبيع في يد المشتري إذا عرض له نقص كقطع رجل الدابة مثلاً، ثم ظهر به عيب قديم، فأراد المشتري أن يردَّه، فإن النقص الحادث محكوم به على المشتري، وإن كان بدون تقصيره، والمؤتمن يضمن إذا قصَّر. فلو كان الإمام لا يضمن إلا إذا قصَّر لكان مساويًا للمؤذن، فلما فرق بينهما فقيل: «الإمام ضامن، والمؤذن مؤتمن» دلَّ ذلك على أن ضمان الإمام أشدُّ، وتأكَّد ذلك بما في بعض الروايات: «اللهم أَرشِدِ الأئمة واغْفِر للمؤذنين»، فدعا للأئمة بالإرشاد حتى لا يقع منهم إخلال، ودعا للمؤذنين بالمغفرة، وذلك يُشعِر بأن الأئمة إذا أخلُّوا فلا بدَّ من الضمان، وأما المؤذنون فيُرجَىٰ أن لا يَضمَنوا، ولذلك دعا لهم بالمغفرة.

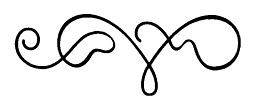
هذا ما يُشعِر به هذا اللفظ، وأما حقيقة الحال فتُعلَم بالرجوع إلى الأصول القطعية»[1].



(١) «آثار المعلمي» (١٦/ ٢٣٠-٢٣١).

المبحث السابع: تصنع الرواة للحافظ يحيى بن معين:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وعادة ابن معين في الرواة الذين أدركهم أنه إذا أعجبته هيئة الشيخ يسمع منه جملة من أحاديثه، فإذا رأى أحاديث مستقيمة ظن أن ذلك شأنه فوثقه، وقد كانوا يتقونه ويخافونه، فقد يكون أحدهم ممن يخلط عمدًا ولكنه استقبل ابن معين بأحاديث مستقيمة، ولما بعد عنه خلط، فإذا وجدنا ممن أدركه ابن معين من الرواة من وثقه ابن معين وكذبه الأكثرون أو طعنوا فيه طعنًا شديدًا، فالظاهر أنه من هذا الضرب، فإنما يزيده توثيق ابن معين وهنًا، لدلالته على أنه كان يتعمد»[1].



(١) التعليق على «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني ص (٣٠). تتمة: علق الشيخ أبو إسحاق الحويني على هذا بقوله: «وهذا نظر بديع للغاية، ويدل على تبحر الرجل في هذا الفن، وله تحقيقات لم يسبق إليها فيما أعلم، تدل على علو كعبه، وسعة علمه، رَحِمَهُ اللَّهُ ورضي عنه». «نثر النبال» (٣/ ٥٥٢).



الفصل الرابع

المنتخبات التفسيرية

المبحث الأول: إطابة النكاح يطيب الحياة:

«ولما كان الطِّيب... هو مظنة استقامة النكاح، وائتلاف الزوجين مطلقًا، أي في اليتيمة وغيرها، سيقت الآية هذا المساق ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣] أي لينكح الولي ما طاب له، ولينكح ابنه أو ابن أخيه ما طاب له، ولينكح كل منكم ما طاب له، وليأمر الناس بعضهم بعضًا بذلك، وليتعاونوا عليه.

وعُلم بذلك أنه ينكح اليتيمة من طابت له، سواء أكان هو الولي، أم أحد أقاربه، أم أجنبيًّا؛ وأن من نكح امرأة لا تطيب له ذلك الطِّيب، أو أنكحها من لا تطيب له ذاك الطِّيْب، أو أمر بذلك، أو أعان عليه، فلم يقسط، حتىٰ الأب إذا أنكح ابنته من لا تطيب له ذاك الطيب فلم يقسط إليها، ولا إلىٰ الزوج، ولا إلىٰ نفسه؛ لأن الثلاثة معرضون للإثم، ولما ينشأ عن مثل ذلك النكاح من الخصومة والنكد.

وكذلك من ألجأ ابنه إلىٰ نكاح امرأة لا تطيب له، أو منعه من نكاح امرأة تطيب له، أو ألجأه إلىٰ فراقها، فلم يقسط إلىٰ ابنه، ولا إلىٰ المرأة، ولا إلىٰ نفسه.

وكذلك من أمر، أو أعان علىٰ نكاح رجل لامرأة لا تطيب له، أو منعه من نكاح من تطيب له، أو التفريق بينهما، فلم يقسط إلىٰ الرجل، ولا إلىٰ المرأة، ولا إلىٰ نفسه.

فتدبر لو أن المسلمين راعوا هذا الأمر، فكلما وُجد الطيب بادروا إلى النكاح، والأمر به، والإعانة عليه؛ وكلما عُدم الطيب امتنعوا عن النكاح، ومنعوا منه كيف يكون حالهم؟»(١).

المبحث الثاني: تحقيق إسناد مشهور في كتب التفسير:

«الإسناد المشهور في كتب التفسير: (أسباط عن السدّي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ....)، ما المراد بذلك؟ وكيف صار هذا الإسناد في أول تفسير كثير من الآيات بهذا الشكل؟

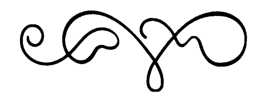
قال المعلمي بعد ما ذكر أقوال بعض العلماء: «والذي يقع لي: أن هذه كانت نسخة عند السدّي لم يكن فيها إسناد، فأخذها أسباط، وسأله عن إسنادها، فقال: «عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة عن ابن مسعود، وعن ناسٍ من أصحاب النبي ﷺ». يريد السدّي أن في النسخة ما سمعه من أبي مالك من قوله، وفيها ما سمعه من أبي صالح عن ابن عباس، وفيها ما سمعه من مرة عن ابن مسعود، وفيها ما بلغَ السديَّ عن بعض الصحابة. والذي يدل على هذا اتفاق لفظ الإسناد في السياق في جميع المواضع، كما في تفسير ابن جرير، ولو كان السدّي هو الذي يذكر السند في أول كلِّ أثر لاختلف سياقه حتمًا، كما تقضي به العادة».

---

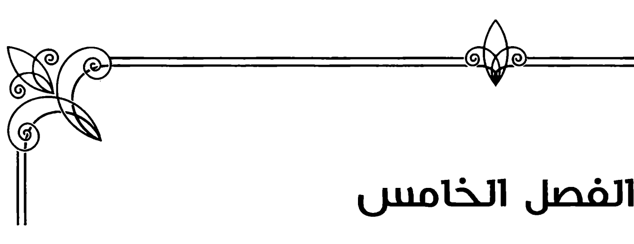
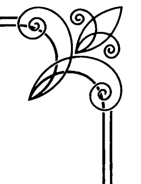
(١) «آثار المعلمي» (٧/ ٢٠١-٢٠٢).

ثم قال المعلمي: «لا أدري أسباطٌ أم مَن بعده مزج هذه النسخة ببقية تفسير السدّي مما يقوله هو أو يرويه مما ليس في النسخة، فعمدَ إلىٰ هذا السند فأثبته في أول كلّ أثر من الآثار التي كانت في النسخة، ومن هنا جاء الضعف والنكارة فيما يُروىٰ بهذا السند».

وهذا تحقيق علميٌّ نفيس بشأن تفسير السدّي، لم أجد مَن سبقه إليه، وبناء عليه بيَّن خطأ الحاكم الذي يختصر هذا السند فيقول: «عن أسباط عن السدّي عن مرة عن ابن مسعود»[1].



(١) «آثار المعلمي» (١٦/ ٣١-٣٢م).

الفصل الخامس

المنتخبات التاريخية

المبحث الأول: لماذا كثر الأنبياء في بني إسرائيل؟!

«وأخبار بني إسرائيل مع موسىٰ تدلُّ علىٰ أنَّ دينهم قد ضعُف جدًّا، مع أنَّه ليس بين وفاة يوسف ومبعث موسىٰ إلَّا نحو مئة سنة...

وبين وفاة إبراهيم وبعثة محمدٍ عليهما الصَّلاة والسَّلام ألفين وسبعمئة وخمس سنين، فلْنفرض أنَّ قِصَّة عمرو بن لُحَيٍّ كانت قبل موت سابور بثلاث عشرة سنة؛ فيكون ذلك قبل البعثة بثلاثمئة وخمس وسبعين سنة، فيكون بين ذلك وبين موت إبراهيم ألفان وثلاثمئة وثلاثون سنة. بقي بنو قيدار هذه المدَّة بطولها علىٰ الحنيفيَّة الخالصة، هذا مع أنَّه لم يكن فيهم بعد إبراهيم نبيٌّ إلَّا إسماعيل، الذي توفي بعد أبيه بنحو خمسين سنة.

فأمَّا بنو إسرائيل فإنَّهم عبدوا العِجْل بعد إبراهيم بنحو ستمئة سنة، وقد كان فيهم من الأنبياء إسحاق، ثم يعقوب - وهو إسرائيل -، ثم يوسف، وعبدوا العِجْل وموسىٰ وهارون بين أظهرهم، ولعلَّه قد كان منهم قبل موسىٰ ما كان، ثم كان منهم بعده ما كان.

ومن هنا يظهر -والله أعلم- أنَّ تخصيص بني إسرائيل دون بني إسماعيل بكثرة الأنبياء إنَّما كان لتمرُّد الأوَّلين، واستقامة الآخِرين، لا لفضيلةٍ في بني إسرائيل أنفسهم»[1].

---

(١) «آثار المعلمي» (٦/ ١٥٢-١٥٣).

المبحث الثاني: حصاد الخروج على الحكام في التاريخ:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد جرب المسلمون الخروج فلم يروا منه إلا الشر، خرج الناس على عثمان يرون أنهم إنما يريدون الحق، ثم خرج أهل الجمل يرى رؤساؤهم ومعظمهم أنهم إنما يطلبون الحق فكانت ثمرة ذلك بعد اللُّتيّا والتي أن انقطعت خلافة النبوة، وتأسست دولة بني أمية ثم اضطُّر الحسين بن علي إلى ما اضطر إليه فكانت تلك المأساة، ثم خرج أهل المدينة فكانت وقعة الحَرَّة ثم خرج القراء مع ابن الأشعث فماذا كان؟! ثم كانت قضية زيد بن علي وعرض عليه الروافض أن ينصروه على أن يتبرأ من أبي بكر وعمر فأبى فخذلوه، فكان ما كان، ثم خرجوا مع بني العباس فنشأت دولتهم التي رأى أبو حنيفة الخروج عليها، واحتشد الروافض مع إبراهيم[1] الذي رأى أبو حنيفة الخروج معه، ولو كتب له النصر لاستولى الروافض على دولته، فيعود أبو حنيفة يفتي بوجوب الخروج عليهم»[2].

وقال أيضًا: «نقل الشاطبي عن ابن جرير الطبري، وحاصله: أن أحاديث السواد الأعظم خاصَّة بمسألة الإمارة، والمعنى أنه إذا اجتمع أكثر المسلمين على تأمير أحدهم وجب عليهم وعلى غيرهم طاعته.

أقول: وهذا هو الذي يدلُّ عليه سياق تلك الأحاديث، وقد بُيِّنَ في بعضها

---

(١) هو: إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب خرج على الخليفة العباسي أبي جعفرٍ المنصور في رمضان سنة (١٤٥) بالبصرة فغلب عليها وعلى «الأهواز» و«فارس» وأكثر السواد، في معارك بين أتباعه وجيش الخليفة خُتمت بقتل إبراهيم في ذي الحجة سنة «١٤٥» انظر: «مقاتل الطالبيين» (ص/ ٣٢١، ٣٤٩)، «مقالات الإسلاميين» (١/ ١٥٤).

(٢) «آثار المعلمي» (١٠/ ١٦٥).

أن المراد الطاعة في غير معصية الله تعالىٰ، وقد دلّت علىٰ ذلك الآية السابقة، وبَيَّن في بعض الأحاديث أنَّ الخروج علىٰ الأمير لا يجوز إلَّا أن يكفر كفرًا بَواحًا أو يترك الصلاة.

وعلىٰ هذا أو ما في معناه يُحْمَل عمل الحسين بن علي عليهما السلام، ثم خلاف ابن الزبير وأهل المدينة ثم ابن الأشعث ومن خرج معه من الأئمة كسعيد بن جبير والشعبي وغيرهما.

وبالجملة، فالنظر في هذه المسألة مبنيٌّ علىٰ الأصل الإسلامي المشهور، وهو أنه إذا تعارضت مفسدتان ولم يكن بدٌّ من ارتكاب إحداهما وجب ارتكاب الصغرىٰ لدرء الكبرىٰ. وَمِنْ هنا يُعْلَمُ عُذْرُ أهلِ السنة بعد القرن الأول في حظر الخروج علىٰ السلطان ما دام مسلمًا، فإنَّ التجارِب علّمتهم أنَّ نتيجة الخروج تكون أعظم فسادًا وشرًّا وضَرًّا مما كان قبله»[1].



(١) «آثار المعلمي» (٢/ ٢٣٧).

المبحث الثالث: مذهب أهل البيت:

«كان بنو فاطمة في عصر تأسيس المذاهب مضطهَدين مروَّعين لا يكاد أحد يتصل بهم إلا وهو خائف على نفسه، فلم يتمكنوا من نشر علمهم كما ينبغي. وكان من أبناء الأعاجم قوم لهم مَنازع سياسية ضد الإسلام، كانوا يتذرعون بإظهار التشيع للعلويين إلى أغراضهم، فكذبوا على أئمة العلويين كذِبًا كثيرًا، فاشتبه الأمر على كثيرٍ من أهل العلم. أما الشافعي فإنه تلقَّف العلم من أصحاب جعفر بن محمَّد بن علي بن الحسين وغيرهم، ثم تجرَّد للعلم وأعرض عن السياسة، فصفا له الجو، فأسس مذهبه، فساغ أن يقال: إن مذهبه هو مذهب أهل البيت. والذي لا ريب فيه أنه إنْ صح أن يسمَّى واحد من المذاهب الأربعة: مذهب أهل البيت، فهو مذهب الشافعي، وأهل البيت أدرى بما فيه»[1].



(١) «آثار المعلمي» (١٠/ ٦٧٧).

المبحث الرابع: العصبية بين بني هاشم وبني أمية:

«ما يذكره كثير من الكُتَّاب من العصبية بين بني هاشم وبني أمية فدونك الحقيقة:

شَمِل الإسلام الفريقين ظاهرًا وباطنًا، وكما أسلم قديمًا جماعةٌ من بني هاشم فكذلك من بني أمية، كابني سعيد بن العاص، وعثمان بن عفّان، وأبي حذيفة بن عُتبة، وكما تأخَّر إسلام جماعة من بني أمية فكذلك من بني هاشم، وكما عاداه بعضُ بني أمية فكذلك بعضُ بني هاشم، كأبي لهبٍ بن عبد المطلب، وأبي سفيان بن الحارث بن المطلب. ونزل القرآن بذمِّ أبي لهب، ولا نعلمه نزل في ذمِّ أُمويٍّ معيَّن. وتزوَّج النبيُّ ﷺ بنت أبي سفيان بن حرب الأُموي ولم يتزوَّج هاشمية، وزوَّج إحدىٰ بناته في بني هاشم، وزوَّج ثلاثًا في بني أمية. فلم يبق الإسلام في أحد الجانبين حتىٰ يحتمل أن يستمرَّ هدفًا لكراهية الجانب الآخر. بل ألّف الله بَيْنَ قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخوانًا، وأصبح الإسلام يلُفُّهم جميعًا: يحبونه جميعًا، ويعظِّمونه جميعًا، ويعتزُّون به جميعًا، ويحاول كلٌّ منهم أن يكون حظّه منه أوفر.

ولم تكن بين فتح مكة وبين ولاية عثمان الخلافة نُفْرة ما بين العشيرتين، فلما كانت الشورىٰ وانحصر الأمرُ في عليٍّ وعثمان، فاختير عثمان، وَجدتِ الأوهامُ مَنْفذًا إلىٰ الخواطر، ثم لما صار في أواخر خلافة عثمان جماعةٌ من عشيرته -بني أمية- أمراء وعمّالًا، وصار بعضُ الناس يشكوهم؛ أُشيعت عن عَليٍّ كلمات يُندِّد بهم ويتوعَّدهم بأنه إذا ولي الخلافة عَزلهم وأخذَ أموالَهم وفَعَل وفَعَل، ثم كانت الفتنة، وكان لبعض من يُعدُّ من أصحاب عليٍّ إصبع

فيها، حتى قُتِل عثمان وقام قَتَلتُه بالسعي لمبايعة عَليّ، فبويع له وبقي جماعةٌ منهم في عسكره.

فمن تدبَّر هذا وجد هذه الأسباب العارضة كافية لتعليل ما حدث بعد ذلك، إذن فلا وجه لإقحام ثارات بدر وأُحُد التي أماتها الإسلام، وما حُكي مما يُشعر بذلك لا صحةَ له البتة، إلا نزغة شاعر فاجر في زمن بني العباس، يصح أن تُعدّ من آثار الإسراف في النزاع لا من مؤثِّراته. وجرى من طلحة والزبير ما جرى، فأيُّ ثأر لهما كان عند بني هاشم؟

وبهذا يتضح جليًّا أن لا مساغ البتة لأن يُعلَّل خلاف معاوية بطلبه بثأر مَنْ قُتِل من آله ببدر، ثم يتذرَّعُ بذلك إلى الطعن في إسلامه، ثم في إسلام نُظَرائه!»[١].



(١) «آثار المعلمي» (١٢/ ٣٦٩-٣٧٠).

المبحث الخامس: حفظ التاريخ:

«إنّ ممّا امتازت به الأمة الإسلامية: حفظ تاريخ قدمائها، وتراجم علمائها. والباعث الأول على ذلك هو حفظ علم الأنساب وتواريخ الأمم، والنصوص الدينية، وتيسير التمكّن من نقد الروايات، وتمييز الصحيح من غيره، ولهذا تجد غالب التواريخ إنّما هي في تراجم رواة العلم، والتآليف في ذلك كثيرة جدًّا؛ فقلّ عالم إلاّ وقد قيّد أسماء شيوخه وأحوالهم ووَفَيَاتهم، مع مَن تيسّر له مِن غيرهم، لكن لما كان المتأخر ينقل في تصنيفه كلام من تقدّمه، ويغلب أن يكون تصنيف المتأخر أكثر جمعًا وأحسن ترتيبًا؛ كانت عناية الناس تتجه غالبًا إلى حفظ مؤلفات المتأخرين، وقد قال أبو خراشٍ الهذلي فيما يلاقي هذا:

على أنّها تعفو الكلوم وإنما ... نوكَّل بالأدنى وإن جلّ ما يمضي

هذا مع ضياع ألوف مؤلفة من تلك المؤلفات بالنكبات العامة؛ كالجارف التتري بالشرق، والطغيان الصليبي بالغرب، والسُّبات العميق الذي وقعت فيه الأمة منذ قرون، والقناعة من العلم الديني بمختصرات المتأخرين في الفقه ونحوه، وإهمال كتب الفقهاء المتقدمين، فضلاً عن كتب السنة المطولة أو كتب الرجال»[1].



(١) «آثار المعلمي» (٢٥/ ١٤٣).

المبحث السادس: الشعر ديوان العرب:

«كان العرب قبل الإسلام أمة أمية كتابهم الطبيعة، مدرستهم الحياة، أقلامهم ألسنتهم، ودفاترهم قلوبهم، وكان كل من أراد منهم تقييد فكرة، أو تخليد حكمة، أو تثبيت مأثرة، أو إظهار عبقرية في دقة الإحساس ولطف التصوّر وإتقان التصوير، أنشأ في ذلك أبياتًا أو قصيدة، فلا تكاد تجاوز شفتيه حتىٰ يتلقفها الرواة فيطيروا بها كلَّ مَطار، فكان الشعر وحده هو مؤلفاتهم وهو تاريخهم وهو مظهر نبوغ مفكريهم.

ثم جاء الإسلام فنقلهم من الأمية إلىٰ العلم والحضارة، ومن العزلة عن الأمم إلىٰ مخالطتها، فكان من جراء تلك المخالطة مع ما أفادوا بها من المصالح أن أخذت السليقةُ تضْعُف، وأخذ اللحن والخطأ يتسرّب إلىٰ ألسنتهم، وأخذ الخطر يهدد اللغة وآثار السلف ويتطاول إلىٰ الدين نفسه، فإن مداره علىٰ الكتاب والسنة وهما باللسان العربي الفصيح، فنهض العلماء لمقاومة ذاك الخطر؛ فدوّنوا اللغة وأسسوا قواعدها وقيدوا شواردها، وكان من أهمّ ما اعتنوا بحفظه أشعارُ القُدماء لعلمهم أنها تراثهم وتاريخهم، وأنها المنبع المعين لمعرفة اللغة وقواعدها، وأنها هي المحكّ الذي يتيسر به نقد الحكايات والقصص عن أحوال الجاهلية، فكان العلماء لا يكادون يصغون لحكايةٍ لا تتضمن شعرًا، فإن تضمنته بدؤوا بنقده، فإن وجدوه كما يعهدون من الشعر الجاهلي وكما يعرفون من طراز من نُسب إليه وثقوا به، وكان عندهم من أصدق الشواهد علىٰ صحة تلك الحكاية وإلا نبذوه وقالوا: «شعر مصنوع» وجعلوا ذلك دليلًا علىٰ اختلاق ذاك الخبر»[1].

---

(١) «آثار المعلمي» (٢٥/ ٢٠٥-٢٠٦).



الفصل السادس

المنتخبات في الدعوة

المبحث الأول: إثارة الشبهات الخفية:

«والدِّين الحقّ لا يضرُّه تقرير الشُّبه، وإنّما يحظر على العالِم أن يثير شُبْهةً لا يزال أهل الكفر والضلال غافلين عنها»[1].

المبحث الثاني: لا دعاء للظالم!

«وقولك لظالمٍ: «دعوتُ لك أمس» فيه مفاسد؛ لأنَّه إن كان يُحسِن الظَّن بك، وحَمَل قولَك على ظاهره جَرَّأه ذلك على الظُّلم، قائلاً: إنّ دعاء هذا الصَّالح لي يدلُّ على أنَّه يراني من أهل الخير، وأنَّ ما يخطر لي من التأويل في هذه الأمور التي يزعم الناس أنَّها ظلمٌ هو تأويلٌ صحيحٌ! وما من ظالمٍ إلَّا والشيطان يوسوسُ له بتأويلٍ ما يبرِّر به صنيعه»[2].

وقال أيضًا: «وعلى من طلب منه هؤلاء الدعاء لحوائجهم الدنيوية أن يمتنع ويقول: ادعوا لأنفسكم. فإن قالوا: إنَّنا عصاةٌ؟ قال لهم: توبوا وأنيبوا واستغفروا وادعوا لأنفسكم، وشرح لهم هذا المعنى.

---

(١) «آثار المعلمي» (٦/ ٦٨).

(٢) «آثار المعلمي» (٦/ ١٦)

وأكثر الذين يُطلَب منهم الدعاء هذا الزمان لا يعرِّجون على هذا، بل يحرصون على أن يطلب منهم الدعاء؛ ليحصل لهم من الطالبين شيءٌ من الدنيا، بل إنَّ بعضهم يقول: خيرٌ لنا أن يبقى الأمراء والأغنياء فجّارًا؛ لأنَّهم إذا صلحوا استغنوا بالدعاء لأنفسهم، فلم يحصل لنا منهم شيءٌ!

وقد رأينا كثيرًا منهم يجيئه الغني المجاهر بالفجور، يلتمس منه الدعاء فلا يعظه ولا ينصحه، بل يعظِّمه ويكرمه ويفهمه أنَّك ما عليّك إلَّا أن تعطيني وتقضي حوائجي وأنا أتكفَّل لك بحوائجك عند الله تعالى كلها! فحال الفريقين كما قال الله ﷻ: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].

فليعلم الأمراء والأغنياء أنَّ طلبهم الدعاء من أمثال هؤلاء شرٌّ لهم في دينهم ودنياهم، وأنَّها إن قُضِيَت لهم حاجة عقب دعاء هؤلاء، فهي وبالٌ عليهم، والله المستعان»[1].



(١) «آثار المعلمي» (٦/ ٣٠٦-٣٠٧).

المبحث الثالث: أضر الناس على الإسلام والمسلمين:

«فإنَّ أضرَّ الناسِ علىٰ الإسلام والمسلمين هم المحامون الاستسلاميون، يطعن الأعداء في عقيدة من عقائد الإسلام أو حُكْم من أحكامه ونحو ذلك، فلا يكون عند أولئك المحامين من الإيمان واليقين والعلم الراسخ بالدين، والاستحقاق لعون الله وتأييده ما يثبِّتهم علىٰ الحق، ويهديهم إلىٰ دفع الشبهة، فيلجأون إلىٰ الاستسلام بنظام، ونظام المتقدمين: التحريف، ونظام المتوسطين: زَعْمُ أن النصوص النقلية لا تفيد اليقين، والمطلوبُ في أصول الدين اليقين، فعزلوا كتابَ الله وسنةَ رسوله عن أصول الدين، ونظام بعض العصريين: التشذيب. وأبو ريَّة يحاول استعمال الأنظمة الثلاثة ويوغل في الثالث.

علىٰ أن أولئك الذين سمَّيْتُهم محامين كثيرًا ما يكونون هم الخصوم...»(١).

المبحث الرابع: حرية الفكر أم رقّ الحرية؟!

«كثر هذه الأيام تحكُّكُ المتفرنجين بالمسائل الدينية وتوثُّبُهم عليها، والذي يسوء الحق إنما هو أن يتصدىٰ الإنسان للتحكُّم في فنٍّ هو فيه أمّي أو تلميذ صغير. إن العاقل الذي لا حظَّ له من الطب إلا مطالعة بعض الكتب، لَيحجزه عقلُه عن التطبب، وهكذا عامةُ الفنون يمتنع العاقل أن يتحكم في فنٍّ منها ليس فنَّه. ولكن الدين شذَّ عن هذه الكلية، فلا تكاد تجد أحدًا يعترف أو يعرف أنه ليس ممن يحقُّ لهم الكلامُ فيه.

---

(١) «آثار المعلمي» (١٢/ ٢٣-٢٤).

يقولون: إنها حرية الفكر! حبَّذا حرية الفكر، ولكن أَمِن حرية الفكر أن يصمد الإنسان لقضيةٍ لم يُتقِن أصولهَا، ولا أسبابها وعللها، ولا غوامضها ودقائقَها، فيعبّر فيها علىٰ ما خُيِّلت؟ إن حقًّا علىٰ العاقل إذا أحبَّ أن يكون حرَّ الفكر أن يختار له موضوعًا ينفذ فكرُه إلىٰ أعماقه، ويتغلغل في دقائقه.

افرِضْ أنك طبيب، وأنه اعترضك بدْويٌّ يناقشك في أصول الطب، أو أنك عارف بعلم الفلك الحديث، وعرضَ لك عاميٌّ ينازعك فيه، وكلاهما -البدوي والعامي- لا يُصغِي إليك حتىٰ توضح له الحجج، أو لا يستطيع في حاله الراهنة أن يفهمها، لأنه لم يتعلم مقدمات ذلك الفن، ولكنه مع ذلك يجزم بما ظهر له، ويرميك بالجهل والغفلة، فهل تعدُّه حرَّ الفكر؟

لقد بلغ بالناس حبُّ الاشتهار بحرية الفكر إلىٰ أن أغفلوا النظر في صواب الفكر وخطئه، وأصبحت حرية الفكر مرادفةً للخروج عما كان عليه الآباء والأجداد. ولقد يعلم أحدهم أن ما كان عليه آباؤه وأجداده هو الصواب، ولكن شغفه بأن يقال حُرَّ الفكر يضطرُّه إلىٰ مخالفته. فهل يستحق مثل هذا أن يقال له حرَّ الفكر؟

وكثير منهم يدع تقليد أسلافه ويقلِّد بعض الملحدين، فهل خرج هذا من الرقِّ إلىٰ الحرّية؟ كلَّا، بل خرج من رقٍّ إلىٰ رقّ.

حرُّ الفكر هو الذي يُطلِق فكره حيث يستطيع الانطلاق ويكفُّه حيث يجب الانكفاف.

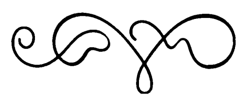
حرُّ الفكر هو الذي يحرِصُ علىٰ الحق أينما كان، فإذا ظهر أن الحق هو ما كان عليه أسلافه لزِمَه، ولم يُبالِ بأن يقال: جامد مقلِّد.

حرُّ الفكر هو الذي يحرِص على الثبات على المبدأ الذي كان عليه أسلافه، حتى تقهره الحجة الواضحة.

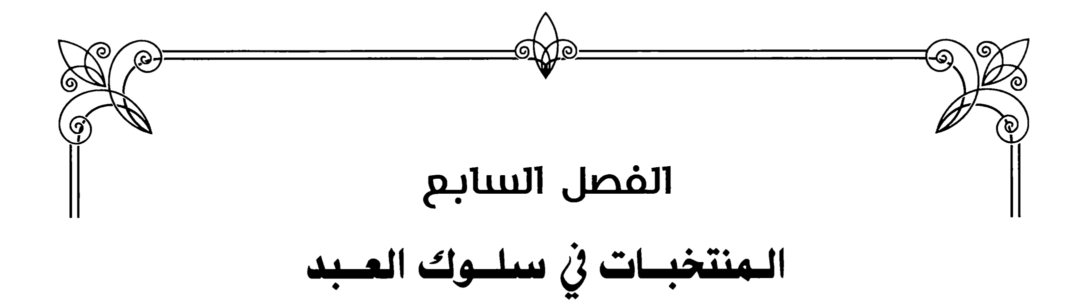
أمامنا من تلك المسائل مسألة تعدد الزوجات، مسألة معلومة من دين الإسلام بالضرورة، بل ومن الفطرة ومن المصلحة، ثم لا يزال بين حينٍ وآخر يخوض فيها عاشق من عشاق الشهرة بحرية الفكر، وهو عبد من عبيد الإفرنجيّات، اللاتي تُؤثِر إحداهن أن يبقى بَعلُها مضطرًّا إلى مخادنة العواهر، حتى يُضطر إلى السماح لها بمخادنة الفجار، وترى أنه لو أبيح له تعدد الزوجات قد يستغني عن الزنا، فلا يبقى مانعٌ يمنعه من مراقبتها ومنعها عن الفجور بمقتضى الغيرة الطبيعية. كما أن رجال الإفرنج بعد أن أَلِفوا الزنا يُعادون تعددَ الزوجات، لعلمهم أن القانون إذا أباح التعدُّدَ قلَّ أنصار الزنا وكثُر خصومُه، وضعفت الشبهات التي بُني عليها إباحتُه وإباحةُ مقدماته من الرقص والخلوة والاختلاط المريب.

ولقد يكتب الكاتب خلاف تعدد الزوجات، لعداوته للدين أو لعداوته للأمة، فهو لا يحب لها شرفَ الأخلاق، أو ليرخّص بذلك المتبرِّجات من النساء ليكون له نصيبٌ من قلوبهن ثم مِن...

وأخفُّهم ذنبًا مَن يكون قليل المعرفة بالدين، قاصر النظر في مصالح العباد، ضعيف الباه، فينظر هذا إلى ما في تعدد الزوجات من النقائص، ولا يلتفت إلى ما في منعه من المفاسد»[1].



(١) «آثار المعلمي» (١٨/ ٥٣٧-٥٣٩).



الفصل السابع

المنتخبات في سلوك العبد

المبحث الأول: المناسبة بين رسم كلمتَي الصدق والكذب:

«إن الصدق والكذب ليترائَيان للأبصار ضئيلين جدًّا بالنسبة إلىٰ مقدارهما الحقيقي، فإذا أُنعِم النظر فيهما أَخذَا في الاتِّساع إلىٰ أن يَلْتَهِما جميع الأخلاق.

وقد دعاني هذا من حالهما إلىٰ أن أكتب شيئًا في شأنهما، ما بين رسمهما وتسميتهما من المناسبة الغريبة.

الصدق:

الصاد: حرفٌ مهموس رِخو مُستَعْلٍ.

فكأنه أشيرَ به إلىٰ أن الصدق أول ما يُفاه به، يهمس به صاحبُه خوفًا، ويكون معناه كالكلام المهموس، أي خفيًّا غير ظاهر، ويكون ضعيفًا لكراهية الناس له وميلهم إلىٰ الكذب. وهو مع ذلك مستعلٍ في جوهره، ولكن أُشيرَ بجعل حركته كسرةً إلىٰ أنه سافل في صورة حاله.

والدال والقاف مجهوران شديدان مُقَلْقلان.

وكل ذلك إشارة إلىٰ أن الصدق في أوسط أحواله وآخرها يُشتهر ويَقوىٰ ويظهر.

وزادَ القافُ بكونه مستعليًا، وهو بحسب الصورة قابل للفتح والرفع والخفض. ففيه إشارة إلىٰ أن الصدق في آخره هو مستعلٍ في حقيقته، وقد يكون مستعليًا في الصورة، وربما خُفِض.

الكذب:

الكاف: مهموس شديد منخفض، كان ذلك إشارة إلىٰ أن الكذب في أوله يهمس به صاحبُه خوفًا من التكذيب، أو لأن ضميره يلومه إن كان بقي فيه شيء من الحياة.

وقد قيل: إن الكاف مجهور. ويظهر من ذلك نكتة أخرىٰ، وهي أن الكاذب يموِّه كذبه بحيث يشبه المجهور.

والشّدّة فيه إشارةٌ إلىٰ أن الكذب في أوله شديد التأثير.

والانخفاض إشارةٌ إلىٰ انخفاضه في ذاته، ولكنه حُرِّك بالفتح إشارةً إلىٰ أن صاحبه يصوّره بصورة الظاهر المستعلي، وإن كان في نفسه بخلاف ذلك.

الذال: مجهورٌ رِخوٌ منخفض.

فكأن ذلك إشارة إلىٰ أن الكذب في أوسط أحواله يُشتهر، ويضعف ويكون سافلًا حقيقة وكذا صورةً؛ لتحريكه بالكسرة.

وقد قيل: إن الذال مهموس. وتظهر من ذلك نكتة أخرىٰ، وهي أن صاحبه يَجهد حينئذ في أن يغفل عنه الناس وينسَوه.

الباء: مجهور شديد مُقَلْقَل منخفض.

الجهر إشارة إلىٰ ظهوره واشتهاره، والشدة إشارة إلىٰ أنه كثيرًا ما يشتد الكذب ويقوىٰ بوجود أناسٍ يتعصبون له بجهلٍ أو هوىٰ. وهذا مُشاهَد بكثرة.

والانخفاض: إلىٰ أنه منخفض في ذاته، مُهْمَلٌ في صورته؛ فقد يُعْلِيهِ التعصُّب، وقد يخفضه الإنصاف»[١].



(١) «آثار المعلمي» (٢٤/ ٣٣٣-٣٣٥).

المبحث الثاني: من كيد الشيطان للحُجَّاج:

«الشيطان قد يوسوس للإنسان بفعل شيء مما ظاهره خير ليستجريه إلىٰ الوقوع في شرٍّ، كما تراه يزعج كثيرًا من الجهال الفقراء إلىٰ الحجّ، لمعرفته بطريق العادة أنهم يُضيّعون في سفرهم أكثر الصلوات، ويرتكبون غير ذلك من المنهيَّات»(١).

المبحث الثالث: المرأة العاقلة والمرأة المستبدة:

«ولا ريب أن المرأة تحب أن تستبد بالرجل، لكن كثيرًا منهن ترىٰ مصلحتها في أن ينكحها فلان، وإن كان عنده غيرها: واحدة أو اثنتان أو ثلاث، ولهذا يمكن الجمع، فإن النكاح مشروط فيه رضا المرأة، ولولا رضا الكثيرات بما ذُكِر لم يمكن الجمع.

ولا ريب أن المرأة تكره غالبًا أن يتزوج عليها زوجها، ولكن لو خُيِّرت بين ذلك، وبين أن يطلقها لاختارت البقاء علىٰ ما فيه، والعاقلة منهن إذا كانت تحب زوجها، ورأت أنها لا تَحمِل، تحبُّ أن ينكح زوجها عليها غيرها، لعل الله يرزقه ولدًا، كما أنها إذا رأت أنها لا تُغْنيه لمرضها أو كبرها، أحبّت أن ينكح غيرها عليها، خوفًا من أن يميل إلىٰ الفجور، فيخرب البيت كله...

وقد أقر الله ﷻ ورسوله كثيرًا من الصحابة علىٰ الجمع، وشرعت لذلك عدة أحكام، ومضت الأمة علىٰ ذلك إلىٰ اليوم»(٢).

---

(١) «آثار المعلمي» (٤/ ٣٨٢).

(٢) «آثار المعلمي» (٧/ ٢٠١-٢٠٢، ٢٠٨).



الباب الرابع

الآثـار العلميـة

فِي التـأليف والتصحيح



الفصل الأول

المؤلفات المستقلة

المبحث الأول: المؤلفات في علم الاعتقاد:

يحتوي هذا المبحث على أربعة عشر كتابًا.

١) «رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله والفرق بين التوحيد والشركِ بالله»[1].

هكذا سماه الإمام، وكثيرًا ما يسميه بكتاب «العبادة»، وهو من أوسع الكتب في بيان توحيد العبادة، جلَّى فيه معنى الإله والعبادة، وبيَّن عظمة التوحيد وخطر الشرك، وشروط لا إله إلا الله، وكيف يدخل المرء في الإسلام، وبم تقوم الحجة على العباد؟ وبيان حكم الوقوع في الشرك بسبب الجهل.

ثم أفاض في رد حجج الخاطئين في توحيد العبادة، كالتقليد، والحديث الضعيف، والرأي المجرَّد، والاعتساف في الاحتجاج بالكتاب والسنة كيفما اتفق، بغير مراعاةٍ لقواعد العربية والمنقول عن السلف وبلاغة القرآن، ولا جمعٍ للحجج في الباب الواحد؛ لأن الكتاب والسنة كالكلام الواحد.

وبيَّن أن المشركين لم يكن من عقائدهم في الأصنام أنها قادرة على كل شيء، خالقة، رازقة، مدبرة للعالم.

---

(١) هو المجلد الثاني والثالث، من «آثار المعلمي».

ثم شرع بعد ذلك في تعريف لفظي (العبادة والإله) وتحقيق معناهما، فسرد أعمال الأمم السابقة مع معبوداتها ليبين القدرَ المشترك بين تلك الأمم فيكون هو التأليه والعبادة، لِيلِجَ بعد ذلك إلىٰ تعريفٍ جامعٍ مانعٍ للعبادة.

وعقد فصولاً في تفسير عبادة الملائكة والأصنام والشياطين والهوىٰ والأحبار والرهبان وغيرها مع تفصيلات في أبواب: السجود لغير الله، والقيام للقادم وأحواله، والدعاء، وأحكام الطلب، والتوسل، بما لا مزيد عليه.

وأفاض أيضًا في توضيح أحكام الطِّيَرَة، والرقىٰ والتمائم، والتِوَلَة، والسحر، والحلف بغير الله.

وغالب أبواب الكتاب قائم علىٰ التتبع لحجج الوحيين الشريفين، بتدبر عميق، وتأمل بالغ، واطلاع واسع علىٰ التاريخ، فلم يكن فيه مقلدًا لأحدٍ، إنما هو ذكاء القلب، ونور العقل، وقبل ذلك رفيق التوفيق، فلو قال قائل: «امرأتي طالق إن أُلِّف مثل كتاب «العبادة» للمعلمي» لم تطلق، وإن حلف لم يحنث. فسبحان الكريم الوهاب.

طبعات الكتاب:

➢ طبعة المكتبة العصرية سنة (١٤٢٣)، بتصحيح الشيخ الداني بن منير آل زهوي. وهي ناقصة نقصًا كبيرًا؛ لأنه لم يطبع مِنه أكثر من مئة صفحة من أوَّل مخطوطة الكتاب.

➢ طبعة دار العاصمة سنة (١٤٣٢)، بتصحيح الشيخ الشبراوي بن أبي المعاطي، وتقديم الشيخ عبد الله السعد، وهي أتم من سابقتها؛ لأنها طبعٌ لأربعةِ دفاترَ، من مخطوط الكتاب.

➢ طبعة دار عالم الفوائد سنة (١٤٣٤)، ضمن «آثار المعلمي»، بتصحيح الشيخ عثمان بن معلم محمود بن شيخ علي الصومالي، وهي أكمل طبعات الكتاب، والكتاب بكل طبعاته بخط الإمام، والحمد لله.

٢) «تحقيق الكلام في المسائل الثلاث»[١].

هكذا سماه المصحح، وهو مطابق لمحتواه، ألَّفه الإمام استجابةً لرغبة سائلٍ عن كتاب «المسائل الثلاث» للشيخ أحمد بن محمد السوركتي (ت: ١٣٦٤)، حيث طُلب منه أن يُبدي رأيه فيه وفي مؤلفه إجمالًا، ثم يتكلم على هذه المسائل تفصيلاً، وألحَّ عليه السائل، فاستعان بالله وألَّف هذا الكتاب، فجاء بالعجب العجاب، تحقيقًا وتأصيلًا، فأضحى من أفراد المؤلفات في العصور المتأخرة، فرحمه الله وسقاه من سلسبيل الجنة، آمين.

والكتاب يحتوي على الكلام في ثلاث فصول رئيسة:

الأول: في الاجتهاد والتقليد.

وقد قسم المتنازعين فيها إلى فريقين، وصدَّر الجدال بينهما بقوله: «قال المقلدون»، و«قال المانعون»، وهو منهج معروف عند أهل العلم، منهم الحافظ ابن القيم في كتابه «رفع اليدين» فقد قسم المتنازعين فيها إلى فريقين، صدَّر الجدال بينهما بقوله: «قال الرافعون» و«قال الخافضون»، ومن وراء سياقه في عرض حججهم يتبين للقاري اختياره في الباب.

الثاني: في السنة والبدعة.

الثالث: في النداء للغائبين والموتى وغيرهم.

---

(١) هو المجلد الرابع من «آثار المعلمي»، بتصحيح الشيخ علي بن محمد العمران، -أثابه الله تعالى-.

وفي الفصل الثاني ستة مباحث:

الأول: البناء على القبور.

الثاني: اتخاذ القبور مساجد أو اتخاذ المساجد على القبور.

الثالث: زيارة القبور.

الرابع: التبرك.

الخامس: التوسُّل.

وفي الفصل الثالث ثلاثة مباحث:

الأول: في الاطلاع على الغيب.

الثاني: في تصرُّف بعض بني آدم في الكون.

الثالث: النداء والطلب.

وهذا الكتاب من فرائد مجموع «آثار المعلمي»(١).

٣) «عِمارة القبور في الإِسلام»(٢).

هكذا سماه الإمام، وقد بسط فيه الكلام على بابٍ من أبواب الفقه من جهة الأصل، وله ارتباط بعلم الاعتقاد، من جهة العاقبة، وهو باب البناء على القبور وحكمه في الإِسلام؛ فحرّر القولَ فيه على طريقة الاجتهاد؛ من ذكر الحجج في الباب، ثم النظر فيها ثبوتًا ودلالةً، على نحوٍ لم يسبقه إليه أحد ممن تكلم فيها، على عادة الإمام في التحقيق والتحرير.

---

(١) حينما أقول في آخر أي كتاب: «من فرائد آثار المعلمي» فالمراد أن الكتاب لم يُطبع من قبل، بل تفرد شيوخ التصحيح بنشره ضمن مجموع «آثار الشيخ العلامة عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني»، الذي طبع سنة (١٤٣٤)، في خمسة وعشرين مجلدًا، فلهم مزية التفرد بنشره، فجزاهم الله خيرًا.
وأما ما طبع من قبل فأذكر طبعات الكتاب، ومنها طبعة المجموع المذكور.

(٢) هو المجلد الخامس، من «آثار المعلمي»، حققه الشيخ علي العمران -أثابه الله تعالى-.

طبعات الكتاب:

- طبعة دار أطلس سنة (١٤١٧)، بتقديم الشيخ حاكم المطيري، وهي ناقصة جدًّا، وباسم «البناء على القبور»، وهي تسمية مخالفة لتسمية المؤلف.
- طبعة المكتبة المكية سنة (١٤١٨)، بتقديم ماجد الزيادي، وهي أتم من سابقتها.
- طبعة دار عالم الفوائد سنة (١٤٣٤)، ضمن «آثار المعلمي»، وهي أكمل الطبعات، فقد طبع الكتاب بنسختيه: المبيَّضة، والمسوَّدة، لما فيهما من التغاير والزيادات المفيدة، فجزاهم الله خيرًا.

٤) «يُسْر العقيدة الإسلامية».

هكذا سمّاه الإمام، وسماه باسم آخر هو «دين العجائز»، وطبع ضمن «آثار المعلمي»، بالاسم الأول.

ذكر الإمام في خطبة الكتاب اختلاف الناس وتفرقهم في الاعتقاد، وكثرة المؤلفات، بأنواعها: المطولة، والمتوسطة، والمختصرة، ثم قال: «فأحببتُ أن أكتب رسالةً أوضِّح فيها الكلام، وأُقرِّب المرام، وأحرص على تقرير الحجة على وجهٍ يشفي غليل المستفيد، ويخرجه إن شاء الله تعالى عن الحيرة والتقليد».

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، إلا أنه غير مكتمل، والله الموفق والمستعان.

٥) «حقيقة التَّأويل»[1].

أُخذ اسمه من قول المعلمي: «فهذه رسالة في حقيقة التأويل»، وقد تكلَّم فيه الإمام في التأويل الباطل، وقدّم بتعريفه في اللغة والاصطلاح، وإطلاقاته على الرؤيا والفعل واللَّفظ، ثم ذكر فصلًا في الصِّدق والكذب، وتشديد الشارع في الكذب وما فيه من المفاسد، والترخيص في بعضه والتورية الجائزة، وحكم التأويل، وأنواع حجج الاعتقاد التي تؤوَّل، ثم خلاف الناس في آيات صفات الله تعالىٰ، ودحض حُجج متأوِّليها، وتباين الفِرَقِ المثبتة لصفات الله، وأنَّ إثبات معناها علىٰ ظاهرها لا يلزم منه التشبيه، وقصور العقول وخطئها في كثير من الأمور، وتفصيل القول في المتشابه والمحكم، واختياره في تأويل الأخبار الشرعية.

طبعات الكتاب:

- طبعة دار أطلس الخضراء سنة (١٤٢٦)، بتصحيح جرير بن العربي الجزائري.
- طبعة دار عالم الفوائد سنة (١٤٣٤)، والكتاب تامٌّ، بخط الإمام، والحمد لله.

٦) «حقيقة البِدْعة».

لم يسمه الإمام بذلك، ولكن كُتب عليه هذا الاسم، فأبقي كما هو لمطابقته موضوع الكتاب الذي بيَّن فيه الإمام بطلان العمل بالبِدع، وأنَّ الدِّين كلَّه من عند الله تعالىٰ، كامل تام، لا نقص فيه، ثم بيَّن طرق معرفة البدع،

(١) من هذا الكتاب إلىٰ آخر كتب العقيدة هي المجلد السادس من «آثار المعلمي»، قام علىٰ تصحيحها الشيخ عدنان البخاري -أثابه الله تعالىٰ-.

وأن ضلالها وذمَّها معلوم عند الناس، ولكن يخفىٰ عليهم حكم أهل البِدع، والطريق التي يتحقَّق بها العلم بالبدعة، فيقعون في البدع، ثم أفاض في بيان ذلك.

طبعات الكتاب:

➢ طبعة مكتبة أضواء السلف سنة (١٤٢٥)، بتصحيح الشيخين الصوماليين: عثمان بن معلم، وأحمد حاج.

➢ طبعة دار عالم الفوائد سنة (١٤٣٤)، ضمن «آثار المعلمي».

٧) **«صَدْع الدُّجُنَّة في فَصْل البِدعة عن السُّنَّة»**.

هكذا سماه الإمام، ورام به إيضاح الفرق بين السُّنَّة والبدعة وتبيين الحدود الفاصلة بينهما علىٰ وجهٍ يفهمه أكثر طلبة العلم والأذكياء من العامة، فذكر بعض التعريفات المذكورة في هذا الباب، وما عليها من اعتراضات، مع أمثلة وشرح، ثم خلص في آخر رسالته إلىٰ أنَّ التَّعريف المختار عنده للبِدعة هو: «أمرٌ أُلْصِق بالدِّين، ولم يكن من هَدي النَّبي ﷺ، لا بالفعل ولا بالقوَّة».

طبعات الكتاب:

➢ طبعة مكتبة أضواء السلف سنة (١٤٢٥)، بتصحيح الشيخين الصوماليين: عثمان بن معلم، وأحمد حاج.

➢ طبعة دار عالم الفوائد سنة (١٤٣٤)، ضمن «آثار المعلمي»، والكتاب تام بخط الإمام، والحمد لله.

٨) **«الحنيفيَّة والعرب»**.

هكذا سماه الإمام، وذكر فيه مدة بقاء الدِّين الحقَّ في عرب الحجاز وما حولها وأنها فوق عشرين قرنًا بعد إبراهيم ﵇، فالفترة بين وفاة خليل

الرحمن إبراهيم عليه السلام وبين بعثة سيد ولد عدنان ﷺ ألفان وسبعمئة وخمس سنين، ودخل عليهم التغيير قبل بعثته ﷺ بأقل من أربعمئة عام، من قِبَل اللعين عمرو بن لحيٍّ، فظل العرب «هذه المدَّة بطولها على الحنيفيَّة الخالصة، هذا مع أنَّه لم يكن فيهم بعد إبراهيم نبيٌّ إلَّا إسماعيل، الذي توفِّي بعد أبيه بنحو خمسين سنة.

فأمَّا بنو إسرائيل فإنَّهم عبدوا العِجْل بعد إبراهيم بنحو ستمئة سنة.. ومن هنا يظهر -والله أعلم- أنَّ تخصيص بني إسرائيل دون بني إسماعيل بكثرة الأنبياء إنَّما كان لتمرُّد الأوَّلين، واستقامة الآخِرين، لا لفضيلةٍ في بني إسرائيل أنفسهم، على أنَّ الله تبارك وتعالى جعل العاقبة للمتَّقين».

وفيه من نفائس التحقيق ما يفوق الوصف.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، وهو تامٌّ بخط الإمام، والحمد لله.

٩) **«عقيدة العَرَب في وثنيَّتهم»**.

هكذا سماه الإمام، لخص فيه عقيدة العرب الجاهليين في سبعة فصول، بيَّن في أولها: توحيد العرب وإقرارهم في جاهليَّتها بربوبيَّة الله تعالى في الجملة، وفي الثاني: تناقض إقرارهم بالربوبيَّة مع شركهم في الألوهيَّة، وفي الثالث: نسبتهم البنات لله تعالى، والأسباب المظنونة لذلك، وفي الرَّابع: تاريخ دخول الوثنيَّة في بلادهم، وفي الخامس: نصبهم الأوثان وأنَّهم لا يعبدون ذواتها بل هي صورٌ لمعبوداتهم، وفي السَّادس: أصل تسمية أوثانهم بأسماء أُنثويَّة، وعلاقة ذلك باعتقادهم في الملائكة أنها بنات الله، وفي السابع: اعتقادهم في الملائكة، وأنهم يتخذونهم شفعاء تقرِّبهم إلى الله زُلفى.

طبعات الكتاب:

- طبعة المكتبة المكية سنة (١٤١٧)، بإعداد ماجد الزيادي.
- طبعة دار عالم الفوائد سنة (١٤٣٤)، ضمن «آثار المعلمي»، والكتاب تامٌّ بخط الإمام، والحمد لله.

١٠) «الردّ على حسن الضالعي».

لم يسمه الإمام بذلك، فسماه المصحح بهذا الاسم المطابق، وقد بين الإمام تاريخ وسبب تأليفه لهذا الكتاب فقال: «فإنِّي عند وجودي بعَدَن، أواخر سنة (١٣٤١) بلغني عن رجلٍ يُدعَىٰ السيِّد حسن باهارون[1]. كان مقيمًا بالضَّالع ثم بيافع، يدعو الناس إلىٰ بعض العقائد الباطنية الحلوليَّة.. وإنَّه قد اتَّبعه خَلْقٌ كثيرٌ، وألَّف جماعةٌ من العلماء في الإنكار علىٰ أقواله وضلاله.. وسألني بعض الإخوان أن أحذو حذوهم، بكتابة رسالةٍ في هذه القضيَّة.. مع أنِّي تصفَّحتُ بعض تلك الرسائل، فرأيتها منسوجةً بالحِدَّة والغضب، وذلك وإن كان محمودًا في الشَّرع لكن الأولىٰ في خطاب الجُهَّال الرِّفق واللِّين.. وليس القصد من التَّأليف في هذه القضيَّة مجرَّد إقامة الحُجَّة والخروج من عهدة السُّكوت، بل القصد مع ذلك إنقاذ هؤلاء المساكين من تخبُّطات الشياطين».

ثمَّ بيَّن خطَّته في كتابه، فقال: «وقد عزمتُ مستعينًا بالله تعالىٰ علىٰ كتابة أوراق في هذا الصَّدد، تنحصر في مقدِّمة وفصول:

---

(١) حسن هارون الغزالي، من دعاة نحلة وحدة الخالق بالمخلوق، الكافرة الخاسرة، وفد من تهامة إلىٰ بلاد يافع سنة (١٣٤٣)، وبث فيها هذا المذهب الكفري، وأظهر القول برفع التكاليف الشرعية عن الناس، وإنكار صحَّة نبوَّة نبينا ﷺ، وثبوت القرآن وإعجازه، حتىٰ هلك سنة (١٣٥٤). انظر «الموسوعة اليافعية» (٧/ ٢٧٣-٢٧٤).

- **المقدَّمة**: فيما بلغني عن هذا الرجل وأصحابه، بأسانيدها.
- **الفصل الأوَّل**: في وحدة الوجود التي يلهج بها المتصوِّفة، وبيان عقائد أئمَّة الصوفيَّة.
- **الفصل الثاني**: في معنى الوحدة عند المتطرِّفين، وما يشبه ذلك من مقالات الفِرق، والأدلَّة المناقضة لذلك من العقل والنقل.
- **الفصل الثالث**: في حكم من دعا إلى ذلك، أو اعتقد، أو شكَّ، أو سكت.
- **الخاتمة** - ختم الله لنا بخير الدنيا والآخرة -: في أحاديث واردة في التَّحذير من الدَّجاجلة، أعاذنا الله والمسلمين من شرِّهم».

وللأسف لم يعثر شيوخ التصحيح إلا على المقدمة التي أشار إليها الإمام، ولعل انشغاله الذهني وعدم استقراره في تلك المدة لم يمكنه من الإكمال، والله أعلم.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، ولكنه غير مكتمل، والله المستعان.

١١) **«ما وقع لبعض المسلمين من الرياضة الصُّوفية والغلوّ فيها»**.

لم يسمه الإمام بذلك، فأخذ المصحح هذا الاسم مما كُتب على لوحها، وهو رد على صوفي لم يُعرف، ادعى اكتساب بعض خوارق العادات، فذكر الإمام ما ثبت منها كالعين والتنويم المغناطيسي والرقية، وما يختلط فيه السحر والكرامة والمعجزة، وتشابه الصوفيَّة مع الهندوس في التعبّد، واشتباه عباداتهم بالمشروع والمأثور عن السلف، وأغراض متعبِّديهم وولع الشياطين بهم، وبيّن سحر الأبصار والأدمغة، وردّ على المشكِّكين في صحَّة السحر والكرامة، وردّ على المجيزين لعبادات الصوفية، والمتعاطين للسحر بحجّة إيذاء الكَفَرة، وعلى من زعم بأنّ معجزات الأنبياء لم تكن عطاءً من عند الله تعالى، بل كان اكتسابًا من عند أنفسهم.

وهـذا الكتـاب مـن فرائـد «آثـار المعلمـي»، ولكنـه غيـر مكتمـل، والله المستعان.

١٢) **«الشفاعة»**.

لم يسمه المعلمي بذلك، فأخذ المصحح الاسم من الموضوع، وقد مهَّد الإمام له بكلام مختصر في تفاوت أقوال الناس في باب الشفاعة، وشكا أحوال مشايخ وقُصَّاص رخّصوا في الشفاعة الباطلة، ثم بيَّن معنىٰ الشفاعة لغة، وذكر عدم اشتراط قبول الشفاعة، ولا كونه من الأدنىٰ للأعلىٰ، واشتراط أن لا يكون الشافع مالكًا للحاجة المشفوع فيها، وأقسام الشفاعة عند الله، ومباحث متعلِّقة بالدعاء، من جهة طلبه وعظيم الحاجة إليه، وأن أمر إجابة الدعاء إلىٰ الحكيم الخبير سبحانه وتعالىٰ، وبين رَحِمَهُ ٱللَّهُ كراهة الدعاء؛ إجابةً لمن يطلبه إن كان مصرًّا علىٰ الكبائر، لما في ذلك من الضرر علىٰ الطالب والمطلوب، وأردف بذكر بعض الأحوال التي يستحبُّ فيها طلب الدعاء من الآخرين.

وهذا الكتاب من نوادر «آثار المعلمي»، ولكنه غير مكتمل، والله الموفق والمستعان.

١٣) **«التفضيل بين الخلفاء الأربعة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ»**.

لم يسمه الإمام بذلك، فأخذ المصحح الاسم من مضمون الكتاب، وهو كتاب مختصر في التفضيل بين الخلفاء الأربعة الراشدين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فبدأ ببيان أن هذا الباب من أصول الدين؛ لإنزال الناس منازلهم وإعطاء كل ذي حقٍ حقه، إلا أنه صار من حُجُبِ الشيطان التي يُلهي بها الإنسانَ عمّا خُلِقَ لأجله،

ولذلك لم يشتغل به الخلفاء أنفسهم ولا السلف من بعدهم، بل عظموا الجميع، بخلاف الذين خاضوا في التفضيل فلم يسلموا من التعصب، ثم ذكر حِكَمًا بالغة في تأخُّر خلافة عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه عن الثلاثة، وما كان في ذلك من جلب المصالح ودفع المفاسد.

واعلم أن المعلمي كتبها بخطه في ورقة واحدة، على جهة التقييد لمناظرة مفترضة بين فريقين وإيراد حجج كل منهم، غير قاصد للترجيح والتصحيح، فهي أشبه بالمذاكرة، ولو أنه نهض إلى الترجيح في المعترك لبيَّن رأيه بالتصريح المبني على سلطان الحجة، ودقيق الاستنباط، كما عوَّدَنا رحمه الله فيما نهض إلى بيان اختياره! وعليه فلا طائل من الانشغال ببعض ما ورد فيها، والله الموفق والمستعان.

١٤) «تعلّق العقائد بالزمان والمكان».

لم يسمه المعلمي بذلك، فأخذ المصحح هذا الاسم المطابق مما كُتب في فهرس مكتبة الحرم المكي، وقد بيَّن فيه الحاجة إلى النظر في حال المكان والزمان لتعلقهما تعلُّقًا متينًا بالعقائد، وذكر في أوَّله معنى «المكان»، وحقيقة الفضاء، والفرق بينه وبين الهواء، ثم جادل أهل الكلام في إطلاقهم على «الفضاء» عدمًا يسمُّونه بُعدًا موهومًا، وزعموا أنَّه شيءٌ موجود، فقارعهم بحجج العقل؛ لأنهم لا يؤمنون بالنقل.

وهذا الكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، ولكنه غير مكتمل، والله المستعان.



المبحث الثاني: المؤلفات في علم التفسير[(١)].

ويحتوىٰ هذا المبحث علىٰ ثماني عشر كتابًا، وهي:

١٥) «التعقيب علىٰ تفسير سورة الفيل للمعلم عبد الحميد الفراهي».

لم يسمه الإمام، فأخذ المصحح هذا الاسم مما صنعه المفهرس لمكتبة الحرم، مع زيادة «تفسير سورة الفيل»، وسبب تأليف الإمام له أنَّ العلامة المعلم عبد الحميد الفراهي (ت: ١٣٤٩) أحد كبار علماء الهند ألَّف جزءًا في تفسير سورة الفيل، ذهب فيه إلىٰ أن الخطاب في قوله تعالىٰ: ﴿تَرْمِيهِم﴾ للمخاطب، وأن العرب قاوموا جيش أبرهة بما يطيقون ورموهم بالحجارة، فجاء نصر الله، وأرسل عليهم ريحًا عاصفة أهلكتهم. وأما الطير فأرسلت لأكل جثث الموتىٰ. فنهض الإمام إلىٰ إبطال هذا التفسير، وجعل الكتاب علىٰ قسمين الأول: الردّ مفصلًا، والثاني: تفسير السورة.

وهذا الكتاب من أنفس كتب هذا الحبر، نثر فيه تحقيقات نفيسة في السيرة والتاريخ، والتفسير واللغة، بأسلوب علمي رصين، مع إجلال وإنصاف، فهو بحق درة نادرة، لا تمل مطالعته، فرحم الله الإمام وسقاه من سلسبيل الجنة.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، ومكتمل بخط الإمام، ولله الحمد.

١٦) «تفسير البسملة».

لم يسمه الإمام، ولكنه اسم مستنبط من المضمون، وقد صدره الإمام بخطبة أشار فيها إلىٰ كثرة المؤلفات في هذا الباب، ثم قال: «ولكنني مع ذلك

(١) هي في المجلد السابع من «آثار المعلمي» سوىٰ «التعقيب..» فهو المجلد الثامن من «آثار المعلمي»، وكلها بتصحيح الشيخ محمد أجمل الإصلاحي -أثابه الله تعالىٰ-.

لم أجد كلامًا عليها يقتصر على إيضاح معناها إيضاحًا تامًّا، يسهّل على الطالب الإحاطة به، ليستظهره عند ذكرها. فَسَمَتْ بي الهمة إلى محاولة ذلك»

ورتبه على ثمانية فصول، وقد تكلم في الفصل الثالث منها على مسألة الاسم والمسمى وأطال وأطاب في جدال العز بن عبد السلام في كتابه «مجاز القرآن»، وفي فصل طويل ردَّ على من يزعم أن المشركين لم يكونوا يعرفون كلمة: (الرحمن)، فجاء بالعجب العجاب، فرضي الله عنه.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، وهو كامل بخط الإمام، والحمد لله.

١٧) **«تفسير سورة الفاتحة»**.

لم يسمه الإمام، ولكنه اسم مستنبط من المضمون، وهو تفسير كامل للسورة، فقد تكلم فيه على الآيات كلها معنى وقراءة وإعرابًا، غير أن هناك إحالات على مواضع لم يَعثر عليها المصحح، يُحيل فيها الإمام إلى ما سماه «الفرائد»، فلا يدرى أهو كتاب مفرد له، أم فصل من فصول هذا الكتاب، كما شمل هذا الكتاب، فصلًا نفيسًا حرر فيه الإمام تفسير العبادة، وأحال على كتابه الفرد «رفع الاشتباه»، وقد تقدم الكلام فيه.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، وهو مكتمل إلا من تلك الإحالات المشار إليها، والله الموفِّق والمستعان.

١٨) **«تفسير أول سورة البقرة (١ – ٥)»**.

لم يسمه الإمام، ولكنه اسم مستنبط من المضمون، فقد بدأ بعد البسملة بتفسير قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، فلم يعرِّج على الحروف المقطعة، ولا فسر قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ وختم الكتاب بالكلام على قوله تعالى: ﴿وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ

ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ ويغلب على الكتاب الجانب البياني بأسلوب النّكات العلمية، فكأنه نَتاج التدبر، وحصيلة التأمل، وتقييد الصيد.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، وبخط الإمام، ولله الحمد.

١٩) **«ارتباط الآيات في سورة البقرة»**.

لم يسمه الإمام، ولكنه اسم مستنبط من المضمون، وهو كتابٌ بديع في استقراء التناسب بين آيات سورة البقرة، من أولها إلى آية رقم (٢٥٦)، أتى فيه بمُلَح مليحة، ونظرات دقيقة، في ارتباط تلك الآيات بعضها ببعض.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، وبخط الإمام، ولكنه غير مكتمل، والله المستعان.

٢٠) **«ارتباط قوله تعالى: ﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾** [البقرة: ٢٣٨ - ٢٣٩] **بما قبلها وما بعدها»**.

لم يسمه الإمام، ولكنه اسم مستنبط من المضمون، وهو كتاب لطيف، عُني فيه ببيان وجه ارتباط هذه الآية الكريمة، بما قبلها من أحكام الطلاق، وبما بعدها من أحكام المتوفى عنها زوجها.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، بخط الإمام، ولله الحمد.

٢١) **«تفسير قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾** [النساء: ٢]**»**.

لم يسمه الإمام، ولكنه اسم مستنبط من المضمون، فسَّر فيه الآيات (٢-٤) من سورة النساء، وضمَّ إليها الآيات من (١٢٧ - ١٣٠) من نفس السورة.

وذهب فيه إلىٰ وجه جديد في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾ [النساء: ٣] الآية.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، وهو تامٌّ بخط الإمام، والحمد لله.

٢٢) **«تفسير أول سورة المائدة»**.

لم يسمه الإمام، ولكنه اسم مستنبط من المضمون، وهو تفسير لثلاث آيات من أول السورة [١ - ٣]، جرىٰ فيه علىٰ طريقة «تفسير الجلالين» ونحوه، ثم ذكر مناسبة الآيات لما بعدها.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، بخط الإمام، واكتماله مظنون، والله أعلم.

٢٣) **«تفسير قوله تعالىٰ: ﴿كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١]»**.

لم يسمه الإمام، ولكنه اسم مستنبط من المضمون، وأصله حوار جرىٰ بين الأمير الإدريسي والفقيه محمد بن عبد الرحمن الأهدل في المراد بالإسراف في الآية المذكورة، وقد ساهم المعلمي في ذلك الحوار، ثم حبره وحرره.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، وهو كاملٌ بخط الإمام، ولله الحمد.

٢٤) **«تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤]»**.

لم يسمه الإمام، ولكنه اسم مستنبط من المضمون، في كتاب نفيسٌ، رتبه الإمام ترتيبًا بديعًا علىٰ خمسة فصول هكذا: أجزاء الآية، ما قيل في تفسير الآية، تمحيص، تدبر، المحصل.

وقـد ردّ علـىٰ الجمهـور اختيـارهم في الآيـة، وأثبـت شـناعة القصـص المشهورة في تفسير الآية، ولكنه ذكر صورًا مظنونة للقصة خالية من الشناعة.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، وهو كامل بخط الإمام، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٢٥) «**تفسير قوله تعالىٰ:** ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، **والمراد بأهل البيت في قوله تعالىٰ:** ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣]».

لم يسمه الإمام، ولكنه اسم مستنبط من المضمون، أصله حوار جرىٰ بينه وبين الشيخ صالح بن محسن الصيلمي (ت: ١٣٤٩)، في الآية المذكورة، فقد فسرها الصيلمي بمعنىٰ طاعة رسول الله ﷺ، فرد عليه الإمام بأن الإيتاء والأخذ هنا ما يفهم منهما في الأشياء المحسوسة، وليس بمعنىٰ الأمر والامتثال.

فأنكر الصيلمي الاحتجاج بالسياق، فإنه لو صحّ هذا الاحتجاج هنا لكان دليلًا في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ علىٰ أن أمهات المؤمنين من أهل البيت، وهو أمر غير مقبول عنده! فردّ عليه الإمام قائلًا: «إن أمهات المؤمنين داخلات في أهل البيت قطعًا، فإن السياق أمره واضح، وارتباط الآية المعنوي بما قبلها جهله فاضح، وهذا كلام يأخذ بعضه برقاب بعض، فكيف يفصل بينه بجملة لا تعلق لها به؟».

ثم بيَّن معنىٰ آل البيت، وآل بيت رسول الله ﷺ والتوفيق بين الأحاديث في ذلك.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، بخط الإمام، ومكتمل، والحمد لله.

٢٦) «**إعراب قوله تعالىٰ:** ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩]».

٢٧) «**إعراب قوله تعالىٰ:** ﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴾ [القلم: ١٤]».

٢٨) «**إعراب قوله تعالىٰ:** ﴿ ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴾ [الحاقة: ١ - ٢]».

هذه الثلاث من نَتاج المذاكرات التي كانت تجري في الحضرة الإدريسية، قيد الإمام أصلها، ثم عاد إلىٰ بعض التفاسير وزاد منها، فهي دالة علىٰ حرصه علىٰ العلم والوقت، فرحمه الله، ورضي عنه.

وهي من فرائد «آثار المعلمي»، بخط الإمام كاملة، ولله الحمد.

٢٩) «**تفسير آيات خلق الأرض والسماوات**».

لم يسمه الإمام، ولكنه اسم مستنبط من المضمون، وهو حل إشكال قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠] مع قوله تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ﴾ [البقرة: ٢٩] فهذه الآية مع آيات [فصلت: ٩-١١]، تدل علىٰ أن خلق الأرض متقدم علىٰ خلق السماء، وآيات [النازعات: ٢٧-٣٠]، توهم خلاف ذلك، فنظر المعلمي في بعض التفاسير، لرفع هذا الإشكال القديم، ويظهر أن الكتاب تقييدات مذاكرة، لا تحريرات مراجعة، والله أعلم.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، وهي كاملة بخط الإمام، ولله الحمد

٣٠) «**معنىٰ قوله تعالىٰ:** ﴿أَغْنَىٰ عَنْهُ﴾».

اسم مستنبط من مضمونه، وهو في تحقيق معنىٰ ﴿ أَغْنَىٰ عَنْهُ ﴾ والأساس الذي جرىٰ عليه استعمالها في القرآن. وقد أيَّد الشيخ المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما ذهب

إليه بمواضعها الكثيرة في القرآن الكريم وسياقها فيه، وردَّ ما اختلفوا في تفسيره إلىٰ ما قرره. رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، وهو كاملٌ بخط الإمام، والحمد لله.

٣١) **«بحث في تفسير الفخر الرازي وتكملته»**.

لم يسمه الإمام، ولكنه اسم مطابق للمضمون، وسببه أن الشيخ محمد بن عبد العزيز مانع (ت: ١٣٨٥)، سأل الإمام تحقيق هذا المعضلة، فنهض نهضة الراسخين، فجاء بتحقيق مبين، وخبر يقين، برهن فيه علىٰ صبره في البحث، وجلده في التنقيب، وسموه في التذوق لأساليب الكلام، وقد تقدم بسط ذلك في الفصل السادس من الباب الثاني، فأغنىٰ عن الإعادة.

طبعات الكتاب:

- طبعة مجلة الحج، سنة (١٣٧٦).
- طبعة مجلة «معارف» أشهر مجلّات الهند سنة (١٣٧٧)، كلاهما في حياته، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
- طبعة المكتبة المكية سنة (١٤١٧)، بإعداد ماجد الزيادي.
- طبعة دار عالم الفوائد سنة (١٤٣٤)، ضمن «آثار المعلمي»، وهي أحسن طبعات الكتاب، والحمد لله.

٣٢) **«فوائد من تفسير الرازي»**.

وهو وريقات قليلة، كتب فيها الإمام فوائد من «تفسير الرازي»، وعلق علىٰ بعضها بتعليقات قيمة، فاستحسن شيوخ التصحيح طبعها ضمن «آثار المعلمي».



المبحث الثالث: المؤلفات الحديثية.

ويحتوي هذا المبحث على واحد وعشرين كتابًا.

٣٣) **«طليعة التنكيل»**.

هكذا سماه الإمام، وسببه أنه لما أَلَّف الأستاذ محمد زاهد الكوثري (ت: ١٣٧١) كتابًا عنونه بـ «تأنيب الخطيب على ما ساقه في ترجمة أبي حنيفة من الأكاذيب» انتقد فيه ما ساقه الحافظ الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣) في ترجمة الإمام أبي حنيفة من كتابه «تاريخ بغداد» من المثالب عن السالفين. وطبع كتاب الكوثري في مصر سنة (١٣٦٠).

اطلع عليه المعلمي بطلب من أحدهم رأى أنه بحاجة إلى جوابٍ مفصل عما وقع فيه الكوثري من الأخطاء العلمية والطعن على أئمة السنة ورواتها، فألَّف- وهو في الهند - كتابه: «التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل» وقسمه إلى أربعة أقسام: قسم القواعد، وقسم الرواة، وقسم الفقهيّات، وقسم العقائد.

ولما كان كتاب «التنكيل» على وشك التمام رأى المؤلف أن يقتضب منه أظهر ما وقع فيه الأستاذ الكوثري من الأخطاء، وسماه «طليعة التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل» بيّن فيه أباطيل الكوثري فيما يتعلّق برواة الحديث خاصةً، وجعلها ثمانية أنواع: أوابد، وعوامد، وعجائب، وغرائب، وفواقر، وعواقر، وتجاهل ومجازفة، وأعاجيب.

طبع في حياة المؤلف، ثم طبع مع طبعات «التنكيل» الآتية قريبًا، إن شاء الله تعالى.

٣٤) «تعزيز الطليعة».

هكـذا سـماه الإمـام، ومضـمونه أنـه لمـا اطَّلـع الأسـتاذ الكـوثري علـىٰ «الطليعة» كتب ردًّا عليها سماه «الترحيب بنقد التأنيب» بناه علىٰ أمرين:

- الأول: الطعـن في نيـة المعلمـي، واتهامـه بـالطعن علـىٰ أبـي حنيفـة، وأمـور أخرىٰ.
- الثاني: محاولـة الـتملّص مـن عُهـدة التغيير والتبـديل في الأمثلـة التـي أثبتهـا المعلمي عليه.

فما كان من المعلمي حين وقف علىٰ «الترحيـب» إلا أن أردف «الطليعـة» بكتابين وهما: «تعزيز الطليعة» و«شكر الترحيب».

أما «تعزيز الطليعة» فقد شرح المعلمي في أولها سبب تأليفها، وبيَّن الحـال الذي طبعت فيها.

وقسّم الرسالة إلىٰ بابين:

الباب الأول: مطالب متفرّقة. وفيه أربعة فصول:

- الأول: شرح فيـه أمـورًا تتعلـق بكتـاب «التنكيـل» وخطـر مـا فعلـه الكـوثري علىٰ السنة.
- الثاني: تعليقه علىٰ محاولة الكوثري التبرؤ مما نسبه إليه.
- الثالث: بيَّن باطل الغلو في الأفاضل.
- الرابع: في تفريق الكوثري الأمة إلىٰ حنفية وعامة المسلمين. ثم خلص إلـىٰ تحرير قاعدة التهمة.

ثم دلف إلىٰ قواعد خلّط فيها الكوثري، وهو:

الباب الثاني: في قواعد خلّط فيها الكوثري، وذكر فيه أربع قواعد:

رمي الراوي بالكذب في غير الحديث النبوي. والتهَمة بالكذب، ورواية المبتدع، وقدح الساخط ومدح المحب.

ويلاحظ هنا أنه قد ذكر جميع هذه القواعد في التنكيل، لكنه بيَّن أنه أعادها هنا للحاجة إليها، فقال: «فالنظر في شأنهم يتوقف علىٰ تحرير قاعدة التهمة، وقد كنت بسطته في «التنكيل» ثم دعت الحاجة إلىٰ تلخيصه هنا».

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، تامٌّ بخط الإمام، ولله الحمد.

٣٥) **«شكر الترحيب»**.

هكذا سماه الإمام، وهو التعزيز الثاني لكتابه «طليعة التنكيل»، وقد قسمه إلىٰ بابين:

الباب الأول: النظر في خطبة الكتاب وما للكوثري فيها من الوهم.

الباب الثاني: النظر في أجوبة الكوثري علىٰ ما ذكره في «الطليعة»، وذكر ما وقع في كل فرع علىٰ حدة.

ولم ينشط الإمام لطبعه هو والذي قبله، خشية أن يصيبهما ما أصاب «الطليعة»، من الأخطاء المطبعية أو التصرف بالتعليق ونحوه، وقد أشار الإمام إلىٰ هذا السبب فقال في خطبة «شكر الترحيب»: «الطبع وقع بمصر بعيدًا عني، وعن الناشر، والمعلّق، فلم تتيسر العناية بالتصحيح المطبعي، فوقعت في الطبعة أغلاط نعىٰ الأستاذ الكوثري عليَّ بعضها... ولم يوازن بين حالي وحاله.

هذا، وما وقع في «الطليعة» مما شرحته دعاني إلىٰ التوقف عن إرسال «التنكيل» للطبع علىٰ تلك الطريقة. وآمُلُ أن يتيسر لي ما هو أضبط من ذلك، إن شاء الله تعالىٰ»[1].

و الكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، تامٌّ بخط الإمام، طُبع مع سابقَيه في مجلد واحد، ولله الحمد.

٣٦) «التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل».

هكذا سماه الإمام، وكان قد سماه بادئ الأمر «النقد البَرِي في الرد علىٰ الكوثري».

وهو سيد كتبه علىٰ الإطلاق، سار مسير الشمس في الديار، وبه عُرف المعلمي عند الحاضر والباد، بالرسوخ العلمي، والبراعة في حل المشكلات العويصة بتحقيق بالغ وتجرّدٍ نادر، ويؤازره علوّ الأسلوب، وإنصاف الخصم، ولغة معتدلة في النقد والمناظرة.

فهو من المؤلفات النادرة الفريدة في القرون المتأخرة في التدقيقِ والتحقيقِ وكثرةِ الفوائد الفريدة، التي هي من جنس الافتراع، لا من حشو الإتْباع، انشرحت له صدور أهل السنة، وشَجِيت به حلوق أهل البدعة، وخضعت له أعناق المنصفين، فأناخوا ركائبهم ببابه، ورسوا بسفنهم في شطوطه، فارتوَوا حتىٰ ضربوا بعَطَن.

---

(١) «آثار المعلمي» (٩/ ١٩٢).

وقد افتتحه بخمسة فصول هي أشبه بالتوطئة والتمهيد للكتاب، ثم قسَّم الكتاب إلىٰ أربعة أقسام:

١. القواعد.

٢. التراجم.

٣. الفقهيات «البحث مع الحنفية في سبع عشرة قضية».

٤. العقائد «القائد إلىٰ تصحيح العقائد».

طبعات الكتاب:

- طبعة المكتب الإسلامي سنة (١٣٨٦)، في سنة وفاة الإمام، وهي أول طبعات الكتاب، ثم ظهرت بعدها طبعات عديدة، مصورة ومأخوذة، دون إذن من الناشر أو المحقق.
- طبعة لاهور بباكستان سنة (١٤٠١).
- طبعة المكتب الإسلامي سنة (١٤٠٦)، وهي الطبعة الثانية للمكتب، وقد نزل بهذه الطبعة عوادي التصرف في الشكل والمضمون، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

قال الشيخ الألباني: «وأما ما يتعلق بما في داخلهما (يعني هذه وطبعة أخرىٰ ذكرها) من الأخطاء المطبعية، فهذا بحر لا ساحل له، فإنها من طبيعة الطبعات التجارية المسروقة».

- ➢ طبعة مكتبة المعارف سنة (١٤٠٦)، قام عليها الشيخ الألباني، انتصافًا من طبعة المكتب الإسلامي، سابقة الذكر.
- ➢ طبعة مكتبة المعارف بالرياض سنة (١٤٢٦)، وهي مصورة عن مصورة، فلا جديد.
- ➢ طبعة دار عالم الفوائد، سنة (١٤٣٤)، ضمن «آثار المعلمي»، وهي أسلم وأتقن الطبعات.

٣٧) «الأنوار الكاشفة علىٰ ما في كتاب «أضواء علىٰ السنة» من الخلل والتضليل والمجازفة».

هكذا سماه الإمام بهذا الاسم المطابق، وقد أَلَّفه ردًّا علىٰ كتاب أبي ريَّة «أضواء علىٰ السنة»، الذي هو في الحقيقة «جمعٌ وترتيبٌ وتكميلٌ للمطاعن في السنة النبوية»، وحَمَلَتها، لا سيَّما راوية الإسلام أبو هريرة رضي الله عنه، بأسلوب السُّوْقة والعبيد، فنهض الإمام لدحر تلك الأباطيل، التي جادت به البراطيل، فجاء الإمام بأنوار تحقيق، وألمعية تدقيق كشف بها عن دياجير الاتِّباع للغرب الكافر، وأزاح ستار الصدور المحشية ببراكين الغيظ والغل والحقد، علىٰ صحابة خير البرية.

وإن تعجب فعجبٌ مدة تأليفه، التي لم تتجاوز ثمانية أشهر، مع أعماله العلمية الأخرىٰ، فإن لم تبرهن علىٰ رسوخ هذا الحبر، فلا أدري ما البرهان!

وإني والله لم أجد من نشاط الروح لقراءة سِفر من أسفار هذا الحبر كما وجدته في هذا العِلْق النفيس والجليس الأنيس، فاللهم ارفع درجته في المجاهدين الذابين عن حرمات دينك وصحابة رسولك ﷺ.

طبعات الكتاب:

- ➢ طبعة المكتبة السلفية بمصر سنة (١٣٧٨) في حياة الإمام، ثم توالت الطبعات الآتية تصويرًا منها:
- ➢ طبعة (حديث أكاديمي)، بباكستان، سنة (١٣٧٨).
- ➢ طبعة عالم الكتب ببيروت، سنة (١٤٠٣).
- ➢ طبعة المكتب الإسلامي، سنة (١٤٠٥)، أما:
- ➢ طبعة دار عالم الفوائد سنة (١٤٣٤)، ضمن «آثار المعلمي»، فهي أنفس الطبعات، الموشاة بتلك التعليقات النفيسة.

٣٨) «كتاب الوُحدان».

سماه الإمام بهذا الاسم في الكتاب الآتي بعده، وقد جمع فيه الرواة الذين ليس لهم إلا راوٍ واحدٌ، وهو ما يُعرف في علم مصطلح الحديث باسم «الوُحْدان».

وقد كتب جمعٌ من الأئمة في هذا الباب مصنفات كثيرة، لكن تميّز هذا الكتاب بميزات وفيرة، أهمها: أنه لم يقتصر على جمع الأسماء، بل جعل كتابه تحقيقًا لأحوالهم من جهة التوثيق والتضعيف، والقبول والرد.

والكتاب تامٌّ من جهة الجمع والترتيب إلا أنه لم يزل في مسوّدته، لم يستوفِ المؤلف القولَ في تراجمه، ولا بلغ فيه الغاية التي كان قد بدأها في أوائل التراجم، ولا التي كان يرجوها. ومع ذلك فهو كتاب نافع جليل في هذا الباب، فيه تعليقات نفيسة لا يستغني عنها أهل الحديث.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، بخط الإمام، ولله الحمد.

٣٩) **«تراجم منتخبة من التهذيب والميزان»**.

لـم يسـمه الإمـام، فاسـتنبط المصـحح هـذا الاسـم المطـابق، فهـو كتـاب منتخـبٌ في تـراجم رواة الحـديث، انتخـب تراجمـه مـن: «ميـزان الاعتـدال» للحافظ الذهبي (ت: ٧٤٨)، و«تهذيب التهذيب» للحافظ ابن حجرٍ العسقلاني (ت: ٨٥٢)، وهما من المصنفات المشهورة في الجرح والتعديل.

والظاهر أن المعلمي قد مرّ علىٰ ذينك الكتابين قراءةً وتدبّرًا ونقدًا، تمكن من انتخاب (٣٢١) ترجمة من آلاف التراجم، ثم انتخب من تراجمهم ما طاب له.

فلم يرم اختصار الكتابين ولا تهذيبهما، بل كان مرامه تقييد ما مرّ به في تلك التراجم من ملاحظات تفيد في التفقّه في علم الجرح والتعديل، ومعرفة مناهج الأئمة، وأسباب الطعن علىٰ الرواة، واختلاف أقوال الإمام الواحد... وغير ذلك. ولم يقتصر عمله علىٰ الانتخاب وحده، بل زاد فوائد وفرائد، حريٌّ بأهل الحديث الوقوف عليها.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، بخط الإمام، وبهوامشه تعليقات نفيسة، ولله الحمد.

٤٠) **«الاستبصار في نقد الأخبار»**(١).

هكذا سماه الإمام، وقد بيّن مراده من تأليف هذا الكتاب فقال: «أتوخّىٰ فيها تحرير المطالب، وتقرير الأدلة، وأتتبع مذاهب أئمة الجرح والتعديل؛ ليتحرر بذلك ما تعطيه كلماتهم في الرواة...». ثم شرح الأسباب التي دفعته

(١) من هذا الكتاب إلىٰ آخر قسم الحديث وعلومه هو المجلد الخامس عشر من «آثار المعلمي»، طبعت بتصحيح الشيخ علي العمران - أثابه الله تعالىٰ -.

إلىٰ تأليفها، فأشار إلىٰ أمرين أساسيين:

- **الأول**: اختلاف منهج الأئمة في ألفاظ الجرح والتعديل.
- **الثاني**: اختلافهم في الاحتجاج علىٰ أحوال الرواة.

وتمنَّىٰ إنْ تَمّ كتابه هذا أن يتضح به سبيل القوم في نقد الحديث، ويتبيّن أن سلوكَه ليس بالأمر العسير علىٰ أولي الهمم العالية، فيكون منهم أئمة مجتهدون في ذلك.

ثم ذكر أن نقد الخبر علىٰ أربع مراتب هي:

- **الأولىٰ**: النظر في أحوال رجال إسناده واحدًا واحدًا.
- **الثانية**: النظر في اتصاله.
- **الثالثة**: البحث والنظر في الأمور التي تدل علىٰ خطأ إن كان.
- **الرابعة**: النظر في الأدلة الأخرىٰ مما يوافقه أو يخالفه.

وأراد أن يعقد لكل واحدة من هذه الأربع مقالةً مفردة، لكنه لم يزد علىٰ المقالة الأولىٰ. وعليه فهو ناقص، والله المستعان.

طبعات الكتاب:

- طبعة دار أطلس، سنة (١٤١٧)، بتقديم سيد محمد الشنقيطي.
- طبع دار عالم الفوائد سنة (١٤٣٤) ضمن «آثار المعلمي»، وهي أتقن من سابقتها.

٤١) «**رسالة في أحكام الجرح والتعديل**».

لم يسمه الإمام، فأخذ المصحح هذا الاسم من قول المعلمي: «وقد عنَّ لي أن أجمع رسالة في أحكام الجرح والتعديل...».

أراد الإمام تحقيق أمرين:

- **الأول**: حل مشكلات الفن.
- **الثاني**: تيسير طرق الاجتهاد في هذا الفن، ليتمكَّن العالم من الحكم على الرواة بنفسه بالحجة والدليل.

لكن القَدْر الذي وصل من هذه الكتاب ناقص الأول والآخر، مشوّش الترتيب، وهو مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالكتاب الذي قبله «الاستبصار»؛ فمضمونهما واحد، وهو الجرح والتعديل، وبحث العدالة، ولعلهما كتابٌ واحد، أحدهما مسوَّدة الآخر، والله أعلم.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي».

٤٢) «**إشكالات في الجرح والتعديل**».

«صدَّر الإمام هذا الكتاب الموجز بقوله: «مهمة»، ثم قرَّر أن أئمة الجرح والتعديل كثيرًا ما يوثقون رواةً لم يدركوهم، وضَرَب بعض الأمثلة، وأنه لا يُنكر على المتبحر في هذا العصر إذا تتبّع حديثَ الراوي أن يخلُص إلى حكم فيه، لكن بقيت إشكالات تتعلق بذلك، فذكر أربع إشكالات ولم يُجب عنها هنا وإن كان قد أجاب عنها في مواضع أخرى من كتبه».

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، بخط الإمام، والله المستعان.

٤٣) «الحاجة إلىٰ معرفة علم الجرح والتعديل».

لم يسمه الإمام بذلك، فسماه المصحح من مضمونه، فقد أراد الإمام منه بيانَ مكانة علم الجرح والتعديل، وأنه لا بد من معرفته لمن أراد الاجتهاد.

وختم الكتاب ببيان أن أهل العلم يحتاجون إلىٰ أمرين:

- **الأول:** تحقيق الحق فيما اختلف فيه أئمة الجرح والتعديل، ومعرفة عادة كل إمام في الجرح والتعديل.
- **الثاني:** معرفة الطريق التي سلكها الأئمة لنقد الرواة، ثم السعي في اتباعهم فيها.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي».

٤٤) «الأحاديث التي استشهد بها مسلم في بحث الخلاف في اشتراط العلم باللقاء».

هكذا سماه الإمام، وهو يدخل تحت باب: «رواية الرجل بصيغةٍ محتملة للسماع عمن عاصره ولم يثبت له لقاؤه» وقد بسط البحث فيه الإمام، وأبان المراد بهذه الأحاديث التي استشهد بها مسلم، وذلك في كتابه «التنكيل»، فقد ذكر فيه أنه كان يريد الكلام علىٰ تلك الأحاديث هناك إلا أن المكان لم يتسع لذلك، فأفرده بهذا الكتاب، وعاد إليها في موضع آخر، سيأتي بيانه، إن شاء الله تعالىٰ.

طبعات الكتاب:

- طبعة دار أطلس بالرياض، سنة (١٤١٧)، بإعداد محمد الموسىٰ.
- المكتبة المكية سنة (١٤١٨)، بإعداد ماجد الزيادي.
- طبعة دار عالم الفوائد سنة (١٤٣٤)، ضمن «آثار المعلمي»، وهي أتقن الطبعات.

٤٥) «**الصيغ المحتملة للتدليس، أظاهرةٌ هي في السماع أم لا؟**».

لـم يسـمه الإمـام، فسـماه المصـحح بهـذا الاسـم المطـابق، وقـد ذكـر فيهـا الإمام المعلمي: باب قولِ المحدِّث: «عن فلان» أو «قال فلان» أو «ذكر فـلان» ونحوها من الصِّيَغ، أهي ظاهرةٌ في السماع أم أنها من قرائن التدليس؟

وابتدأ المعلمي كتابه هذا بسؤال طويل في أربع صفحات علىٰ لسان سائلٍ ما، ونفَسُ المعلمي ظاهر في السؤال والمجادلة، لكنه أراد أن يظهر البحث علىٰ شكل حوار بين شخصين أو فريقين، وقد صنع المؤلف ذلك في غير موضع من كُتُبه، وهي عادة لبعض أهل العلم.

والسؤال علىٰ طوله لم يكن سؤالًا فقط، بل هو ممزوج بالأخذ والرد، والبيان لمناط الخلاف وتلخيص الإشكال.

ثم شرع في الجواب واختار أن هذه الصيغة ليست ظاهرة في السماع وبيَّن وجه ترجيحه، وأجاب عما يمكن أن يُعترض به عليه.

والكتـاب مـن فرائـد «آثـار المعلمـي»، بخـط الإمـام، لكنـه غيـر مكتمـل، والله المستعان.

٤٦) «**فوائد في كتاب «العلل» لابن أبي حاتم**».

استخرج الإمام فيه أكثر من خمسين فائدة علىٰ طريقة رؤوس أقلام، من كتـاب «العلـل»، للحـافظ عبـد الـرحمن بـن أبـي حـاتم الـرازي (ت: ٣٢٧)، وترتيبها علىٰ ترتيب مواضعها في أصل الكتاب.

طبعات الكتاب:

- طبعة دار أطلس سنة (١٤٢٠)، بتصحيح عبد الرزاق بن أسعد بن عبد الرؤوف.
- طبعة دار عالم الفوائد سنة (١٤٣٤)، ضمن «آثار المعلمي».

٤٧) **«أحكام الحديث الضعيف»**.

صدر الإمام كتابه هذا بقوله: «فهذه رسالة في أحكام الحديث الضعيف...»، فأخذ هذا الاسم المطابق.

وقد بيَّن سبب تأليفه فقال: «جمعتُها لما رأيتُ ما وقع للمتأخرين من الاضطراب فيه؛ فنَسَب بعضُهم إلىٰ كبار الأئمة الاحتجاجَ به، ونَسَب غيرُه إلىٰ الإجماع استحبابَ العمل به في فضائل الأعمال ونحوها، وتوسّع كثيرٌ من الناس في العمل به، حتىٰ بنوا عليه كثيرًا من المحدَثات، وأكَّدوا العمل بها، وحافظوا عليها أبلغ جدًّا من محافظتهم علىٰ السنن الثابتات، بل والفرائض القطعيات. بل كثيرًا ما بنوا عليه عقائد مخالفة للبراهين القطعية من الكتاب والسنة والمعقول. ولم يقتصروا علىٰ الضعاف بل تناولوا الموضوعات».

وهو من أنفس كتب هذا الحبر، فيه من التحقيق البديع، ما لم يَحُمْ حوله أحد ممن ألف في هذا الباب المشكل، فحريٌّ بالعابد أن يقف عليه.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، قريب من الكمال، والله أعلم.

٤٨) **«علم الرجال وأهميته»**.

هكذا سماه الإمام، وسببه أن دائرة المعارف العثمانية بمدينة (حيدر آباد الدكن) كانت تعقد لقاءً كل سَنة، وتدعو فيه جمعًا من العلماء لإلقاء الخطب المناسبة، فشارك المعلمي في موسم سنة (١٣٥٤)، بخطبته، فكانت هي هذا الكتاب القيم.

بدأ الإمام كلامه في تفاوت العلوم في مقدار شرفها، وأن لدين الإسلام ينبوعين عظيمين: القرآن والسنة، ثم عرَّف السنة وكيف انتقلت إلينا عن طريق الرواية، وأن الرواة متفاوتون في القوة والضعف، ومن هنا نشأ علم الرجال

ومعرفة الرواة، وذكر تأصيل الكلام في الجرح والتعديل، ومَن أوّل من تكلم في الرجال؟ وكيف ترقىٰ إلىٰ أن صار عِلْمًا برأسه. ثم بيَّن طرق اختيار الأئمة للرواة فذكر بعضها، وذكر كتب الرجال وأنواعها وأعلاها منزلة، وما طبع منها، وأيها أحق بالطباعة والتحقيق مما لم يُطبع.

وجاء فيه بفوائد وفرائد، تشد إليها الرحال، لا سيما للمشتغلين بعلم الرجال.

طبعات الكتاب:

- طبعة دار البصائر بدمشق سنة (١٤٠١)، بإعداد بسام الجابي.
- طبعة دار الساري سنة (١٤١٤)، بإعداد طارق بن عوض الله.
- طبعة دار الراية سنة (١٤١٧)، بتصحيح علي بن حسن الحلبي.
- طبعة دار البصائر بدمشق ودار الحرمين سنة (١٤١٩)، بتقديم طارق بن عوض الله باسم «تحقيق المقال في تراجم الرجال»، ولا أدري ما وجه تغيير اسمه الذي سماه به المعلمي؟!
- طبعة دار عالم الفوائد سنة (١٤٣٤)، ضمن «آثار المعلمي».

٤٩) «مُلَخّص طبقات المُدلِّسين».

لم يسمه الإمام، فسماه المصحح بهذا الاسم المطابق، وهو كتاب لطيف في الرواة الذين وُصفوا بالتدليس، اختصره المؤلف من كتاب «تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس» للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢).

وكتاب الحافظ مِن أجْمع ما كُتِب فيمن وُصِف من الرواة بالتدليس، وقد بلغ عدد تراجم الكتاب كله مئة وإحدىٰ وخمسين ترجمة، ذكرها كلها الإمام في مختصره هذا، مع اختصار بعض الأسماء، وكأنه أراد به أن يكون رؤوس

أقلام يسهل به استذكار أولئك الموصوفين بالتدليس، مع بعض الفوائد والاستدراكات على الحافظ.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي».

٥٠) **«تنزيه الإمام الشافعي عن مطاعن الكوثري»**.

سماه الإمام بهذا الاسم، وهذا الكتاب يصلح أن يقال فيه: إنه الشاطئ السابع من شطوط بحر التحقيق: «التنكيل»، أفرده الإمام لنقض مفتريات الأستاذ الكوثري -في الإمام محمد بن إدريس الشافعي- التي سود بها كتابه «تأنيب الخطيب»، ودسها في جحور عقاربه على كتاب «الانتقاء»، للحافظ ابن عبد البر.

زبر الإمام المعلمي كتابه هذا وهو يتوقد غيرة وحميَّة على أعراض أئمة الإسلام ومصابيح الظلام، فجاء فيه بتحقيقات هي التِّبْر المسبوك، افترع فيها المشتبهات، وكشف بها عن دياجير الظلمات، فرحمه الله ورضي عنه.

وكان الإمام حريصًا على طبعه مفردًا، ففي رسالة بعث بها إلى ناصر السنة ومحدث أرض الكنانة أحمد محمد شاكر قال فيها: «في عزمي أن أفرد من كتابي [التنكيل]ترجمة الإمام الشافعي وترجمة الخطيب؛ لأن الكلام طال فيهما فصار كل منهما يصلح أن تكون رسالة مستقلة. فهل هناك في القاهرة مِن الشافعية مَن ينشط لطبع تَيْنكَ الرسالتين على نفقته؟ فإن كان فأرجو من فضلكم أن تعرّفوني حتى أرسلهما إليكم، وتنوبوا عني فيما يلزم».

وقد حقق الأمنية شيوخ التصحيح الذين أرفدوا بهذا الكتاب «آثار المعلمي»، فكان شامة على الجبين، إلى يوم الدين.

٥١) «شرح حديث: «آية المنافق ثلاث...»».

سماه المصحح بهذا الاسم المطابق، وبدايته تتعلق بـ «إذا» وإفادتها التَّكرار. ثم ذكر حديث: «آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب...» وأن «إذا» يُراد بها التَّكرار والمداومة ومَن غلبت عليه هذه الخصال، ثم ذكر الحديث الآخر الذي ذكرت فيه أربع خصال، وأنها تعود في حقيقة الأمر إلىٰ الثلاث الواردة في الحديث الأول. ثم ذكر بعض ما يَرِد علىٰ معنىٰ الحديث وأجاب عنه.

ثم ذكر خلاصة البحث وهي: أن من غَلَب عليه الكذب في الحديث والغدر بالعهد والخيانة بالأمانة مهما كانت فهو منافق خالص.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي».

٥٢) «التعليق علىٰ «الأربعين في التصوف» للسلمي».

هكذا سماه الإمام، ومضمونه أن الشيخ محمد بن الحسين أبو عبد الرحمن السُّلَمي (ت: ٤١٢) ألَّف كتابًا جمع فيه أربعين حديثًا في التصوُّف، ووضع لكل حديث بابًا... فلما رأت دائرة المعارف العثمانية طبع هذه الأربعين التمس مجلس الدائرة من الإمام المعلمي أن يكتب تعليقًا يُطبع مع «الأربعين» يتضمن النظر في أحاديث الكتاب صحة وضعفًا.

فنهض الإمام ولبَّىٰ الطلب وكتب هذا التعليق، إلا أنه لم يُطْبَع مع «الأربعين»، لسبب غير معلوم.

وقد كتب تقديمًا نفيسًا بين يدي تخريجه لأحاديث «الأربعين» نهض فيه إلىٰ بيان سبعة أمور نفيسة تتعلّق بالكتاب وبعلوم الحديث.

وبيَّن أن الكتاب مشتمل على الحديث الصحيح، والباطل، والمتردد بينهما.

وذكر أيضًا أن عادة رواة الحديث الحرص على شيئين: العلو والغرابة، مما جرهم إلى تقديم الصحيح على الأصح، والضعيف على الصحيح، والغلط على الصواب، والباطل على الثابت، وهذا ما وقع فيه السلمي.

وذكر أيضًا أن المؤلفين في احتجاجهم بالحديث على قسمين:

- **الأول**: من يكون اعتقاده مبنيًّا على دليل يريد أن يبيِّنه، فيذكر الباب ثم يذكر الدليل.
- **والثاني**: مَن يكون اعتقاده مبنيًّا على أمر آخر، ويريد أن يحتج بالحديث، كالمقلد يعتقد الباب تقليدًا ثم يحاول الاحتجاج بالحديث. والسلمي من القسم الثاني كما سيتبين من أسماء أبواب كتابه.

ثم شرع المؤلف في الكلام عليها حديثًا حديثًا...

وقد سلك المعلمي طريقة الاختصار في التخريج، فيذكر مَن أخرج الحديث غير السلمي، وينظر في إسناده، فيذكر من طُعِن عليه فيه، ويذكر شواهده إن وُجدت، ويعزو إلى المصادر بالجزء والصفحة.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، بخط الإمام الجميل الدقيق، وكتب بآخره: «عبد الرحمن بن يحيى اليماني، المصحح بدائرة المعارف العثمانية ٢٧ رجب سنة ١٣٦٩».

٥٣) «صفة الارتباط بين العلماء في القديم».

هكذا سماه الإمام، وأصله خطبة ألقاها على جمع من علماء الهند ومصر سنة (١٣٥٦)، بدائرة المعارف العثمانية بمدينة (حيدر آباد الدكن).

وقد سبق نقل بعض رُضَابه في الفصل الثامن من الباب الأول، وبالله التوفيق.

طبعات الكتاب:

- طبعة دار المحدث، سنة (١٤٢٥)، باعتناء سامي بن محمد جاد الله.
- طبعة دار عالم الفوائد، سنة (١٤٣٤)، ضمن «آثار المعلمي».



المبحث الرابع: المؤلفات في علم الفقه[(١)].

ويحتوى هذا المبحث على ثمانية وثلاثين كتابًا، ما بين مطول، ومتوسط، ومختصر، وهاكها مفصلة:

٥٤) «القِبْلة وقضاء الحاجة».

هذا الكتاب قطعتان:

القطعة الأولى: بدأها المعلمي بذكر أحاديث النهي عن استقبال القبلة عند قضاء الحاجة، وهي سبعة أحاديث بسط الحديث عن أسانيدها وعن ألفاظها، ثم بيَّن معنى قوله ﷺ: «إذا أتى أحدكم الغائط» وهل يفيد إخراج الأبنية؟ فذكر أن المراد هنا المعنى الكنائي، أي إرادة قضاء الحاجة بغضّ النظر عن الحقيقة، فيشمل الأبنية وغيرها، وأيَّد ذلك بأمور، وتوصّل إلى أنه لا حجة فيه لمن خصَّص الحكم المذكور بغير الأبنية.

القطعة الثانية: عنون لها بـ«حكم القبلة وقضاء الحاجة»، وذكر حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه وبعض الأبواب المتعلقة به، وبسط الكلام عن فقه الحديث، ثم ذكر حديث عائشة قالت: ذُكِر لرسولِ الله ﷺ أن ناسًا يكرهون أن يستقبلوا القبلة بفروجهم، فقال: «أوَ قد فعلوها؟ حَوِّلوا مقعدي قِبَلَ القبلة». وأطال الكلام في تخريجه وبيان الاختلاف فيه على خالد الحذاء، وذكر كلام النقاد في تضعيف الحديث، ومخالفة بعض المتأخرين لهم فحسنوا الحديث بل صححوه! صححه. ثم تكلم في سماع عراك من عائشة وردّ على

---

(١) طبعت في المجلد السادس عشر، والسابع عشر، والثامن عشر من «آثار المعلمي»، بتصحيح الشيخ محمد عُزير شمس -أثابه الله تعالى-.

من أثبت السماع، وأطال وأطاب.

وهذا الكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، كامل بخط مؤلفه، والحمد لله.

٥٥) **«فائدة في السِّواك»**.

لم أقف علىٰ مصدر تسميته، ولعلها من المصحح، وهي مطابقة، فقد ذكر الإمام فيه الأحاديث المروية في فضل السواك، وتكلم في أسانيد بعضها. ثم انتقل إلىٰ بيان فضل السواك، وأنه مطهرة للفم وطريق القرآن. وكما أن مسَّ المصحف مع الحدث حرام، وتلطيخه بالنجاسة إن قارنه استهزاء فكفرٌ وإلّا فحرام، وكذا تلطيخ الذكر أو اسم من أسماء الله أو أنبيائه ونحوه يحرم في الأماكن النجسة، ويُكره في الأماكن المستكرهة، فكان القياس أن يحرم القراءة والذكر ونحوهما عند تغيُّر الفم، لأن التلفظ بالقرآن بمنزلة كتابته، وما عَسُر إزالته فيُعفىٰ عنه للضرورة».

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، كامل بخط الإمام، ولله الحمد.

٥٦) **«مسألة بطلان الصلاة بتغيير الآيات في القراءة»**.

سماه المصحح بهذا الاسم المطابق، وقد بيَّن الإمام سبب تأليفه فقال: «لمّا كان في يوم الجمعة لأربعٍ خلون من شوال (١٣٣٩) قرأ إمامُ الصلاةِ في الجمعة بسورتَي الأعلىٰ والغاشية؛ فأبدل لفظ الغاشية بالخاشعة، ففتح عليه الحقيرُ فلم يتنبّه، ثم فتح عليه السيّد الضياء صالح بن محسن الصَّيلمي، وكرّر مرارًا فلم يتنبّه، بل استمرّ علىٰ القراءة، فلمّا سلّم قال الصَّيلمي: «أعيدوا الصلاةَ»، فنازعه السيّد العربي محمَّد بن حيدر النعمي بأنّه لا يجب في مذهبهما إعادةٌ في مثل ذلك، ثم قال له: «الإمامُ حاكمٌ وهو شافعيٌّ».

فسُئل المعلمي عن هذه الصلاة في مذهب الشافعية، فقال: صحيحة، فطلب منه الصيلمي دليلَ الشافعية على ذلك، فأجاب وقرّر المسألة ناقلًا فيها الآيات والأحاديث، ومحرِّرًا مذهب الشافعية في ذلك.

والكتاب من فرائد ما ألفه الإمام، ومن فرائد «آثار المعلمي»، وهو كامل بخط مؤلفه.

٥٧) «هل يدرك المأموم الركعة بإدراكه الركوع مع الإمام؟»

لم أقف على أصل التسمية، مع مطابقتها لمضمون هذا الكتاب النفيس، وقد ذكر الإمام سبب تأليفه فقال: «أما بعد، فإن الأخ العلامة الشيخ محمَّد عبد الرزاق حمزة المدرس بالمسجد الحرام، ومدير دار الحديث -عافاه الله- ، أَطلَعني على رسالته المحررة في اختيار إدراكِ المأموم الركعةَ بإدراكه الركوعَ مع الإمام، وأشار عليَّ أن أكتبَ ما يظهر لي في هذه المسألة، فأستعين الله ﷻ وأقول:...».

ثم ولج الإمام في بيان أدلة الشيخ حمزة، وهي خمسة: سردها بإجمال، ثم عقب بالنظر فيها على طريقة المحدثين، ثم أردف بذكر فقهها، وذكر حديث أبي بكرة: «زادك الله حرصًا ولا تعد»، فأطال وأطاب، وانتزع الاحتجاج به وبغيره بقوة الحجة، وبصيرة الراسخين، بما خلاصته: أن الأدلة الخمسة: صريحها غير صحيح، وصحيحها غير صريح، كل ذلك بأسلوب علمي رصين رزين، يستلهمه أهل العلم في ردودهم على إخوانهم!

وختمها بالمسك فقال: «وإذا كان الظاهر أن القول بالإدراك مخالفٌ للقول بافتراض الفاتحة على المأموم، وكان المصرِّحون من الصحابة

بالإدراك هم من الذين عُرِف عنهم القولُ بعدم افتراض الفاتحة على المأموم، وجاء عن جماعةٍ من القائلين بالافتراض من الصحابة ما هو صريحٌ أو ظاهرٌ في عدم الإدراك، ولم يثبت عن أحدٍ منهم خلافُ ذلك فإنه يَقوى جدًّا ظنٌّ أن القائلين بالافتراض قائلون بعدم الإدراك، فكلام البخاري وشيخِه متينٌ جدًّا.

وأما أن الجمهور الغالب على الإدراك فحقٌّ، ولكن هل يكفي هذا لتخصيصِ النصوص الدالة على فرضية القيام وفرضية الفاتحة وفرضية قضاء ما فات؟ ومع تلك الأدلة الاعتبار الواضح، فإن المعهود في فرائض الصلاة أن لا يسقط شيء منها إلا لعذرٍ بيِّن، وليس المسبوقية كذلك، لتمكُّنِ المسبوق بدون مشقةٍ تُذْكَر من الإتمام بعد سلام الإمام.

ومن المسبوقين من يكون مقصِّرًا تقصيرًا واضحًا، فقد رأينا من يتكاسل عن القيام فلا يُكبِّر إلا عند ركوع الإمام، ومنهم من يتشاغل بمحادثة رفيقه، أو تجميلِ لِبْسته، أو التفرُّجِ على بعض الأشياء، أو يتخطَّى الصفوفَ لِيُزاحِم في الصفّ الأول بدون فُرجةٍ فيه، أو يتشاغل بذكر أو دعاء، إلى غير ذلك. والقائلون بالإدراك لم يُفرِّقوا فيما أعلم.

نعم، لا يُنكَر أنَّ للقول بالإدراك قوةً مَّا لذهاب الجمهور - ومنهم جماعة من علماء الصحابة - إليه، وما جاء مما يدلُّ عليه على ما فيه، فلا لومَ على من قوِيَ عنده جدًّا فقال به.

فأما أنا فلا أرى له تلك القوة، والأصل بقاء النصوص على عمومها، واشتغال الذمة بالصلاة كاملةً، والله الموفق».

وإن تعجب فاعجب لحفظ الله لهذا العِلْق النفيس؛ لما اطلع عليه تلميذه الشيخ محمد بن أحمد المعلمي (ت: ١٤٣٥)، عرض عليه السعي في طباعته، فرد عليه الإمام: خذه وانتفع به، وإن علم الله فيه خيرًا يسر من يطبعه، فلا تشغل نفسك بذلك!

أخذ الطالب كتاب شيخه المهدىٰ له، وعاد من مكة إلىٰ اليمن سنة (١٣٧٤)، فاجتمع به صهره الشيخ عبد الرحمن بن عبد القادر المعلمي (ابن أخت الإمام) وطلب منه هذا الكتاب، فأعطاه، فلما عاد ابن عبد القادر إلىٰ (صنعاء)، أعطىٰ الكتاب لشخصٍ وعده بالنشر، لكنها مواعيد عرقوب، سببت ضياع الكتاب، والله المستعان.

لكن الشيخ ابن عبد القادر كان قد نسخها كاملة وافية من خط خاله الإمام، بشهادة التلميذ؛ مستودع هذه الدرة اليتيمة، ولا إخالها إلا بركة الإخلاص، منَّ الله علينا بها![1].

طبعات الكتاب:

- طبعة مكتبة الإرشاد بصنعاء سنة (١٤١٤)، بتقديم الشيخ عبد الرحمن بن عبد القادر المعلمي.
- طبعة دار عالم الفوائد سنة (١٤٣٤)، ضمن «آثار المعلمي»، بتصحيح الشيخ محمد عُزير شمس الهندي، الذي قال -في خطبة التصحيح-: «وقد أَلَّف العلماء كثيرًا في هذه المسألة وخاصة في بلاد الهند، ولم أر مَن حرَّر القول فيها وتناولها بالأسلوب الذي تميَّز به المؤلف».

---

(١) انظر مدخل «هل يدرك المأموم الركعة...» (١٨).

٥٨) **«بحث في حديث قيس بن عمرو في صلاة ركعتي الفجر بعد الفرض»**.

لم أقف على مصدر التسمية، وهي مطابقة، وقد ذكر فيه أسانيد الحديث ورواياته من كتب الحديث، وبيَّن اختلاف الروايات في موضعين:

الأول في قوله ﷺ: «أصلاة الصبح مرتين؟»، فقد جاء بروايات مختلفة.

والثاني أن في عامة الروايات: «فسكت النبي ﷺ»، وفي رواية الدراوردي وحدها: «فقال: فلا إذًا». وتكلم على الموضعين، وبيَّن المعاني المظنونة لهما، واختار الراجح منها، وردَّ على بعض الحنفية تأويله لقوله ﷺ: «فلا إذَنْ» بمعنى «فلا جوازَ إذَنْ»، وبيَّن أنه ليس فيما احتج به ما تقوم به الحجة.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، بخط الإمام، ولله الحمد.

٥٩) **«إعادة الصلاة»**.

هكذا سماه الإمام، وقد بدأه بذكر حديث ابن عمر مرفوعًا: «لا تصلُّوا صلاةً في يومٍ مرتين» بأسانيده ورواياته في كتب الحديث، وتكلم في معنى إعادة الصلاة، ثم ذكر بعض الآثار عن ابن عمر في جواز الإعادة مع الجماعة، وذكر الأحاديث المرفوعة الدالة على ذلك، وهي عشرة أحاديث خرَّجها وتكلَّم في أسانيدها وفقهها، وأن الأصل المنع من الإعادة، وأن دلالة الأحاديث المذكورة على جواز الإعادة في أربع صفات، فما عداها باقٍ على الأصل.

وعقد فصلًا بقوله: «هل يعيد إمامًا؟» فذكر أدلة المجيزين، وهي ثلاثة أحاديث (حديث جابر في قصة معاذ، وحديث جابر في صلاة الخوف، وحديث أبي بكرة في صلاة الخوف)، ثم ذكر أجوبة المانعين، وردَّ عليها.

وفي الفصل الأخير تكلم على باب اقتداء المفترض خلف المتنفل، واحتج لصحتها، وردَّ على شبه المانعين».

وهذا الكتاب من نوادر تحقيقات المعلمي، التي حاز فيها قصب السبق، وقطع قول كل خطيب، جزاه الله عن العلم وأهله خير الجزاء وأوفاه.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، وهو تامٌّ بخط الإمام، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٦٠) «بحث في حديث معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في صلاته بقومه».

لم أقف على مصدر التسمية، وهي مطابقة، فقد تكلم المعلمي في معنى حديث جابر في قصة معاذ، وأن شكوى الناس كانت من تأخر معاذ وتطويله في القراءة، فأمره النبي ﷺ بالتعجيل في الإتيان إلى الصلاة والاختصار في القراءة. وعقد فصلًا ذكر فيه تأويل الحنفية لحديث معاذ، وردَّ عليها احتجاجًا بظاهر الأحاديث وأقوال المحققين من العلماء.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، بخط الإمام، لكنه غير مكتمل، والله المستعان.

٦١) «حقيقة الوتر ومسمَّاه في الشرع».

أخذ المصحح هذا الاسم من قول المعلمي: «الحمد لله. بحث في حقيقة الوتر ومسماه في الشرع، وسبب تأليفه أن بعض الإخوان سأله في رمضان سنة (١٣٤٢) عن بعض أحكام الوتر المختلف فيها، طالبًا بيان الراجح من الأقوال مع ذكر الدليل». فأبدى فيه وأعاد، وكتبه مرارًا، في أوقات مختلفة، فجاءت أوراقه غير متفقة في الصيغة والسياق، فاجتهد المصحح الشيخ عُزير شمس، بترتيبها، وألغى المكرر، متبعًا في ذلك ترتيب المعلمي، الذي كتبه في صفحة

الخطبة، ولفظه: «الخطبة، ثم المقدمة، ثم المقالة الأولىٰ، ثم كلام الشافعي، ثم تلخيصه، ثم كلام الباجي، ثم كلام ابن رشد، ثم تلخيصهما».

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، ولكنه غير مكتمل، والله المستعان.

٦٢) **«مبحث في الكلام علىٰ فرضية الجمعة وسبب تسميتها».**

هو في أوراق متفرقة كتبها الإمام في أوقات مختلفة، تتناول الكلام علىٰ وجوب صلاة الجمعة، وتاريخ نزول سورة الجمعة، وبيان المراد بقوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٣]، بتحقيق لم يسبق إليه، وقد تقدم نقله في الفصل الثامن من الباب الثاني، ثم ذكر سبب تسمية الجمعة، ودراسة ما ورد في هذا الباب من الروايات والأقوال.

وفيه تحقيقات وتحبيرات، لا يُستغنىٰ عنها.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، ولكنه غير مكتمل، والله المستعان.

٦٣) **«سنة الجمعة القَبْلية».**

تسمية مطابقة للمضمون، وقد ألَّفه حينما سُئِل: هل للجمعة سنة قبلية؟ وقبل الكلام علىٰ هذه الباب، بدأ بالكلام في النافلة يوم الجمعة قبل الزوال، وتحقيق وقت الجمعة، ثم بيَّن أن تأخير أذان الجمعة إلىٰ خروج الخطيب حجة ظاهر علىٰ أنه ليس للجمعة سنة قبلية؛ لأن صلاتها بعد خروج الخطيب ممنوعة، فلو كانت ثابتة لسُنّ الأذان قبل خروج الخطيب، فإن وقت الرواتب القبلية بين الأذان والإقامة، فلو قُدِّمت لم تقع الموقعَ.

ثم ذكر أدلة القائلين بسنة الجمعة القبلية، وفصَّل الكلام فيها، وتوسَّع في رد الاحتجاج برواية لقصة سُليك الغطفاني: «أصليتَ ركعتين قبل أن

تجيء؟»، بما ملخصه: أن زيادة «قبل أن تجيء» لم تثبت، فالاحتجاج بها علىٰ ثبوت سنة الجمعة القبلية لا يصحّ.

واختتمها بنصيحة ذهبية فقال: «وفي الختام نقول للمثبتين: مَن كان منكم يُحِبُّ ثبوت راتبةٍ قبليَّةٍ للجمعة ليصلِّيها هو والمسلمون، فيَحُوزوا الفضيلة، فما عليه إلَّا أن يُبكِّرَ إلىٰ الجامع فيصلِّي النَّفل المطلق إلىٰ خروج الإمام، فيحوز فضيلةً أعظم ممَّا طلَبَ.

بل إنَّ الانكفاف عن صلاةٍ راتبةٍ قبليَّةٍ للجمعة امتثالًا للسُنَّة، يُحصِّل له فضيلةً لا تقِلُّ عمَّا طلَبَ.

بل إنَّ الإقدام علىٰ صلاة راتبةٍ قبليَّةٍ للجمعة بعد العلم بقيام الدَّليل علىٰ عدم مشروعيِّتها معصية كما لا يخفىٰ. ومن بقي في قلبه ريبٌ في بطلانها، فما عليه إلَّا أن يصلي ركعتين أو أربعًا من جملة النفل المطلق الذي قبله، وينوي في قلبه أنه إذا كان في مشيئة الله تعالىٰ للجمعة راتبة قبلية، فهي هذه، وإلَّا فهي نفل مطلق. والتردد في النية مغتفر في مثل هذا.

ومن كان منكم يحبُّ ثبوتها انتصارًا لمَنْ أثبتها من العلماء فهذا غرضٌ آخر، ليس من الدِّين في شيءٍ. والعلماء رضي الله عنهم مأجورون علىٰ كُلِّ حال، وليس في المخالفة لهم تبعًا للدَّليل غضاضةٌ عليهم؛ إذ ليس منهم من يُبرِّئُ نفسَه عن الخطأ ويدَّعي لنفسه العِصْمة.

وأيُّهما أسهل؟ مخالفة الله ورسوله، أو مخالفة عالمٍ من العلماء؟

مع أنَّ مخالفة العالم لا تستلزم نقصَه ولا الحط منه؛ فقد كان أصحاب رسول الله ﷺ ربَّما خالفوه في الآراء التي ليست من قبيل الوحي. ولم يُعَدَّ ذلك استنقاصًا منهم له ﷺ، وإلَّا لكفَرُوا. بل كان ﷺ ربَّما رَجَعَ إلىٰ قولهم في ذلك.

ومن كان منكم يحبُّ ثبوتها لكونه من المقلِّدين للمذهب القائل بثبوتها فهذا لا ينبغي له أن يُعوِّل على ثبوتها من حيث الدَّليل وعدمه؛ لأنَّه مقلِّدٌ لا يَسأَلُ عن حُجَّة، ولا يُسأَل عن حُجَّة، فهو ملتزمٌ لقول من قلَّده، ولو ثبتت الحُجج القطعيَّة بخلافه. فالواجب عليه أن يقول: أنا مقلِّدٌ لفلان، وفلانٌ قال بثبوتها، ويقف عند ذلك.

فإن تاقت نفسُه إلى الاحتجاج فليُوَطِّن نفسَهُ على قبول الحُجَّة، ولو على خلاف قول إمامه، وإلَّا وَقَعَ في الخطَر من تقديم هواه على ما جاء به الرَّسول ﷺ، وجعلِ كلام مقلَّدهِ أصلًا يُردُّ إليه ما خالَفَه من كلام الله ورسوله ﷺ والله يهدي من يشاء إلى سراطٍ مستقيم»[1].

طبعات الكتاب:

- طبعة دار النوادر سنة (١٤٣١)، بإعداد ماجد بن عبد العزيز الزيادي.
- طبعة دار عالم الفوائد سنة (١٤٣٤)، ضمن «آثار المعلمي»، وهو تامٌّ بخط الإمام، والحمد للملك العلام.

٦٤) «بحث في وقت تشريع ونزول آية صلاة الخوف».

لعل هذا المبحث تتمة للكلام المتعلق برواية قتادة عن سليمان بن قيس عن جابر بن عبد الله في قصة قصر الصلاة في الخوف، فذكر أنه يعارضها

---

(١) «آثار المعلمي» (١٦/ ٣٦٧-٣٦٩)، ورسم الإمام: سراط، بالسين وعلق المصحح فقال: كذا بالسين، وهي لغة فصيحة. والصاد أعلى وإن كانت السين هي الأصل. قال الفراء: الصاد لغة قريش الأولين التي جاء بها الكتاب وعامة العرب يجعلها سينًا. انظر «تاج العروس» (سرط).

حديث أبي عياش الزرقي أن آية صلاة الخوف نزلت بعُسفان، ثم ذكر أحاديث أخرىٰ في الباب عن ابن عباس وأبي هريرة وخالد بن الوليد، وتكلَّم فيها. وقد فصَّل الإمام الكلام علىٰ ذلك في كتابه: «إعادة الصلاة»، وبيَّن اختلاف الروايات في الباب، وبيَّن أنه لم يترجَّح له شيء.

٦٥) «قيام رمضان».

لم أتبين مصدر التسمية، لكن في النسخة الثانية للكتاب بخط تلميذه ما لفظه: «إلىٰ هنا انتهىٰ النقل لتأليف قيام رمضان، وأفاد المؤلف أن له بقية، فبحثنا عليه أن يُكمل التأليف بإلحاح، ولشغلتِه (كذا) بما هو أهم لم يفرغ لإكماله، وصارت هذه النسخة ناقصة الإكمال».

فهذا يدل علىٰ أن المعلمي كان ينوي أن يضيف إليها أشياء أخرىٰ، ولكنه لم يجد الفرصة لذلك، فبقيت كما هي في النسختين.

وقد بدأه المعلمي بذكر فضل قيام الليل مطلقًا ثم في رمضان خاصةً، وبيَّن عدة صفاتٍ إذا اتصف بها قيام الليل عظُم أجره، وسمَّاها مكملات، وأورد بعض الأحاديث المروية في هذا الباب.

ثم ذكر صفة ما كان عليه قيام رمضان في العهد النبوي، وما صار إليه في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وجمْعُهم علىٰ إمام واحد لم ينكر عليه أحدٌ من الصحابة، فكان في ذلك حجة علىٰ صحة اجتهادهم، وعلىٰ أنه لو اتفق مثل ذلك في العهد النبوي لما أنكره النبي صلى الله عليه وسلم. فالعمل به سنة لا بدعة.

أما عدد الركعات فقد ذكر الأوجه التي رُويتْ في الأحاديث والآثار، وعقد فصلًا لبيان الاختلاف في الأفضل: أفي البيت أم في المسجد؟ وفرادىٰ أم

جماعة؟ ذكر فيه بعض الآثار والأقوال. وأجاب عن مشكل حديث خشية افتراض قيام الليل، مع ما ثبت في حديث الإسراء من أن الله تعالىٰ قال: «هنّ خمس وهي خمسون، لا يبدَّل القول لديَّ». فإذا أُمِن التبديل فكيف يقع الخوف من الزيادة؟ فجاء بما لم يُسبَق إليه، وردَّ بعض الأجوبة الضعيفة.

طبعات الكتاب:

- طبعة المكتبة المكية سنة (١٤١٨)، بعناية ماجد الزيادي.
- طبعة دار عالم الفوائد سنة (١٤٣٤)، ضمن «آثار المعلمي»، والكتاب تامٌّ بخط الإمام، والحمد لله.

٦٦) «مسألة اشتراط الصوم في الاعتكاف».

لم يسمه الإمام بذلك، ولكنها تسمية مطابقة للمضمون، وقد بين المعلمي أن سبب تأليفه له مذاكرة بينه وبين السيد العلامة صالح بن محسن الصَّيلمي من علماء المذهب الزيدي، في اشتراط الصوم في الاعتكاف، فنهض المعلمي إلىٰ جمع الأحاديث الواردة في الباب، وبيَّن معانيها واختلاف العلماء فيها. وتكلَّم في لفظ «لا اعتكاف إلا بصوم» في الحديث، هل هو مدرج من كلام الزهري أم من كلام عائشة؟ وردَّ علىٰ من احتج بأن النبي ﷺ لم يعتكف إلَّا صائمًا، واحتج لعدم اشتراط الصوم ببعض الأحاديث.

وقد أجاب عنه الصيلمي بما نقل المعلمي خلاصته، ثم ردّ عليه بتفصيل، وجادله في تأويله لحديث: «ليس علىٰ المعتكف صيام إلَّا أن يجعله علىٰ نفسه»، وطالبه الدليل الذي يقتضي اشتراط الصوم، وحديث «لا اعتكاف

إلا بالصيام» سبق ما فيه. ولو فُرِض اعتباره دليلاً فهناك طرقٌ مسلوكة في الجمع بينه وبين سائر الأدلة، وهي أن نقول بنفي الكمال، كما قالوه في الأحاديث التي وردت بمثل هذه الصيغة.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، وهو تامٌّ، والحمد لله.

٦٧) **«مقام إبراهيم عليه السلام»**.

هكذا سماه الإمام، وسبب تأليفه له أن الملك سعود بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندما بدأ بتوسعة المسجد الحرام وتوسعة المطاف حول الكعبة المشرفة، فأُريدَ نقلُ مقام إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وتأخيره عن موضعه، فظنَّ بعض الناس أن في ذلك مخالفةً وتغييرًا للمشاعر. فكتب المعلمي هذه الرسالة لبيان أن الحق هو في نقل المقام وتأخيره عن موضعه، اقتداءً بفعل عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي أقرَّه عليه الصحابة.

وقد ذكر المعلمي فيها ثلاث معارضات يتوهم بعضهم أنها موانع، وأطال الكلام فيها فأطاب، مع بيان ما لها وما عليها، وعقد فصولًا ذات صلة بالمقام وتاريخه وتحويله.

وهذا أول كتاب في هذا الباب بهذا التفصيل، بَرْهنَ علىٰ تمكن هذا الحبر من علم الحديث واللغة والتاريخ والتفسير، وغيرها، مع سعة اطلاع، وبسطة معرفة، ودقة استنباط، وقوة عارِضة، مصحوب بالتواضع الجم، ولطف العبارة، ورقيق الإشارة، دون إسفاف أو استخفاف، وما ذلك إلا لعمق المعرفة ورِباطة الجأش، وذهاب الإيحاش، وتمام الاطمئنان، وقبل ذلك بركة الإخلاص، والله حسيبه.

وقد رحب علماء العصر بهذا السِّفر النفيس، الذي أسفر عن تحقيق علمي نادر، سوىٰ الشيخ سليمان بن حمدان (ت: ١٣٩٧) رَحِمَهُ اللَّهُ فقد شَرِق بهذا الكتاب فردَّ عليه بكتابه «نقض المباني من فتوىٰ اليماني، وتحقيق المرام فيما تعلق بالمقام» أساء فيه للمعلمي، ووصفه بما لا يليق بأهل العلم، فأشار عليه الشيخ العلامة محمَّد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بأن لا ينشره لما فيه من أخطاء وأغلاط، ولكنه بادر إلىٰ طبعه وتوزيعه دون أن يغيِّر شيئًا من الأخطاء. فألَّف الشيخ محمَّد بن إبراهيم ردًّا عليه سمَّاه «نصيحة الإخوان ببيان ما في «نقض المباني» لابن حمدان، من الخبط والخلط والجهل والبهتان». انتصف فيه للمعلمي، وبيَّن ما وقع فيه ابن حمدان من الأخطاء الفاحشة والأغلاط الشنيعة. وأعقبها أيضًا: «الجواب المستقيم في جواز نقل مقام إبراهيم» مؤيدًا فيها ما قاله المعلمي.

أقول: الشيخ سليمان -غفر الله له- ذو دربة علىٰ الحدة الطائشة مع المخالف! انظر مقدمة كتابه: «هداية الأريب الأمجد لمعرفة أصحاب الرواية عن أحمد»، لتلميذه العلامة بكر أبو زيد.

طبعات الكتاب:

- ➢ طبعة مكتبة السنة المحمدية سنة (١٣٧٨)، بتقديم الشيخ محمد حامد الفقي.
- ➢ طبعة دار الراية سنة (١٤١٧)، بتصحيح علي بن حسن الحلبي
- ➢ طبعة دار عالم الفوائد سنة (١٤٣٤)، ضمن «آثار المعلمي».

والكتاب كاملٌ بخط الإمام، والحمد لله رب العالمين.

٦٨) «رسالة في توسعة المسعىٰ بين الصفا والمروة».

تسمية مطابقة للمضمون، ويبدو أنه ألَّفه أيضًا عندما قام الملك سعود بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ بتوسعة المسجد الحرام سنة (١٣٧٧)، وأُريد توسعةَ المسعىٰ أيضًا تيسيرًا للحجاج والمعتمرين، فبيَّن الإمام حكم الشرع في هذه المسألة.

وقد بين فيه بعض التغييرات التي حصلت للمسعىٰ في بعض جهاته فيما مضىٰ، ونقل من كتب التاريخ نصوصًا تدلُّ علىٰ ذلك، وردَّ علىٰ مَن يقول: إن المسعىٰ بين الصفا والمروة من الأمور التعبدية، فلا يصحّ السعيُ إلَّا في ذلك المكان المخصوص الذي سعىٰ فيه رسول الله ﷺ.

وقال: إن الصفا والمروة هما الشعيرتان بنصّ القرآن، فأما ما بينهما فهو بمنزلة الوسيلة ليُسعَىٰ فيه بينهما، والوسائل تحتمل أن يزاد فيها بحسب ما هي وسيلة له.

وهذا أول كتاب مفرد لهذا الباب، حاز فيه -كسابقه- قصب السبق، وجمع فيه بين رسوخ التحقيق، وعمق التحرير، مع تواضع وخفض جناح، وهكذا خلق الراسخين، فجزاه الله عن العلم وأهله خير الجزاء وأوفاه.

طبعات الكتاب:

- طبعة دار الاستقامة بمصر سنة (١٤٢٩)، كُتب علىٰ لوحه: «تحفة الألمعي بمعرفة حدود المسعىٰ وأحكام السعي»، تأليف فضيلة الشيخ الدكتور (!!!) أحمد بن عمر بن سالم بازمول، الأستاذ المساعد بجامعة أم القرىٰ.

ومعه رسالة في توسعة المسعىٰ تأليف عبد الرحمن بن يحيىٰ المعلمي اليماني!!!

وعلىٰ اللوح الداخلي ما لفظه: «رسالة في توسعة عرض المسعىٰ، تأليف أبي عبد الله عبد الرحمن بن يحيىٰ المعلمي، تحقيق وتعليق أبي عمر أحمد بن عمر بازمول»

هكـذا في اللـوح الأول هضـم وجفـاء، وإلـىٰ الله الشـكوىٰ، أن تُجعـل تحريرات الأئمة ذيولًا لكتابات الطلبة، وفي اللوح الثاني كأنهما تِرْبان علىٰ تراب الجامعة!

- طبعة دار عالم الفوائد سنة (١٤٣٤)، ضمن «آثار المعلمي»، وهو كاملٌ بخط الإمام، والحمد للعلام.

٦٩) «سير النبي ﷺ في الحج، والكلام علىٰ وادي محسِّر».

تسمية مطابقة لمضمون الكتاب، بدأه بذكر الأحاديث المروية في سير النبي ﷺ في الحج بين المشاعر، وبيَّن الخلاف في سبب إسراعه في وادي محسِّر، ورجَّح أن ذلك لأنه موضع نزل به عذاب. ثم عقد فصلًا لبيان أن محسِّرًا هل هو من مِنًىٰ أم مزدلفة أم لا؟

وقد أورد الروايات في هذا الباب وتكلَّم فيها، ورجَّح أنه ليس من مزدلفة ولا من منًىٰ. وختم الرسالة بنقل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم اللذين بيَّنا أنَّ محسِّرًا برزخ بين مزدلفة ومنًىٰ، لا من هذه ولا من هذه». وفي الكتاب فوائد وفرائد.

طبعات الكتاب:

- طبعة المكتبة المكية سنة (١٤١٧)، بإعداد ماجد بن عبد العزيز الزيادي.

➢ طبعة دار عالم الفوائد سنة (١٤٣٤)، ضمن «آثار المعلمي»، وهو تامٌّ بخط الإمام، ولله الحمد.

٧٠) **«فلسفة الأعياد في الإسلام»**.

هكذا سماه الإمام، بدأ بذكر معنى العيد في العرف العام، وتحدَّث عن منشأ الأعياد عند الأمم، وأن غالب الأعياد الدينية في غير الإسلام اصطلاحي، أما الشريعة الإسلامية فلم تنظر إلا إلى النعم الحقيقية التي تعمُّ جميعَ المسلمين، والموجود من هذه النعم الذي يتكرر كلَّ عام أمران: تمام صيام شهر رمضان والخروج من مشقة الصيام، وتمام الحج والخلاص من مشقة الإحرام، فشُرِع عيد الفطر وعيد الأضحى. أما الأيام التي حدثت فيها النعم بعد العهد النبوي فليس لأحدٍ تخصيص أمثالها بعبادة مخصوصة؛ لأن الدين قد كمل في حياة الرسول ﷺ.

وأبان أشرف مقاصد الشريعة في الأعياد، من الأعمال المشروعة في العيد الجامعة بين الزينة والعبادة. فالتكبير، والصلاة، وأداء الفِطرة، والصدقة من الأضحيَّة عبادةٌ محضةٌ. والتنظُّف، والتطيُّب، ولبس الجديد، والاجتماع، والتقرُّب بالأضحيَّة، والضرب بالدف، واللعب بالسلاح، من العبادة ومن الزينة والتوسع، ثم ختم بيانه بقوله: «هذه حكمة الإسلام في الأعياد، ولكن - يا للأسف - إن المسلمين لا يكاد يوجد منهم من يستحضر هذه المعاني ويبني عملَه على تلك المقاصد، ولا يكاد يُوجد من علمائهم من يُبيِّن لهم ذلك؛ فالله المستعان»(١).

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، وهو تامٌّ بخط الإمام، ولله الحمد.

---

(١) «آثار المعلمي» (١٧/ ٥٢٩-٥٣١).

٧١) «توكيل الولي غير المجبر بتزويج موليته».

هكذا سماه الإمام، وسببه أن مذاكرة جرت بين المعلمي وغيره في هذا الموضوع، وبعد رجوع إلىٰ المظانّ وجد الحاجة ماسة إلىٰ البسط والتحقيق في الباب، فألَّف هذا الكتاب، وذكر فيها شبه القائلين بجواز توكيل الوكيل غير المجبر قبل إذنها وردّ عليها من وجوه كثيرة، وأطال في الرد والمناقشة، بلغة مذهبية خالصة، تصلح نبراسًا في كيفية دراسة المسألة في ضوء كلام إمام المذهب وتخريجات واستنباطات علماء المذهب.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، وهو تامٌّ بخط الإمام، والحمد لله.

٧٢) «الحكم المشروع في الطلاق المجموع».

هكذا سماه الإمام، وهذا الباب مما اشتُهر فيه الخلاف في عصر الإمام أبي العباس ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثم أعيد جَذَعَةً حينما ألف الشيخ أحمد بن محمد شاكر كتابه «نظام الطلاق في الإسلام»، ونصر مذهب القائلين بأن الثلاث واحدة، فقام الشيخ محمد زاهد الكوثري بالرد عليه بكتابه «الإشفاق علىٰ أحكام الطلاق»، ولكنه -ويالأسف- لم يقتصر علىٰ البحث العلمي ونصرة مذهب القائلين بالثلاث، بل تعداه إلىٰ رمي المخالفين بجلاميد الأحكام، وسيء الكلام، والأمر لله، وهو الغفور الرحيم.

فنهض المعلمي إلىٰ تأليف كتابه هذا، فكان من أنفس كتبه -أجزل الله ثوابه- عَمَد فيه إلىٰ باب الطلاق المجموع بالثلاث، فبسط الكلام فيه من الناحية التفسيرية لآيات الطلاق، ثم من الناحية الحديثية لأحاديث وآثار الطلاق، ثم من الناحية الفقهية لتلك الأحاديث والآثار، تحت مسالك دلالات

الاتفاق، وقول أكثر العلماء، مع بيان مقاصد الشريعة في الطلاق والعدة، وحسن العشرة، وممزوجًا بالبصيرة بأحوال الناس في ذلك، بما يرجح مذهب جعل الثلاث المجموعة واحدة فقط، حقق ذلك بلغة الإشارة والتضمين، عليه رحمات رب العالمين المتتابعة إلىٰ يوم الدين.

ومن قوله في ذلك: «إنما يحرص العاقل علىٰ أن يطلق طلاقًا تمكنه معه الرجعة، أو النكاح بعقدٍ جديدٍ قبل أن ينكحها غيره، لأنه قد يندم، وقد تتضرر الزوجة أو أطفالها بالطلاق، فيكون عليه أن يدفع عنهم الضرر، وهذا هو الغرض المحمود شرعًا وعقلًا، فلم يكن هناك باعثٌ لشرع طلاق يقع مرةً واحدةً، ومع ذلك لا رجعة فيه».

إلىٰ أن قال: «فإذا علمتَ ما تقدم، فاعلم أن الله تعالىٰ أرحم بعباده من أنفسهم، وأنه لا يُحِلُّ لهم أن يضروا بأنفسهم فضلاً عن غيرهم، فكيف يجعل لأحدهم أن يطلق زوجته ابتداءً طلاقًا يحرمها عليه البتة حتىٰ تنكح زوجًا غيره؟!

مع العلم بأن نظر الإنسان قاصرٌ، فقد يظن أنه لم يبق له إليها حاجة، وأنها قد استحكمت نَفْرته منها، وأن لا ضرر عليه في بينونتها منه، ويكون مخطئًا يتبين له خطؤه بعد ساعة، كما هو مشاهدٌ بكثرة فاحشة في هذه الأزمان...

ولا خفاء أن الله ﷻ إنما أحله مع بغضه له؛ لعلمه أن الحاجة تشتدُّ إليه، ومن القواعد المقررة أن ما أبيح للضرورة قُدِّر بقدرها، والضرورة أو الحاجة المشروعة يكفي للتخلص منها واحدة»[1].

(١) «آثار المعلمي» (١٧/ ٦٢٥-٦٢٦، ٦٢٧-٦٢٨، ٦٢٩، ٦٤٠، ٦٦٩).

وقد أوجز في مكان آخر القول في هذا الباب بإشارة أوضح إلىٰ اختياره فيه فقال «هذا الطلاق المسؤول عنه لا يقع به إلا واحدة. وهذا مذهب الزيدية، يروونه عن أسلافهم من أئمة أهل البيت كابرًا عن كابر، ووافقهم عليهم المتأخرون من محدّثي أهل اليمن، كالشوكاني وغيره، وحكاه في «نيل الأوطار» عن جماعة من الصحابة والتابعين وهلمّ جرًّا.

واختاره ابن تيمية وابن القيم، وهما من المنتسبين إلىٰ مذهب إمام السنة الإمام أحمد ابن حنبل... ولكن أئمة المذاهب الأربعة علىٰ أنّه يقع ثلاثًا... والكلام في المسألة طويل، والذي يترجّح لنا - وهو ظاهر جدًّا من كلام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ - أنها من المسائل الاجتهادية التي لا يُشنَّع علىٰ أحد من المختلفين فيها، ولا مقلِّديه. وقد نصّ جماعة من الأئمة، منهم السبكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أنّه يجوز للمسلم تقليد غير الأئمة الأربعة في حقِّ نفسه»[(١)].

طبعات الكتاب:

- طبعة دار أطلس، سنة (١٤١٨)، بتقديم حاكم المطيري.
- طبعة دار عالم الفوائد سنة (١٤٣٤)، والكتاب مكتمل بخط الإمام، والحمد لله.

٧٣) «الرد علىٰ الجيراجي صاحب كتاب «الوراثة في الإسلام».

هكذا سماه الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المعلمي (ت: ١٤٢٨)، كما سماه أيضًا: «إغاثة العلماء من طعن صاحب الوراثة في الإسلام».

أما مصحح الكتاب الشيخ محمد عُزير شمس فقال: «إنه لم يجد هذه التسميات بخط المعلمي، فسماها اجتهادًا منه: «رسالة في المواريث».

---

(١) «آثار المعلمي» (٢٤/ ٢٨٤-٢٨٦).

سبب الكتاب أنه لما ألف الشيخ أسلم الجيراجي الهندي (ت: ١٣٧٥)، كتابه «الوراثة في الإسلام»، وجاء فيه بالدواهي العظام، ففسر آيات المواريث تفسيرًا غريبًا لم يسبق إليه، بل خالف فيه تفسير السلف والخلف، وادعىٰ أن الوصية للوالدين والأقربين لم تنسخ بآية المواريث، وأوجب الوصية لهم بنصيبهم المقدر لكل واحد منهم، وزعم أن آية المواريث إنما يعمل بها إذا مات المورث بغير وصية، وهكذا في سلسلة تخليطات هدم بها الحجة والإجماع، فنهض الإمام إلىٰ الدفاع عن حجج الوحيين الشريفين، وإجماع المسلمين، في باب الفرائض والمورايث، فبدأ بذكر آياتها متبعًا بتفسير السلف والخلف، ثم الردّ علىٰ الجيراجي فيما قاله بشأن آية الوصية، وبيان أنها منسوخة بدلالة الكتاب والسنة والإجماع، ثم الكلام في باب ذوي الفروض وأن أولاد الأم منهم، ثم الكلام في باب العصبة وسياق أدلة القول بالتعصيب والردّ علىٰ ما قاله الجيراجي، ثم الكلام في باب ذوي الأرحام، فأتىٰ علىٰ أباطيل الجيراجي من القواعد، فأشبهتْ لغْوَ القواعد.

ومما قاله الإمام في كتابه هذا بحمية الناقد الغيور: «ولعَمر اللهِ ما أنصف إذ جعلَ الصحابة رضي الله عنهم -وهم المخاطَبون أولاً وبالذات بقوله: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾ [النساء: ١٧٦]- جعلَهم وسائرَ الأئمة وعلماء الأمة وجميع أفرادها أجمعوا كلُّهم علىٰ ضلالٍ في بعض أحكام الكلالة لتوريث الإخوة مع الأم، ولم يَجْنِ جَنىٰ البيانِ ولا رُزِقَه إلا الحافظ أسلم الجيراجي! فالله المستعان»[1].

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، وهو تامٌّ بخط الإمام، ولله الحمد والمنة.

---

(١) «آثار المعلمي» (١٧/ ٧٥٩).

٧٤) «**مسألة منع بيع الأحرار**».

تسمية مأخوذة من كلام المعلمي في أوله، وقد أَلَّفه حينما اشتُهر في عصره بيع الأحرار وجعلهم أرقاء بغير بينة ولا شهادة، بل يُكرِهونهم علىٰ الإقرار بأنهم عبيد، وكان القضاة يوافقونهم علىٰ ذلك، ولا يسمعون الشهادة ولا يقبلون الدعوىٰ.

وهذا ما أزعج الإمام فنهض وكتب فيها أربع مرات كلَّ مرة بأسلوب مختلف وبخطبة جديدة وتمهيد مفرد، وأراد من الأمير الإدريسي أن يَبُتّ في الأمر للقضاء علىٰ ظاهرة بيع الأحرار، وتوجيه القضاة إلىٰ سماع دعوىٰ الحرية وإقامة البينة عليها بعد الإقرار بالرق، وحال شهادة الحسبة في هذا الأمر، لدفع المفاسد الناتجة عن الرِّق.

ونثر فيها من الفوائد والفرائد ما لذ وطاب.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، وهو تامٌّ بخط الإمام، ولله الحمد.

٧٥) «**أسئلة وأجوبة في المعاملات**».

تسمية مطابقة للمضمون، وقد بدأها الإمام بتعريف البيع وما الذي يجوز بيعه وما الذي لا يجوز بيعه، والبيوع المنهي عنها في الأحاديث وتفسيرها. ثم عقد باب الربا، وباب بيع الأصول والثمار، وباب الخيار تكلَّم فيه عن أقسامه السبعة وأحكامها، وبعده باب السَّلم وباب القرض وباب أحكام الدين. وفي الأخير عنونَ باب الحوالة والضمان، ولم يكتب بعده شيئًا.

«ومع ذلك فما كتب منها يصلح أن يكون أنموذجًا يُحتذىٰ لتدريس الفقه للمبتدئين والمتوسطين، وينبغي أن يُؤلَّف في جميع أبواب الفقه علىٰ هذا

المنوال. وقد حاول بعضهم ذلك فيما صدر من كتب ورسائل، ولكنها لا ترقى إلى مستوى رسالة المؤلف هذه في الوضوح والاختصار، واستيعاب رؤوس المسائل في الباب، من غير التعرض لاختلافات الفقهاء والمناقشات»[1].

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، وهو بخط الإمام، لكنه ناقصٌ والله المستعان.

٧٦) «الإِسلام والتسعير ونحوه (أو) حول أجور العقار».

هكذا كتب الإمام مرتين في هذا الباب، وذكر كلًّا من الاسمين بخطه في أول كل قطعة بعد البسملة. وقد أشار في القطعة الأولى إلى كثرة الضجيج من ارتفاع أجور العقار، وكتابة أحد العلماء في هذا الباب بما يفهم منه أن غلوّ الملّاك في زيادة الأجور عمل مذموم، فهو إما حرامٌ عليهم أو قريب منه. وما دام الأمر كذلك فعلى وليّ الأمر منعُ الناس منه، وعليهم طاعته كما في الكتاب والسنة، وقد ذكر المعلمي بعض هذه الحجج.

وبدأ القطعة الثانية بذكر ارتفاع أجور العقار، وأن الأمر يحتاج إلى تحقيق علمي مشبع، ثم أدار الحوار بين أرباب العقار وغيرهم، وفيه احتجاج كل فريق لما ذهب إليه. وأطال في ذكر حجج أصحاب العقار، وقد وقف في أثنائها، ولم يتمكن من استيفاء الكلام، ولعله لم يجد الفرصة لذلك.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، بخط الإمام، لكنه غير مكتمل، والله المستعان.

---

(١) قاله الشيخ عُزير شمس في مقدمة «آثار المعلمي» (١٦/ ٦٢).

٧٧) «مناقشة لحكم بعض القضاة في قضية تنازع فيها رجلان».

صَدَّره الإمام بقوله: «وقفَ الحقيرُ علىٰ صورة حكمٍ صدر من محكمة «باجل» لأحمد ابن عبد الله مدابش علىٰ محمَّد بن علي مغبوش، فرأيت فيه انتقاداتٍ».

ثم أتبعها ببحث أبواب في الدعوىٰ والشهادة، واختلاف البينات وتعارضها، وباب غرز الأخشاب في جدار الجار.

وتأسف من جهل هذا الحاكم حتىٰ إنه يتلقن الحكم من الخصم فقال: «فرحم الله العلماء، ذكروا أنه يحرم علىٰ الحاكم تلقينُ خصمٍ الحجةَ، ولم يَخْطُر أنَّ مِن الخصوم مَنْ يُلقِّن الحاكمَ الحكمَ!»[1].

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، وهو تامٌّ بخط الإمام، والحمد لله.

٧٨) «مسائل القراءة في الصلاة والرد علىٰ أحد شرَّاح الترمذي».

تسمية مستنبطة صحيحة، صدره الإمام بعد الخطبة بقوله: «أما بعد؛ فإني وقفت علىٰ شرح لبعض أجلة علماء العصر من الحنفية لـ «جامع الترمذي»، اعتنىٰ فيه بالمسائل الخلافية، وسرد الأدلة وتنقيحها رواية ودراية، ولم يتقيَّد بأقوال المتقدمين في طرق التأويل والاستدلال، وإن تقيَّد بمذهبه في الأحكام. وقد طالعت منه من أوله إلىٰ أواخر كتاب الصلاة، وكان يظهر لي عند المطالعة مواضع تحتمل التعقب والمناقشة؛ فقيَّدتُ بعض ذلك.

ثم رأيت أنَّ الكلام في مسائل القراءة في الصلاة يطول؛ فأفردته مرتبًا في

---

(١) «آثار المعلمي» (١٧/ ٩٠٦)، و(باجل) مدينة تهامية يمنية تتبع مدينة (الحديدة).

هـذه الورقـات، وقـد علمـت أنَّ التـآليف في هـذه المسـائل كثيـرة، وأنَّ مـن لم يعرف مقدار حسن ظن الإنسان بنفسه وبتأليفه وشعره لا بـد أن يُسـدِّد إليَّ وإلىٰ أمثالي سهام الملام. ولكني أرجو أن لا أَعـدَمَ مَـنْ عسـىٰ أن يَعْـذِرني؛ بـل أكاد أجزم أنَّ من طالع رسالتي هذه اضطرَّه الإنصافُ إلىٰ أن يشكرني. وإلىٰ الله تعالىٰ أَضْرَع أن يُطهِّر قلبي من الهوىٰ والعصبية، ويخلص عملي كلَّه لوجهه الكريم ونصرةِ شريعته المرضية، وهو حسبي ونعم الوكيل».

وهذه المسائل هي:

- المسألة الأولىٰ: هل يجب قراءة الفاتحة في الصلاة؟
- المسألة الثانية: هل تجب الفاتحة في كل ركعة؟
- المسألة الثالثة: هل تجب الزيادة علىٰ الفاتحة؟
- المسألة الرابعة: قراءة المأموم للفاتحة.
- المسألة الخامسة: هـل يزيـد المـأموم في الأُوْلَيَـينِ مـن الظهـر والعصـر علىٰ الفاتحة؟
- المسألة السادسة: إذا كان المأموم أصمّ أو بعيدًا عن الإمام لا يسمع قراءته، فهل يقرأ غير الفاتحة والإمام يجهر؟

أبدىٰ فيها وأعـاد، فأجـاد وأفـاد، ووفىٰ بـالمراد، وأطـال وأطـاب في معـترك الأقـران: (قـراءة المـأموم الفاتحـة خلـف الإمـام) فقـد بسـطها في أكثـر مـن مئـة صفحة، بدأ بذكر أدلة من أوجبها، ثم أدلة القائلين بـأن المـأموم لا يقـرأ مطلقـًا أو لا يقرأ فيما يجهر فيه الإمام، ثم كرَّ عليها ففسر آية الإنصـات روايـة ودرايـة، وحديث: «وإذا قرأ فأنصتوا»، وحديث: «ما لي أنازع القرآن»، وقـول الزهـري:

«فانتهىٰ الناس عن القراءة... »، وحديث: «من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة»، وحديث أبي بكرة: «زادك الله حرصًا ولا تعُدْ»، ودعوىٰ الإجماع علىٰ عدم القراءة خلف الإمام، مع ما حشاها من فرائد فوائده؛ لسيلان قلمه، وبسطة معارفه، فهو سِفر نفيس، يشفي العليل، ويروي الغليل، شريطة أن لا يهاب الأكثر بل يقدس الأثر، والله الموفق والمستعان.

وحينما أبطل رد أدلة قراءة المأموم المستنبطة والصريحة قال: «أبمثل هذا تُنْطَح جبال الأدلة، وتُرْجَم أركانُ الملَّة؟ هيهات، هيهات!»[1].

وحيما ذكر احتجاج المانعين من قراءة المأموم، بالإجماع الذي ذُكر عن الإمام أحمد، قال: «بقي ما نُقِلَ عن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فأما قوله: «ما سمعنا أحدًا من أهل الإسلام يقول: إنَّ الإمام إذا جهر بالقراءة لا تجزئ صلاة من خلفه»؛ يعني: إذا لم يقرأ. ثم قال: «هذا النبي وأصحابه والتابعون».

فيقال له: يغفر الله لك أبا عبد الله؛ أما النبي ﷺ فقد تقدَّمت نصوصه العامة والخاصة القاضية بأنَّ هذا الرجل لا صلاة له، ولا تجزئه صلاته، وأن صلاته كالخِدْج الذي تُلقِيه الناقة ميتًا مستقذرًا لا حياة له، ولا ينتفع به في شيء، إلىٰ غير ذلك. وأما أصحابه والتابعون فقد رووا أحاديثه وأفتوا بها، ولا داعي لاتهامهم بأنهم حملوها علىٰ غير ما تقتضيه. فإن صحَّ عن بعضهم ما يخالفها فقد صحَّ عن جمهورهم ما يوافقها.

وإذا كانت الأدلة تقتضي بطلان صلاة من لم يقرأ الفاتحة وإن جهر إمامه، وقد رواها الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، واحتجُّوا بها علىٰ وجوب الفاتحة في هذه

(١) «آثار المعلمي» (١٨/ ١٢٤).

الصورة وغيرها، وأمروا بقراءة الفاتحة في هذه الصورة وغيرها فقد ظهر من ذلك أنهم كانوا يرون بطلان من لم يقرأ بها، وإن جهر إمامه، وهذا كافٍ في إثبات ذلك؛ فمن ادعىٰ خلافه فعليه البيان...

وقد زاد ابن قدامة فادَّعىٰ أنَّ ذلك إجماع.

وقد قال الإمام أحمد نفسه: «ما يدَّعي فيه الرجلُ الإجماعَ فهو كذب، من ادَّعىٰ الإجماع فهو كاذبٌ؛ لعلَّ الناس اختلفوا، ما يُدريه، ولم ينتهِ إليه؟ فلْيقل: لا نعلم الناس اختلفوا، هذه دعوىٰ بشر المَرِيسي والأصمّ، ولكنه يقول: لا نعلم الناسَ اختلفوا، ولم يبلغني ذلك»...

وللشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلام في معنىٰ هذا، وفي إبطال ما يسمَّىٰ الإجماع السكوتي، انظر «الأم»...

وقد تتبعت ما جاء من الكتاب والسنة وآثار الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في الإجماع، ثم تأملت ما نقل عن الإمامين الشافعي وأحمد؛ فتحرَّر لي من ذلك كله: أنَّ الإجماع إنما يتحقَّق في الفرائض القطعية كفرضية الصلوات الخمس ونحوها. وأما ما عدا ذلك فإنما يحصل العالم منه علىٰ عدم العلم بمخالف...

ثم إنَّ من أصل الإمام أحمد الثابت عنه: أنَّ الإجماع لا يمكن العلم به، وإنما للعالم أن يقول: لا أعلم مخالفًا، ومن أصله: أن هذا لا يكون حجة يُردُّ بها كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله ﷺ، والله تعالىٰ أعلم»[1].

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، وهو تامٌّ بخط الإمام، والحمد لله.

---

(١) «آثار المعلمي» (١٨/ ١٣١-١٣٤، ١٨٦).

٧٩) **«مسألة في إعادة الإمام الصلاةَ دون من صلَّىٰ وراءه في الجماعة»**.

هي فتيا زبرها الإمام في ثلاث صفحات، وفيها السؤال والجواب. والسؤال هو ما دليل قول الفقهاء: «لو بان حدثُ الإمام بعد الصلاة وقد صلَّىٰ بجماعة، لزمته الإعادة دونهم».

فبدأ الإمام ببيان أن الأصل في جميع الأعمال عدم الوجوب، فلا يجب علينا شيء إلا بدليل، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[الأنعام: ١٦٤]، فلا يلزم من بطلان صلاة الإمام بطلانُ صلاة المأموم إلَّا حيث وقع من المأموم تقصير. ولا يُنكَر أن بين الإمام والمأموم اتصال، بحيث يؤدي تمام صلاة الإمام إلىٰ تمام صلاة المأموم ونقصُها إلىٰ نقصها، وكذا العكس. أما أن يؤدي بطلانها إلىٰ بطلانها فلا يطلق ذلك. وقد احتج علىٰ ذلك ببعض الأحاديث والآثار.

والفتيا من فرائد «آثار المعلمي»، وهي تامة بخط الإمام، والحمد لله.

٨٠) **«صيام ستة أيام من شوال»**.

أخذت التسمية من قول الإمام في خطبة الكتاب: «سُئلتُ عن صيام ستة أيام من شوال، وذُكِر لي عن رجلٍ من ذوي الفضل والصلاح أنه يقول: إن صيامها بدعة، وإن حديثها موضوعٌ، لأنه تفرد به سعد بن سعيد الأنصاري، وقد طعن فيه أئمة الحديث».

وهذا الباب مما تتابع العلماء علىٰ التأليف فيه، فقد أربت علىٰ الثمانية، لكن أحسنها ما زبره يراع هذا الحبر النحرير، فقد نهض إلىٰ دراسة الأحاديث الواردة في ذلك، ورد علىٰ من ضعف الحديث الوارد في صيامها، ورد علىٰ من

قال ببدعية صومها، وبيَّن أن صيامها كان شائعًا عند السلف، وأزل اللبس عما رُوي عن الإمام مالك من كراهة صومها، فشفىٰ وكفىٰ فرضي الله عنه وأرضىٰ.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، وهو تامٌّ بخط الإمام، والحمد لله.

٨١) **«جواب الاستفتاء عن حقيقة الربا»**.

هكذا سماه الإمام وذكر سببه بعد الخطبة فقال: «قبل سنين نشر بعض الفضلاء في (حيدر آباد الدكن) - إحدىٰ مدن الهند - كتابًا سمَّاه: «الاستفتاء في حقيقة الربا» أجلبَ فيها بخيله ورَجِلِه لتحليل ربا القرض. وأُرسِلتْ من طرف الصدارة العالية (مشيخة الإسلام) في (حيدر آباد) إلىٰ علماء الآفاق ليُبدوا رأيهم فيها، وأنا مطلع علىٰ المقصود من تأليفها ونشرها، ولا حاجة الآن إلىٰ ذِكر ذلك. وراجعتُ حينئذٍ مؤلفَها في بعض المباحث، وأردت أن أجمع جوابًا عنها. ثم وردتْ بعض الأجوبة من علماء الآفاق، وأجود ما اطلعت عليها جواب العلامة الجليل مولانا أشرف علي التهانوي، فاستغنيتُ بذلك. ثم تنبَّهت بعد ذلك لدقائق في أحكام الربا وحِكَمه، حتىٰ وقفتُ أخيرًا علىٰ كلام للشاطبي في «موافقاته»، فاتَّجهتْ همتي إلىٰ تقييد ما ظهر لي. وأسأل الله ﷻ التوفيق والهداية إلىٰ سواء السبيل بمنّه وكرمه».

ثم نهض إلىٰ تأليف هذا الجواب علىٰ جميع تلك الأمور التي ادّعاها صاحب الاستفتاء، وردَّ علىٰ حججه بتفصيل، وبيَّن وهاءَها.

فأضحىٰ بذلك من أنفس ما دبجه يراع هذا الحبر النحرير؛ لما فيه من عمق رسوخه في فقه الشريعة ومقاصدها، وبصيرته بأحوال الناس، فمكنه ذلك من وضع الدواء علىٰ الداء، وقد تقدم نقل كلامه في وصف حال أهل العصر، مع بيان الدواء الشرعي لتلك الأمراض.

وفي صـفحات الكتـاب يظهـر للقـارئ أن الإمـام المعلمـي راجـع صـاحب «الاستفتاء»، لعله يؤوب إلى جادة الصواب، ويبدوا أنه لم يأبه بنصيحة الإمام.

ومن نفيس كلام الإمام في مغزى صاحب «الاستفتاء» قولـه[١]: «وبالجملة فالحق على أهل العلم أن يحافظوا على الشريعة، ويردُّوا الناس إليها، لا أن يتركوا الناس يخرجون منها، ويساعدوهم على ذلك، بل ويحملوهم عليه، ثم إذا نشأ عن ذلك ضررٌ جعلوا التبعةَ على الشريعة، والغرامةَ عليها، فعادوا يُمزِّقونها، فيمزِّق الله تعالى دينَهم ودنياهم.

نُرقِّـع دنيانـا بتمزيـقِ ديننـا فـلا دينُنـا يبقَـى ولا مـا نُرقِّـعُ

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، وهو تـامٌّ بخط الإمام، ولله الحمد والمنة.

٨٢) **«كشف الخفاء عن حكم بيع الوفاء»**.

تسمية مأخوذة من قول المعلمي: «سألني بعض الإخوان عن حكم البيع الذي يقال له بيع الوفاء وبيع العهدة إلى غير ذلك من الأسماء، وهو شائع في بلاد حضرموت وكثير من البلدان». فتلخص له منه سبعة أمور، وكأنه كان يريد إرحاب النظر فيها، لكنه وقف في أثناء الكلام في الأمر الثاني، ولم يتمه، فالله المستعان.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي».

---

(١) «آثار المعلمي» (١٨/ ٣٥٢).

٨٣) **«النظر في ورقة إقرار»**.

تكلم الإمام في ورقةٍ يُفهم منها الإقرار ومناقضة الإقرار، وذكر أنه إذا نُظر إلىٰ السياق وإلىٰ تساهل العامة في إلقاء الكلام لم تكن تلك الألفاظ ظاهرة فيما يناقض الإقرار، بل هي محمولة علىٰ ما يوافقه. ثم شرح ما فيها، وذكر كلامًا أخذه من كتب فقهاء الشافعية.

وهو من فرائد «آثار المعلمي»، تامٌّ بخط الإمام.

٨٤) **«قضية في سكوت المدعىٰ عليه عن الإقرار والإنكار»**.

تسمية مستنبطة من المضمون، وقد تكلم الإمام في هذا الباب، مستمدًا من كتب فقهاء الشافعية، وذكر أن كون لفظ «لا أدري» في فعل نفسه يُعتبر إقرارًا غير ظاهر، لأن مبنىٰ الإقرار علىٰ اليقين، ولا نظير لها في باب الإقرار يُقاس عليه، ولكنها قد تؤدّي إلىٰ ما هو في حكم الإقرار، بأن يُصرَّ المدَّعىٰ عليه، فيحكم القاضي بأنه كالمنكر الناكل، ويحلف المدعي اليمين المردودة.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، تامٌّ بخط الإمام، ولله الحمد.

٨٥) **«الفسخ بالإعسار»**.

تسمية مأخوذة من كلام المعلمي في خطبة الكتاب، وقد ذكر فيه أن الفسخَ بالإعسار ثابت في المذهب الشافعي، وعِلّته أن النكاح عقدٌ بعوضٍ كالبيع، فهو إباحة الانتفاع بالبُضْع إلىٰ مقابل الصداق والإنفاق، وإذا تعذَّر تسليم العوض بأن غاب غيبةً منقطعة أو امتنع ولم يُقدَر علىٰ ضبطه، وُجدت علة الفسخ.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي».

٨٦) «**مسألتان في الضمان والالتزام**».

تسمية مأخوذة من مضمون الكتاب، وقد تكلم الإمام في قضيتين حكم فيهما القاضي بما هو مخالف للحق والصواب، ونقل من كتب المذهب الشافعي ما يُبيِّن ذلك. وقد حرَّر القضية الأولىٰ في ربيع الثاني سنة (١٣٣٧)، وهو في الخامسة والعشرين من عمره، رَحِمَهُ اللَّهُ-

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، كامل بخط الإمام.

٨٧) «**مسألة الوقف في مرض الموت**».

تسمية مأخوذة من مضمون الكتاب، ذكر المعلمي فيه كلامًا من كتب فقهاء الشافعية، تُبيِّن أنه لو وقف في مرض الموت ما يخرج من ثلثه علىٰ ورثته بقدر أنصبائهم صحَّ من غير احتياج إلىٰ الإجازة. ثم ذكر ما يخالف هذا في الظاهر، وأتبعه بالبيان المأخوذ من كتب فقهاء الشافعية.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي».

٨٨) «**الفوضىٰ الدينية وتعدُّد الزوجات**».

تسمية مطابقة لمضمون الكتاب، وقد بدأه الإمام بما سبق نقله في الفصل السادس من الباب الثالث، وموجزه أن حبّ الاشتهار بحرية الفكر جعل الناس يُغفِلون النظر في صواب الفكر وخطئه، وأصبحت حرية الفكر مرادفةً للخروج عما كان عليه الآباء والأجداد، فهل يستحق صاحبها أن يقال له حرَّ الفكر؟ ومن يترك تقليد أسلافه ويُقلِّد بعض الملحدين فهل خرج هذا من الرق إلىٰ الحرية؟ كلّا، بل خرج من رقٍّ إلىٰ رقٍّ.

ثم تكلم في باب تعدد الزوجات، وبيَّن أنه بابُ معلوم من دين الإسلام بالضرورة، بل ومن الفطرة ومن المصلحة. وردّ علىٰ الشبهة التي أثارها بعض

المتأخرين استنادًا إلىٰ آيتي سورة [النساء : ٣، ١٢٩] أن إحداهما تُلزِم المسلم إذا خاف عدمَ العدل أن يقتصر علىٰ واحدة، والأخرىٰ تُفيد أن كلَّ مسلم يعلم أنه لا يستطيع العدل، فأنَّىٰ يتصور أن لا يخاف عدم العدل؟

وأتبع بالرد علىٰ هذه الشبهة وبيَّن أن ظاهر القرآن لا يدلُّ علىٰ المنع، بل يدلُّ علىٰ الجواز..

ثم عقد ثلاثة فصول:

- **الأول:** «تعدد الزوجات والفطرة» فأبانه من أوجه ثلاثة.
- **الثاني:** «تعدد الزوجات والمصالح» فذكر أربع مصالح.
- **الثالث:** «مفاسد تعدد الزوجات» فذكر ثمانيَ مفاسد يذكرها الناس، ونظر فيها واحدةً واحدةً، وبيَّن أنها أقلّ بمقابل المصالح. بل إن الزوج إن عدلَ عن طلاق زوجته ووقع في الزنا تحصل به مفاسد أشدُّ من مفاسد التعدُّد. ثم عدَّدها، وقال: «إن وراء ذلك مفاسد أخبث وأخبث، من فساد الأخلاق وخراب الدين وغير ذلك» وقد تقدم نقل بعض كلامه في الفصل السادس من الباب الثالث.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، شبه مكتمل، بخط الإمام، والحمد لله.

٨٩) **«مسألة في رجل حنفي تزوَّج صغيرة بولاية أمها».**

كتبها الإمام ردًّا علىٰ سؤال السيد محمَّد مخدوم الحسيني مفتي المدرسة النظامية بمدينة «حيدر آباد الدكن»، ذكر فيها المذهب الشافعي في هذه المسألة نقلًا عن كتاب «الأم» وغيره، وبيَّن الخلاف بينه وبين المذهب الحنفي.

والفتيا من فرائد «آثار المعلمي»، بخط الإمام، علىٰ نقصٍ فيها، والله المستعان.

٩٠) «مسألة في صبيين مسلمين أخذهما رئيس الكنيسة فنشآ على دينه، وبلغا عليه وتزوَّجا، ثم أسلما».

صدرها الإمام بعد الحمد لله بقوله: «صبي وصبية من أولاد المسلمين الصومال، أخذهما رئيس الكنيسة بِعَدَن وربَّاهما، فنشآ على دينه وبلغا عليه، فعقد لهما عقد النكاح كما يعقده بين أهل ملته، واستمرا كذلك حتى وُلِد لهما أولاد. ثم إن المرأة أسلمت فتبعها الرجل قبل انقضاء العدة، فما حكم ذلك؟ ثم أجاب عنها.

وهذه الفتيا من فرائد «آثار المعلمي»، مكتملة بخط الإمام، ولله الحمد.

٩١) «بحث في قصة بني هشام بن المغيرة واستئذانهم النبي ﷺ أن يزوِّجوا عليًّا رضي الله عنه».

صدرها بصدر خطبة الحاجة، وهو ثاني موضع لذلك في «آثار المعلمي»، وبعد أن خرَّج الحديث قال: «ههنا مباحث: الأول: الطعن في المسور وابن الزبير، الثاني: صغر سنّهما، الثالث: التفرد، الرابع: استبعاد ذلك لما عُرِف من فضل علي وإجلاله للنبي ﷺ وإكرامه لفاطمة، وبُغضه لأبي جهل وحزبه».

والموجود منه يحتوي على تخريج حديث الباب، والكلام في المبحث الثاني فقط.

وفيه تحقيق تاريخ ولادة راوي الحديث المسور بن مخرمة، فإن المؤرخين لم يختلفوا أن مولده كان بعد الهجرة، وقصة خِطبة علي كانت بعد مولد المسور بنحو من ست سنين أو سبع. ردَّ عليه الإمام برواية «الصحيحين»

في هذه القصة أن المسور قال: «فسمعتُ رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس في ذلك علىٰ مِنْبره هذا، وأنا يومئذٍ محتلم». وتخريج الشيخين والإمام أحمد في «المسند» بغير إنكار لهذا اللفظ يدلُّ دلالةً ظاهرة علىٰ أن ما ذكره المؤرخون لا يُعرَف له أساس ثابت.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، بخط الإمام، لكنه غير مكتمل، والله المستعان.



المبحث الخامس: المؤلفات في علم الأصول[١].

ويحوي هذا المبحث علىٰ خمسة مصنفات، وهي:

٩٢) «رسالة في فَرْضيّة اتباع السنة والكلام علىٰ تقسيم الأخبار وحجية أخبار الآحاد».

لم يسمه الإمام بهذا، فسماه المصحح بهذا الاسم المطابق، وهو سِفر نفيس، استهله المعلمي بذكر اتفاق المسلمين علىٰ فرض اتباع ما ثبت عن النبي ﷺ، وأنه من الأمور المعلومة بالضرورة من دين الإسلام، وأن التفريق بين الكتاب والسنة تفريق بين الله ورسله. ثم ذكر شُبَه منكري السنة، فأتىٰ عليها بالحجة والبرهان، فمهما قيل عن هذا الكتاب القيم فلن يكشف عن مطاويه الزاخرة بالتحقيق النيِّر، فما علىٰ القارئ إلىٰ أن يبحر فيه وسيجد من دقائق الاستنباط، ونِكات التحقيق ما يملأ صدره ونحره، والله الموفِّق والمستعان.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، تامٌّ بخط الإمام، ولله الحمد والمنة

٩٣) «رسالة في الكلام علىٰ أحكام خبر الواحد وشرائطه».

تسمية مأخوذة من مضمون الكتاب، وهو في وجوب العمل بخبر الواحد، وما الذي يفيده خبر الواحد، والمعنىٰ الذي لأجله وجب العمل بخبر الواحد، وعقد فصلًا للمقابلة بين الشهادة والرواية، ثم شرائط الاحتجاج بخبر الواحد، واختتمه بتحقيق نفيس في مذاهب المحدثين في العدالة والتوثيق، وتحرَّر للمؤلف باستقراء كثير من كلامهم أن لهم مذاهب:

---

(١) هي «مجموع رسائل أصول الفقه»، المجلد التاسع عشر من «آثار المعلمي»، بتصحيح الشيخ محمد عُزير شمس -أثابه الله-.

الأول: مذهب ابن حبان، فعنده أن المسلمين محمولون على العدالة، فكل راوٍ لم يُجرَح فالظاهر أنه عدل. وبيَّن ضعف مذهبه، وردَّ عليه، وقال في آخره: والذي تبيَّن لي أن ابن حبان لم يلتزم الاعتبار، بل أخذ «التاريخ الكبير» للبخاري، ونقل غالبه إلى «الثقات». وكثير ممن أخذه عنه لم يعرفه ابن حبان، ولا عرف ما روى، بل وكثير منهم لم يعرف عمن رووا ولا من روى عنهم.

وهذه فائدة جليلة توصَّل إليها المعلمي بعد دراسة الكتابين والمقارنة بينهما، وانظر تتمة الكلام هناك.

الثاني: مذهب العجلي، وقد توصَّل المؤلف بعد تتبع جماعة من الرواة الذين وثَّقهم إلى أنه انفرد بتوثيق كثير من التابعين الذين لم يذكر لكل منهم إلَّا راوٍ واحد ثقة، ثم عدَّد المؤلف بعض أسمائهم وقال: «وافقه ابن حبان في هؤلاء أو أكثرهم على قاعدته».

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، وهو بخط الإمام، لكنه غير مكتمل، والله الموفق والمستعان.

٩٤) إرشاد العامِه[(١)] إلى معرفة الكذب وأحكامِه.

لم يسمه بذلك، فسماه المصحح من مضمونه، فقد ذكر المعلمي أن سبب تأليفه له، ما رآه من كثرة التأويل للحجج الشرعية، وما تضمن ذلك من تكذيب الله ورسوله، بل ومبالغة بعض الغلاة من نسبة الكذب إلى الله ورسوله، فبدأه بذكر معنى (الخَبَر) والفرق بينه وبين (الخُبْر)، ثم المجاز

(١) «قال أهل اللغة: العَمِه والعامِه: الذي يتردد متحيرًا لا يهتدي لطريقه ومذهبه». «تهذيب اللغة» جذر (ع هـ م).

وقرينته، والفرق بين الاستعارة والكذب، والفرق بين المجاز والكذب، ثم معنىٰ الصدق والكذب، وحقيقة كل منهما، ثم التورية والمعاريض، فأطال وأطنب وجاء بالعجب، ومع ذلك يقول في آخر بعض تلك الفصول: «وقد طال الكلام في هذا المطلب، ولم أبلغ منه كل ما أريد، وأرجو أن أكون قد قاربت، والله الموفق».

تلك أسماء فصول الكتاب، وفي أثنائها تحقيقات وتحبيرات أخرىٰ نثرها الإمام، لا يجنيها إلَّا من قرأ الكتاب بإرحاب نظر، وتدبر فكرٍ.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، وهو بخط الإمام، علىٰ نقصٍ في بعض فصوله، والله المستعان.

٩٥) **«رسالة في أصول الفقه»**.

تسمية مأخوذة من مضمون الرسالة، وقد ذكر المعلمي في خطبتها أن الكتب المؤلفة في هذا العلم علىٰ ضربين: الأول كتب الغزالي ومن بعده. والثاني بعض المختصرات لمن قبله كـ «اللمع» للشيرازي و«الورقات» للجويني.

أما الأول فقد مُزِج بمباحث كثيرة من علم الكلام والمنطق، وأما الثاني فإنه بغاية الاختصار، ولا يخلو مع ذلك عن تعقيد.

فنهض إلىٰ رَقْمِ أمَّات أبواب أصول الفقه بأسلوب سهل؛ ليفهمها الجميع، وأعرض عن كثير من الاصطلاحات والتدقيقات، واقتصر من المباحث الكلامية علىٰ ما لا بدَّ منه، وسلك فيها مسلك التحقيق. إلَّا أنه لم يتمكن من إكمالها.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، وهو بخط الإمام، لكنه غير مكتمل، فالله المستعان.

٩٦) «رسالة في التعصُّب المذهبي».

تسمية مستنبطة من المضمون، وقد بدأها المعلمي بذكر أن الدين شرعه الله تعالىٰ، فيؤخذ من كتابه وسنة رسوله ﷺ إن تيسر ذلك، وإلا فبواسطة مُخبرٍ موثوقٍ به عنهما.

ودعا فيها المعلمي فقهاء المذاهب إلىٰ سلوك جادة الصواب، والاعتناء بالكتاب والسنة، والكلام علىٰ الأحاديث والاستنباط منها بغير تعصب، كما كان عليه الأئمة المتقدمون.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، وهو بخط الإمام، لكنه غير مكتمل، والله المستعان.



المبحث السادس: المؤلفات في علم اللُّغة الشريفة[1]:

ويحتوي هذا المبحث على أربعة عشر كتابًا، في النحو، والصرف، والأدب، والعَروض، وهي:

٩٧) «اللطيفة البكرية والنتيجة الفكرية في المهمات النحوية».

هكذا سماه الإمام، ولعله يشير إلىٰ أنه باكورة مؤلفاته، فقد كتبه سنة (١٣٣٧)، وهو في الخامسة والعشرين من عمره المبارك، والكتاب جوابٌ لمن سأله التكلم في الاسم المبني، والاسم الممنوع من الصرف، وقد جعل مصادره خمسة كتب هي: «الهَمْع» للسيوطي، و«شرح الكافية» للرضي، وحاشيتي الصَّبَّان والخُضَري علىٰ شرحَي الألفية، ورسالة أحمد زيني دحلان في المبنيات.

نُسِخَ هذا الكتاب بخط أحمد بن يحيىٰ بن إسماعيل بن يحيىٰ بن عبد الكريم الضمدي، ثم حررها الإمام المعلمي بقلمه مرة أخرىٰ وزاد ونقص.

طبعات الكتاب:

- طبعة دار عالم الفوائد، سنة (١٤٢١)، بتصحيح الشيخ أسامة الحازمي.
- طبعة دار عالم الفوائد سنة (١٤٣٤) ضمن «آثار المعلمي» بتصحيح المصحح نفسه في الطبعة السابقة.

---

(١) هي «مجموع رسائل النحو واللغة»، المجلد العشرين من «آثار المعلمي»، بتصحيح الشيخ أسامة بن مسلم الحازمي -أثابه الله تعالىٰ-.

٩٨) «**حقائق في النحو مستقربة**».

هكذا سماها الإمام، وهي في بيان الاصطلاحات النحوية على طريقة السؤال والجواب، وقد ذكر فيها ثلاثًا وستين ومئة حقيقة معتمدًا على مصادر النحو المعتبرة، وقد رتبها على وَفق كتب الفن، ولم يكن مقلدًا في تلك المسائل، بل هو على عادته ناقد متحرر، يصحح ويرجح.

ختمها بقوله: «كمُلتْ في يوم الربوع[1] ٢٥/ شهر شوال من سنة ٣٢، أي: (١٣٣٢)، وهو في العشرين من عمره المبارك، وهو بالديار اليمنية، وهو من مظاهر نبوغه المبكر.

ومن فرائد هذا الكتاب أن الإمام ذكر مواضع تقديم الفاعل، ومنها: كون المصدر مضافًا إليه واحتج بقراءة نافع لقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ النَّاسَ﴾، وقد علق مصحح الكتاب بقوله: «واعلم أنَّ هذا الموضع الثالث من مواضع تقديم الفاعل -وهو كون المصدر مضافًا إليه- لم أجده منصوصًا عليه في عامة كتب النحو إلا كتاب «المقرب» لابن عصفور، فقد نصَّ عليه، وذكره أيضًا في شرحه على جُمل الزجَّاجي، ونقل كلام ابن عصفور السيوطي في «الأشباه والنظائر» (٢/ ١٦١)، انظر «المقرب» (ص ٥٦)، و«شرح الجمل» لابن عصفور (١/ ١٦٤)، وهذا يدل على سعة اطلاع المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ».

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي» وهو تامٌّ بخط الإمام، ولله الحمد.

---

(١) «والربوع كصبور لغةٌ في الأربعاء مولّدةٌ». «تاج العروس» جذر (ر ب ع).

٩٩) «مختصر شرح ابن جَماعة على القواعد الصغرى لابن هشام».

لم يسمه الإمام بل كتب ما يلي: «القواعد الصغرى لمحمد بن هشام مع بعض تقريراتٍ من شرحها لابن جماعة، كما نبهت عليها»، وأراد بالتنبيه أنَّه وضع للمتن حرف (م)، وللشرح حرف (ش). فاجتهد المصحح وسماه بهذا وهو مطابق لما في جوفه؛ لأنه هو اختصارٌ لواحدٍ من شروح «القواعد الصغرى» لابن هشام الكثيرة، وهو شرح ابن جماعة الحفيد (ت: ٨١٩)، وما اختصره الإمام هنا هو أحد تلك الشروح المهمة التي لم تطبع بعد، فيكون المختصر أسبق للنشر من أصله.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، وهو تامٌّ بخط الإمام، ولعله كسابقه مما جادت به قريحته وهو ببلاد اليمن، أيام إقباله على التأسيس العلمي.

١٠٠) «نظم قواعد الإعراب الصغرى».

هكذا سماه الإمام، وهو نظم سهل سلس، نهض فيه الإمام إلى نظم «قواعد الإعراب» فجاء في مئتي بيت من بحر الرجَز، ولعله أول نظم للقواعد الصغرى، قال في أول أبياتها:

يَسْتَمنحُ الرحمنَ خيرًا عَبْدُهُ ... عونًا وتوفيقًا يدوم سَعْدُهُ

والضمير في «عبده» عائدُ على اسم «الرحمن»، وهي إشارة لطيفة من الإمام إلى ذكر اسمه: عبد الرحمن.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، وهو تامٌّ بخط الإمام، ولله الحمد رب العالمين.

١٠١) «**طرائف في العربية**».

هكذا سماه الإمام، وهو في بحث خمسة أبواب نحْوية وصرفية، وهي:

- الإشارة وعلاقتها بنشأة اللغة.
- تصريف لفظة (تنّور).
- تصريف كلمة (تفّاح).
- ضمير الشأن والقصة.
- بحث في الفعل (كاد).

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، وهو تامٌّ بخط الإمام، ولله الحمد والمنة.

١٠٢) «**الكلام على تصريف (ذو)**».

لم يسمه الإمام، فوضع المصحح هذه التسمية الموافقة، وقد عمد فيه الإمام إلى بحث كلمة (ذو) بمعنى (صاحب) والتي تعدُّ من الأسماء الخمسة على رأي الفراء والزجاج، أو ستة على رأي الجمهور، وقد أوضح المعلمي تصريفها وأصلها من كلام أئمة هذا الشأن، وعقَّب عليهم بزيادة توضيح تزيل الإشكال عنها.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، وهو تامٌّ بخط الإمام، والحمد لله.

١٠٣) «**إشكال صرفيٌّ وجوابُه**».

لم يسمه الإمام، فوضع المصحح هذه التسمية الموافقة، ومضمونه حل إشكال لم لَمْ يعامل جمع (خطيئة) وبابه معاملة جمع (رسالة، وصحيفة، وعجوز) مع أنَّ وزن المفرد فيهما واحد وهو (فعيلة) ويجمعان - أيضًا - على (فعائل) في أحد تصاريف (خطايا) وبابه.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، وهو تامٌّ بخط الإمام، ولله الحمد.

١٠٤) «ضبط فعلين في متن «الأزهار»، واعتراض وانتقاض».

سماه المصحح بهذا الاسم المطابق لمضمونه، فهو جواب سؤال في تقييد لفظَي: (يرقُّ) و (يعتقُّ)، ذُكرا في كتاب «متن الأزهار» للعلامة أحمد بن يحيىٰ المرتضىٰ (ت: ٨٤٠)، وعليه الشرح الخطير: «السيل الجرار المتدفق علىٰ حدائق الأزهار»، لشيخ الإسلام الشوكاني (ت: ١٢٥٠).

فأجاب المعلمي مستعينًا ببعض المعاجم كـ «المصباح» و«الأساس» للزمخشري وغيرهما من الكتب، وترجَّح له أنَّهما بفتح الفاء وكسر العين، فاعترض عليه معترض رمز لاسمه بحرف (ع) ولعله القاضي عبد الله العمودي، فأجابه عن الاعتراض الأول، ثم عاد المعترض مرةً أخرىٰ فنقض المعلمي اعتراضه الثاني.

وفي أصل الجواب ونقض الاعتراضات جلد عجيب في البحث، والدفع للمخالف!

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، وهو بخط ناسخ لم يذكر اسمه، ثم حررها الإمام فزاد ونقص، وقد استعمل في الكتاب في بعض الكلمات (أم) الحميرية، كما في قوله (أمعرب).

وألحق المصحح بهذا الكتاب فائدتين:

- **الأولىٰ:** خاطرة في قول الشاعر: (ولكنني من حبها لعميد).
- **الثانية:** المعارف التي بعد اسم الإشارة.

١٠٥) «اختصار كتاب: «درة الغواص في أوهام الخواص» للحريري.

ألف الإمام أبو محمد الحريري (ت: ٥١٦) هذه الدرة، فتتابع علماء اللغة الشريفة عليه بالشروح والحواشي، وغير ذلك، حتى آل الدور إلى الإمام المعلمي فنهض إلى اختصارها وتلخيصها بتفنن وإبداع، في فن التلخيص بحذف الزوائد، وإضافة الفرائد، فخرج مولودًا سليمًا قويمًا.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، وهو تامٌّ بخط الإمام، على تآكل في أطراف المخطوط، وقد اجتهد المصحح فيه، فجزاه الله خيرًا.

١٠٦) «فوائد لغوية منتقاة من كتاب: «الكنز المدفون والفلك المشحون».

تسمية مأخوذة من مضمون الكتاب، وقد استخرج المعلمي غالب الفوائد اللغوية التي تتعلق بفقه اللغة كالمترادفات والأضداد والمثلثات، وما فيه لغتان، وما يهمز وما لا يهمز، وما فيه لغة فأكثر، والفرق بين المكسور والمفتوح أو المضموم والمفتوح، ولم ينص على اعتماده واستفادته من «الكنز المدفون»، لكن المصحح بعد بحث كثير تبين له أنه المصدر الوحيد للمعلمي في كتابه هذا، ولم يمض على ترتيبه، وزاد عليه كما تجده في تفسير أسماء الخمر، فقد استدرك بعض التعليلات، وإن كان ترك بياضًا في بعضها وقد أكملها المصحح، وكذا نَظَمَ أسماء الجناس وأنواعه، فهو من مؤلفات اللغة الشريفة الممتعة، يرتشف قارئه من ضرَب لغة الضاد الخالدة ما لذ وطاب.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، وهو تامٌّ بخط الإمام، ولله الحمد.

١٠٧) «مناظرة أدبيَّة بين المعلمي والسنوسي».

لم يسمها الإمام، فاجتهد المصحح الحازمي بهذا الاسم، أما المصحح الأول (أبو داهش) فسماها: «المعلمي والسنوسي في مجلس الإدريسي صُوَرٌ من المجالس الأدبية في تهامة».

ومضمونه أنه في يوم من أيام عيد الفطر سنة (١٣٣٧) جرت مذاكرة بين المعلمي والشاعر علي بن محمَّد السنوسي (ت: ١٣٦٣) في مجلس الأمير محمَّد بن علي الإدريسي (ت: ١٣٤١)، فقد كانت له عادة مع الشعراء والأدباء والخطباء حيث يهنئونه بالعيد، فكان السنوسي قد ألقىٰ قصيدةً من بحر المديد تكررت تفعيلاتها أربع مرات، فاعترض المعلمي بأن المديد لا يستعمل إلا مجزوءًا، وأنَّ التربيع هو من صنيع المتأخرين، وأتىٰ بالشواهد في هذا، ثم إنَّ المؤلف بعد هذا تصدَّىٰ لنقد قصيدة السنوسي نقدًا فيه شيء من الشدة، فقد عاب عليه تكرار لفظ (علي) و(ابن علي) في آخر كل بيت، ثم أطال في باب الفعل (عدا)؛ في معناه وتعدّيه بحرف الجرّ، وصارت بينه وبين السنوسي مكاتبات في هذا، وطال الجدال بينهما وأدخلوا طرفًا ثالثًا وهو العلاَّمة السيد صالح بن محسن الصيلمي، فكأنه رأىٰ أن الحقَّ مع المعلِّمي، واعتذر له السنوسي في آخر الأمر بقصيدة بعثها إليه وطلب منه إصلاح خللها، فأجابه المعلِّمي بعشرة أبيات.

وهذا دليل علىٰ سعة صدورهما وسرعة قبولهما الحق، ورجوعهما إلىٰ الصواب وهكذا شأن المخلصين الأحباب.

طبعات الكتاب:

- طبعة عبد الله أبو داهش في «مجلة عالم الكتب» في العدد الثاني من المجلد الثاني عشر سنة (١٤١١)، (ص/ ١٨٣-٢٠٣)، وقد ذكر أنه اعتمد على نسخة بخط الإمام عثر عليها في قسم المخطوطات بمكتبة الحرم المكي. ولم يعثر عليه المصحح الحازمي، وفي تحقيق داهش ضعف وغرائب، ومن دخل في غير فنه أتى بالعجائب.

- طبعة دار عالم الفوائد سنة (١٤٣٤)، ضمن «آثار المعلمي»، وقد اعتمد المصحح على نشرة داهش، لأن النسخة الخطية التي وقف عليها ناقصة.

١٠٨) «شرح بيت ومعناه».

لم يسمه الإمام، فوضع له المصحح هذا الاسم الموافق، ومضمونه أن «أحدَ الأدباء في زمن وبلد المعلمي - واسمه ثابت بن سعيد - نظم بيتًا فيه تاريخ العام الذي قيل فيه هذا البيت بحساب الجُمَّل الواقع في قوله من الشطر الثاني:

*** أزال عنك الهم والغم ***

وجميع الحروف تساوي بحساب الجمل (١٣٣٢)، وهو تاريخ تلك السنة، ويسمَّى هذا الحساب أيضًا بالتأريخ الشعري، فبيَّن هنا المعلمي المحاسن اللفظية التي اتفقت لهذا الشاعر من غير تكلّف ولا تعسف، وهي من جنس علم البديع.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، مكتمل بخط الإمام، ولله الحمد.

١٠٩) «أنظام لغوية».

لم يسمه الإمام، فوضع له المصحح هذا الاسم المطابق، ومضمونه ثلاثة أنظام:

الأول: في الأسماء المؤنّثة السماعية، وقد ذكرَ فيها الكلمات الواجبة التأنيث، والكلمات الجائزة في أربعة عشر بيتًا من الرجَز، وقد رقَّم الكلمات بأرقام جعلها فوق كل كلمة فبلغت في القسم الأول ستين كلمة، وفي الثاني بلغت ست عشرة كلمة.

الثاني: نظم جموع كلمة (عبد)، أي: الإنسان حرًّا كان أو رقيقًا، وكذلك المملوك، وقد ذكر له المجد الزبيدي في «القاموس المحيط والقابوس الوسيط فيما ذهب من كلام العرب شماطيط» خمسة عشر جمعًا، وزاد عليه شارحه بما أوصلها إلىٰ خمسة وعشرين، ونظمها المعلمي هنا بنظمين بلغت جموع (عبد) فيهما عشرين.

الثالث: ذكر المجد الزبيدي في «القاموس» كلمة (شيخ) وذكر في جمعها إحدىٰ عشرة كلمة، فجمعها المعلمي في أربعة أبيات من وزن الرجَز.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، وهو تامٌّ بخط الإمام، ولله الحمد.

١١٠) «مختصر متن الكافي في العَروض والقوافي».

لم يسمه الإمام بل كتب علىٰ أول صفحة: «متن الكافي في العَروض والقوافي للعلامة أبي العباس أحمد بن شعيب القنائي الشافعي مشوبًا ببعض تقريراتٍ مِنْ شرحه المختصر الشافي لشيخ المشايخ السيد محمَّد الدمنهوري رحمهما الله تعالىٰ، وأسقطتُّ منه غالب الشواهد ليكون أحث علىٰ حفظه وأبحث علىٰ دقائقه والله الموفق».

وقد كتب هذا الكلام بشكل هرمي مقلوب يشبه رقم سبعة (٧) ثم كَتَبَ تحتها هذين البيتين وصدَّرها بقوله «كاتبُهُ»:

ولكن لي نفسٌ عصام أبية ... عن الذل تأبىٰ أن تضام وتظلما

فإنْ تظلموني كنت لا شك ظالمًا ... وإن تكرموني كنت لا شك أكرما

فاجتهد المصحح في وضع اسم الكتاب، ومضمونه أن أحمد بن عباد بن شعيب القنائي ثم القاهري المعروف بالخواص (ت: ٨٥٨) ألَّف كتابًا في العَروض أسماه «الكافي في علمي العروض والقوافي» وهو أصلٌ أصيلٌ، شرحه العلاَّمة محمَّد الدمنهوري المصري الشافعي (ت: ١٢٨٨) بشرحين: كبير وسماه «الإرشاد الشافي»، وصغير وسماه «المختصر الشافي».

فنهض المعلمي إلىٰ الشرح الصغير مع متن الكافي فلخص منه هذا الكتاب المفيد، وأضاف إليه إضافات مثل أبيات الصفي الحلّي في بحور الشعر، وكنظم حروف القافية، وكبيتي الحلي في حركات القافية، وكبيتيْ أقسام القافية الخمسة.

وربما تصرّف في المتن وصوّب ورتب، وقدم وأخر.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، وهو تامٌّ بخط الإمام، وهو خط نسخي جميل، كتبه بالمدادين الأحمر والأسود، ولعله مما رقمه في حِقبة التأسيس العلمية بالديار اليمنية، والله أعلم.

١١١) «نظم بحور العَروض».

نظم المعلمي بحور العروض - وهي ستة عشر بحرًا - في خمسة أبيات، وقد وضع بعد كل بيت دائرة من دوائر العروض الخمسة، وهذه الأبيات ضرب من ضروب تسهيل الأبواب العلمية، وهو أمر متداول بين أهل العلم.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، وهو تامٌّ بخط الإمام، ولله الحمد رب العالمين.

١١٢) «معجم الشواهد الشعرية»[(١)].

لم يسمه الإمام بذلك، فوضع له المصحح هذا الاسم المطابق لمضمونه.

وقد أراد المعلمي بصنعه له أن يفهرس الشعر الموجود في أمَّات كتب النحو واللغة وشروح الشواهد، فاختار ستة كتب، ثم أضاف إليها أربعة كتب أخرىٰ، وكان مراده أن يصنع فهرسًا موحَّدًا لجميع ما ورد فيها من الشعر، فرتَّبه علىٰ القوافي بعدد الحروف من الألف إلىٰ الياء، وقسَّم كل قافية إلىٰ الساكنة ثم المفتوحة ثم المكسورة ثم المضمومة، وألحقَ بكل قِسمٍ منها ما وُصِل بالهاء. كما قسَّم قوافي كل حرفٍ علىٰ البحور من الطويل إلىٰ المتقارب، ويبيِّن إذا كان مجزوءًا أو مشطورًا أو منهوكًا. ثم جعل القوافي من بحرٍ معيّن في مجموعاتٍ وفق نظام القافية.

وقد قسَّم المعجم إلىٰ جداول، يذكر فيها حرف القافية، ثم القوافي، ثم البحر، ثم القائل، ثم المصادر بالإشارة إلىٰ الجزء والصفحة. وقد كان الشيخ سبَّاقًا إلىٰ وضع هذا المعجم وصدَر بعده فهارس كثيرة صنعها المستشرقون والعرب في بلدان مختلفة، ويتميز هذا المعجم بدقته في الترتيب واستيعابه للشواهد كما يظهر ذلك بمقارنته بغيره من الفهارس.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، وهو تامٌّ بخط الإمام، ولله الحمد رب العالمين.



---

(١) هو المجلد الحادي والعشرون من «آثار المعلمي»، بتصحيح الشيخ محمد عُزير شمس، وقد قدم له بحديث مبسوط عن صنعة الفهارس الشعرية، ونقد المؤلفات فيها، فجزاه الله خيرًا.

المبحث السابع: مؤلفات في أبواب متفرقة:

١١٣) «**الخطب والوصايا**»[١].

أما الخطب فإنها جميعًا من خطب الجمعة والعيدين، التي ألقاها على أعواد منبر جامع الأمير محمد بن علي الإدريسي، وقد رجح المصحح أن الخطب الموجودة كانت بين شهر جمادى الآخرة سنة (١٣٤٠) إلى شهر شعبان سنة (١٣٤١).

وهذه الخطب مما يحسن بالخطيب الناشئ أن يُرْحب النظر فيها؛ ليتعلم الاقتباس والتضمين، وتدوير الجُمل البلاغية، وما يسمى عند البلاغيين ببراعة الاستهلال، فهي خطب جديرة بذلك لولا أنه شابها أمران.

الأول: تضمين بعض خطب غيره، كابن نباتة، مع تصرفه في الألفاظ وتفننه في الصياغة.

الآخِر: حشو بعض تلك الخطب بأحاديث ضعيفة، بل موضوعة.

ولعل الأول سبب الثاني، فالصدى التابع غير الصوت المستقل، وهي من بواكير عمله، مع شغل الإدريسي له بالقضاء، وتسيير شؤون الدولة، وأيًّا ما كان فهي حقبة متقدمة من حياة الإمام، وسبحان من له الكمال المطلق.

وهذه الخطب من فرائد «آثار المعلمي»، وهي اثنتان وستون خطبة، تامة بخط الإمام والحمد لله.

---

(١) هو المجلد الثاني والعشرون من «آثار المعلمي»، بتصحيح الشيخ محمد أجمل الإصلاحي.

وألحق بها المصحح رسالة «الجهاد سَنام الإسلام»، هكذا سماها الإمام، ووقع في آخرها باسمه الكامل «عبد الرحمن بن يحيىٰ بن علي المعلمي».

وهي أشبه بالخطبة، كلها حث وتحريض، وتخويف وتحذير، ولوم وتبكيت؛ فقد صدرت عن قلب متألم لحال المسلمين الغافلين عن مكايد العدوّ، والقاعدين عن الجهاد والمثبطين عنه، مع انتسابهم إلىٰ العلم والفقه!

أما الوصايا فأربع:

الأولىٰ: كتبها أيام إقامته عند الأمير الإدريسي، استهلها ببيان اعتقاده، ثم أشار إلىٰ حث النبي ﷺ علىٰ الوصية، وأنه الآن غريب عن وطنه وأهله، ثم بيَّن موضع بلدته، ومكان مُقام والده، وأخيه، ثم شرع في وصيته، فأوصىٰ الإدريسي أن إذا قضىٰ الله عليه بالموت أن يرسل إلىٰ والده الفقيه يحيىٰ بن علي المعلمي، ليجيء بنفسه أو يرسل رسولًا معتمدًا يقبض ما تركه الإمام من كتب وغيرها، وبين فيها أن الكتب تبقىٰ في بيت والده لانتفاع أولاده، وسأل والده بالله تعالىٰ أن يقفها عنه لأولاده الذكور ما تناسلوا، ويجعل النظر للأعلم الأورع منهم، ولا يُمنع الآخرون من المطالعة، وأما الكسوة فعلىٰ حسب الميراث، وسأل والده وأخاه أن يستبرئا له أُختَيه مما قصر فيه من حقهما ويرضيانهما عنه! وهذا من ورعه وتقواه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الوصية الثانية: في بيان اعتقاده، في الأسماء والصفات، والمغيبات والنبوات، والصحابة، وغير ذلك.

وهاتان الوصيتان عثر عليهما الشيخ محمد أجمل الإصلاحي الهندي، في مكتبة الحرم المكي، بخط الإمام المعلمي.

الثالثة: وصيته وهو بالديار الهندية، وهي في ثلاث أمور:

- وصيته لكل مسلم بتحقيق التوحيد واجتناب البدع كلها، واتباع ما تبين له أنه الحق سواء أكان مذهب إمامه أم مذهب غيره.
- وصيته للشيخ إبراهيم رشيد أن يقوم بأمر ابنه عبد الله، في حال توفي الإمام قبل بلوغه، بأن ينشئه على درب الاستقامة والصلاح، وإلزامه إذا وصل حد القراءة أن يحفظ القرآن، وأن يلقنه التوحيد الحق، وقد تقدم ذكر لفظها في الفصل الأول من الباب الأول.
- وصيته في كتب كانت عنده لورثة الأمير محمد بن علي الإدريسي لترسل إليهم، ومنها نسخة خطية لتدريب الراوي.

وهذه الوصية نشرها الزيادي في أول كتاب «عمارة القبور» للمعلمي، وقد عثر عليها بخط الإمام في مكتبة الحرم المكي، وعنه أخذها الشيخ الإصلاحي في تصحيحه ضمن «آثار المعلمي».

الوصية الرابعة: وهي وصيته لتلميذه الشيخ محمد بن أحمد المعلمي (ت: ١٤٣٥)، وسيأتي الحديث عنها مفصلًا في الباب الخامس، إن شاء الله تعالىٰ.

١١٤) «أصول التصحيح العلمي»[1]

١١٥) «أصول التصحيح العلمي» (مُسوَّدة)

---

(١) من الرقم (١١٣) إلىٰ الرقم (١٢٠) هي «مجموع رسائل في التحقيق وتصحيح النصوص»، المجلد الثالث والعشرين من «آثار المعلمي» بتصحيح الشيخ محمد أجمل الإصلاحي - أثابه الله تعالىٰ -.

١١٦) «أصول التصحيح» (مُسوَّدة)

سمىٰ الإمام مسودته الأولىٰ: «أصول التصحيح»، أما المسودة الثانية والمُبَيَّضة فلم يسمهما، فوضع لهما الشيخ الإصلاحي ذينك الاسمين المطابقين.

استهل الإمام مبيضته قائلًا: «فهذه رسالة فيما علىٰ المتصدين لطبع الكتب القديمة مما إذا وَفُوا به فقد أدَّوا ما عليهم من خدمة العلم والأمانة فيه، وإحياء آثار السلف علىٰ الوجه اللائق، وتكون مطبوعاتهم صالحة لأن يثق بها أهل العلم».

واستهل مسودته الأولىٰ بقوله: «فإني منذ بضع سنين مشتغل بتصحيح الكتب العلمية في مطبعة «دائرة المعارف العثمانية» وتبيَّن لي بعد الممارسة قيمة التصحيح العلمية والعملية، وما ينبغي للمصحح أن يتحقق به أولاً، ثم ما يلزمه أن يعمل به ثانيًا. ورأيت غالب الناس في غفلة عن ذلك أو بعضه. فمن لم يشتغل بقراءة الكتب العلمية ومقابلتها وتصحيحها يبخس التصحيح قيمته، ويظنه أمرًا هينًا لا أهمية له، ولا صعوبة فيه. ولما كان أكثر المتولِّين أمور المطابع من هذا القبيل عظمت المصيبة بذلك».

وقال في خطبة مسودته الثانية: «فإني عُنِيت زمانًا بتصحيح الكتب وإعدادها للطبع، ثم بتصحيحها حال الطبع، فتبيَّن لي بطول الممارسة غالب ما يحتاج إليه في هذه الصناعة. وخبرتُ أحوال جماعة من المصححين، وتصفحت مع ذلك كثيرًا من الكتب التي تطبع في مصر وغيرها، وعرفت ما

اعتمده مصححوها. ورأيت مع ذلك أن أكثر الناس متهاونون بهذه الصناعة، يرون أنه يكفي للقيام بها اليسير من العلم، واليسير من العمل! فأحببت أن أجمع رسالة في التصحيح، أشرح فيها ما يتعلق به».

ولتمكن الإمام من علم الحديث الذي هو على الحق والحقيقة أساس علم التحقيق وركنه المتين، فرسوخه في علم الحديث رسوخٌ في علم التحقيق، كيف وقد قطف له زهرة عمره في دائرة المعارف العثمانية بمدينة (حيدر آباد الدكن)، تلك القلعة الشامخة في نشر أمَّات كتب الإسلام، وقد شارك الإمام في كثير منها فاتضح له سبيل التصحيح الصحيح، والتحقيق المليح، بالمعرفة والتجربة، فنهض إلى تلخيص ذلك في هذه الثلاث الرسائل، التي كانت أول مزبورٍ في هذه الفن الشريف مكانة، الممتهن واقعًا، وإلى الله الشكوى.

فحريٌّ بمن سلك سبيل تصحيح الكتب القديمة أن يرتشف من معين ما كتبه هذا الحبر الخرِّيت، رحم الله تلك الأنامل التي جادت بتلك الأحرف النيرة، حمية على تراثنا الخالد، من الغث والعبث، وتعليقات الرفث.

وقد حقق الإمام التسمية الصحيحة لمن يقوم بخدمة الكتب القديمة فقال: «يطلق التصحيح على عملين:

الأول: تصحيح الكتاب التصحيحَ العلميَّ بنفي ما في الأصل أو الأصول من الخطأ، وترتيب مسوَّدة صحيحة.

الثاني: تصحيح الطبع بنفي ما يقع في تركيب حروف الطبع من الخطأ المُخالف لما في المسودة، وتطبيق المطبوع على المسودة المصححة...

هـذا، وقـد اصـطلح المصـريون أخيـرًا علـىٰ تسـمية التصـحيح العلمـي «تحقيقًا» تمييزًا لـه عـن التصـحيح الطبـاعي، والأوضـح: التمييـز بالصـفة كمـا ترىٰ».

وعلىٰ تسـمية المعلمـي هـذه سـلكتُ في وصـف الشـيوخ الفضـلاء الـذين نهضوا بخدمة «آثار المعلمي»، أجزل الله لهم الثواب.

طبعات الرسالتين الأوليين:

- طبعة المكتبة المكية سنة (١٤١٧)، بتقديم ماجد الزيادي.
- طبعـة دار عـالم الفوائـد، سـنة (١٤٣٤) ضـمن «آثـار المعلمـي»، وهـي بخـط الإمـام، ولكنهـا غيـر مكتملـة الأبـواب، وفي الموجـود كفايـة، والله الموفـق والمستعان.

١١٧) «تخريج أحاديث «شواهد التوضيح» لابن مالك، مع ملاحظات علىٰ طبعة الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي».

طُبِـعَ كتاب «شـواهد التوضـيح والتصـحيح لمشـكلات الجـامع الصـحيح» لابـن مالـك في الهنـد سـنة (١٣١٩)، مـن غيـر إحالـة الأحاديـثِ التـي فيـه علـىٰ مواضعها مـن الجـامع الصـحيح، فـنهض الإمـام بهـذا العمـل. ثـم نشـر الكتـاب الأسـتاذ محمـد فـؤاد عبـد البـاقي مـع تخـريج الأحاديـث، فقابـل الإمـام عملـه بنشرته، وفي خلال ذلك ظهرت له فيها مآخذ فقيَّدها في هذا الكتاب.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، وهو تامٌّ بخط الإمام، والحمد لله.

١١٨) «تصحيحات وتعليقات على «سبل السلام شرح بلوغ المرام» لابن الأمير الصنعاني».

لم يسمها الإمام بذلك، بل لم يشر إلى الكتاب الذي تتعلق بها هذه التصحيحات والتعليقات، وإنما تبين لمصححه من قراءته أنها على كتاب «سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام»، للعلامة ابن الأمير الصنعاني (ت:١١٨٢) رَحِمَهُ اللَّهُ.

وهذه التعليقات تتضمن الأخطاء المطبعية التي وقعت في طبعة الكتاب التي كانت بين يدي الإمام المعلمي، وأوهام الشارح، وتعقيبات على آرائه. ومما يبعث على الأسف أن المعلمي لم يتجاوز فيها خطبة الكتاب والأبواب الثلاثة الأولى من كتاب الطهارة.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، وهو بخط الإمام، ولكنه ناقص، والله الموفق والمستعان.

١١٩) «تنبيهات على «الكامل» للمبرد نشرة زكي مبارك».

هكذا سماه مصححه، وهو اسم مطابق.

استهله الإمام بقوله: «طبع كامل المبرِّد مرارًا بإستانبول ومصر، وشرحه بعضُ علماء مصر، ويُدرَّس في مصر. ثم طُبع أخيرًا بمصر سنة (١٣٥٦)، واعتنى بتصحيح المجلَّد الأوَّل منه الدكتور زكي مبارك، صرَفَ في ذلك كما يقول في مقدمته (ص ح): «إنه قضى في تصحيحه شهورًا طِوالًا». ومع ذلك بقي في المجلَّد المذكور مواضع ظهر لي عند مطالعته أنَّها على خلاف الصواب. وأرى أنِّي لو تكلَّفتُ النظر البالغ مع مراجعة المظانِّ لوجدتُ فيه مواضع أخرى. وهذا بيان ما ظهر لي».

وقد بلغ عدد الملاحظات (٦٧) ملاحظة، والأخطاء التي نبَّه عليها الإمام منها ما هو في ضبط النص وتقطيع الأبيات والسقط والتصحيف والتحريف، وبعضها من أخطاء الطبع.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، وهو بخط الإمام، ولكنه غير مكتمل والله الموفق والمستعان.

١٢٠) «تنبيهات علىٰ الجزء الأول من «معجم الأدباء» نشرة أحمد فريد الرفاعي».

هكذا سماه مصححه بهذا الاسم المطابق.

وقد استهله الإمام بقوله: «معجم الأدباء لياقوت قام بطبعه أولاً المستشرق مرجليوث، ثم طُبع أخيرًا سنة(١٣٥٥) بمصر، وقام بتصحيحه وتنقيحه الدكتور أحمد فريد رفاعي مدير إدارة الصحافة والنشر والثقافة المصرية، وراجعته وزارة المعارف العمومية، و«تعهدت بمراجعة نماذجه في أثناء طبعه وتصحيح مسوَّادته». وهو في عشرين جزءًا، طالعتُ الجزء الأول منه، وقيَّدت ما ظهر لي أنَّه خطأ، ولم أستقصِ. وهذا بيان ذلك». ثم سرد أكثر من مئة تنبيه.

قال مصححه: «وقد يظن بعض الناس أن تنبيهات الشيخ المعلمي ربما فقدت الآن قيمتها العلمية بعد صدور النشرة المحققة للكتاب، وأن لها قيمة تاريخية فقط. والواقع أن جملة منها لا تزال صادقة علىٰ هذه الطبعة أيضًا. وأذكر منها علىٰ سبيل المثال ثلاث ملاحظات...».

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، وهو بخط الإمام، ولكنه غير مكتمل، والله المستعان.

١٢١) **«من فرائد المخطوطات المحفوظة في مكتبة الحرم المكي الشريف»**.

هكذا سماه مصححه بهذا الاسم المطابق، وقد قيَّد فيه الإمام أسماء مختارة من مخطوطات المكتبة، وبين موضعها، ووصفها، وبعض النقد عليها.

وهي واحد وستون اسمًا، ستة منها في القراءات، وثلاثة وعشرون في التفسير، واثنان وثلاثون في الحديث. فالمخطوطات التي انتقاها الشيخ محصورة في هذه العلوم الثلاثة، والظاهر أنه لم يتمكن من إتمام هذا العمل.

وقد كتب الأستاذ محمَّد عثمان الكنوي على الدفتر: «بعض فرائد المخطوطات استخرجها عبد الرحمن بن يحيى المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سنة (١٣٨٥). وهي تشمل فرائد المخطوطات في التجويد والقراءات والتفسير وعلوم القرآن والحديث ومصطلحه». ثم كتب الأستاذ الكنوي تحته اسمه وتحت اسمه توقيعه، مما يدل على أن هذا العمل من آخر أعمال الإمام؛ لأنه كتبه قبل وفاته بنحو عام، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

طبعات الكتاب:

- طبعة المكتبة المكية، سنة (١٤١٨)، بتقديم ماجد الزيادي.
- طبعة دار عالم الفوائد سنة (١٤٣٤)، ضمن «آثار المعلمي»، وهو بخط الإمام، ولكنه غير مكتمل، والله الموفق والمستعان.

١٢٢) **«فوائد المجاميع»**.

هكذا سمَّاه مصححه، الذي عَمَد إلى دفاتر الإمام المعلمي التي كان يزبر فيها ما يجول بفكره من فوائد ونِكات سواءٌ أكانت من بنات فكره، أو من منقولاته عن غيره، وقد بلغ عدد تلك الدفاتر والكنانيش التي استخرج منها

تلك الفرائد عشرين دفترًا، وهي من محفوظات مكتبة الحرم المكي الشريف، التي كان المعلمي حِلْسها وجليسها سِنيه الأخيرة حتىٰ دُعي به فأجاب، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ولقد حوت تلك الدفاتر نفيس الفوائد، ودقيق الفرائد، وسابغ العوائد، فبوركت أنامل كتبتها، وأنامل صححتها ونشرتها.

وإذا أرحبت النظر فيها تبين لك حرص هذا الحبر علىٰ العلم، وعلىٰ الوقت، فلا يكاد القلم والورق يغادر جيبه، جريًا منه علىٰ سنة الأسلاف، وسنة الأسلاف نرويها: «الفائدة صيد والحزم في استعجال القيد»، فهي مما رَقَمَهُ في سني حياته في (اليمن)، و(عسير)، و(الهند)، و(مكة)، لم تشغله كرب الاغتراب، وهول الأسفار عن تقييد العلم.

وقد عَمَد المصحح إلىٰ ترتيب تلك الفوائد علىٰ الفنون، فجاءت علىٰ هذا الترتيب:

- الفوائد التفسيرية، مرتبة علىٰ السور القرآنية.
- الفوائد العقدية.
- الفوائد الحديثية، مرتبة علىٰ ترتيب كتب الحديث التي علَّق عليه الإمام.
- الفوائد الفقهية، مرتبة علىٰ أبواب الفقه المعروفة.
- الفوائد الأصولية.
- الفوائد اللغوية.
- الفوائد المتفرقة.

والكتاب من فرائد «آثار المعلمي»، وأكثره تامٌّ وهو بخط الإمام، ولله الحمد.

١٢٣) **«المقدمات وما إليها»**[1].

اشتغل الإمام المعلمي بالتحقيق والتصحيح لعشرات المجلدات في طبقات الرواة، وتراجمهم، وما يتصل بذلك الفن، قسيم الفن الشريف: علم الحديث، وقدم لبعض تلك الكتب بمقدمات نفيسة، اعتصر فيها معرفته وتجربته، فأضحت جديرة بالوقوف عليها والاستفادة منها، فهي تنضح بالتحقيقات النيرة، فكان من الخير أن تُجمع هذه المقدمات في مكان واحد ليسهل الاطلاع عليها جميعًا. فإن الكتب التي حققها الإمام قد لا تحصل جميعها عند من يرغب فيها، وإن حصلت فقد حُذفت بعض المقدمات من تلك الكتب لمّا أعيد تصويرها. وهي أيضًا جزء من تراث الإمام المكتوب، وتكشف جانبًا مهمًّا من حياته العلمية الطويلة مع التراث، وتمثّل خلاصة تجاربه الثرّة في تصحيح الكتب وتحقيقها.

وعدد المقدّمات التي جُمعت خمس عشرة مقدمة وخاتمة طبع، وهي بحسب ترتيبها في هذا السِّفر:

- مقدمة «الإكمال»، لابن ماكولا.، وهي أطول المقدمات؛ فقد بلغت (٦٨) صفحة!
- مقدمة «الأنساب»، للسمعاني.
- مقدمة «الجرح والتعديل»، لابن أبي حاتم.
- مقدمة «تاريخ جرجان»، للسهمي.

(١) هذه المقدمات هي المجلد الخامس والعشرون من «آثار المعلمي»، بتصحيح الشيخ علي العمران -أثابه الله-، وبعض التعريف مقتبس منه.

- مقدمة «الموضح لأوهام الجمع والتفريق»، للخطيب.
- مقدمة كتاب «بيان خطأ محمد بن إسماعيل في التاريخ»، لابن أبي حاتم.
- مقدمة «المعاني الكبير»، لابن قتيبة.
- مقدمة «الفوائد المجموعة»، للشوكاني.
- مقدمة «المنار المنيف»، لابن القيم.
- مقدمة «تذكرة الحفاظ» للذهبي.
- مقدمة «كشف المخدّرات»، للبعلي.
- البحث عن كتاب «الكنىٰ»، للبخاري.
- خاتمة طبع «الكفاية»، للخطيب.
- خاتمة طبع «نزهة الخواطر»، للحسني.
- خاتمة طبع «معجم الأمكنة لنزهة الخواطر»، للندوي.

ثم أتبع المصحح -أثابه الله- المقدمات تقريظين كتبهما الإمام لكتابين من كتب الحديث، ألَّفهما عالمان من علماء الحديث، وهما:

- تقريظ كتاب «فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد»، للجيلاني.
- تقريظ كتاب «مسند الصحيحين»، للشيخ عبد الحق الهاشمي.

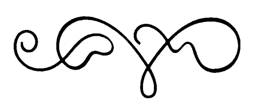
ثم رأىٰ المصحح أن يزيد إلىٰ ذلك تعليقين للإمام لهما علاقة بالتحقيق، هما:

- تحقيق لفظة (أبنا) (أنبأ) في «سنن البيهقي».
- تحقيق نسبة (العندي). من حاشية «الإكمال».

فالمجموع تسع عشرة مقدمة وما تَبِعها من تقاريظ وتعاليق.

تلك هي المقدمات التي جاد بها قلم هذا الحبر، مع استثقاله لكتابة المقدمات، وقد بيَّن ذلك في خطبة تحقيق كتاب «الأنساب» بعد أن كان يأمل أن يقوم أحد منسوبي دائرة المعارف العثمانية بكتابتها - وقد شاركوه في مقابلة بعض نسخها - قال: «وأنا مع كثرة اشتغالي أستثقل كتابة المقدمات، وأراها مما لا أحسنه...»[1].

وقد اعتمد المصحح في جمعها على الطبعات الأولى لتلك المؤلفات، سوى تقريظ الإمام لكتاب المحدث عبد الحق الهاشمي، فقد ناله من شيخه عبد الوكيل بن عبد الحق الهاشمي.



(١) «آثار المعلمي» (٢٥/ ٧٢).



الفصل الثاني

الآثار التي لم تطبع[1]

١) «ديوان شِعر».

يبدأ الديوان بقوله: «الحمد لله» ثم قصيدة:

وإنك توَّابٌ كما أنت منعِمٌ ومنتقم يا ربّ من كل ذي شرٍّ

غالب قصائد الديوان في ثلاثة أبواب: المديح. وصف معارف وفتوحات الأمير الإدريسي. الغزل.

وحِقبة الديوان هي عشر سنوات من عمر الإمام، فأقدم قصيدة فيه قِيلت سنة (١٣٢٩) وعمره سبعة عشر عامًا، وآخر تاريخ سنة (١٣٤١) وعمره تسعة وعشرون عامًا.

ويحتوي الديوان علىٰ تخميسات لبعض القصائد، بعضها بالشعر الحُميني (النبطي)، فمنها قصيدة مطلعها:

يا الله باسمك نبتدي يا صاحب الفضل الهتون

يا من جمعْ تدبير كلْ ل الملك في كاف ونون

يقع الديوان في مجلد واحد في (٣٣٣) ورقة، ثم ألحقت به أربع ورقات فيها مقطوعات وقصائد في أبيات، ثم أَلحق به تلميذه الحكمي أوراقًا مصورة

(١) مستفاد من «المدخل» للشيخ العمران (١٨٩-١٩٣).

كتب عليها «القصائد الهندية» فيها قصائد، كل قصيدة نحو ورقتين. ليس عليه اسم الناسخ، لكنه كتَبَ في آخر النسخة: «تم الديوان المبارك قليل الوجود في أغوارها والنجود بما حواه من القصائد الفرائد الخرائد لعله في يوم الأربعاء ثالث يوم - والله أعلم - من شهر الحجة الحرام بعناية تحفة زمانه ووقته حميد الشِّيَم سخي اليمن: الشيخ الكامل نجل الأخيار الأفاضل محمد حكمي ابن الشيخ يحيىٰ زكي الحكمي، أدام الباري وجودهم في عافية وستر الدارين آمين».

ثم لما فرغَ أخذ الإمام النسخة وقرأها قراءة كاملة، فقيّد وزاد ونَقَصَ ونقّح، ويمكن إيجاز ما عمله المعلمي في نقاط:

- كتب في رأس كل قصيدة تاريخ كتابتها ومناسبتها.
- ميّز قصائده وأشعاره من أشعار غيره، فهناك بعض من الأشعار ليست له.
- زاد في الحواشي أبياتًا وربما قصائد برمتها.
- أصلح بعض الأبيات سواء كلمة أو شطر بيت أو بيتًا بتمامه.
- أصلح خطأ الناسخ أو وهمه، وتقييد بعض الكلمات.
- صدر جميع القصائد بقوله: «للحقير» تواضعًا منه.

أما المانع من طبعه ضمن «آثار المعلمي»، فيقول الشيخ علي العمران: «السبب ما كتب علىٰ صفحة عنوانه بخط الأستاذ عبد الله الحكمي قال: «لا يجوز طبعه ولا إعارته لأحد، وإنما يُعدّ وثيقة تاريخية لفترة من فترات الشيخ عبد الرحمن المعلمي في مقتبل عمره كشاعر وأديب وقاضي في نفس الوقت والزمان. حرره تلميذه عبد الله بن محمد حكمي، مكة المكرمة سنة ١٣٨٦ هـ» ا.هـ

والـذي تحققتـه أن الشـيخ المعلمـي هـو مـن أعطـىٰ الحكمـي نسـخةَ الـديوان للاحتفاظ به، لكن هل أوصاه بعدم طبعه أو تصويره؟ ذلك ما لـم نتبيّنه، ولـو أراد الشيخ إتلافه لأحرقه أو مزَّقه أو غسله، فإن ذلك أقوىٰ لغرض الإتلاف مـن مجـرّد إعطائه لأحد التلاميذ كما هو معلوم».

قال الأسـدي: لا أستبعد إشارة الإمام المعلمي علىٰ تلميذه بمنع طبع ديوان شعره، ويلوح لي أن السبب هو أن الديوان مرآة مرحلة الشباب المتوهج بالعنفوان، والديوان كما تقدم؛ غالبه: في الغزل والمديح، وأزيد: الهجاء.

أما الغزل فظني به غزلًا عفيفًا، كما تقدم بعضـه في الفصـل الثـاني عشر مـن البـاب الثـاني، وإن كـان فيـه مـن كشـف وترشـيح ففـي الوصـف المجـرد عـن التخصيص.

وأما المديح، فشأنه المبالغة، وخلع ألقاب التفخيم والإكبار للممـدوح، فكيـف إذا كـان هـو ملـك الـبلاد المفـدىٰ! وكيـف إذا كانـت القصـائد محفوفـة بمنافسـة الأقـران! واضـطراب الأتـراب، كمـا تـوحي بـه «منـاظرة أدبيَّـة بـين المعلمي والسنوسي»، والرسائل إلىٰ القاضي العمودي.

وأما الهجاء، فعجينته المبالغة، ورمي المذموم بكل حجر ومدر، وهو هنـا الإمام يحيىٰ حميد الـدين، حـاكم الـيمن المطلـق في ذلـك الوقـت، وهـو علـىٰ طـرف المنابـذة لعشـيرة آل المعلمـي؛ لاخـتلاف المـذهب، فهـو هـادوي وهـم شافعية، فلم يكونوا يطيقونه ولا يطيقهم، وقد كانت جنوده تتايع[1] علىٰ محَلـة (الطفـن)، بـالقيود والأغـلال لمـن يُشـم منـه رائحـة المعارضـة، أو المـوالاة للخصوم، كالإدريسي خصم المملكة المتوكلية اللدود!

(١) «التتابع في الخير، والتتايع في الشر» «آثار المعلمي» (٢٠/ ٢١٥).

إضافة إلىٰ ما ظهر للإمام المعلمي؛ لأنه عمل في القضاء كاتبًا لحاكم (عُتُمة) الهادوي، من أعمال التعسف والجبروت علىٰ تلك الديار كما هي السنة الماضية الباقية لحكام صنعاء!

وانتقل الإمام المعلمي إلىٰ مملكة الإدريسي فازدادت الكراهية لحاكم (صنعاء)!

وإذا كان الحال هكذا فما عسىٰ أن يأتي الهجاء إلا موجعًا أليمًا، ففي قصيدة أنشأها المعلمي سنة (١٣٣٥) وصدّرها بقوله: «قبل توجهي إلىٰ الإدريسي»، ومضمونها شكوىٰ إلىٰ السيد محمد بن علي الإدريسي لرفع الظلم عن البلاد اليمانية التي تحت حكم الأئمة الزيدية. ومطلعها (الطويل):

ظَفِرت بقلب الصبّ فاكفف عن الصدّ

وكن عادلًا في الحكم يا عادل العدِّ

ويقول فيها:

همُ أخذوا الأحرارَ مِنّا رهائنًا وهمْ أخذوا الأموالَ قهرًا بلا عقد

همُ ظلمونا واستباحوا محارمًا وأصبح مِنّا الليث يخضع للقرد

فهم عاملونا بالقساوة غِلْظةً وهم كفَّرونا إذ وقفنا علىٰ الرشد

وقالوا لنا إنّا كفرنا بقولنا لهم: إنما الأعمار من قَدَرِ الفرد

وقال في رسالة إلىٰ القاضي العمودي: «...وأمَّا ارتجالي القصائد أيام كنت في الوطن في هجاء إمامكم الأعظم وأهل دولته، فإنْ أردتَ به المُبْطل ابن حَمِيد الدين فلا حاجةَ لنقل الثقة؛ إذ قد سمعتموها من لساني...»[1].

(١) «المدخل إلىٰ آثار المعلمي» (٢٧٦).

وفي رسالة أخرىٰ قال له: «وأما قولك: إن الثقة أخبرك أني هجوت الإمام في سابق الأيام، فإن كنت تعني: ابن حميد الدين، وقد سلمتُ له لفظ الإمام فأنا أهجوه في السياق واللحاق، ولا حاجة للنقل إذْ قد سمعتَ قصائدي بأذنك... وهذه نسخ قصائدي السابقة وأنا بالوطن موجودة بذم ابن حميد الدين وحزبه»[١].

هكذا كان الحال في تلك السنين الغابرة الغبراء، ثم تقادمت السِّنون، وتباعدت الأقطار، وتناسىٰ القلب المجروح تلك القروح، وحلت سنة التداول الرباني، فقُتل الإمام يحيىٰ حميد الدين في يوم الثلاثاء السابع من شهر ربيع الأول سنة (١٣٦٧)، والمعلمي حينها في الديار الهندية، ودخلت اليمن في ظلام أشد، إلىٰ أن جاء يوم الأربعاء السابع والعشرين من ربيع الآخر سنة (١٣٨٢) الموافق (٢٦/ سبتمر/ ١٩٦٢م) وأُعلن في (صنعاء) طي بساط حكم الأئمة، وقيام النظام الجمهوري.

والإمام المعلمي حينها في مكة المكرمة، ودخلتْ اليمن في سنوات صراع دموي مرير.

وأحس الإمام المعلمي بدنو الأجل؛ فإنه توفي سنة (١٣٨٦)، وما زُبر علىٰ الديوان بخط تلميذه الحكمي كان سنة (١٣٨٥) وقد ذهب زمن تلك القصائد ونفعها، فلم يبقىٰ فيها إلا حكاية حِقبة تاريخية لها نظائرها في تاريخ اليمن علىٰ تطاول القرون! فلعله هنا أشار بطي الديوان، كما طويت أكفان من قِيلت فيهم مدحًا وقدحًا، والله الموعد، وهو الحكيم الخبير.

---

(١) «مقدمة عمارة القبور» للزيادي (٢٤).

فإن قيل: لِمَ لَمْ يأمر المعلمي بإتلاف الديوان، بالغسل ونحوه، كما أُثر ذلك عن جماعة من أهل العلم السابقين؟[1].

فأقول: لعله أراد أن يَعمِد ضليع بالتاريخ والأدب إلىٰ ديوانه فيستخرج الأبيات الخالية عن أحداث السنين البالية، ويخرجها للقراء؛ ليستفيدوا منها.

هذا ما يلوح للخاطر الفاتر، فإن قنعت به وإلا فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام، وهناك الديوان، وأبناء الحكمي، ومشرف تصحيح تراث المعلمي: علي العمران، والله الموفق والمستعان.

٢) «ترجمة الإدريسي».

مسوّدة في ورقتين، ليس فيهما إلا الديباجة والثناء علىٰ الأمير محمد بن علي الإدريسي وأسماء فصول الرّسالة، والظاهر أنه لم يكملها.

٣) «شرح الآجُرُّومية».

كتب منه ورقات قليلة، ولم يكمله.

٤) «رسالة في كيفية الصلاة كما صلاها النبي ﷺ».

ناقصة، والورق متآكل ومتكسّر من منتصف الصفحات.

٥) «أوراق في مسألة قصر الصلاة للمسافر».

في تسع ورقات، متآكلة من الأعلىٰ والأسفل، ناقصة الأول والآخر.

٦) «رسالة في حديث جابر في صلاة ركعتين والإمام يخطب يوم الجمعة».

مسوّدة في نحو عشر ورقات، ناقصة ومضطربة الترتيب.

---

(١) منهم السمعاني انظر «آثار المعلمي» (٢٥/ ٨٠).

٧) «تقرير مفصّل عن بروفة من كتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم».

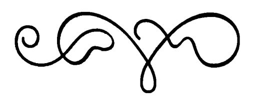
في أربع صفحات من القِطَع الكبيرة جدًّا، كتبها في جدول كبير، لكن يصعب طباعته بهذا الشكل، وتغيير الهيئة التي وضع عليها يفسد الغرضَ من تأليفه، وحقّه أن يصوّر على هيئته بحيث تطوى أوراقه وتُنشر كما هو حال الخرائط الملحقة بأواخر الكتب.

٨) كتاب «الفرائد».

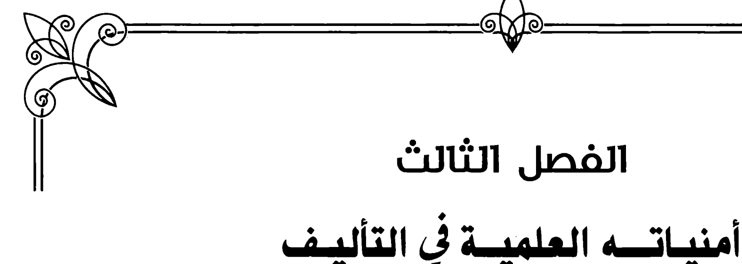
أشار إليه الإمام بقوله: «وقد أوضحت هذا في الفرائد». وبقوله: «وتمام الكلام على هذا يطول، فله موضع آخر، وعسى أن أبسطه في الفرائد إن شاء الله تعالى»[1].

قال الشيخ العمران: «ولم أقف له على خبر غير هذه الإشارة».

٩) «وصيته العامة لعشيرته آل المعلمي»، سمعتُ بها من بعض أقاربه، ولم يُعثر عليها حتى الآن.



(١) «آثار المعلمي» (٧/ ١١٨).



الفصل الثالث

أمنيــاتــه العلميــة فِي التأليـف

في روضة جرد مؤلفات هذا الحبر، وقفت على تمنيه لمؤلفات في بعض أبواب العلم، فأردفت بها آثاره، فلعله كان يتمنى أن يؤلف فيها، إن كان في العمر فسحة، وفي الحال مكنة، وبعض هذه الأمنيات العلمية كان المعلمي قد شرع فيها، لكنه لم يستوف الكلام، وفي بعضها أشار إلى تمنيه ممن يقف عليها أن يستوفي النظر فيها، وإلى بيان تلك الأمنيات:

١) «ولعلَّنا إن شاء الله يتيسَّر لنا [شرح] الآيات المتعلِّقة بأهل الكتاب جميعها... بتفسيرها، ولكني الآن في شغل»(١).

٢) «لا أعلم من صمد لتحقيق مسألة الشفاعة كلها، واجتثاث شجرة الخطأ فيها من أصلها»(٢).

٣) اختتم بحثه النفيس في «عقيدة العرب في وثنيتهم بقوله: «هذا ما تيسَّر لي تعليقه في هذه الكلمة، وعسى أن يكون فيه ما يحسُن موقعه عند أهل العلم، ويبعثهم على استقصاء النَّظر في هذا الموضوع وما يتَّصل به»(٣).

---

(١) «آثار المعلمي» (٧/ ٨٥، ١١٨).

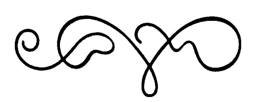
(٢) «آثار المعلمي» (٦/ ٣٠١).

(٣) «آثار المعلمي» (٦/ ١٧٨).

٤) اختتم كلامه في جهود المحدثين في حفظ سنة سيد المرسلين بقوله: «فهذا الباب يحتمل كتابًا مستقلًّا. وأرجو أن يكون فيما ذكرتُه ما يدفع ما يرمي إليه المستشرقون وأتباعُهم - بإفاضتهم في ذكر الوضع - من تشكيك المسلمين في دينهم وإيهامهم أنّ الله تعالىٰ أخلَّ بما تكفَّل به مِنْ حفظ دينه، وأنَّ سلف الأمة لم يقوموا بما عليهم أو عَجَزوا عنه فاختلط الحقُّ بالباطل، ولم يبق سبيل إلىٰ تمييزه. كلَّا بل حجة الله تعالىٰ لم تزل ولن تزال قائمة، وسبيل الحق مفتوحًا لمن يريد أن يسلكه ولله الحمد»[1].

٥) رد مطاعن أبي رَيَّة في راوية إسلام أبي هريرة بإمارته للبحرين وما أعقب ذلك من عزل الفاروق رضي الله عنه له ختم كلامه بقوله: «والقضية تحتاج إلىٰ مزيد تتبّع وتأمّل»[2].

٦) ولما تكلم في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ١٠٥]، وأنه لا دلالة فيها علىٰ أن الكذب لا يصدر إلا عن كافر، وإنما تدل علىٰ أن افتراء الكذب هو من الأخلاق التي عُرِفَ بها الكفار، ثم ختم كلامه بقوله: «والبحث مفتقر إلىٰ تحقيق، وإنما علقتُ هذا هنا تقييدًا حتىٰ أنظر التفاسير إن شاء الله وأشرح ما يظهر لي والله الموفق»[3].



(١) «آثار المعلمي» (١٢/ ١٢٣).
(٢) «آثار المعلمي» (١٢/ ٣١١).
(٣) «آثار المعلمي» (٢٤/ ٤٨-٤٩).



الفصل الرابع

التحقيقات لكتب السلف[1]

المبحث الأول: ما انفرد بتصحيحه وتحقيقه، وهي الكتب التالية:

١) «التاريخ الكبير»:

للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦). وقد حققه وعلق عليه سوى الجزء الثالث الذي هو المجلدين الخامس والسادس من المطبوع، فقد كانت نسخ الكتاب المتوفرة ينقصها هذا الجزء. وقد حققهما غيره فيما بعد، ولذلك وقع فيهما من الأخطاء ما لم يقع في غيرهما. وتعليقات الإمام دالة على تحقيق وتحرير، وهي ما بين مختصرة في كلمات ومطولة في صفحات.

وقد طبعته دائرة المعارف العثمانية بين عامي (١٣٦٠ - ١٣٦٢). أما المجلدان الخامس والسادس فطبعا في عامي (١٣٧٧ و١٣٧٨).

٢) «كتاب الكنى». للإمام البخاري. طبع سنة (١٣٦٠).

٣) «الجرح والتعديل»:

للإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت: ٣٢٧). طبع كاملًا مع تقدمته في دائرة المعارف العثمانية بين سنتي (١٣٧١ - ١٣٧٣) في تسعة مجلدات. وكتب له الإمام مقدمة نفيسة، وهي مزبورة في كتاب «المقدمات وما إليها»، آخر مجلد في «آثار المعلمي».

---

(١) مستفاد من «المدخل إلى آثار المعلمي» (١٩٤-).

٤) **«بيان خطأ محمَّد بن إسماعيل البخاري في تاريخه»**:

للإمام أبي محمَّد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت: ٣٢٧). وقد طبعته دائرة المعارف العثمانية سنة (١٣٨٠)، ومقدمة المعلمي له، مذكورة في كتاب «المقدمات وما إليها»، آخر مجلد في «آثار المعلمي».

٥) **«المعاني الكبير»**:

لأبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدِّينَوري (ت: ٢٧٦). طبع بدائرة المعارف بـ (حيدر آباد الدكن) في مجلدين سنة (١٣٦٨-١٣٦٩)، ثم طبع بعد ذلك في ثلاثة مجلدات، وقد قدم له الإمام بكلام نفيس، مزبورة في كتاب «المقدمات وما إليها»، آخر مجلد في «آثار المعلمي».

٦) **«تاريخ جرجان»**:

للحافظ حمزة بن يوسف السهمي (ت: ٤٢٧)، طبع في دائرة المعارف العثمانية سنة (١٣٧٠) في مجلد واحد، ومقدمته النفيسة وهي مزبورة في كتاب «المقدمات وما إليها»، آخر مجلد في «آثار المعلمي».

٧) **«الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب»**:

للحافظ الأمير ابن ماكولا (ت: ٤٧٥). طبع في دائرة المعارف العثمانية في السنوات (١٣٨٢-١٣٨٦)، وقد صدرت بتحقيقه ستة مجلدات إلى أثناء حرف العين، وطبع المجلد السادس بعد وفاة الإمام بأشهر في جمادى الأولى سنة (١٣٨٦).

٨) «الأنساب»:

للإمام أبي سعد السمعاني (ت: ٥٦٢)، طبع في دائرة المعارف العثمانية سنة (١٣٨٢)، وكان آخرها المجلد السادس سنة (١٣٨٦)، بعد وفاة الإمام بثلاثة أشهر، ولم يكمل الإمام تحقيقه. ثم أكمله جماعة من المحققين وطبع في دائرة المعارف في اثني عشر مجلدًا، وأعادت صفّها وإخراجها مكتبة محمَّد أمين دمج في بيروت.

٩) «الموضح لأوهام الجمع والتفريق»:

للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣). طبع في دائرة المعارف العثمانية سنة (١٣٧٨-١٣٧٩)، في مجلدين، قدم له الإمام بمقدمة نفيسة، جمعت في كتاب «المقدمات وما إليها»، آخر مجلد في «آثار المعلمي».

١٠) «تذكرة الحفاظ»:

للحافظ أبي عبد الله شمس الدين الذهبي (ت: ٧٤٨). طبع في دائرة المعارف العثمانية سنة (١٣٧٥-١٣٧٧) في مجلدين في أربعة أجزاء، اعتمد فيها على نسخة خطية ومطبوعة قديمة، واقتصرت تعليقاته على المقابلة بين النسختين مع تصحيح النص.

١١) «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة»:

لشيخ الإسلام محمَّد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٠). طبع في مجلد واحد في مطبعة السنة المحمدية سنة (١٣٧٩)، وقد قدم له الإمام المعلمي بمقدمة حديثية نفيسة، وهي مزبورة في كتاب «المقدمات وما إليها»، آخر مجلد في «آثار المعلمي».

وتعليقات الإمام في غاية النفاسة، قرأتُها أكثر من مرة، فحريٌّ بالمشتغل بعلم الحديث، الوقوف عليها.

١٢) «**الرد علىٰ الإخنائي واستحباب زيارة خير البرية الزيارة الشرعية**»:

للإمام أبي العباس ابن تيمية (ت: ٧٢٨). صحح نصه، وعزا أحاديث الكتاب إلىٰ مصادرها في كتب السنة المشهورة، فهو يكتفي بما في «الصحيحين» أو أحدهما، ثم السنن الأربع، ثم الموطأ ومسند أحمد. لم أقف علىٰ تاريخ طبعه.

١٣) «**المنار المنيف في الصحيح والضعيف**»:

للحافظ ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١)، صحح الإمام المعلمي الكتاب وعلق علىٰ بعض المواطن فيه، معتمدًا علىٰ نسخة مطبوعة وأخرىٰ مخطوطة، لكن الكتاب لم يطبع في حياته، وطبع بعد ذلك بتقديم الشيخ منصور السماري عن دار العاصمة سنة (١٤١٦).

١٤) «**كشف المخدَّرات والرياض المزهرات شرح أخصر المختصرات**»:

للشيخ البعلي الحنبلي (ت: ١١٩٢). طبع في مجلدين عن المكتبة السلفية سنة (١٣٧٠).

١٥) «**لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**»:

للعلامة محمد بن أحمد بن سالم السفَّاريني (ت: ١١٨٨)، ذكر ذلك بعض مَن ترجم للمعلمي، ولم أقف علىٰ هذه الطبعة، ولا علىٰ من ذكر أنه وقف عليها، فالله أعلم.



المبحث الثاني: ما شارك في تصحيحه وتحقيقه:

١) «تنقيح المناظر لذوي الأبصار والبصائر»:

لكمال الدين الفارسي (ت: ٧٢٠)، طبع في مجلدين سنة (١٣٤٧-١٣٤٨)، في دائرة المعارف العثمانية.

٢) «الأمالي الشجرية»:

لأبي السعادات هبة الله بن علي بن حمزة العلوي الحسني المعروف بابن الشجري (ت: ٥٤٢)، في جزئين، طبع في دائرة المعارف العثمانية سنة (١٣٤٩).

٣) «الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة»:

للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢)، طبع بدائرة المعارف العثمانية سنة (١٣٤٩-١٣٥٠).

٤) «نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر»:

لعبد الحي الحسني الندوي (ت: ١٣٤١)، شارك في تحقيق المجلد الثاني، وطبع بدائرة المعارف العثمانية سنة (١٣٥٠).

٥) «معجم الأمكنة لنزهة الخواطر»:

للفاضل الأريب الحاج معين الدين الندوي (ت:؟)، طبع بدائرة المعارف العثمانية سنة (١٣٥٠).

٦) «السنن الكبرىٰ»:

للإمام البيهقي (ت: ٤٥٨)، وبذيله «الجوهر النقي» للعلامة ابن التركماني (ت:٧٥٠).

وقد شارك الإمام في التحقيق من أول الجزء الرابع، وقد طبع بدائرة المعارف العثمانية سنة (١٣٥١)، إلى نهاية الجزء العاشر الذي طبع سنة(١٣٥٥).

٧) «صفة الصفوة»:

لابن الجوزي (ت: ٥٩٧)، طبع بدائرة المعارف العثمانية سنة (١٣٥٥-١٣٥٦).

٨) «مفتاح السعادة، ومصباح السيادة في موضوعات العلوم»:

لأحمد بن مصطفى طاش كبري زادة (ت: ٩٦٨)، طبع بدائرة المعارف العثمانية سنة (١٣٥٦).

٩) «الأمالي»:

لليزيدي محمد بن العباس (ت: ٣١٠)، طبع بدائرة المعارف العثمانية سنة (١٣٥٧)، وجاء في مقدمته للمصحح عبد الله بن أحمد العلوي الحسيني الحضرمي ما لفظه: «...فشرعنا في طبعه بمساعدة العلامة المحقق الشيخ عبد الرحمن بن يحيى اليماني مصحح دائرة المعارف».

١٠) «الكفاية في علم الرواية»:

للحافظ أبي بكر الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣)، طبع بدائرة المعارف العثمانية سنة (١٣٥٧).

١١) «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم»:

للإمام أبي الفرج ابن الجوزي (ت: ٥٩٧)، من الجزء الخامس إلى العاشر، طبع بدائرة المعارف العثمانية في السنوات (١٣٥٧-١٣٥٩).

١٢) «عمل اليوم والليلة»:

للحافظ ابن السني (ت: ٣٦٤)، طبع بدارة المعارف العثمانية سنة (١٣٥٨).

١٣) الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار:

للإمام الحازمي (ت: ٥٨٤)، طبع سنة (١٣٥٩).

١٤) «إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم»:

للحسين بن أحمد بن خالويه (ت: ٣٧٠)، طبع سنة (١٣٦٠).

١٥) «مسند أبي عوانة»:

للإمام أبي عوانة يعقوب بن إسحاق الإسفراييني (ت: ٣١٦)، طبع سنة (١٣٦٢).

١٦) «المعتصر من المختصر من مشكل الآثار»:

ليوسف بن موسىٰ المَلَطي الحنفي (ت: ٨٠٣)، طبع سنة (١٣٦٣).

١٧) «دلائل النبوة»:

للحافظ أبي نعيم الأصبهاني (ت: ٤٣٠)، طبع سنة (١٣٦٩).

١٨) «موارد الظمآن إلىٰ زوائد ابن حبان»:

للحافظ نور الدين الهيثمي (ت: ٨٠٧).

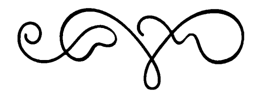
١٩) «الجواب الباهر في زوّار المقابر»:

لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨)،. وقد اشترك معه في تحقيقه الشيخ سليمان الصنيع.

٢٠) «عمدة الفقه»:

للإمام موفق الدين ابن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠)، طبع سنة (١٣٧٩).

وبهذا ينتهي الكلام على آثار الإمام المعلمي، في التأليف، والتحقيق، رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأجزل له الثواب، إنه هو الكريم الوهاب.





الباب الخامس

وصيــة الإمــام الـمعلمي لتلمـيذه



الفصل الأول

التعريف بالوصية

نِلت هذه الوصية المباركة؛ في إحدىٰ زياراتي للموصىٰ يوم الجمعة (٢٣/ جمادىٰ الأولىٰ سنة (١٤٢٨)، وبعد سماع بعض أخباره عن حياته مع شيخه الإمام المعلمي اختتم الحديث بقوله: «عندما عزمت علىٰ الرجوع من مكة المكرمة إلىٰ الوطن، طلبت من شيخنا وصية نافعة جامعة تكون بمثابة نبراس لي في مديد حياتي، فأجابني إلىٰ طلبي، وهو مثقل بالتحقيق والتأليف، وها هي..». أعطاني وعينه شَكْرىٰ، ودعاؤه لي ولشيخه تترىٰ.

ولما أرحبت الناظر وأنعمت الخاطر حمدت الله علىٰ توفيقه وإفضاله، بنوال هذه الوصية النافعة الجامعة لأصول الاعتقاد والأخلاق، وبعد استخارةٍ واستشارةٍ انعقد العزم علىٰ نشرها؛ ليعم الانتفاع بها، ويصل ثوابها إلىٰ مؤلفها، رَحِمَهُ اللَّهُ، ولما فرغت من التعليق عليها، رغب الشيخ عبد الرحمن بن عبد القادر المعلمي أن يطلع عليها، فأعطيته الوصية مع تعليقاتي وهي في التجارِب (البورفات)، فاستلَّ متن الوصية، ونشرها عن دار ابن حزم، بغير إشعار فضلًا عن استئذان، وكتب في مقدمتها أن الذي حال بيني وبين إخراجها هو مرض ألمَّ بي، وليس بصحيح، بل هو التأني والتريث، وتلقفها شيوخ

التصحيح لـ «آثار المعلمي» فنشروها ضمن «آثار المعلمي» وقالوا: «لم نقف على أصل هذه الوصية وإنما اعتمدنا في نشرها على مطبوعتها التي صدرت عن دار ابن حزم في بيروت سنة (١٤٣٠) بعناية [بل بجناية] الشيخ عبد الرحمن بن عبد القادر المعلمي».

ولما اطلع الموصى على هذه الجناية، كتب ما لفظه: «بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على [سيد] الأنبياء والمرسلين.

أما بعد: فإني لما عزمت على العودة من مكة المكرمة إلى الوطن طلبت من شيخنا العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي أن يكتب لي وصية نافعة جامعة، أستفيد منها فيما بقي من العمر، فأجابني على ما طلبت منه، وقد استفدت منها وأفدت غيري فيما يقرب من نصف قرن من الزمن، ثم في عام (١٤٢٨) أعطيت الوصية الولد الأستاذ أحمد بن غانم الأسدي ليقوم بنشرها لما رأيت عنده من الاهتمام بنشر ما يتصل بحياة الشيخ عبد الرحمن المعلمي، وقد سبق له ترجمة لشيخنا، فعلى هذا: الوصية بخط شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ والولد أحمد بن غانم الأسدي أحق بنشرها، وهو أهل لذلك، وإنَّ أي نشر لها من غيره يعتبر خيانة علمية.

فرحم الله شيخنا عبد الرحمن وأثابه على هذه الوصية وغيرها، وشكر الله الولد أحمد بن غانم [على] الاهتمام بحياة شيخنا العلمية، ونشر علومه، والتعريف بمحاسنه.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه.

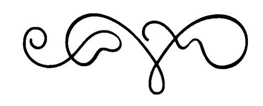
كتبه

محمد بن أحمد بن محمد المعلمي

٤ من شهر شعبان سنة ١٤٣٤.

التوقيع»اهـ

ثم إني نشرتها بتعليقات يسيرة عن دار المعارج بمصر سنة (١٤٣٥)، ولما نَفِدت النسخ المطبوعة، للترجمة، وللوصية، وللمراسلات الشخصية، عزمت على جمعها كلها في كتاب واحد، بترتيب أرجو أن يكون حسنًا، محاولة في تقديم بعض الوفاء للإمام المعلمي، ورد جميله على العلم وأهله، والله الموفق والمستعان.





الفصل الثاني

ترجمة الموصَى

هو الشيخ المفضال العابد الزاهد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد المعلمي.

ولد سنة (١٣٥٠) ونشأ في حجر والديه وتلقى تعليمه الأول على يد والده، وبعض فقهاء بلده، لا سيَّما من آل المعلمي - الذين اشتُهروا بالعلم والتعليم خلفًا عن سلف-

وفي سنة (١٣٧٢) رحل إلى مكة المكرمة قاصدًا الحج، وهناك في رحاب بيت الله العتيق التقى الإمام المعلمي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -، فبقي هناك ينهل من علوم علماء البلد الحرام ولاسيَّما الإمام المعلمي الذي لازمه ملازمة الظل لصاحبه.

أما الكتب التي درسها على شيخه فقد ذكرها الإمام المعلمي في أول الوصية. وهي في العربية: الآجرومية، فالمتممة، فالقطر، وطرفا من ألفية ابن مالك- مع إعراب بعض أجزاء القرآن الكريم- وفي الفقه: أكثر «زُبَد ابن رسلان»، و«الرَّحَبية» مشروحة، وسمع منه ما يجب في الاعتقاد، والعمل الذي تضمنته هذه الوصية النافعة.

وكان– كما قال لي: –كنت في أول الطلب بطيء الفهم، يسبقني زملائي في الإجابة عن أسئلة شيخنا المعلمي، فكان شيخنا إذا انتهى من إلقاء الدرس أخذني فخصني بزيادة توضيح، فتقوَّتْ بذلك مَلَكتي، فكان إذا سأل شيخنا سؤالًا– ما– سابقتُ زملائي في الإجابة على السؤال بعد السؤال، فشكى زملائي ذلك لشيخنا فقال لهم: أمهلوه يلقي ما عنده ثم قال: ما مثلكم ومثله إلا كسُلَحْفاة وأرنب، طلبت السلحفاة من الأرنب أن تسابقها: فوافقت الأرنب على المسابقة إلى أعالي الجبل، فقطعتا شوطًا ثم قالت الأرنب في نفسها :سأرتاح بالنوم قليلاً وأقوم فأسبق السلحفاة، التي سعيها بجانب سعيي لا يذكر، فنامت الأرنب، فغلبها النوم وما استيقظت، إلا والسلحفاة بأعلى الجبل».

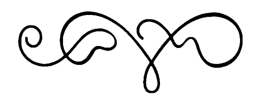
بقي الشيخ محمد في مكة عامين، ثم رجع إلى اليمن، فالتحق بوزارة التعليم، وبقي فيها بضع سنين، ثم ترك، فتفرغ للعبادة، والمطالعة، والتعليم، لمن زاره في بيته، أو مسجده. عرفته: كريم المُحيَّا، صافي المودة، نيَّر الوجه، غاية في التواضع وعفة اللسان، انتفاعه بوصية شيخه ظاهر عليه، في أقواله وأفعاله، ولقد أصابه غيث دعوات شيخه وبركاتها.

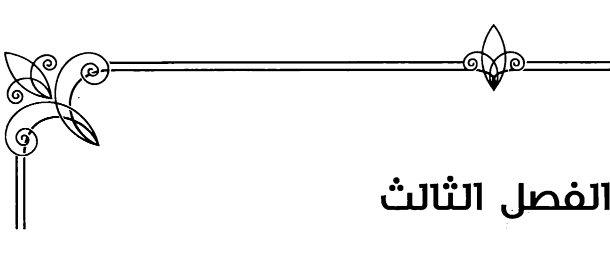
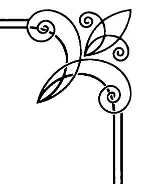
وبعد حياة كريمة بالعلم والتعليم، مع زهد وعبادة، وسَمْت حسن وهَدْي صالح، مرض الشيخ محمد وهو بمنزله في (عُتُمة) فأُخذ إلى (صنعاء) وبقي في المشفى أيامًا، ثم دُعي به فأجاب، ورجعت الروح إلى بارئها في الثالث والعشرين من شهر شعبان سنة (١٤٣٥).

وكم تمنيت أن تَقَرَّ عينه برؤية الوصية مطبوعة، ولكن تسويف أصحاب المطابع، ووعودهم العرقوبية، حالت دون ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

رحم الله الشيخ محمد بن أحمد المعلمي، وجمعنا به وبشيخه تحت لواء الحمد

صلى الله على صاحبه وسلم.



الفصل الثالث

لفظ الوصية

الحمد الله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللَّهمَّ صلِّ علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما صليت علىٰ آل إبراهيم، وبارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما باركت علىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد(١).

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠](٢).

أما بعد: فقد صَحِبني الولد(٣) الفاضل محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد المعلمي -وفقه الله تعالىٰ- عامين كاملين بمكة المكرمة، وحَمدتُ صحبته وأدبه، وحرصه علىٰ طلب العلم.

---

(١) رأيت هذه المقدمة في أكثر من عشرين موضعًا من «آثار المعلمي»!

(٢) كثيرًا ما يلهج المعلمي بهذه الآية في فواتح بعض كتبه، وخواتم بعض ردوده، وله فائدة فريدة متصلة بها، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أمَّا ما رُوِي عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عنه أنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن خير التابعين رجلٌ يُقال له: أُوَيْسٌ، وله والدةٌ، وبه بياضٌ، فمروه فليستغفرْ لكم».
فهذا أمرٌ من النبيِّ ﷺ لأُوَيْسٍ مصداقُه من كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ قوله سبحانه: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] فأمر النبيُّ ﷺ أصحابه أن يبلِّغوا أُوَيْسًا هذا الحكم». «آثار المعلمي» (٣/ ٧٧٣).

(٣) هكذا لغة العلم، أن يقول الشيخ لتلميذه: الولد؛ «فالشيخ والمعلم والمؤدب أب الروح، والوالد أب الجسم». أما أن يقال فيه: الأخ، فلم أقف عليها في لغة العلم والعلماء، والله أعلم.

وقرأ عليّ كتبًا في العربية: «الآجرُّومية»، فـ«المتممة»، فـ«القَطْر»، وطرفًا من «ألفية ابن مالك»، مع إعراب عدة أجزاء من القرآن، وأكثر «زُبَد ابن رسلان» و«الرَّحَبية» مشروحة.

وسمعني كثيرًا أشرح ما يجب في الاعتقاد والعمل، وأخذ بنصيب من معرفة ذلك، مع صلاحه في نفسه، وإقباله على الخير، وعدم ميله إلى اللهو واللعب، وشدة محبته لي وحرصه على راحتي، وإتعابه نفسه في خدمتي، حتى في حال مرضه.

أسأل الله أن يجزيه خيرًا وبرًّا وتوفيقًا وصلاحًا، وأن يصلح شؤونه في دينه ودنياه.

ثم تضافرت الدواعي لرجوعه إلى الوطن لزيارة والديه وغير ذلك، والتمس منّي أن أكتب له وصية نافعة[1]، فرأيت من الحقِّ عليَّ أن أجيبه إلى ذلك، ومن الله تعالى أسأل التوفيق لي وله، وأرتّبها على مطالب:



(١) «الالتماس»: هو: «الطلب مع التساوي بين الأمر والمأمور في الرتبة». «التعريفات» (٥١)، وسيأتي قوله: «تسمي العرب الطالب إذا كان الطالب أعلى من المطلوب منه: أمرًا، فإن كان مثله سمّته التماسًا»، وهذا من تواضعه.
وعرف المعلمي الوصية فقال: «هي الاسم من أوصى يوصي، وأصلها: أمْرُك من أنت غائبٌ عنه أو ستغيب بأمرٍ يفعله في الغَيبة» «آثار المعلمي» (١٧/ ٦٩٦).

❁ المطلب الأول: العقيدة في شأن ذات الله ﷻ وصفاته.

بعث الله محمدًا ﷺ إلىٰ الخلق، وكان أول مَن دعاه العرب، وكان العرب في جاهليتهم يعترفون بوجود الله ﷻ وربوبيته، وأنه ربُّ كلِّ شيء، وكانوا يصفونه تعالىٰ بما تقتضيه الفطرة، وما بقي لديهم من ملة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، من صفات الكمال، ويفترون عليه أشياء.

فجاء القرآن والسنَّة بتقريرهم علىٰ الحقّ وردّهم عن الباطل، فكان من الباطل: زعمهم أن الملائكة بنات الله -تعالىٰ الله عن قولهم-[(١)].

وزعمهم: أنه يجوز أن يُعبد مع الله بعض مملوكاته ليكونوا شفعاء لهم

---

(١) قال رحمه الله: «ومن المهم معرفة السبب الباعث علىٰ قولهم: «الملائكة بنات الله»، والذي يلوح لي أمور:

الأول: أنَّهم تلقوا ذلك ممَّن تلقوا منه عبادة الأصنام.

الثاني: أنَّ الذي دعاهم إلىٰ عبادة الأصنام، علىٰ أنَّها عبادة للملائكة... اخترع لهم هذا القول: أن الملائكة ولد الله؛ ليهوِّن عليهم الأمر، فيقولوا: إذا عبدنا ولده فكأنَّنا إنَّما عبدناه.

الثالث: أنَّهم سقط إليهم عن أهل الكتاب أنَّهم يطلقون قولهم: «أبناء الله» علىٰ بعض الموجودات، فإنَّها تطلق في التوراة وغيرها بمعنىٰ: المختارين لله.

الرَّابع: أن العرب كانوا يرون العاقر -وهو مَنْ لا يولد له- معيبًا ناقصًا... فرأوا أنَّه ينبغي لهم أن ينزِّهوا ربهم ﷻ عن هذا العيب في زعمهم.

فأمّا سبب اختيارهم له سبحانه الإناث فهو أنَّهم يعرفون من عادتهم أنَّ الولد الذكر يشارك أباه في ملكه، حتىٰ لقد يتغلَّب عليه، وأمّا الأنثىٰ فهي كَلٌّ علىٰ أبيها، ليس لها شيء من ملكه، حتىٰ إنَّهم لا يورِّثونها منه، وهي عندهم مستضعفة لا شأن لها مع أبيها البتَّة.

فاختاروا أن يقولوا: إنَّ لله ﷻ بنات؛ ليكونوا قد نزَّهوه عن العقر، بدون أن يلزمهم أن يشركوا معه في الملك والتدبير». «آثار المعلمي» (٦/ ١٦٢-١٦٣).

إليه، ويقربوهم إليه زُلْفىٰ[١]، وشكِّهم في أنّ الله يبعث الناس بعد موتهم، فقرر القرآن في عدة آيات أن الله تعالىٰ منزَّه عن أن يكون له ولد، وأنه لا يستحق أن يُعبد إلا هو سبحانه، وأن البعث بعد الموت حق[٢].

فالاعتقاد الحق هو ما اقتضته الفطرة القاطعة، وصرَّح به القرآن والسنَّة الصحيحة الصريحة.

ولا ريب أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا أكمل الخلق في الإيمان وصحّة الاعتقاد، فمن أراد صحة الاعتقاد فليجعل نفسه كواحدٍ منهم، لا يعتدّ إلا بما كان حاصلًا لهم من العقل الفطري، والفهم لكلام الله عز وجل وكلام رسوله، بِحَسَب اللغة العربية[٣] مع صدق الإجلال لله عز وجل، وأن لا تقفو ما ليس لك

(١) عقد المعلمي فصلًا في كتابه «العبادة» فسر فيه عبادة مشركي العرب للملائكة، واختتمه بقوله: «والحاصل أن شرك العرب انحصر في قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]. وقولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]». «آثار المعلمي» (٣/ ٧٢٤).

(٢) للمعلمي تحقيقات نفيسة في ديانة العرب قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد خصها بكتابين: «الحنيفية والعرب»، و«عقيدة العرب في وثنيتهم»، كلاهما في «آثار المعلمي» (٦/ ١٤١-١٧٨)، وعقد له فصولًا مطولة في كتابه العظيم «العبادة» انظر «آثار المعلمي» (٢/ ١٠١-١١٦). وتقدم كلامه عن المدة بين وفاة الخليل عليه السلام وبعثة سيد الأنام صلى الله عليه وسلم. في الفصل الخامس من الباب الثالث.

(٣) قال الإمام الشافعي: «ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب». «السير» (١٠/ ٧٤).
وقال الأصمعي: «جاء عمرو بن عبيد إلىٰ أبي عمرو بن أبي العلاء فقال له: يا أبا عمرو، الله يخلف وعده؟ قال: «لن يخلف الله وعده». قال عمرو: فقد قال: «أين؟» فذكر آية وعيد لم يحفظها أبو عمرو فقال أبو عمرو: «من العجمة أُتيت، الوعد غير الإيعاد». أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٩٤).
وقال المحقق الشاطبي: «الشريعة عربية، وإذا كانت عربية؛ فلا يفهمها حق الفهم إلا من فهم اللغة العربية حق الفهم؛ لأنهما سيان». «الموافقات» (٥/ ٥٣).

به علم، والتحرز من الهوىٰ واتباعه.

فلا يكن همّ الإنسان إلا أن يكون مؤمنًا ملتزمًا للصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم، ومنهم رسوله ﷺ وأصحابه؛ ولا يبالي إذا وافق ذلك أنْ يُخالف أحدًا من الناس.

همُّه أن يوافق الله ورسولَه، سواءً أَوافقَ قولَ مَن دونهما أو خالفه.

۞ المطلب الثاني: بقية أركان الإيمان

وهي الإيمان بملائكة الله، وأنهم عباد غيبيوّن مطيعون لربهم ﷻ، لا يسبقونه بالقول، ولا يفعلون إلا ما يأمرهم، ولا يشفعون عنده إلا لمن ارتضىٰ بعد إذنه سبحانه لهم. ولا يرغبوا هم في أن يشفعوا إلا أن يعلموا إذن الله تعالىٰ ورضاه في أن يشفعوا، ولا يفعلون إلا ما يأمرهم ربهم ﷻ.

والإيمان بكتب الله ﷻ التي أنزلها علىٰ أنبيائه، والمهيمن عليها القرآن الكريم، وأنه كلام الله ﷻ أنزله علىٰ محمد ﷺ.

والإيمان برسل الله ﷻ، وهم أناس من البشر اختارهم الله ﷻ، وأنزل عليهم ملائكته ليبلغوهم كلام ربهم وأمره، حتىٰ يبلغوا عباده.

والرسل معصومون في كلِّ ما يبلّغونه عن الله ﷻ، صادقون في ذلك كله، مع طهارتهم في أنفسهم، وصدقهم، ومحبتهم له ﷻ، وطاعتهم له.

وخاتمهم محمد ﷺ بلَّغ رسالة ربه، ونصح لخلقه، ولم يمت حتىٰ بيَّن للناس دينهم. ولا يؤمن أحدٌ حتىٰ يحبه ﷺ أشدّ من محبته للأب والابن

والنفس وغير ذلك.

وقد خصَّه الله ﷻ بالمقام المحمود، والشفاعة العظمىٰ لأهل المحشر؛ ليخلصوا من ضيق المحشر، ويُشْرع في فصل القضاء[1].

وأسعد الناس بشفاعته ﷺ مَن قال: لا إله إلا الله، خالصًا من قلبه، يصدِّق قلبَه لسانُه، وعملُه لسانَه.

وعلامة محبتك له ﷺ: شدّة حرصك علىٰ طاعته فيما بلَّغه عن ربه ﷻ.

والإيمان بقَدَر الله ﷻ، فقد قدَّر سبحانه كل ما هو كائن، ثم بيَّن لعباده ما يقرِّبهم إليه، وما يبعدهم عنه؛ كما أرشدهم بعقولهم إلىٰ ما ينفعهم في دنياهم، وما يفرحهم فيها، ثم جعل لهم من التمكين والاستطاعة ما جعل.

فالإنسان متمكِّن مستطيع أن يؤمن وأن يكفر، وأن يطيع وأن يعصي، وأن يسعىٰ فيما ينفعه، أو فيما يضره، أو يدع السعي.

فمن اختار الخير فهو السعيد الموفَّق، ومَن اختار الشرّ فهو الشقي الموبَق.

وقد قدَّر الله هذا وهذا، وله الحجّة البالغة علىٰ هذا وهذا.

---

(١) يلوح لي أن المعلمي يفرِّق بين المقام المحمود والشفاعة العظمىٰ لأهل المحشر، وأكثر أهل العلم من السلف والخلف أن المقام المحمود هو الشفاعة العظمىٰ، وأظهر مخالف لهم هم القائلون بأنه إجلاس الله تعالىٰ لرسوله ﷺ علىٰ العرش، وأصح ما لديهم أثر مجاهد، وهو بين التعليل أو التأويل. والباب مبسوط في «الإسعاد بأقوال جمهور العلماء المتعلقة بخير العباد ﷺ» لراقمه (٣٥٢-٣٦١).

❁ الـمطلب الثالث: شهادة أن لا إله إلا الله

ومعناها: أنه لا حقيق بأن يُعبد إلا الله ﷻ.

والعبادة هي الخضوع والتذلل طلبًا لنفع غيبي(١).

تسمي العرب الطلب إذا كان الطالب أعلىٰ من المطلوب منه: أمرًا، فإن كان مثله سمّته التماسًا، فإن كان أعلىٰ منه سمته: سؤالاً، فإن كان طلبًا لنفعٍ غيبي سمته: دعاءً. فالملك إذا طلب من خادمه شيئًا قيل: أمره بكذا وكذا، والتلميذ إذا طلب من زميل له شيئًا قيل: التمس منه كذا، والرَّعوي إذا طلب من الملك شيئًا قيل: سأله كذا. تقول: سألتُ الملك أن ينصفني من خصمي، ولا يقال: دعوت الملك أن ينصفني من خصمي. نعم، يقال: دعوت فلانًا، بمعنىٰ: ناديته، وهذا معنىٰ آخر، إنما الخاص بالنفع الغيبي هو الدعاء بمعنىٰ السؤال الذي هو طلب النفع.

فالدعاء بمعنىٰ سؤال النفع الغيبي هو روح العبادة، وبقية العبادات متضمنة له؛ لأنها كلها يُطْلَب بها النفع الغيبي.

فمن دعا الله ﷻ، أي: سأل منه أن يرحمه، أو يشفيه، أو يغنيه، أو غير ذلك،

---

(١) قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا التعريف: «هذا التفسير الذي فسرتُ به العبادةَ مقتبَس من نصوص لا تحصىٰ من الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم. ومن أقوالهم ما هو صريح فيه أو مستلزم له حتمًا؛ ولكنها خبايا في الزوايا، وشذَرات في الفلَوات، قد التقطتُ ما عثرتُ عليه منها في «رسالة العبادة»... ». وقال أيضًا: «والذي تلخَّص لي في «رسالة العبادة» بعد النظر في النصوص القرآنية ومقابلة بعضها ببعض، والنظر في أحوال المشركين من الأمم المختلفة وغير ذلك أن العبادة هي: خضوعٌ يُطلَب به نفعٌ غيبيٌّ. وأردت بالخضوع ما يشمل الطاعة والتعظيم، وبالنفع الغيبي ما هو وراء الأسباب العادية». «آثار المعلمي» (٧/ ١٠١، ١٠٦-١٠٧). وشرح هذا التعريف في كتاب «العبادة» انظر «آثار المعلمي» (٣/ ٧٣٣-٧٣٤).

فقد عبده. ومَن دعا غير الله ﷻ، أي: سأل منه نفعًا غيبيًّا فقد عبد غير الله ﷻ.

فأما الخضوع والتذلل طلبًا للنفع الغيبي، فإن الله إذا أمر بالتذلّل لغيره، فامتثلنا ذلك كنّا عابدين لله ﷻ، لا لمن وقع الخضوع في الصورة له، فمن تذلل لوالديه إلىٰ الحدّ الذي أذن الله به، وقصد بذلك امتثال أمر الله ﷻ فهو عابد لله، لا للوالدين.

فوصيتي لمحمد ولكلّ مسلم أن لا يدعو إلا الله، ولا يفعل فعلًا فيه خضوع يطلب به النفع الغيبي إلا إذا علم أن الله ﷻ أمر به، وأذن فيه.

فمن تحقق هذا الأمر والتزمه فلم يدعُ إلا الله ﷻ، ولم يقصد بفعل ما فيه خضوع يطلب به النفع الغيبي إلا ما علم أن الله تعالىٰ أمر به أو أذن فيه فقد برئ من الشرك.

ومَن لم يتحقق هذا المعنىٰ، وشكّ فيه، فعليه أن يحتاط[1].

ومَن اطلع علىٰ هذا أو شكّ، ثم لم يحتط، فحاصل ذلك أنه أقدم علىٰ ما يمكن عنده أن يكون كفرًا وشركًا[2].

---

(١) ومن نفيس كلامه في كتابه الفذ «العبادة» قوله: «واعلم أنه لو لم يكن في اجتناب ما قيل إنه شرك إلا سدّ باب الاختلاف بين الأمة في هذا الأمر لكان من أعظم القربات عند الله ﷻ» «آثار المعلمي» (٣/ ٨٢٧).

(٢) وقال في كتابه «العبادة»: «وعندي تردُّد فيمن ترك الاحتياط، كأن يسمع من بعض العلماء أن هذا الفعل مستحب ويسمع من آخر أن هذا الفعل ليس بمستحب بل هو شرك، فإذا أقدم مثل هذا علىٰ ذلك الفعل ألا يُحْكَم عليه بالشرك؟ وقد نصَّ العلماء أن مَن أقدم علىٰ ما يظنه كفرًا يكفر، وإن لم يكن ذلك الشيء كفرًا في نفس الأمر». «آثار المعلمي» (٣/ ٨٩٩).

والمهم أن تلتزم سبيل النجاة، وتدعو إليه، وأن تحسن ظنك بالناس، فما دام محتملًا عندك في شخص أنَّ له عذرًا مقبولًا عند الله ﷻ، فاحمله على السلامة، وكِلْ أمرَه إلى الله ﷻ.

۞ المطلب الرابع: شهادة أن محمدًا رسول الله

ومِنْ لازمِ ذلك تصديقُه في كلِّ ما أخبر به عن ربه ﷻ، واستيقان أن ذلك حقّ محض لا ريب فيه. ويتبع ذلك المحبة، والطاعة، والاتباع.

۞ المطلب الخامس: بقية أركان الإسلام

وهي أداء الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصيام رمضان.

وهذه الأشياء تشتمل على أحكام:

منها: ما أجمعت عليها الأمة.

ومنها: ما اختلفت فيه.

فالمُجْمع عليه لا بدّ من العمل به على كلّ حال، وأما المختلف فيه فالواجب ردّه إلى الله ﷻ وإلى رسوله، وذلك بالرد إلى الكتاب والسنَّة.

فمن عرف من الكتاب أو السنَّة أن قولًا من الأقوال المختلفة فيها أرجح من غيره، فقد لزمه الأخذ به.

فإن تركه إيثارًا لقول شيخه أو إمامه، صدق عليه أنه اتخذ غير الله ربًّا مع الله، أي: مُطاعًا في شرع الدين.

ومَن لم يعرف من كتاب الله ﷻ وسنَّة رسوله أيَّ القولين أو الأقوال أرجح، وكان أهلًا للنظر والبحث والفهم المعتدّ به، وتيسّر له ذلك؛ فلينظر وليبحث.

ومن لم يكن كذلك، ووجد عالمًا يثق بعلمه ودينه، وتحرِّيه الحقّ، وغلبت الإصابة في فهمه، وشدّة ورعه، واحتراسه من الهوىٰ؛ بحيث يغلب علىٰ ظنك إذا قال هذا العالم في قولٍ: إنه راجح أنه راجح، فاسأل هذا العالم، واعمل بما يُفْتيك به، وإلا فعليك بالاحتياط(١).

اللَّهمَّ إلا أن يشق عليك في شيء من الأشياء أن تحتاط مشقّةً يصعب عليك احتمالها، فأرجو أن يسعك الأخذُ بالرّخصة إن شاء الله تعالىٰ.

أما العاميّ الذي لم يعرف في مسألة إلا قولًا واحدًا؛ فإنه يلزمه العمل به، ويسعه ذلك(٢).

وهكذا الأمر فيما عدا العبادات من الأحكام.

---

(١) وقال رحمه الله في كتابه النفيس «أحكام العمل بالحديث الضعيف»: «وليعلم أنّه إن ترك العمل خوفًا أن يكون بدعة أو كفرًا أو شركًا كتب الله له أجرَ ذلك الخوف وأجرَ ذلك العمل لو كان مشروعًا، كما ورد فيمن ترك التطوُّع لسفرٍ أو مرض أو شغل بل هذا أولىٰ؛ لأنّ تارك التطوع لسفر ونحوه تركه لحظ نفسه، وتارك العمل خوفًا أن يكون مسخطًا لله تعالىٰ تركه طاعة لربه ﷻ، وأنّه إن أقْدَم عليه مع احتماله أنّه بدعة أو كفر أو شرك كان عليه وزر من فَعَل ذلك، كمن أقْدَم علىٰ وطء امرأة يتردّد فيها أزوجته هي أم أمه، والله أعلم». «آثار المعلمي» (١٥/ ٢١٢).

(٢) وقال رحمه الله: «العامي يسأل العلماء ويأخذ بفتواهم، فإن اختلفوا عليه احتاط أو طلب ترجيحًا ما، وإذا علم اللهُ حُسْنَ نِيَّتِهِ فلا بد أن ييسر له ذلك. فأما تقليد الأئمة فمهما قيل فيه فلا ريب أنه خير بكثير من تتبُّع الرخص». «آثار المعلمي» (١٢/ ٣٥).

◈ الـمطلب السادس: في الأعمال التي يتطوّع بها

قد دخل في هذا الباب خلل كثير، فالواجب الاقتصار علىٰ ما يتحقق أنه ثابت شرعًا، من صلاة، أو صيام، أو غيرها.

فقد جاء الشرع بالصلوات الخمس وغيرها مما هو ثابت بالسنن الصحيحة، ثم أَذِنَ الشارعُ بالصلاة في غير أوقات النهي علىٰ أنها نَفْل مطلق.

فعلىٰ المسلم أن يصلي الصلوات الثابتة شرعًا، ويدع الصلاة في أوقات النهي.

ثم يعلم فيما عدا ذلك أن الصلاة مشروعة شرعًا مطلقًا، لا مزية لبعضه علىٰ بعض، ولا يلتفت إلىٰ مزية لم تثبت شرعًا.

وهكذا الصيام وسائر العبادات.

وقد تشاغل الناسُ بأحزاب وأوراد وأذكار زعم بعض الناس أن لها مزية، ولم يثبت ذلك شرعًا، فعلىٰ المسلم أن يعتقد أن تلك المزية لا يعتد بها؛ لأنها غير ثابتة شرعًا.

وما لم يثبت شرعًا فليس من الدين في شيء؛ لأن الدين هو ما أنزله الله ﷻ علىٰ رسوله محمد ﷺ فبلَّغه رسول الله ﷺ.

وتكفَّل الله ﷻ بحفظه، فحفظته الأمة حفظًا تقوم به الحجة، فما ليس كذلك، فليس من الدين في شيء.

فمن سوَّل له الشيطان أن يتشاغل بشيء من ذلك عن العبادات الشرعية، والأعمال النافعة، فقد خاب؛ فإن الشيطان يسعىٰ لصرف الناس عن تلاوة القرآن والأذكار الثابتة شرعًا، كالصلاة الإبراهيمية علىٰ النبيّ ﷺ، ونحوها،

وعن أعمال الخير كالسعي في مصالح الأهل وغيرهم من المسلمين، والعمل فيما ينفع المسلمين، أو فيما ينفع العامل من الحلال.

فهو يصرف الجهّال عن ذلك كله بما ليس من الدين في شيء، حتىٰ لا ينتفعوا في دينهم ولا دنياهم، بل يقعون في البدع المهلكة(١).

والحاصل: أن كل عمل يعمله الإنسان راجيًا للثواب أو البركة إن كان ثابتًا شرعًا أنه مشروع يُرجىٰ منه ذلك الثواب فهو حقّ. وإلا فهو باطل.

وكثيرًا ما يقع الإنسان بعمله تلك الأعمال التي لم تثبت شرعًا في الشرك، كما يُعلم مما تقدم.

۞ المطلب السابع: في مخاطبة الناس

يجب علىٰ المسلم أن يميِّز بين ما أمر الله به أو أذن فيه، وبين ما نهىٰ عنه أو كرهه، فيلزم الأول علىٰ كلِّ حال، ويجتنب الثاني علىٰ كل حال، ويحتاط فيما لم يتبيَّن له حُكْمه.

وعليك أن توطِّن نفسَك علىٰ حبّ الخير للخلق أجمعين، حتىٰ إذا كرهت كافرًا أو مبتدعًا أو فاسقًا فلا تكرهه إلا لأنك تحبّ له أن يدع ما يضره، ويلتزم ما ينفعه.

---

(١) بل قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن ذلك ما حكاه لي بعضهم: أنَّه إذا صلَّىٰ المكتوبة منفردًا يَرِقُّ ويخشع، وإذا صلَّىٰ في الجماعة لا يخشع! والسبب في هذا: أنَّ الشيطان يحاوله علىٰ ترك الجماعة، فيخشِّعه إذا صلَّىٰ منفردًا، ويهوِّش عليه إذا صلَّىٰ جماعةً ليَحمِلَه علىٰ ترك الجماعة، مع اعتقاد أنَّ الانفراد أفضل، فيكون في ذلك من مخالفة الشريعة ما هو أضرّ عليه من ترك الجماعة». «آثار المعلمي» (٦/ ٩٧).

وهذا زمان قد صِرْنا فيه - أو كِدنا - إلىٰ ما ورد في الحديث: «شُحّ مُطاع، وهوًىٰ مُتّبع، وإعجاب كلِّ ذي رأيٍ برأيه»[1].

فأحب لك أن تجتنب المخاصمات التي لا ترجو لها فائدة.

وإن مما هو من جهةٍ نعمةٌ عظيمةٌ من الله ﷻ علىٰ هذه الأمة، ومن جهةٍ أخرىٰ حُجةٌ بالغة له سبحانه: أنْ كانت عامة المُحْدَثات التي نقول: إنها بدع ضالة، ومنها ما هو شرك بالله ﷻ ليس فيها ما يقول أحدٌ: إنه ركن، أو شرط للإيمان، ولا فرض لازم، ولا سنَّة مؤكدة؛ بل غاية ما يزعم بعضهم: أنه مما يُرْجىٰ له ثواب وبركة[2].

وقد قال مَن هو أعلم من هذا بكتاب الله ﷻ وسنَّة رسوله وأقوال سلف الأمة: إن ذلك بدعة مضلة، ومنه ما هو شرك.

ومع هذا فهناك أعمال كثيرة أجمع الناس علىٰ أنها مشروعة، وأن ثوابها عظيم، وبركتها جزيلة، ودلَّ الكتاب والسنَّة وأقوال سلف الأمة وأئمتها علىٰ ذلك.

---

(١) الحديث جاء عن عدة من الصحابة منهم أبو ثعلبة الخشني رضي الله عنه أخرجه أبو داود (٤٣٤١،٣٠٥٨)، والترمذي (٣٠٥٨)، وابن ماجه (٤٠١٤)، وابن حبان (٣٨٥)، وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣ / ٢١٩) وقد جاء عن أنس بن مالك، وأبي هريرة، وعبد الله بن أبي أوفىٰ، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم حسنه المحدث الألباني بمجموع طرقه في «السلسلة الصحيحة» (١٨٠٢).

(٢) وقال رحمه الله: «ومن حكمة الله البالغة ورحمته السَّابغة أنَّ غالب البدع لا يدَّعي أصحابها ومن شُبِّهت عليهم أنَّها من أركان الإيمان، ولا فرائض الإسلام، ولا الواجبات المحتَّمة، وإنَّما غايتهم دعوىٰ أنَّها مستحبَّة، وذلك تيسير من الله ﷻ لطريق الاحتياط لمن أراده، فما عليك إلَّا أن تتحرَّىٰ فيما قيل إنَّه مستحب، وقيل إنَّه بدعة». «آثار المعلمي» (٦/ ١١٩).

فالمخذول كلّ الخذلان، والمحروم كلّ الحرمان، والخارج عن طريق العلم والإيمان، وعن طريق العقل والفهم هو مَن يُقْدِم على شيء من تلك المحْدَثات، ويتشاغل بها، في حين أنه كان يمكنه صرف ذلك الوقت في الأعمال والأقوال الشرعية الثابتة، والثابتِ عظيمُ ثوابها وبركتها(١).

وإذا أجمع الأطباء على شيء أنه دواء نافع، واختلفوا في شيء فقال بعضهم: إنه مهم، وقال بعضهم: ضارٌّ ضررًا شديدًا، وقال بعضهم: لا يتحقَّق ضرره، وقال بعضهم: ربما يكون له نفع ما، ولكنه لا حاجة إليه للاستغناء عنه بالمجمع عليه، فالعاقل يستغني بالمجمع عليه، ويتجنب المختلف فيه.

وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦].

وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ: «الحلال بيِّن والحرام بيِّن، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهنَّ كثيرٌ من الناس، فمن اتقى الشُّبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومَن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحِمَى يوشكُ أن يقع فيه»(٢).

---

(١) وقال رحمه الله: «وما أخسر صفقة من يَدَعُ الأدعية الثابتة في كتاب الله عز وجل أو في سنة رسول الله ﷺ فلا يكاد يدعو بِها، ثم يعمِد إلى غيرها فيتحرَّاه ويواظب عليه، أليس هذا من الظلم والعدوان؟!» «آثار المعلمي» (٣/ ٧٨٥).

(٢) الحديث أخرجه البخاري (٥٢، ٢٠٥١) ومسلم (١٥٩٩) وغيرهما عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، وقد جاء خارج «الصحيحين» عن عمار بن ياسر، وجابر بن عبد الله وابن عباس وابن عمر. ولا يصح منها شيء، ولا يضر ذلك فالحديث في «الصحيحين» قنطرة الصحة. ولشيخ الإسلام الشوكاني رسالة خاصة في هذا الحديث أسماها «تنبيه الأعلام على تفسير المشتبهات بين الحلال والحرام» ضمن «الفتح الرباني» (٤/ ٢٠٤١-٢١٠٠). =

هذا في الحلال والحرام، فأما في الإيمان والشرك فالأمر أعظم، وكلُّ عاقل يبلغه كلام أهل العلم، لا بدّ أن يكون محتملًا عنده، علىٰ الأقل في كثير من تلك المحْدَثات أنها شِرك، كما صرَّح به جَمْع من أكابر العلماء.

والمؤمن لا يمكن أن يقدم علىٰ ما يحتمل عنده أنه شرك.

هذا مع أنه ليس في الإقدام عليه لذة طبيعية، إلا أن يكون اتباع الهوىٰ، فإن الراغب في الثواب والبركة يجد ما هو باعتراف ألدِّ أنصار المحْدَثات أعظم أجرًا وثوابًا وبركة.

فلو سألت أحدهم عن الصلاة علىٰ النبيّ ﷺ بالصيغة الإبراهيمية المأثورة، أهي أفضل أم قول القائل: «يا رسول الله»؟ لاعترف لك بأن البَونَ بعيد جدًّا، فإن فضل تلك الصلاة وثوابها وبركتها عظيم جدًّا، وأما قول: «يا رسول الله»، فغايته أن يدَّعي بعضُ أنصار البدع أنه لا بأس به[1].

= تنبيه: المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر الحديث بلفظ «عقله ودينه» ولفظة «عقله» لم أعثر عليها في مصادر الحديث الكثيرة، وكلها مطبقة علىٰ «دينه وعرضه» فلعلها سبق قلم والله أعلم.
وللمعلمي كلام نفيس حول هذا الحديث، ولفظه: «فإن قيل: فما تقول في الحديث الصحيح: «الحلال بيِّنٌ، والحرام بيِّنٌ، وبينهما مشتبهات»؟ فإن ظاهره إثباتُ الواسطة.
قلتُ: هذه واسطة بين الحلال البيِّن والحرام البيِّن، لا بين الحلال والحرام من حيث هُما. والمراد بالحلال هو ما عبَّرنا عنه بالموافق، وبالحرام ما عبَّرنا عنه بالمخالف، والمشتبهات ما تعارض فيه دليلَا الحلِّ والحرمة، فإنه عند مَن لم يظهر له الترجيح -وهم كثير من الناس- مشتبه، فأرشد النبي ﷺ بأن يُعمل فيه ما يقتضي الاحتياط. هذا مع أنه في نفس الأمر إما حلال وإما حرام، فالحديث دليلٌ علىٰ عدم الواسطة، فتأمَّلْ». «آثار المعلمي» (٤/ ١٥٢).

(١) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «العبادة»: «وليس عندنا سلطان من الله ﷻ في الإذن بخطاب النبيِّ ﷺ أو خطاب غيره من الموتىٰ إلا بالسَّلام ونحوه، فمَن تجاوز ذلك إلىٰ السؤال منه ﷺ =

وقِسْ على هذا سائر المحدثات.

فإذا بيَّنتَ هذا المعنى لرجل وأصرَّ على ترك اجتناب المحْدَثات فقد قُمتَ بالحجة.

وإذا اجتنبْتَ المحدثات فاعترض عليك معترض فبيَّنْتَ له هذا المعنى، فقد أَبطلْتَ اعتراضَه ولزمه التسليم لك إن كان له عقل.

ولا حاجة بك بعد هذا إلى المحاجَّة في تلك المحْدَثات أَشِركٌ هي أم لا، ولا إلى سَرْد الحجج وإبطال الشبه؛ بل يكفيك الاستناد إلى ما تقدم.

ولا بأس بعد ذلك أن تقول لمن نازعك: ليس عندي من العلم ما أتمكَّن به من المناظرة والمحاجَّة، ولكنني أعلم أن الواجب على الناس ترك المحدثات، فإن لم يستيقنوا ببطلانها وأن منها ما هو شرك، فإنهم يعرفون من اختلاف العلماء احتمال ذلك، فوجَب عليهم اجتناب ما يخافون أن يكون شركًا، وقد علموا أنه -على فرض صحة ما يزعم أنصار البدع- لا حاجة إليه، فإنّ في العبادات الشرعية العظيمة الأجر والثواب والبركة ما يُغني عنه، ولا ينبغي لعاقل أن يدَعَ ما عُلم بالإجماع والنصوص القاطعة أنه إيمان، ويتشاغل بما يحتمل على الأقل أن يكون شركًا.



= أو من غيره فلا أعلم له سلطانًا، وقد أغنى الله المسلمين عن ذلك بكثرة الصلاة على النبي ﷺ». «آثار المعلمي» (٣/ ٨١٥-٨١٦).

۞ الـمطلب الثامن: في مصالح الدنيا ومعاملة الناس

ما دام الإنسان في الدنيا فإنه لا غنىٰ به عن تحصيل المال وإصلاح المعيشة، والسعيد مَن أمكنه تحصيل ذلك بكدّ يمينه وعرق جبينه، بدون احتياج إلىٰ إحسان أحدٍ ولا إضرارٍ بأحد[١].

وإذا أمكنه هذا فقد قارب أن يسلم من الناس، ولم يبق عليه إلا أن يُحسِّن خلقه معهم، ويدع الغيبة، والنميمة، والسب والشتم والإيذاء، فإذا تيسر له بعد ذلك أن يُحسن إلىٰ بعضهم فهو حريٌّ أن يكون محبوبًا فيما بينهم.

هذا في شأن الدنيا، فأما الدين: فينبغي للإنسان أن يكون مُؤْثِرًا لله ﷻ علىٰ كلّ شيء، وليحرص علىٰ أن يُفْهِم الناس أنه إنما يريد لهم الخير، وأنه لا يريد علوًّا في الأرض ولا فسادًا، ولا فخرًا ولا شهرة، ولا غير ذلك من الأغراض، وأنه إنما همُّه طاعة الله ﷻ، ثم أن ينصفه الناس فلا يظلموه، ولا يحتقروه.

وعليه أن يسعىٰ في مصالح دنياه بالجدّ والصبر والمثابرة في حدود الحلال، وليعلم مع ذلك أن الأمر كله لله ﷻ، وأنه إنما يسعىٰ امتثالًا لأمر الله ﷻ.

فإذا حصل مطلوبه من نيل الخير، وزوال الضرر، علم أن ذلك من فضل الله ﷻ وكرمه، فشكره علىٰ ذلك، وحَرَص علىٰ الزيادة من طاعته.

---

(١) رحم الله سفيان الثوري القائل: «أحب أن يكون صاحب العلم في كفاية لأن الآفات إليهم سريعة وألسنة الناس إليهم أسرع، وإذا احتاج ذَلّ ولولا هذه البُضيعة التي معي لتمندل الملوك بي وإذا رأيت القارئ يلزم باب الملوك فاعلم أنه لص». أخرجه ابن أبي الدنيا في «إصلاح المال» (٧٠) وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٦٩).
ولله در الحافظ الواعظ ابن الجوزي إذ يقول: «وإني تأملت علىٰ أكثر أهل الدين والعلم هذه الحال، فوجدت العلم شغلهم عن المكاسب في بداياتهم، فلما احتاجوا إلىٰ قوام نفوسهم ذلوا، وهم أحق بالعز». «صيد الخاطر» (٣٥).

وإن خاب مسعاه رأىٰ أن ذلك من فضل الله ﷻ وكرمه؛ فإنه لا يدري لعله لو حصل مطلوبه لكان شرًّا له في دينه ودنياه.

وأقلّ ما في الأمر أن تكون تلك الخيبة عقوبة من الله ﷻ له علىٰ ذنب متقدم، وهذا أيضًا خير؛ لأنه كفَّارة له وإصلاح لشأنه.

والحاصل: فكلُّ شيء يقضيه الله ﷻ ويقدّره للمؤمن، فهو خير له، علىٰ أن يوقن بذلك، ويجري علىٰ حسَب يقينه.

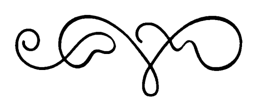
فما عليه إلا أن يجتهد في طاعة الله ﷻ، وفي إصلاح دنياه في حدود ما أذن الله به، ثم ليكن بعد ذلك واثقًا أنّ كل ما قضاه الله ﷻ له فهو خير.

أسأل الله تعالى التوفيق لي ولمحمد ولجميع المسلمين.

٧ محرم الحرام سنة ١٣٧٤[1].

كتبه

عبد الرحمن بن يحيى المعلمي

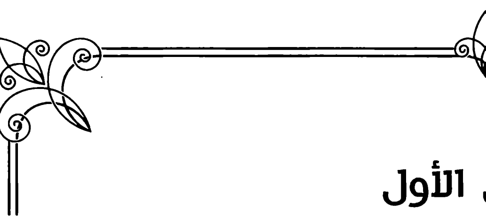
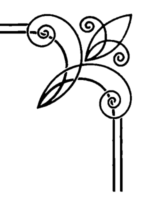


(١) هكذا كتب المعلمي التاريخ بغير الرمز له بحرف (هـ)، وهي عادته الغالبة، وفاقًا لعلماء الإسلام، حتىٰ جاء عصر التغريب، فخفض له بعض الفضلاء الجناح، والحق ألزم، والتحري أحزم، والله الموفق والمستعان.



الباب السادس

مراسلات شخصية للإمام المعلمي

الفصل الأول

من رسائله إلى والده

المبحث الأول: التعريف بتلك الرسائل:

اشتمل هذا الفصل على رسالتين أرسل بهما المعلمي إلى والده الشيخ الفقيه الصالح: يحيى بن علي بن أبي بكرٍ المعلمي المتوفى بمديرية عُتُمة، محافظة ذمار، باليمن السعيد سنة (١٣٦١) رَحِمَهُ اللَّهُ.

أما الأولى فأرسلها الإمام سنة (١٣٥١) -تقريبًا- وهي منقولة عن خط مرسلها بخط العالم الفقيه عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن عبد الكريم المعلمي المتوفى في (٢٩جمادى الآخرة سنة ١٣٦١) رَحِمَهُ اللَّهُ.

يعتذر الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ في صَدْرِها من تأخر وصول رسائله إليه، ويُلْقي باللائمة على البريد المُفَرِّطِ في إيصال تلك المكاتيب.

ثم لبى طلب والده وأطاع أمره في وصف البلد الذي يعيش فيه وهو الهند، فكتب في وصفه أرضًا وإنسانًا بما شمل تفاصيل الحياة العلمية بطرقها ومذاهبها وفرقها، ثم عَرَّجَ إلى الديانات المتَّبعة هناك، وفي طيَّات ذلك الوصف: إشارات في بعض تلك الفرق مدحًا ونقدًا، كما شملت تفاصيل أخرى سيجدها القارئ في ثنايا هذه الرسالة الميمونة.

وأما الرسالة الثانية: فأرسلها سنة (١٣٥٨)، من الهند إلى والده أيضًا.

وهي منقولة عن الأصل بخط الفقيه الفاضل: محمد بن سليمان المعلمي.

استهلها الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بطلب عفو والده، ورجاء دوام دعواته له؛ لنيل رضاه، الذي هو رأس ماله في الدنيا، ولولاه لكان من الهالكين!

ثم أتبع ببيان جهده الدؤوب في إيصال رسائله إلىٰ والده، بكل ما أوتي، ولما لم يصل إليه جواب من والده أرجعَ ذلك إلىٰ أحد أسباب، استعاذ بالله من ثالثها!.

وأبان الإمام في رسالته هذه عن نيّته السفر إلىٰ عدن؛ ليكاتب والده من هناك! لكن تكاليف السفر فوق الطاقة!.

وكشف عن رغبته في زيارة والده والفوز بخدمته، لولا المهالك التي قد تحول دون تمكنه من الوصول!

ثم اقتبس كلامًا لوالده، يُشير إلىٰ العتاب الشاق عليه، وأقرَّ لأبيه بالحق في ذلك العتاب!.

وأخبره بما تجدد لابن أخيه: أحمد بن محمد بن يحيىٰ من أمور تخصه؛ لإدخال السرور علىٰ والده، بما يقوم به الإمام مع الحفيد اليتيم!.

ثم ذكر له بعض أخبار أخيه أحمد بن يحيىٰ، المقيم بأرض إندونيسيا.

ولا أطيل في وصف الرسالة؛ فهي قصيرة، ومختلفة الجوانب، كشفت عن أخلاق هذا العالم العلَم، ورقة مشاعره، وشغله بأبيه وأهله، بل وبعموم المسلمين، مع بيان الداء والدواء!.



المبحث الثاني

لفظ الرسالة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي الوالد العماد الفقيه يحيى بن علي المعلمي

حفظه الله، ورزقني دوام رضاه، وصالح دعاه، آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وصل -والحمد لله تعالى- كتاب والدي المؤرخ نصف ذي القعدة سنة (١٣٥٠)، فحمدت الله ﷻ على صِحة والدي، ورضاه عني، أسأل الله دوام ذلك.

ذكرتم أن كتابي الأول تأخر إلى أواخر رمضان، وليس ذلك بقصد مني، وإنما وقع التحيُّر[١] في الطريق، وعلى كل حال فالحمد لله تعالى على وصوله، وعلى تيسر الواسطة، وعبد الولي سنان أنا عارفٌ له، وأما ابن عمه فلا[٢].

أمرتوني أن أَصِفَ لكم محَلتي، والبلد، و...و...

(١) التحيُّر، بمعنى: الاحتباس، والركود، لم يمض لسبيل.

(٢) عبد الولي بن محمد بن محمد بن محمد سنان الشَرْم (ت: ١٣٥٤)، من أعيان (عُتُمة) الفضلاء، كان له ثلاثة من الأولاد: علي، وناصر، ومحمد، وأحفاده الآن أحياء، -وفقهم الله لكل خير ودفع عنهم كل ضير-.
وكان (عبد الولي) صديق جدي الشيخ حسن بن حسن الأسدي (ت: ١٣٧٠)، لمدة ثلاثة عقود زمنية، بود مديد لا يتسع للمزيد، رحم الله الجميع.
وأما ابن عمه فهو أحمد بن محمد بن محمد بن محمد سنان. (ت: ١٣٥٩) تقريبًا.
وهذه الإفادات من أحفاد عبد الولي، ومن سيدي الوالد-عافاه الله-.

فأولاً: أصف لكم الهند، فالهند قطعة عظيمة من الدنيا، أكبر من اليمن بأضعاف مضاعفة[١]، فإن العارفين يقدرون سكان اليمن بألفي ألف[٢]، وسكان الهند بأربعمئة ألف ألف[٣]، وهي شَرقِيَّ اليمن، مستطيلة من شماله إلىٰ جنوبه، والبلد الذي أنا فيه شرقِيَّ اليمن بجنوب، أعني أن الرجل عندكم إذا استقبل الشمس فقد استقبل الهند، وتكون حيدر آباد حينئذ علىٰ جبينه الأيمن تقريبًا.

والهند عمومًا أرض خِصبة، تصلح لزراعة جميع الأنواع، وفيها معادين كثيرة، ويُصْنَعُ فيها الأقمشة وغيرها، وغالب طعام أهلها الأرز، والبر أقل منه، وهواؤها معتدل، مع ميله إلىٰ شدة الحر في الصيف، وشدة البرد في الشتاء، والصحة فيها طيبة.

والمسلمون فيها كثير[٤]، وأكثرهم علىٰ مذهب أبي حنيفة.

وقد نشأت فيهم فرقة يقال لهم: أهل الحديث[٥]، لا يتقيدون بمذهب،

---

(١) تبلغ مساحة الهند في التقديرات الآن، نحو: ٣,٢٨٧,٥٩٠كم٢،...ويقدر طول الساحل ٦,٨٤٣كم، منه: ١,٣١٢كم للأقاليم التابعة للهند. «الموسوعة العربية»..

(٢) أي مقدار: مليونين، وهذا التقدير في ذلك العصر تقريبي؛ لأنه لا وجود لإحصاءٍ دقيق، أما الآن فيقدر بستة وعشرين مليونًا، لا سيما بعد تحقيق الوحدة بين شماله وجنوبه عام (١٤١٠) الموافق (١٩٩٠م)، وإجراء الإحصاء، من قبل الدولة.

(٣) أي مقدار: أربعمئة مليون، وهذا التعداد قديم، وأما الآن فسكان بلاد الهند فوق المليار. «الموسوعة العربية».

(٤) يبلغ عدد المسلمين في الهند في عصرنا: مئة مليون، والله أعلم.

(٥) حامل راية هذه الجماعة المباركة هو: الشيخ صديق حسن خان (ت: ١٣٠٧)، والمحدث نذير حسين الدهلوي (ت: ١٣٢٠)، ومنها علماء أعلام، وجهابذة كرام، أَثْرُوا المكتبة الإسلامية بنشر أُمَّات مراجع علم الحديث بجناحيه: الرواية والرواة =

بل يختارون من كل مذهب ما ظهر لهم أن دليله من الكتاب والسنة أقوىٰ.

ولهم شغف عظيم بكتب الشوكاني، وابن الأمير، وابن الوزير(١)، وولدكم يُحب هذه الفرقة، إلا أن الغالب عليهم الجهل، فأما أصل الطريق التي اختاروها فهي الحق، وليس فيها دعوىٰ اجتهاد، وإنما هو تقليد عن بصيرة، وهي التي أوصىٰ بها الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «إذا صح الحديث فهو مذهبي»(٢).

وغير ذلك مما نُقل عنه، ونُقل مثله عن جميع الأئمة(٣).

= انظر في تاريخ هذه الجماعة المشكورة: «الحركة السلفية ودورها في إحياء السنة»، «جهود محدثي شبه القارة الهندية الباكستانية في خدمة كتب الحديث المسندة المشهورة في القرن الرابع عشر الهجري»، «خدمة الحديث في باكستان والهند لعلماء أهل الحديث».

(١) ابن الأمير الصنعاني (ت: ١١٨٢)، وابن الوزير (ت: ٨٤٠) والشوكاني (ت: ١٢٥٠) رحم الله الجميع وجمعنا بهم في جنات النعيم. قام هؤلاء الأبطال بالإصلاح العام في العبادة والمعاملة للخاصة والعامة، فقامت بينهم وبين متعصبي زمانهم حرب ضَروس، والتفاصيل مبسوطة في دواوين وطروس، منها «الإمام ابن الوزير وكتابه العواصم والقواصم»، لشيخنا إسماعيل الأكوع، و«تعقبات ابن الأمير على الشعراء، مصدر بترجمة مهذبة لابن الأمير»، و«الأبهر من أسلاك الجوهر مصدر بصفحات من حياة الشوكاني»، كلاهما لراقمه.

(٢) قال السبكي في كتابه: «معنىٰ قول الإمام المطَّلبي: إذا صحَّ الحديث فهو مذهبي» (٧١): وهو قولٌ مشهور عنه، لم يختلف الناس أنه قاله، وروي عنه معناه أيضاً بألفاظٍ مختلفة.
قال ابن حزم: أي: صح عنده أو عند غيره من الأئمة. انظر: «قواعد التحديث» (٧١)، «أصل صفة صلاة النبي ﷺ» للألباني (١/ ٢٩)، كلاهما عن الشعراني في «الميزان» (١/ ٥٧)، ولم أجده فيما وقفت عليه من كتب ابن حزم.

(٣) وقال المعلمي في «تحقيق الكلام في المسائل الثلاث» المطبوع ضمن «آثاره» (٤/ ٨٨): «تواتر عن الأئمة من قول كل منهم: (إذا صح الحديث فهو مذهبي) أو معناه».
وقال القرافي في «الذخيرة» (١/ ١٥٤): «وما يُروىٰ عن الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «إذا صح الحديث فهو مذهبي أو فاضربوا بمذهبي عُرض الحائط فإن كان مراده مع عدم المعارض فهذا مذهب العلماء كافة وليس خاصًا به وإن كان مع وجود المعارض فهو خلاف الإجماع وليس هذا القول خاصًّا بمذهبه كما ظنه بعضهم» =

وبه جاء القرآن، قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء:٥٩].

واتفق المفسرون[1] أن الرد إلىٰ الله تعالىٰ هو الرد إلىٰ كتابه، وأن الرد إلىٰ رسوله هو الرد إليه في حياته وحضوره، والرد إلىٰ سنته في غيبته وبعد وفاته.

والمحققون من أصحابنا الشافعية[2] علىٰ هذا الطريق، وأدلته مثل الشمس.

وإنما ذهب بعض المتأخرين إلىٰ وجوب التزام مذهبٍ معينٍ خشية ممن يدعي العلم ولا علم له ولا دين، فيصير يتخير ما يوافق هواه، لا ما يوافق الدليل، مع أنهم نصوا علىٰ جواز تقليد غير الإمام.

= وقال ابن عابدين: فقد صح عنه [أبو حنيفة] أنه قال: (إذا صح الحديث فهو مذهبي)، وقد حكىٰ ذلك ابن عبد البر عن أبي حنيفة وغيره من الأئمة؛ ونقله أيضًا الإمام الشعراني عن الأئمة الأربعة».

«رَسْم المفتي» لابن عابدين، المطبوع ضمن «رد المحتار» (١/ ١٥٤).

(١) قال الحافظ ابن القيم في «إعلام الموقعين» (١/ ٤٥٣): «وأجمع المسلمون علىٰ أن الرد إلىٰ الله سبحانه هو الرد إلىٰ كتابه، والرد إلىٰ الرسول ﷺ هو الرد إليه في حضوره وحياته وإلىٰ سنته في غَيبته وبعد مماته». وانظر «الاعتصام» (٣/ ٩٣-٩٤).

(٢) لهذه الإشارة دلالة دَعْوية لطيفة؛ فهو يحفز والده وأهل بلدته لاتباع طريقة أهل الحديث في تحكيم الدليل بعد التأهل؛ لأنها أيضًا طريقة المحققين من الشافعية -ووالده وفقهاء بلدته كانوا شافعية المذهب- وقد تفشىٰ في محيطهم التعلق بالقبور والأضرحة، والتعصب والجمود المذهبي.. ثم اعتذر للمتأخرين من الشافعية بأسلوب لطيف؛ جامع بين النقد والتوقير.

قال(١):

وَجَازَ تَقْلِيدٌ لِغَيْرِ الأَرْبَعَهْ   فِي حَقِّ نَفْسِهِ فَفِي هَذَا سَعَهْ

وقالوا: إن المقلد إذا رأىٰ دليلاً قويًّا يخالف مذهب إمامه، ينبغي له أن ينظر الإمام الذي قال بمقتضىٰ ذلك الدليل، فيقلده.

وبالجملة فهذه المسألة واضحة، وسياق أدلتها يطول.

وفي الهند أيضًا: فرقة أخرىٰ تُسمىٰ: (أهل القرآن)، ينكرون الحديث رأسًا، ولهم في ذلك أعذار، ولا يعترفون إلا بالقرآن، ثم يفسرون القرآن علىٰ هواهم، وهؤلاء هالكون، وغرضهم الانحلال من القيود الدينية، والعياذ بالله(٢).

وفرقة أخرىٰ يقال لهم: القاديانية والأحمدية، كان رجل يقال له: غلام أحمد، ببلد يقال له: قاديان في الهند(٣)، وكان عنده طرفٌ من العلم، وشيءٌ من

---

(١) بيض المعلمي لاسمه، وقد ذكره القليوبي في «الحاشية» (١/ ١٣)، والألوسي في «جلاء العينين» (١٩٧)، ولم يسميا قائله، فالله أعلم.

(٢) لعل في هذه التسمية مدحًا لهؤلاء الضُّلَّال، ولعل الأجدر بهم: (منكري السنة) وهذه المقولة المخذولة ظهرت في أول القرن الثالث عشر، وكانت «ولادتها في العراق وترعرعت في الهند، وأول دعاتها بالهند سيد أحمد خان ومولوي جراغ علي، ثم كان فارسها المقدام مولوي عبد الله جكرالوي ثم تَسَلَّمَ الراية مولوي أحمد دين امرتسري ثم تقدم بها المولىٰ أسلم جراجيوري، وأخيرًا تولىٰ رياستها غلام أحمد برويز الذي أوصلها إلىٰ ساحل الضلال»، بإنكار كل شرع أو خبر لم يذكر في القرآن، وغير ذلك من الأباطيل، انظر: «القرآنيون وشبهاتهم حول السنة»، «شبهات القرآنين»، وغيرها.

(٣) ولد هذا الضال في قرية قاديان، إحدىٰ قرىٰ مقاطعات البنجاب بالديار الهندية عام (١٢٥٦)، وغير ذلك من الضلالات المكشوف عنها. انظر: «القاديانية دراسات وتحليل». للشيخ إحسان إلهي ظهير.

التصوف، وفي آخر أمره صار يشطح بشيءٍ من شطحات الصوفية، إلىٰ أن ادعىٰ النبوة مع ضربٍ من التأويل، يقول: إنها نبوة ظلِّية، مقيدة بشريعة الإسلام، ليس فيها تجديد شيءٍ من الأحكام، وأنكر نزول عيسىٰ، وخروج المهدي، وزعم أنما جاء في الحديث من نزول عيسىٰ، هو رمز إلىٰ غلام أحمد هذا، وكذلك ما جاء في خروج المهدي، ثم نُقل عن كتبه أنه يشتم كلمة الله عيسىٰ ابن مريم، وأمه عليهما السلام، إلىٰ غير ذلك من الشنائع، ويتأول القرآن والحديث، وفسرَّهما علىٰ حسب هواه.

وتبعه قومٌ كثير، وقد هلك، وله أتباع إلىٰ الآن، لا يزالون يزيدون، ولهم دعاة في جميع بلدان الهند، بل وفي بلاد الإنكليز، والأمريكان، وغيرها، وأتباعه الآن فرقتان:

- فرقة متبعة له علىٰ ظاهر أقواله.
- وفرقة معتدلة، يقولون: ليس هو بنبي، وإنما هو مجدد، ويتأولون كلماته الشنيعة بتأويلات بعيدة، ويحتجون أن من قبيل تلك الكلمات، كلمات قد نُقلت عن أكابر الصوفية، كالشيخ عبد القادر الجيلاني[1] وأبي يزيد البسطامي[2]

---

(١) عبد القادر بن موسىٰ بن عبد الله الجيلي، أو الجيلاني، أو الكيلاني، (ت: ٥٦١)، قال عنه الذهبي: شيخ الإسلام وعلم الأولياء...والشيخ عبد القادر كبير الشأن، وعليه مآخذ في بعض أقواله ودعاويه. والله الموعد، وبعض ذلك مكذوب عليه». «سير أعلام النبلاء» (٢٠/ ٤٣٩- ٤٥١).

(٢) هو أبو يزيد طيفور بن عيسىٰ بن البسطامي، قال الذهبي: «جاء عنه أشياء مشكلة لا مساغ لها، الشأن في ثبوتها عنه، أو أنه قالها في حال الدهشة والسكر... مات سنة إحدىٰ وستين ومائتين، وقيل أربع وثلاثين ومئتين.

=

وابن عربي[1] وغيرهم، فلما تأول كثير من العلماء كلمات أولئك الكبراء، ولم يمنعهم صدروها عنهم، من تعظيمهم، واعتقاد ولايتهم، فكذا ينبغي في شأن غلام أحمد.

وعلىٰ كل حال فبطلان نِحلتهم واضح، ولكن غلب علىٰ المسلمين الجهل بحقيقة دينهم، حتىٰ المدعي للعلم، كما غلب عليهم عدم الإيمان، والعياذ بالله تعالىٰ.

وثَمَّ فِرَقٌ أخرىٰ من رافضيةٍ وناصبيةٍ، وغيرهم.

وأكثر المسلمين المنتسبون إلىٰ السنة والجماعة وعامتهم حنفية، وهم علىٰ قسمين:

- قسم متمسكون بأصل مذهبهم، علىٰ ما هو مقرر في كتبهم الفقهية، ويذمون البدع ويحرمونها، إلا أن فيهم تعصبًا لمذهبهم شديدًا، يحملهم علىٰ تحريف كثير من الآيات والأحاديث.

= وقال ابن كثير: «قد حكي عنه كلمات فيها شطح، وقد تكلم كثير من العلماء من الصوفية والفقهاء عليها ؛ فمن متأول علىٰ المحامل البعيدة، أو قائل: إن هذا قاله في حال الاصطلام والسكر، ومن مبدع ومخطئ، والله أعلم. «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٨٦-٨٨). «البداية والنهاية» (١٤/ ٥٥٦-٥٥٧).

(١) هو محمد بن علي بن محمد بن عربي الطائي الأندلسي (ت: ٦٣٨) ترجم له الحافظ ابن كثير فقال: «طاف البلاد، وأقام بمكة مدة، وصنف فيها كتابه المسمىٰ بـ «الفتوحات المكية» في نحو عشرين مجلدًا، فيها ما يعقل وما لا يعقل، وما ينكر وما لا ينكر، وما يعرف وما لا يعرف، وله الكتاب المسمىٰ بـ «فصوص الحكم» فيه أشياء كثيرة ظاهرها كفر صريح، وله كتاب «العبادات»، وديوان شعر رائق، وله مصنفات أخر كثيرة، وأقام بدمشق مدة طويلة قبل وفاته، وكان بنو الزكي لهم عليه اشتمال، وبه احتفال، ولجميع ما يقوله احتمال». «البداية والنهاية» (١٧/ ٢٥٢-٢٥٣).

➢ والقسم الآخر - وهو الأغلب - غلبت عليهم البدع في عقائدهم وعباداتهم وعاداتهم، واستولىٰ عليهم الدجالون من المتصوفة، فبدلوا العقائد الإسلامية بكثير من عقائد المشركين، من الهنود، وكثير من عقائد النصارىٰ، وكثير من عقائد الفلاسفة، إلىٰ غير ذلك.

وهكذا العبادات والعادات، حتىٰ صار كل واحد من هؤلاء الدجالين يخترع ما شاء من العبادات، فيأخذها الناس عنه وكل من أنكر عليهم أو خالفهم قاموا عليه، ونسبوه إلىٰ الوهابية(١) وإلىٰ عدم محبة النبي ﷺ، والصالحين، وغير ذلك، ومع أن هذا القسم هم أكثر المنتسبين إلىٰ الإسلام عددًا فالصولة لهم، وكل من عنده شيءٌ من العلم والإيمان يخافهم علىٰ نفسه.

علىٰ أن شأن هؤلاء ليس بحديث، بل هذا حال أكثر العوام، منذ مئات السنين، حتىٰ في مصر، والشام، والعراق، والحرمين، واليمن، وغيرها،

---

(١) الوهابية نبز خصوم دعوة الشيخ المصلح: محمد بن عبد الوهاب النجدي (ت: ١٢٠٦)، وهذا النبز شنشنة متبعة في كثير من بقاع الدنيا علىٰ دعاة الإصلاح للعقائد والعبادات. قال نصير السنة عقيل بن يحيىٰ الإرياني (١٣٢٤-١٣٤٦):

إن أنا نزهتُ إلهي عن الأنداد قالوا: أنت وهابي
لكنَّ لي بالمصطفىٰ أُسوة فقومه سمَّوه بالصابي

وعلق شيخنا إسماعيل الأكوع بقوله: ما زال هذا دأب أعداء السنة، فمن قبل كانوا يتهمون من يميل إلىٰ العمل بالكتاب والسنة، بأنه: ناصبي، واليوم يتهمونه بأنه وهابي، فلا حول ولا قوة إلا بالله. «هجر العلم ومعاقله في اليمن» (١/ ٨٧) -إريان-.

ولله در الفقيه عبد الله بن حسين بلفقيه الحضرمي حين قال لبعض القبوريين المعيرين بلقب الوهابية: نحن وهابيون من أيام محمد بن عبد الله ﷺ الذي جاء بتكسير الأوثان والحنيفية البيضاء». «إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت» للعلامة الأوحد عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف (٣٥٢).

وكثير من الكتب المؤلفة في العقائد، والتفسير، والتصوف، هي من ذلك القبيل، وفي اليمن من هذا شيءٌ كثير، ولا يسعني تفصيل ذلك، ولكن قد صح عن النبي ﷺ أنه كان يقول في خطبته كل جمعة: «إن أحسن الحديث كلام الله، وخير الهدىٰ هدىٰ محمد وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[1] زاد في رواية: «وكل ضلالة في النار»، وورد معنىٰ هذا في أحاديث أخرىٰ صحيحة، ومن كلام الصحابة وعملهم، وتشهد له آيات قرآنية، وغير ذلك من الأدلة.

فهو نصٌّ في أن كل ما لم يكن علىٰ عهد رسول الله ﷺ من الدين فهو خارج من الدين، وإدخاله في الدين إحداث فيه، فهو من شر الأمور، وبدعة وضلالة، وفي النار، وليس من هذا ما كان من الوسائل، كتأليف الكتب، وبناء المدارس، فإن هذا لا يُدَّعىٰ أنه من صلب الدين، وإنما يُقال: إنه وسيلة إلىٰ الدين، فتأليف الكتب وسيلة لحفظ العلم، وبناء المدارس وسيلة لتسهيل تعلم العلم، وليُقَسْ علىٰ هذا.

ومن البدع الشائعة في اليمن وغيرها ما هو شركٌ صريحٌ، وما هو كفرٌ، وما هو فسقٌ، وإلىٰ الله المشتكىٰ.

(١) أخرجه مسلم (٨٦٧) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما بلفظ: «أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدىٰ هدىٰ محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»، وهو حديث مشهور في مصنفات الحديث ودواوين السنة. أما لفظ: وكل ضلالة في النار. فقد جاء في حديث جابر خارج الصحيح، من طريق ابن المبارك، عن سفيان، عن جعفر، عن أبيه، عن جابر، وليس في طريق وكيع، عن سفيان، به. وقد جاء عن ابن مسعود موقوفًا عليه، عند الطبراني (٩/ ٩٩)، و البيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ٤٨٢)، واللالكائي في «أصول الاعتقاد» رقم (٨٥)، وهو مشهور عنه، مع أن أسانيده لا تسلم من مطعن.

ومن أحب أن يتخلص منها، فلا يُقْدِمُ على اعتقاد شيءٍ ولا عمل شيءٍ بقصد التقرب إلى الله تعالى حتى يكون على بينة منه، أنه مذكور في كتاب الله تعالى، مبينًا واضحًا، أو في الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ، ويتوقف عما عدا ذلك، ويُرْشِدُ أهله، وإخوانه، وغيرهم، إلى ذلك.

وقد أَلَّفتُ عدة رسائل في تحقيق هذا الأمر، ومرادي أن أطبعها، وأنشرها، ولكن إلى الآن لم تُسَاعِدِ الأقدار، أسال الله تعالى تيسير ما فيه الخير[1].

وفي الهند فرق كثيرة جدًّا، من غير المسلمين، أكثرهم عددًا: أهل الهند الأصليون، وهم مشركون، يعبدون الأصنام، وقد اتضح لنا من حالهم حال مشركي العرب الذين بعث الله رسوله محمدًا ﷺ ليدعوهم إلى التوحيد، وحال المشركين من الأمم المتقدمة، فإن مشركي الهند يجعلون الأصنام على صورٍ يزعمون أنها صور الملائكة، ثم يعَكفون على تلك الأصنام، يدعون الله تعالى عندها، ويتضرعون إليه، هذا هو شركهم، فلا يعتقدون في الأصنام أنفسها نفعًا ولا ضرًّا، وإنما يزعمون أن تمسحهم بها، وعكوفهم عندها، ودعاءهم الله تعالى لديها: يقربهم إلى الله تعالى؛ لأنه سبحانه وتعالى يحب الملائكة، والملائكة يُسرّون باحترام هؤلاء الأحجار المنقوشة عليها صورهم، وقد بيَّن الله جلَّ ذكره هذا المعنى في كتابه، حيث حكى عن المشركين عبادتهم للملائكة وأنهم يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ

---

(١) لعله يعني كتابيه: «حقيقة البدعة»، و: «صدع الدُّجُنّة في فصل البدعة عن السنة»، وقد تقدم الحديث عنهما في الفصل الأول من الباب الرابع.

زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]. وقال في آية أخرىٰ: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس:١٨].

ومشركو قريش كانوا يزعمون أن الملائكة بنات الله، تعالىٰ الله عن ذلك، ثم زعموا أنه ينبغي عبادة الملائكة؛ ليقربوهم إلىٰ الله زلفىٰ، ثم لما كان الملائكة غائبين عنهم، ولا يدرون كيف يعبدونهم، تعلموا من مشركي الأمم الأخرىٰ جَعْلَ الأصنام، فجعلوا لبعض الملائكة صورًا حسبما خيَّل لهم الشيطان، ولبعضهم مشاهد، وسمَّوا كل صورةٍ أو مشهدٍ باسم ذلك الملَك، علىٰ حسَب ما يُوحي إليهم الشيطان، فكانوا يزعمون أن المقربين من الملائكة يقال لهم: اللَّات، والعُزَّىٰ، ومَنَاة. سموهم بأسماء الإناث؛ لزعمهم أنهم إناث، فجعلوا لكل واحدة من هذه الثلاثة صنمًا، أي: مشهدًا، وسموا باسمه كما يقال لصورة الفرس: فرس، ولصورة الأسد: أسد، ونحو ذلك، ثم أخذوا يعَكفون علىٰ تلك المشاهد، أعني الأصنام زاعمين أن احترامهم يعطف عليهم قلوب الملائكة المذكورين؛ ليشفعوا لهم، عند الله تعالىٰ، ويقربوهم إليه.

وإذا أحببتم أن تعلموا هذا المعنىٰ يقينًا، فاقرأوا سورة النجم، متدبرين لها، ملاحظين مناسبة كل آية للتي قبلها، أو التي بعدها، فإنكم ترون هذا المعنىٰ واضحًا جدًّا، وتعجبون من غالب المفسرين كيف غَفَلوا عنه، مع أن في القرآن آيات كثيرة، ما يشهد له، وكذلك في السنة والتاريخ.

وأرىٰ أن تدبر سورة النجم كافٍ شافٍ وافٍ، علىٰ أن أصل وجود الأصنام في الأرض كان في قوم نوح، كما رُوي عن الصحابة، في تفسير قوله تعالىٰ:

﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح:٢٣]، انظروا في «الخازن»[١].

وإذا تدبرتم هذا وذاك[٢] مع الآيات التي نعى الله تعالى فيها على النصارى: عبادة عيسى عليه السلام، وغير ذلك، تبين لكم ما في أعمال المسلمين من هذا القبيل، وانظروا أيضًا في «كنز العمال»، أحكام المساجد، وكتاب الجنائز، يتبين لكم غير ذلك.

وبالجملة فالقاعدة المتقدمة مفيدة جدًّا، وبالله التوفيق.

ثم إن غالب سكان الهند هم هؤلاء المشركون، حتى إنهم أكثر من المسلمين أربع أو خمس مرات، وكلماتهم مجتمعة، وهمتهم شديدة في تَعَلُّمِ العلوم الجديدة والحِرَف والصنايع، والتجارة، وجمع الأموال، وحالهم في هذا الأشياء أحسن من حالة المسلمين في الهند بكثير، وإلى الله المشتكى.

هذه صفات الهند العامة.

---

(١) يحيل إلى «لباب التأويل في معاني التنزيل»، للعلامة علي بن إبراهيم المعروف بالخازن (ت: ٧٤١)، وللمعلمي كتاب: «عقيدة العرب في وثنيتهم»، بسط ما أوجزه هنا، فارجع إليه إن شئت، «آثار المعلمي» (٦/ ١٥٧-).

(٢) هاهنا إشارة دعوية تربط بين حال المعبودات وعبادها الذين اتخذوها شفعاء بينهم وبين الله عز وجل؛ وبين حال بعض المسلمين الذي اتخذوا الأولياء والصالحين بينهم وبين ربهم؛ بما أحدثوه عند الأضرحة والقباب! والمسبب للصنفين: الغلو في الأفاضل. فأولئك غلوا في الملائكة، وهؤلاء غلوا في الصالحين! فرحم الله المعلمي! ما أحرصه على قومه بالحكمة والموعظة الحسنة! وهكذا شأن الراسخين. سلك الله بنا سبيلهم!.

فأما الجهة التي أنا فيها، فإنه يقال لها: (دكن)، والمدينة: (حيدر آباد)[1]، ومعنىٰ: آباد: عمارة، والمراد بحيدر: أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، أضافوها إليه تبركًا، فمعنىٰ الاسم: عمارة حِيدر، والإضافة في كلام العجم معَكوسة.

وهو بلد واسع، عامر، خصيب، ليس بجبال شامخة، ولا بوديان منخفضة، وإنما هو منبسط جبلي، فيها جبالٌ صغيرة، وغالب أرضه زراعية، وفيه مبانٍ شامخة، ومياهه من المطر، سَدُّوا لها أسدُدًا عظيمة جدًّا، يكاد يكون الواحد منها مد النظر، والماء سائر السنة، يخرج من هذه الأسدد، ويصفىٰ بواسطة آلات مصنوعة لذلك، ثم يوزع إلىٰ جميع البيوت، والمساجد، والشوارع، فيجدون في كل بيت أنبوبة موزعة علىٰ أمكنته، وفي كل مكان حنفية، يعني: لولبًا ملصقًا بالأنبوبة، إذا أراد أحدٌ الماء حرَّك غطاء الحنفية فينصب الماء، وإذا اكتفىٰ حرَّك الغطاء ثانية فينسد.

وكذلك النور الكهربائي، لعلكم شاهدتموه في مصوع أو في البابور[2] عند حجكم، وهو نورٌ يتولد من قوة مخصوصة، لا ترىٰ ولا تحس ولا تلمس، وإنما تعرف بأثرها، وفي البلد محلٌّ كبير لآلات هذا النور، ويتوزع إلىٰ جميع

(١) واسمها الكامل (حيدر آباد الدكن) وكلمة دكن تعني: الجنوب.

(٢) لعلها: مُصَوَّع، من قرىٰ بلاد (عبس)، في (تِهامة)، علىٰ طريق حاج اليمن في ذلك العصر من بعض جهات التهائم.

والبابور في عُرف أهل اليمن: السيارة الكبيرة التي تشتغل بالمشتقات النِّفطية، وكان من مراكب الناس في ذلك العصر، وأما الآن فأصبح لحمل الأثقال.

البيوت، بواسطة سلك يشبه السلك التلغراف[1] ويَقْدِرُ الإنسان يجعل في بيته من السُّرُجِ، ما شاء، وقوة السُّرُجِ تختلف باختلاف الزجاجة، فمن الزجاجات ما يُضيء إضاءة مئة شمعة، وأقل وأكثر، وصاحب البيت يُعطي في مقابل الماء والنور مبلغًا من المال».

قال الناسخ: انتهىٰ صورة الكتاب، والحمد لله.



(١) التلغراف: نظام لنقل الرسائل بجهاز يسمىٰ المِبْرقة. وقد كانت المبرقة أول جهاز تم اتخاذه لإرسال الرسائل بالكهرباء، ومعظم رسائل البرق كانت ترسل في وقت من الأوقات بتخصيص شفرة معينة لكل حرف عن طريق مفتاح المبرقة. ثم تقوم المبرقة بتغيير النقط والشرط الخاصة بالشفرة إلىٰ نبضات كهربائية وإرسالها بأسلاك البرق. كان ذلك يسمىٰ (شفرة مورس). انظر تفاصيل أخباره في: «الموسوعة العربية العالمية»، وليس الخبر كالمعاينة.

المبحث الثالث

لفظ الرسالة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي الوالد البركة عماد الإسلام الفقيه

يحيى بن علي المعلمي

حفظه الله وعافاه ورزقني بره ورضاه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أرجو والدي قبل كل شيء العفو والمسامحة، وأن لا يحرمني ما عودنيه من دعواته الصالحة، فإن رضاه عني ودعاه لي هو رأس مالي في الدنيا، ولولاه لكنت نسيًا منسيًّا، وإنْ -والعياذ بالله- انقطع عني رُدِدتُ إلىٰ أسفل سافلين.

وكم موطن لولاه طِحْتُ كما انهوىٰ بأجرامه من قُنَّةِ النِّيقِ منهوىٰ[1]

أعوذ بالله من سوء العاقبة، ومن الحَور بعد الكَور!

المكاتبة لم أقطعها ولا ينبغي لي أن أقطعها، ولم أزل بين حين وآخر أكتب المكاتيب وأرسلها.

---

(١) بيت من قصيدة ليزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي -(ت: ١٠٥) تقريبًا- يعاتب أخاه، احتج به سيبويه في «الكتاب» (٢/ ٣٧٤)، والقالي في «الأمالي» (١/ ٦٨)، وهو في بعض المصادر: (قُلَّةُ النيق).. وقُنَّةُ الجبل وقُلَّتُه: أعلاه، والنِّيقُ: الطويل من الجبال. وهو في مصادري: (لولاي).. واستعاض الإمام بالهاء؛ ليستوي السياق.

وقبل أن يجئ الولد أحمد[١] كانت مضت فترة مثل هذه كتبت فيها عدة كتب، ولم يصلني جواب، حتى وصل الولد أحمد، وعقب وصوله كتبت المكاتيب وأرسلتها.

وهكذا كتبت عدة كتب، كلما استبطأت الجواب كتبت، حتى جزمت بأن كتبي لا تصل إليكم؛ فارتبت في الوسائط، فكتبت من طريق آخر، ولم يصل جواب أيضًا؛ فاعتورتني الشكوك!.

فتارة أقول: لعل الحكومة تمنع الكتب؛ لوهَمٍ من الأوهام! أو لعل واقعة مُخَوِّفةً قد وقعت! أو لعل والدي -والعياذ بالله- غير راضٍ عني!.

وأخيرًا كتبت كتابًا باسم الأخ الشيخ أحمد بن مصلح الريمي وفي طيّه كتاب لوالدي، وأرسلته بواسطة غير الوسائط المتقدمة، وعسى أن يكون وصل!.

وكان في النيّة أن أسافر إلى (عدن)؛ لأجل أُكاتب من هناك، ولكن السفر يحتاج إلى مصروف فوق الطاقة!

بعد أن وقعت الريبة في الوسائط؛ لم أَجْسرْ على إرسال شيء غير المكاتيب، وأقول في نفسي: عسى أن يصل الجواب قريبًا، وتطمئن النفس إلى بعض الوسائط، وعلى كل حال فما أبرئ نفسي، وأنَّى لي البراءة؟!

بل من المفروض عليَّ أن أترك كل شيء وأُبادر إلى زيارة والدي والفوز بخدمته، ولكن إيماني أضعف من ذلك، مع أني أُعلل نفسي بأن والدي راضٍ ببقائي هاهنا، ولا أدري إذا عزمت على الوصول إليه أأتمكن من الوصول أم لا؟!

---

(١) هو ابن أخيه الأكبر محمد بن يحيى المعلمي (ت: ١٤١٦)، الذي تولى تعليمه ورعايته في بدء طلبه للعلم، كما سبق بيانه في الفصل الأول من الباب الأول، فرعاية الإمام لابن أخيه من رد الجميل، ولا غرو، فالإنسان الكريم صنيعة الإحسان.

أما ولدي عبد الله فهو وأبوه وأمه لكم الفداء!

وقد شق عليَّ جدًّا قولكم: «أَشفِق إلىٰ[(١)] والدك كما تشفق علىٰ ولدك»، ولكن لكم الحق في ذلك؛ فإن مرور هذه المدة الطويلة بدون أن يصلكم كتابٌ مني كافٍ للإيقاع في الشك والارتياب، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

الولد أحمد بن محمد بخير، والحمد لله، وقد كنتُ عرَّفتكم في مكاتبتي السابقة:

- **أولًا**: بأنه وصل، وشرع في طلب العلم.
- **وثانيًا**: بأنه يلح عليَّ بأن أزوجه!
- **وثالثًا**: بأن الله تعالىٰ يسر له ببركة دعائكم وظيفة، يأخذ منها نحو ثلاثين إلىٰ أربعين ريالًا في الشهر.
- **ورابعًا**: بأنه تزوج.

وهو بحمد الله تعالىٰ في حالة تحصل الراحة والطمأنينة بأقل منها، ولكن طبيعته لا تزال تنغص عليه عيشه! وتكدر عليه حاله! وذلك أمرٌ يصعب أو يتعذر علاجه! وعلىٰ كل حال فلا تنسوه من الدعاء.

الأخ أحمد في محلِّه الأول، وهو -بحمد الله تعالىٰ- ثم ببركة دعائكم بخير، وقد تزوج، ووُلِدَ له بنتٌ، ثم ولدٌ، وهو دائمًا يكاتبني ويتأسف لانقطاع مكاتبتكم[(٢)].

(١) كذا، ولعلها: «أشفق علىٰ والدك...».

(٢) تقدمت أخبار أحمد بن يحيىٰ المعلمي في الفصل الأول من الباب الأول، وهذا الكلام مما يدل علىٰ معرفة والده به، واطلاعه علىٰ أحواله، بوسيلة المراسلة.

الولد أحمد لم يبلغني عنكم بحمد الله تعالىٰ إلا كل خير، ولو فرضنا أنه بلَّغني غير ذلك؛ فلم يكن مثل هذا الأمر الهين ليحملني أن أُوقِعَ نفسي في الهلاك القطعي والشقاء الأبدي، فأتعمد قطيعة والدي، ولم تبلغ قلة عقلي وضعف إيماني إلىٰ هذا الحد، ولا إلىٰ أقل منه، بل أقول: إنه لا يُتصور أن يقع مثله من إنسان، ولو كان من عبدة الأوثان!.

الأخ أحمد بن مصلح الريمي(١) بلغوه عني السلام، وجزاه الله تعالىٰ خيرًا، والدراهم التي يُطالب بها ستصله بعد هذا -إن شاء الله تعالىٰ- فإني قد كتبت إلىٰ جماعة من (عدن)، أبحث عن رَجُلٍ ثقة، يكون بينه وبين (الخادم أحمد غالب وجيه)(٢) معاملة ومراسلة؛ لأجلٍ أن تكون المكاتبة والمراسلة بواسطة، فإن الأخ الفاضل محمد بن سليمان المعلمي عرَّفني أن تكون المراسلة بواسطة الخادم المذكور، وأرجو أن يُيسر الله تعالىٰ واسطة معتبرة، لا تكون كالوسائط الأولىٰ.

هنيئًا للكريمة (عطية) هي والله خيرنا، وأفضلنا، وأسعدنا، رزقها الله هذه السعادة العظيمة: خدمة والدها عند عجزه، وتقصير بقية أولاده!

الأخ عبد المجيد(٣) أرجو أن يكون قد صرف الله تعالىٰ عنه كيد الشيطان ووسوسته، ورجع إلىٰ ما تحبون، وعلىٰ كل حال فهو لا يزال مستقبلًا للدنيا، فاعذروه، وارفقوا به.

---

(١) تقدمت ترجمته في الفصل الرابع من الباب الأول.

(٢) ولد في قرية (بني حَطَّام) من بلاد (وصاب الأسفل)، ودرس في (زبيد)، ثم عمل في التجارة، داخل اليمن وخارجه، ولما فشلت ثورة (١٩٤٨م) علىٰ يحيىٰ حميد الدين -وكان الخادم علىٰ صلة بمعارضيه- قتله أحمد يحيىٰ حميد الدين.

(٣) تقدمت أخبار عبد المجيد بن يحيىٰ المعلمي، وعطية بنت يحيىٰ المعلمي في الفصل الأول من الباب الأول.

زوجتي أصابها مرض صعب، بحيث زال عقلها، وصارت في حالة جنون مطبق، وبقيت كذلك نحو سبعة أشهر، تعبتُ في أثنائها تعبًا شديدًا، ولا سيما بالخسارة والمداواة!

فإن الطب هاهنا منتشر، وبعض الأدوية غالية جدًّا، والأطباء يطالبون بأجرة فاحشة، وبفضل الله تعالىٰ، ثم ببركة دعائكم عافاها الله، وهي الآن بعافية.

اجعلوا أكثر دعائكم للمسلمين، فإن هذا العصر عصر اضطراب، إذا وفق الله المسلمين لمراجعة دينهم وجمع كلمتهم، والجد في صلاح شأنهم، رجعوا إلىٰ عِزٍّ ونجدة، وخيرٍ في دينهم ودنياهم، وإن بقُوا علىٰ تقصيرهم واختلافهم فيما بينهم ففي ذلك غاية الخطر عليهم[1].

إن من دعائي كل يوم هذا:

«اللهم اغفر لوالدي وارحمه، وتغمده برحمتك، وأصلح شأنه، ويسر رزقه، وسهل أمره، وأصلح شأنه، في دينه ودنياه، وارزقني بره وصلته ورضاه، واجمع بيني وبينه في مستقر رحمتك، بدون سبق عذاب، وارزقني وإياه في الدنيا ما فيه صلاح ديننا ودنيانا، وأُولانا وأُخرانا، وعاقبة أمورنا، وسائر أمورنا، بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين».

ثم أدعو كذلك للوالدة وللأخ محمد، والأخت فاطمة ﷺ، ولغيرهم ثم أقول:

«اللهم أصلح المسلمين، ووفقهم، واهدهم، وأعنهم، ووفقهم لاتباع دينك والعمل بكتابك وسنة نبيك، وأصلح لهم دينهم ودنياهم، واعمر لهم دينهم ودنياهم، ووفقهم لصلاح دينهم ودنياهم، وعمارة دينهم ودنياهم،

(١) رحم الله المعلمي، كيف لو أدرك زماننا!!!

واجمع كلمتهم، وألِّف بين قلوبهم، وأصلح ذات بينهم، وأيدهم على عدوهم، فيصبحوا ظاهرين، بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين»[(١)].

الأخ الفاضل محمد بن سليمان المعلمي جزاه الله تعالى خيرًا، كتب إليَّ مع كتابكم، وذكر لي وفاة زوجته الكريمة ميمونة رَحِمَهَاٱللَّهُ وإنا لله وإنا إليه راجعون، وشرح لي بعض الأمور، وقد كتبت إليه الجواب مع هذا.

فضلًا اقرؤوا سلامي على الإخوان والأصدقاء، والتمسوا لي الدعاء منهم، ولا سيما الكريمة عطية، الفائزة بسعادة خدمتكم، ليتني كنت معها، وعسى أن يكون لي من رضاكم ودعائكم بعض العِوَض.

الولد أحمد، والولد عبد الله، وأمه يقرؤنكم السلام، ويسألون الدعاء.

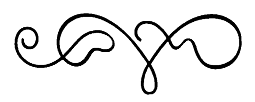
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حرر عقب وصول كتابكم بعد عصر يوم الاثنين

(٨/ جمادى الأولى/ ١٣٥٨)

التوقيع

ولدكم عبد الرحمن



(١) ما أرق مشاعر المعلمي، وما أعظم بره بأهله، بل وبعامة إخوانه المسلمين، ف رَحِمَهُٱللَّهُ وأعلى درجته.



الفصل الثاني

من رسائله لأقربائه

المبحث الأول: التعريف بهذه الرسائل:

اشتمل هذا الفصل على ست رسائل، أربع أرسلها الإمام إلى أخيه أحمد، وقد انتخبت هذه الأربع من سبع عشرة رسالة، لما فيها من الفائدة العلمية أو الخبرية في حياة المعلمي، ولأني نقلت منها في الأبواب السابقة، فأحببت أن يقف عليها القارئ، للتوثيق، ولمزيد من الفائدة التي لم أنقلها.

وأما تواريخ إرسالها فالأولى أرسلها سنة (١٣٥٤)، من الهند، والثانية والثالثة سنة (١٣٧٥)، والرابعة سنة (١٣٧٧)، والثلاث من مكة المكرمة.

وقد دللت هذه الرسائل على بِرِّ المعلمي بأهله وعشيرته، وتفقدهم بالسؤال والمال، وهكذا هي بركة العلم العمل، كما دللت على تواضعه وخفض جناحه، ورِقّة مشاعره، فهو يكتب بلغة رقيقة عذبة، لا تشْتمّ منها رائحة مكانته العلمية العالية، بل يهضم نفسه فيها، ويخاطبهم كواحد منهم. حتى إنها خلت من التصدير باسمه: (من...إلى...).

كما دللت على مكانة أخيه أحمد عنده، يبوح له بتباريحه، وينفث في رسائله إليه ريحه، مع أن له أخًا اسمه عبد المجيد، لكن هو عنه بعيد، ووصول الرسائل إليه متعسر إن لم يكن متعذر، أما أحمد فله به مزيد اختصاص،

فقد عاشا معًا في دولة الإدريسي، ثم ترافقا في الرحلة الطويلة من (عسير) إلىٰ (حيدر آباد) مرورًا بـ(عدن) و(زنجبار) وثَبَج البحار. وقد كان أحمد مشاطرًا لأخيه الإمام في رقة المشاعر وحنان العاطفة، ولكن لم أقف علىٰ رسالة منه، وفي مطاوي رسائل الإمام ما يكشف عن ذلك الود الخالص.

وهذا الرسائل المنتخبة كلها بخط الإمام، بعث بها إليَّ مع أخواتها الشيخ المكرم أبو عوف عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الحضرمي، -المقيم ببلاد (إندونيسيا) الذي صورها من الشيخ أحمد بن يحيىٰ المعلمي، وقد كان من خلانه وأحبابه. فشكر الله لأبي عوف وأثابه.

وأما الرسالتان الأُخريان:

فالأولىٰ: أرسلها الإمام إلىٰ صهره: الفقيه محمد بن سليمان المعلمي المتوفىٰ ليلة الجمعة (٢٤/ شعبان/ ١٣٦١)، زوج أخته: ميمونة بنت يحيىٰ بن علي المعلمي.

وهي بخط الإمام الدقيق الجميل، وقد صَدَّرَها بفرحه بوصول كتاب والده إليه، بعد انقطاع أوجس في نفسه خيفة أن سببه: غضبه عليه، ثم ثنىٰ بالشكر لصهره علىٰ حُسْنِ رعايته لخاطر والده الفقيه: يحيىٰ بن علي المعلمي، وغِبْطته له في ذلك، وتبشيره له بالبركات العاجلة والآجلة من الله تعالىٰ، ثم طلب منه إقراء السلام علىٰ شيخ ناحية (عُتُمة) في ذلك الوقت الشيخ: سعيد بن أبي بكر معوضه، وعَتْبه عليه إيثار راحته في ترك الوظيفة علىٰ القيام بمصالح الناحية، الذي سبب حرمانًا لأهلها من منافع قيامه بذلك.

ثم كشف لصهره أنه متوجس خيفة من أخيه: عبد المجيد؛ أن يكون مقصرًا في خدمة والده؛ انشغالاً بالدنيا؛ بسبب عدم ذكر والده له في رسائله إلىٰ الإمام، لكنه استدرك فطلب التيقن من ذلك، فعندئذٍ عليه إعانة عبد المجيد علىٰ نفسه والشيطان، بالعودة إلىٰ بر والده، والقيام بخدمته؛ محذرًا له: أن الإخلال بخدمة الوالد في آخر عمره، هو غاية الحرمان ونهاية الخسران، ثم سرد بعض الأحاديث الشريفة في فضل بر الوالدين، والتحذير من عقوقهما.

وأما الرسالة الثانية: فأرسلها الإمام سنة (١٣٧٤) من البلد الأمين مكة -حرسها الله- إلىٰ الشيخ الفقيه الوجيه: أحمد بن محمد بن عبد الله المعلمي (ت: ١٣٨٧).

وهي بخط الإمام الدقيق الجميل، وباللون الأزرق. وما أجمله بأنامل المعلمي، أو شيخنا العَمراني!

ولهذه الرسالة نسخة أخرىٰ منقولة عن خط مرسلها بخط المرسَل إليه.

نهض فيها إلىٰ تفنيد دعوىٰ رفع نسب آل المعلمي إلىٰ الصديق ﵁، بنَفَس النسابين المحققين، وأفاد فيها أنه قد رجع عن رفع النسب إلىٰ الصديق ﵁، وأن المعتمد عنده: أن آل المعلمي ينتهي نسبهم إلىٰ (بجيلة) من عَكّ بن عدنان، ورغب إليه أن يبثّ هذا وينشره، لا سيَّما بين عشيرته؛ ليعدلوا عن الفخر بما لا يصح!

ثم رغب إليه بكتابة شجرة نسب محمد بن الحسن بن صالح -الجد الأعلىٰ لعشيرة آل المعلمي- وفروعه حتىٰ هذا العصر، مع ترجمة من تيسرت ترجمته، ولفت انتباهه إلىٰ أن هذا العمل عميم النفع، عظيم الأجر، وهو أعظم نفعًا من البحث عن أصل النسبة!

كما تناول في رسائله أمورًا أخرىٰ، سيجدها القارئ حينما ترسو به سفينة التَّطواف عند شاطئ هذه الرسائل المشحونة بالعلم والأدب.

ومصدري لهاتين الرسالتين هو الشيخ الوجيه محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله المعلمي المولود سنة (١٣٥١) -حفظه الله ونفع به-، والرسالة الثانية هي إلىٰ والده، وكان من أصدقاء الإمام المعلمي، رحم الله الجميع.



المبحث الثاني

لفظ الرسالة الأولى

الحمد لله.

أخي الصفيّ حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتابك رقيم ٢٤ مارس سنة ١٩٣٦ وصل، وحمدت الله تعالىٰ علىٰ عافيتك وصلاح حالك، كتبك السابقة وصلت، ولا عُذْر لي في عدم الجواب، إلا أن ما تعهده فيَّ من الخُلُق المَرَضي [بفتح الراء]، أو المرض الخُلُقي [بضم الخاء]، أعني الانقباض والرغبة عن المزاورة يزداد تمكّنًا، فإنَّ ههنا أناسًا تقضي عليَّ المصلحة بكثرة زيارتهم، ولكن نفسي تغلبني فأدع ذلك، حتىٰ إني لا أكاد أتعمد زيارتهم ولو يوم العيد، وفي مقابل ذلك أكره أن يتعمَّد أحد زيارتي ولو يوم العيد.

وحسبُك ما بيني وبين الأخ مكي من المودّة لم أكتب إليه منذ سنين؛ بل وعرَّفته أن لا يكتب إليّ، وكذلك حال الشيخ سليمان فإن منزلته في قلبي مكينة، ومع ذلك لا أكاد أكتب إليه إلا شبه المُكْره.

دعنا من هذا، فإنك تعلم حقيقة هذا الأمر من نفسك أنت مني وأنا منك، وليس علىٰ وجه الأرض بعد سيدي الوالد -حفظه الله تعالىٰ- من يسرني سروره أزيد منك، ولا أعلم لك ذنبًا.

أما ما ذكرته من النقود الموفَّرة، فإني منذ مدَّة أحرص على التوفير وإلى الآن لم يمكني أكثر من ثلاثمئة وسبعة وخمسين رُبِّية، مع أني مشهور هنا بالبخل. وهذا المقدار فكَّرت أن أبعث إليك منه بشيء ولكن إلى الآن ما عزمت على ذلك.

أولاً: لأني من نحو سنتين لم أرسل إلى الوالد بشيء؛ لأني قبل ذلك أرسلتُ بما أرسلت به وطلبت الجواب فلم يصل جواب، وكررتُ الكتب ولا جواب، ولا أدري ما السبب أهو تعويق من جهة الحكومة، فإن محمودًا الحرازي هنا يشكو مثل هذا.. أم غير ذلك.

وثانيًا: قد ضاق صدري من الإقامة هنا وأحبّ أن أخرج شهرًا أو شهرين أنفخ[1].

وثالثًا: دائرة المعارف هذه الأيام في مهبّ الريح، قد أخرجوا اثنين من مصححيها القدماء ممن لهم صِلات وروابط بأهل الحَلِّ والعقد، فأما أنا فليس لي شفيع إلا لياقتي، وهي في هذا الزمان وهذا المكان أضعف الشفعاء.

ورابعًا: أنا مشتغل بتأليف رسالة مهمة وأحبّ أن أطبعها على نفقتي إن أمكن؛لأني لا أطمع أن أحدًا يساعدني بطبعها، ولا تطاوعني نفسي أن أطلب المساعدة من أحد.

---

(١) نفخ بفمه ينفخ نفخًا، إذا أخرج منه الريح، يكون ذلك في الاستراحة والمعالجة ونحوهما، قاله ابن سيده. في «المحكم والمحيط الأعظم»، وعنه الزبيدي في «تاج العروس» جذر (ن ف خ). ومنه قول أهلنا في اليمن: أخرج لأنفخ، كناية عن الترويح عن النفس.

وخامسًا: وهو أضعف الأسباب، أني أرىٰ أن البركة في التجارة إنما هي في النموّ الذي يحصل منها بمعونة الاعتماد علىٰ الله ﷻ، والجدّ في العمل والاقتصاد في النفقة.

هذا وإني أعرف وأعترف بأن لك الحق أن تَعْتُب عليّ وتلومني وأشد من ذلك، فإنك لا تستطيع أن تفهم كيف أصرف في كل شهر نحو مئة وثلاثين رُبّية مع الاقتصاد، ولا يلزمك أن تحسن الظن بي، وكان عليّ أن أشرح لك نفقتي تفصيلاً، ولكني أرجأت ذلك إلىٰ وقت آخر.

أما قولك: (فاعذروني إذا رأيتم في كتابي هذا من كلمات تنافي الأدب) فإني لم أرَ فيه إلا هذه الكلمة، فإني غَلَبت عليّ الصراحة وبُغْض الآداب المتكلَّفة، وأحب شيء إليَّ: أن تدع قلمك يترجم عن قلبك، مفوِّضًا إليه التعبير عن خواطرك بحريته الكاملة، وقد قيل: (إذا ثبتت الأُلفة سقطت الكُلْفة)، فما بالك بالأخوّة! مع أن خُلُقي الآن بُغْض التكلّف مُطلقًا.

أما الولد أبو بكر بن محمد فإنه كان ذهب هو وأخوه[1] إلىٰ سيدي الوالد ولم يناسبهما المُقام، فأما أبو بكر فاحتال ورجع إلىٰ أخواله وبقي عندهم، وسأكتب إليه إن شاء الله تعالىٰ، ولا أظنه يوافق.

وأما أحمد فلم يصبر علىٰ البقاء عند الوالد فالتجأ إلىٰ أحمد مصلح وهو باقٍ عنده، وجاءني منه كتاب يناشدني أن أطلبه، وأنه في مشقة شديدة وكنت قد كتبت إلىٰ الوالد في إرساله ولم أُلحّ في ذلك، لأني لا أرىٰ لأحمد بن محمد مصلحة في المجيء إليَّ ظاهرة.

(١) أبو بكر وأحمد، كلاهما أبناء أخيه محمد بن يحيىٰ المعلمي.

أما الزواج، وما أدراك ما الزواج، فلا أستطيع أن أشير عليك بشيء، لأني في نفسي وجدت الزواج فيه خير وفيه شر، أما خيره فحفظ العفة والنّاموس. وأما شرّه: فكثرة المصارف ونكد الخاطر دائمًا وغير ذلك.

والنساء أشبه بالضأن؛ جوف لا يشبعن، وهِيم لا ينقعن، وأمر مُغويتهنّ يتبعن، ولا سيما في اللباس والحليّ، أشدّ شيء على المرأة أن ترى عند صاحبتها حُليًّا ليس عندها أغلى منه، أو لباسًا ليس عندها أجمل منه، والأمر أشد من ذلك، فإن لم يوافقها زوجها -وطبعًا لا يقدر على موافقتها- أدخلت عليه الهمّ والغمّ، أما أنا فإني لا أبالي بهوى زوجتي ولكن لا أسلم من الغم ونكد الخاطر وتكدّر الحال.

وبالجملة، فإني أحبّ أن تتزوج؛ لأن خير الزواج أهمّ من شرِّه كما تعلم، ولكني لا أقدر أن آمرك لما ذكرت أن تعبه أعظم من راحته. فعليك أن تستخير الله ﷻ، فإذا غلب ميلك إلى الزواج فاجتهد أن تكون امرأة موافقة، واستخر الله تعالى فيها ثم تزوج.

وقد قال سفيان الثوري: «من تزوج فقد ركب البحر، فإذا وُلِد له فقد انكُسِر به»، يعني: انكسرت سفينته[1].

وأما الوَحْدة فإني أشدّ منك فيها، والله ما أعلم إنسانًا هنا يؤنسني الاجتماع به إلا واحدًا هو الشيخ أحمد العبادي، ومع ذلك فلا أكاد أجتمع به في السنة ثلاث مرات، وليس هو كما أحب من كل جهة. أما بقية النّاس فإن اجتماعي بهم يكدّرني ويغمّني. وكنت سابقًا أروّح نفسي في الشهر مرتين بمشاهدة السينما، ثم رغبت عنها لأسباب منها:

---

(١) أخرجه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» رقم (٦٦).

أن الألعاب الجديدة أوغلت في الفُحْش والخلاعة، وتلك سماجة تذهب اللذة.

وثانيًا: أنها لمّا صارت مع النطق والكلام صار ثلاثة أرباعها غناءً ومعظم لذة السينما إنما هو في القصّة، وأما الغناء الهندي فلا أستلذّه.

وثالثًا: وهو أضعف الأسباب أن المنتمين إلىٰ العلم والدين هنا مقاطعون للسينما.

أما الفُرجة والنزهة فلا حظَّ لي فيها؛ لأن معظم شروطها الإخوان وأين هم؟!

ولهذه الأمور شَمِطَت لحيتي، وضاقت جدًّا طبيعتي، وصرت كما قيل[1]:

عوىٰ الذّئب فاستأنست بالذّئب إذ عوىٰ ... وصوّت إنسان فكدت أطير

وبالجملة، فحياتي ههنا تعيسة بئيسة والحمد لله علىٰ كل حال، فإن نِعَمه سبحانه وتعالىٰ عليَّ وعلىٰ خلقه لا تحصىٰ، ومن أعظم ذلك أنني بحمد الله تعالىٰ لا أحتاج إلىٰ أحدٍ من الناس، وأني رُزِقت شيئًا من اللّذة في الكتب، وقد وجدت لذَّة في كتابتي لهذا الجواب علىٰ خلاف العادة فطوّلته، وأجدني مشتاقًا إلىٰ التطويل، ولكن أخشىٰ أن تعدّ أكثر كلامي نوعًا من الهذيان، ولعلّه كذلك.

---

(١) البيت للأحيمر السعدي (ت: ١٧٠) تقريبًا، ذكره من قصيدة له ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» (٥٣٤).

وصل كتابك هذه الليلة، ليلة ثامن محرّم[1]، وأهل البلد منشغلون بألعابهم المحرميّة، وأنا هذه السنة رغبت عن التفرج، مع أني كل سنة كنت أصرف أكثر هذه الليالي فيه، وكنت هذا اليوم قد اشتغلت بالكتابة في الرسالة المذكورة آنفًا حتىٰ سئمت وترددت في الخروج للتفرج، فلما جاء كتابك انفتح لي هذا الباب فشرعت في كتابة الجواب، وخشيتُ إن أنا أخرته أن تهيج بي طبيعتي المعهودة فيتأخر.

وأقسم باللهِ تعالىٰ لولا أن عندي شيئًا من العلم أرجو أن ييسر الله تعالىٰ نشره، وأن طاعتي لله ﷻ حقيرة، أرجو إن طالت بي حياة أن ييسر الله تعالىٰ لي خيرًا منها: لكان الموت أحب إليّ من الحياة، بل لكان الموت هو المحبوب والحياة مكروهة، هذا معتقدي الآن ولا أدري ما يحدث بعد، والسلام.

أخوك

عبد الرحمن



(١) أي: سنة (١٣٥٥).

المبحث الثالث

لفظ الرسالة الثانية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سيدي الأخ الصفي أحمد بن يحيى المعلمي العتمي حفظه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أرجو الله تعالىٰ أن تكون أنت وأهلك وأولادك بخير وعافية، وأسأله تعالىٰ أن يديم لكم ذلك ويصلح سائر شؤونكم، أنت تعرف عيبي في التقصير في المكاتبة، والعيب إذا استحكم ربما لا يبقىٰ وجهٌ للعتاب عليه، وعلىٰ كل حال فالحق لك.

في موسم الحج الماضي جاءنا الأخ عبد المجيد وكتب إليكم كتابًا لا أدري وصل أم لا، أما أنا فبعد وصولي هنا لم تتهيأ الأمور كما ينبغي؛ لأن ذاك يستدعي أعمالاً لا يدعني كسلي وغيره من خلائقي أن أؤديها، ثم تحسَّنت الحال أخيرًا إلىٰ حدٍّ ما، وشَرعتُ أفكر في ترتيب الأمور الأقرب فالأقرب، أسأل الله تعالىٰ التيسير والتوفيق.

الولد عبد الله لا يزال إلىٰ الآن في (باكستان) يتعلم، ونريد أن نطلبه إلىٰ هنا بعد سنة تقريبًا، ولعلنا نحصل له علىٰ خدمة هنا، وزوجتي لا تزال في (الهند) وهي مريضة مرضًا مزمنًا لا يمكنها معه القيام بمصالح نفسها فضلاً عن غيرها، وأنا مرتّب لها معيشتها هناك، ولي فكرة في الزواج إذا وجدت امرأة عاقلة فيها بقية.

ولا يزال فكري مشغولاً بشأن أولادك لكني كنت أقول: القضية التي لا يسعني أن أعمل فيها شيئًا الأولىٰ أن أحاول الغفلة عنها.

أما الآن فأرجو أنني بعد ترتيب الأمور القريبة أتمكن من عمل شيء في قضيتك، فأرجو أن تسامحني وتعرِّفني بحالك وحال أولادك، فأما الدعاء لك ولأولادك فهو علىٰ كل حال مبذول، والله ﷻ لا يُضيع دعاء سائل، ولا عمل عامل، أسأله سبحانه التوفيق لنا جميعًا وإصلاح شؤوننا كلها بفضله وكرمه، والسلام.

أخوك

عبد الرحمن بن يحيى المعلمي

في ٩/ رجب سنة ١٣٧٥

عنواني هنا: مكة المكرمة

مكتبة الحرم المكي - عبد الرحمن المعلمي



المبحث الرابع

لفظ الرسالة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

في ٢٨ شعبان ١٣٧٥

الأخ العزيز الشيخ أحمد بن يحيى المعلمي حفظه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتابك المؤرخ ٢٠ شعبان سنة ٧٥ وصل، وحمدت الله تعالىٰ علىٰ عافيتك أنت والأولاد، وأسأله تعالىٰ أن يزيدنا وإياكم خيرًا.

أرجو العفو والمسامحة، كانت هزَّتني أَرْيحِيّة السرور بجوابك، فشرعت أكتب جوابًا مفصَّلاً، فكتبت ورقة ثم... فرأيت ذلك يطول، ونحن كما يقولون في عصر السرعة، فعدلت عن ذلك معللًا نفسي برجاء أن يمنّ الله ﷻ بالاتفاق فنتمكن من التفصيل.

أما تحسّن حالي فلله الحمد، ولم تكن قبل ذلك حالي سيئة، لكن الإنسان ما دام حيًّا لا يخلو من مطالب إذا قصرت يده عنها عدَّ حاله سيئة، مع أنه إذا بسطت يده امتدت عينُه إلىٰ مطالب أخرىٰ وهلمّ جرّا. وأنا الآن في صدد تأمين أهم المطالب، وأسأل الله تعالىٰ التوفيق.

الأخ عبد المجيد حجَّ العام الماضي ومعه ولده عبد اللطيف يريد أن يبقيه عندي فلم يتيسر ذلك؛ لأني وحيد مشغول، والولد صغير لعّاب يحتاج إلىٰ من يحفظه، وكان - أعني عبد المجيد- يريد أن يتداوىٰ لأنه اعتراه بياض الجلد،

فلم يتمكن؛ لأن الطب هنا لم يبلغ درجة عالية، والسفر إلى الخارج يحتاج إلى نفقات باهضة لا تتهيَّأ لي، ومن المؤسف أنه لم يستصحب معه غير نفقة الوصول إلى هنا، مع أن الحجاج الواردين من أصحابنا وغيرهم مجمعون على أنه قد صار من أغنى أهل بلاد الرَّيمي، حتى وصفه بعضهم بأنه يضاهي عميد بيت الرَّيمي ويزيد عليه بأنه ممسك وذاك مِتْلاف.

والحاصل أنه بحمد الله ﷻ في راحة، فأما ذاك المرض فإنما ضرره تغيير اللون، والعلاج لا يُصْلح ما تغير بل غايته الإيقاف من الزيادة، وليس في ذلك كبير فائدة؛ لأن التغير قد انتشر، ومع ذلك فنيَّتي أني بعد تأمين المطالب الضرورية أساعده إن شاء الله على مرغوبه. والأحسن أن تكتب أنت إليه مكتوبًا لأرسله إليه، فذلك أولى من أن أرسل إليه جوابك إليّ.

وبقيت واحدة من الكرائم حالها حسن، وأرسلت لها في العام الماضي صلة يسيرة. الكريمة عطية توفيت وبقيت بنتها من إبراهيم القاضي مزوجة بابن القاضي محمد، وجاءنا ابن هذه البنت وأقام مدة ثم عاد وتزوج بنت الأخ عبد المجيد.

الأخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان ابنه أحمد جاءني إلى الهند وتحصلنا له على خدمة، ثم ساءت طباعُه جدًّا فآذى نفسَه وآذاني وترك الخدمة، فكان أقصى جهدي أن اجتهدت في ترغيبه في السفر إلى اليمن، وهو الآن في (الحُجَرية)، وأرسلت له صِلَة كبيرة، أما أخوه أبو بكر فتوفي وترك ولدًا يقال له محمد عمره نحو خمس عشرة سنة، وهو الآن بـ (عدن) يتعلم في المعهد التجاري، وقد راسلته وفي نِيّتي أن أطلبه، فإذا رأيته يصلح للبقاء هنا ورغب في ذلك أبقيته.

ابني عبد الله لا يزال بـ (كراجي)، وبقي عليه في التعليم سنة ثم نطلبه إلىٰ هنا إن شاء الله تعالىٰ.

ههنا من أصحابنا محمد وعبد الرحمن ابنا عبد الرحيم المعلمي، وأبناء أخويهما عبد الله وعبد الصمد وحالهم حسنة.

كتبت إلىٰ هنا في التاريخ المذكور أعلاه ثم توقفت؛ لأني أردت أكتب في شيء يتوقف علىٰ أسباب منتظرة، فرجوت أن يتبين حالها عن قرب، ولكنها تأخرت جدًّا، فرأيت تسجيل الجواب وتأخير ذلك الأمر إلىٰ وقته.

تعليم الأولاد وإعدادهم لمعترك الحياة ضروري، ولابد أن يهيئ الله تعالىٰ أسباب المعونة. أرجو أن أتمكن بعد هذا من شرح الحال بأصرح من هذا كما أطالبك بمثله، تحيتي ودعائي للأولاد، والسلام.

أخوك

عبد الرحمن



المبحث الخامس

لفظ الرسالة الرابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

١٣/ ١٢/ ١٣٧٧

الأخ العزيز

الصفي الشيخ أحمد بن يحيى المعلمي حفظه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وصلني مكتوبك الكريم المؤرخ ١٧ ذي القعدة سنة ١٣٧٧، وحمدت الله ﷻ على عافيتك وعافية الأهل والأبناء، أسأل الله ﷻ أن يصلح شؤون الجميع وييسر جميع المقاصد بفضله وكرمه.

الولد عبد الله يسلم عليكم ويقبل يديكم وهو الآن بـ(جُدة)؛ لأنه اختار أن يتحصَّل على خدمة هناك، ولم يسعني إلا السماح له؛ لأنني أحبّ أن يشقّ طريقه بفكره ورأيه، وعلى كل حال فهو بحمد الله تعالى حَسَن السيرة، طيب الأخلاق، بعيد عن مخالفتي، وأرجو أن يفوز بمقصوده قريبًا، إن شاء الله تعالى، تعليمه متوسّط يكفي لحصوله على خدمة طيبة.

قضية زواجه فِكرتي فيها موافقة لفكرتك، وقد كنت لمَّحت له، فإذا رأيه أنه يريد أولاً أن يتحصَّل على الخدمة ويستقر فيها.

الولـد محمـد يسـرّني أن أراه وأن يبقىٰ معـي، لكـن ينبغـي أن نفكـر أولاً في الرخصـة؛ لأن قـانون البقـاء هنـا يُشـدد، فالقـادم للحـج أو الزيـارة لا يمكـن أن يرخّص له البقاء بحال، والقدوم لغير ذلـك لا يُرَخّص بـه إلا لمـن تحتـاج إليـه الحكومة أو تحتاج إليه بعـض الشـركات، بعـد أن تثبـت اضـطرارها إليه وعـدم وجدانها لمـن يقـوم مقامـه، حتىٰ الحـاملون لجوازات يمنيـة صـاروا يشـدّدون عليهم، وكانوا قبل سنتين أو ثلاث يتسامحون معهم، غير أنني سأستشير بعـض أهل الخبرة وأعرفكم إن شاء الله تعالىٰ. هدية الأولاد أرسلتها.

وحُرّر هذا علىٰ عَجَل فسامحوا، والسلام.

أخوك

عبد الرحمن بن يحيى المعلمي



المبحث السادس

لفظ الرسالة الخامسة

الحمد لله

الأخ الفاضل الكريم حليف الوفاء أليف الصفاء
شريف الأخلاق ماجد الأعراق، الفقيه:
محمد بن سليمان المعلمي
حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وصلني كتابكم الكريم المؤرخ (١٢/ ربيع الأول/ سنة/ ٥٨)[١].

وطيه كتاب سيدي الوالد حفظه الله، فجزاكم الله تعالىٰ خيرًا، لقد كشفتم عني غمة كبرىٰ، فإني منذ أمد بعيد أُوَاتِرُ[٢] المكاتيب بوسائط مختلفة، ولا يرجع إليَّ جواب، وكنت في ارتباك شديد، لا أدري ألا تصل المكاتيب؟ أم لا تصل الجوابات؟ أم حدث حادث؟ أم سيدي الوالد غير راضٍ عني؟ أم ماذا؟

ولكن بوصول مكتوبكم مع مكتوب الوالد تبين لي أن مكاتيبي لم تصل (حنانيك بعض الشر أهون من بعض).

جزاكم الله تعالىٰ خيرًا عما تقومون به من مراعاة خاطر سيدي الوالد، وهنيئًا لكم ذلك، وسوف ترون إن شاء الله تعالىٰ بركة ذلك في الدنيا والآخرة.

(١) أي: سنة (١٣٥٨)، كما سيأتي في آخر الرسالة.

(٢) أواتر: أي: أُتَابِعُ. «مختار الصحاح» جذر (و ت ر)، والمكاتيب: الرسائل. يعني: أنه يتابع إرسال الرسائل ولا يرجع له منها جواب.

تفضلوا اقرؤوا سلامي على الشيخ الهمام سعيد بن أبي بكرٍ معوضه، أطال الله بقاءه، وإني وإن سرني سروره بالتخلص من متاعب الوظيفة ومصاعبها، فقد غمني حرمان أهل الناحية من ولايته، فإن ولايته وإن كانت تعبًا عليه ففيها راحة لأهل الناحية، وإني لأتأسف من العوارض التي اضطرته مع همته القعساء وهمته الشماء، إلى أن يؤثر راحة نفسه على راحة أهل الناحية كلهم[1].

الأخ عبد المجيد لم أرَ الوالد ذَكَرهُ كما كان يذكره سابقًا، فأوجست في نفسي خيفة أن يكون قد قصر في خدمة الوالد، واشتغل عن ذلك بأمور الدنيا.

فإن كان كذلك فأرجو منكم إذا اتفقتم به أن تعينوه على نفسه والشيطان، وتبينوا له أن الإخلال بخدمة الوالد في آخر عمره هو غاية الحرمان ونهاية الخسران.

وفي «صحيح مسلم»[2]: «قال رسول الله ﷺ: «رغم أنفه رغم أنفه، رغم أنفه» قيل: من يا رسول الله؟ قال: «من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كلاهما ثم لم يدخل الجنة».

وفي «جامع الترمذي»، و«مستدرك الحاكم»[3]: قال رسول الله ﷺ: «رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد».

---

(١) كان صالحًا أديبًا، مسموع الكلمة، نافذ القول، حازم الرأي، تولى أعمال ناحية (عُتُمة) وغيرها، وتوفي بصنعاء، ودفن بمقبرة خزيمة، سنة (١٣٧٧)، وتلا قبيل موته آخر آية من سورة لقمان. «نزهة النظر في تراجم رجال القرن الرابع عشر» (٤٧)، ومذكراتي

(٢) برقم (٢٥٥١)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) «سنن الترمذي» برقم (١٨٩٩)، «المستدرك» (٤/ ١٥٢)، عن عبد الله بن عَمْرٍو رضي الله عنهما. وهو صحيح.

و«فيهما»[(١)] عنه ﷺ: «الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فحافظ على الباب أو ضَيِّع».

وفي «شعب الإيمان»[(٢)] عن النبي عليه السلام: «من أصبح مطيعًا لله في والديه أصبح له بابان مفتوحان من الجنة، وإن كان واحدًا فواحدًا، وإن أصبح عاصيًا لله في والديه أصبح له بابان مفتوحان من النار، وإن كان واحدًا فواحدًا، قال رجل: وإن ظلماه؟ قال: وإن ظلماه، وإن ظلماه، وإن ظلماه».

و«فيهما»[(٣)] عنه ﷺ: «كل الذنوب يغفر الله منها ما شاء إلا عقوق الوالدين» الحديث.

والأحاديث في الباب كثيرة، وفي كتاب الله تعالى ما يُغني؛ إذْ قرن الله تعالى الإحسان إليهما بتوحيده، وشكرهما بشكره.

عظم الله أجر الجميع في الكريمة ميمونة، ورحمها، وأخلف لكم بخير.

ذكرتم أن سيدي الوالد لما مرض أرسل إليكم وأطلعَكم على ما كتبه وما يريده بعد عافيته، فجزاه الله تعالى خيرًا، وهو أعلم بما يصلح، والخير فيما يراه إن شاء الله تعالى.

وقد أحسنتم بالإشارة عليه بتمييز ما لورثة الأخ محمد رحمه الله.

الرسائل التي أَلَّفتُها لم تطبع إلى الآن، وكنت مؤملاً أن يساعدني الولد

---

(١) «سنن الترمذي» برقم (١٩٠٠)، «المستدرك» (٤/ ١٥٢)، عن أبي الدرداء رضي الله عنه. وهو صحيح.

(٢) برقم (٧٥٣٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وضعفه العراقي؛ لأنه من طريق عبد الله بن يحيى السرخسي، وهو متهم. قال ابن عدي: حدث بأحاديث لم يتابعوه عليها، وكان متهمًا في روايته عن قوم لم يلحقهم» «الكامل» (٧/ ١٠٦).

(٣) «المستدرك» (٤/ ١٧٢)، «شعب الإيمان» برقم (٧٥٠٥)، عن أبي بكرة رضي الله عنه. وصححه الحاكم فقال الذهبي: بكار ضعيف.

أحمد بن محمد، على تبييضها، ولكنه قام بشيء من ذلك، ثم أحسست بسآمته، وأرجو الله تعالى أن يُغني عنه، وييسر لي القيام بذلك.

أشغالي هنا كثيرة، لا أكاد أجد فرصة في اليوم إلا ساعة، أو نحوها، فثماني ساعات للخدمة(١)، وثلاث ساعات للتدريس، حتى إنني لم أتمكن من أن أكتب إليكم جوابًا يُناسب كتابكم فسامحوا.

طَيَّ هذا جواب لسيدي الوالد، وفيه ما يُغني.

هذا والولد أحمد، وابني عبد الله يقرئانكم السلام، وأرجو الله تعالى أن يصل هذا الكتاب، وتستقيم الواسطة، فتتصل المكاتبة.

أرجو أن تؤكدوا على سيدي الوالد أن يحرر الجواب بسرعة، وتؤكدوا على الواسطة لديكم، أن يؤكد على الخادم في (زبيد)، في إرسال الجواب بأسرع ما يُمْكِنُ، لكي أطمئن بأن الواسطة قابلة للاعتماد.

هذا واقرؤوا سلامي على جميع الإخوان، والأقارب، وسامحوا، فعسى أن أتمكن في المستقبل من الكتابة إليكم كما يجب. والسلام

(٩/ جمادى الأولى سنة ١٣٥٨)

الحقير عبد الرحمن المعلمي

بل لا حاجة أن تنتظروا جواب سيدي الوالد، يكفي أن تعرفوني بجواب منكم، حين تطلعون على هذا؛ لكي أطمئن باستقامة الواسطة. والسلام.



(١) خدمة تحقيق كتب التراث.. في دائرة المعارف العثمانية.

المبحث السابع

لفظ الرسالة السادسة

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الفاضل المتثبت الفقيه

أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله المعلمي

وفقه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وصلني كتابكم وفيه نقل الإجازة المشتملة على نسبة لآل المعلمي، وقد كنتُ وقفت على نقل لتلك الإجازة في بعض كتب والدي رحمه الله، ونقلتها عندي، وكنتُ ذكرتها لشيخنا العلامة الفقيه أحمد بن محمد بن سليمان المعلمي رحمه الله لمَّا سمعته يتشكك في النِسْبة، فلم يعبأ بها، وقال: هذه هي التي جاء بها فلان!

والنقل المذكور يصل النسب بالمعلم حسين، ثم يذكر عدة آباء، ثم يقول: ابن أحمد بن إبراهيم بن علان النقشبندي صاحب الطريقة المشهورة[1] ابن خليل بن عَلان بن عبد الملك بن علي... إلخ.

وقد وجدت ترجمة أحمد بن إبراهيم هذا في عدة كتب، وهذا نسبه كما يُعلم من ترجمته في كتاب «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحاديَ عشر» للمحبي، وترجمة قريبه: محمد بن علي بن عَلان في «الخلاصة» أيضًا[2]،

(١) طوى الإمام المعلمي رحمه الله نقده لهذه الطريقة؛ لأنه في مقام إبطال شجرة النسب! وهذا من حكمته وحنكته -برَّد الله مضجعه-.

(٢) (١/ ١٥٧ و٤/ ١٨٤-١٨٥).

وفي كتاب «خبايا الزوايا»[١] للشيخ حسن العجيمي، وغيرهم: «أحمد بن إبراهيم بن خليل بن علان بن عبد الملك بن علي بن علي بن مبارك شاه بن أبي بكر بن محمد بن أبي محمد بن طاهر بن حنون (ويقال له: قفشوبة) بن عَلان ابن حسين بن عفيف بن يونس بن يوسف بن إسحاق بن عمران بن زيد بن محمد بن أبي بكر الصديق».

وهذه النسبة إلىٰ «عمران» توافق ما في نقل الإجازة، سوىٰ سقوط بعض الحلقات من النقل، وذلك من خطأ النقل، يقع مثله كثير، كما عرفته عند مقابلة عدة نسخ لكتاب واحدٍ في التراجم.

فأما بعد عمران فكأن صاحب نقل الإجازة كره الانتساب إلىٰ محمد بن أبي بكر؛ لما شاع أنه قاتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﵁، وغير ذلك، فعدل إلىٰ عبد الرحمن بن أبي بكر، وقد عُرِفَ أن لعبد الرحمن ابنًا يقال له: محمد، ولمحمد ابنٌ يقال له: عبد الله، فحول النسب إليه.

وقد ذكر الشرجي في «طبقات الخواص»[٢] في ترجمة محمد بن حسين البجلي صاحب (عواجه) أنه توفي سنة (٦٢١).

وأن أخاه الفقيه علي بن الحسين طال عمره، فلم يمت إلا سنة (٦٧١).

قال: وكان والدهما المعلم حسين فقهيًا خيِّرًا صالحًا، ولم يذكر تاريخ وفاته!

وبين المعلم حسين وبين جده الأعلىٰ في نقل الإجازة أحمد بن إبراهيم النقشبندي عدة آباء.

---

(١) مخطوط، كما في ترجمة مؤلفه من «الأعلام» (٢/ ٢٠٥).

(٢) ص (٢٦٩-٢٧٠).

فعلىٰ قاعدة النسابين والمؤرخين -المبنية علىٰ العادة[1]- يكون آخرهم الذي هو ابن أحمد بن إبراهيم توفي بعد الأربعمئة. وأقصىٰ ما يُمْكِنُ أن يكون توفي سنة (٤٧٠).

وعلىٰ هذا يكون قد توفي قبل أن يولد أبوه أحمد بن إبراهيم بأكثر من خمسمئة سنة، فإن أحمد بن إبراهيم توفي -كما في «خلاصة الأثر» وغيره- سنة (١٠٣٣) وولد -كما في «نشر النَّور والزَّهَر»[2] نقلًا عن الإمام زين العابدين الطبري -سنة (٩٧٥)؛ فتدبروا هذا!

ويكون علي ابن المعلم حسين توفي قبل أن يولد جده الأعلىٰ أحمد بن إبراهيم بأكثر من ثلاثمئة سنة!

وإذا كان هذا محالًا قطعًا فلا ريب أن ذكر أحمد بن إبراهيم والنسبة في ذلك النقل مُقحمٌ جهلًا.

وعُلِمَ يقينًا أنه لا علاقة للمعلم حسين وآله بأحمد بن إبراهيم المذكور.

هذا مع أن نسبة أحمد بن إبراهيم هي نفسها مختلة من وجوه، ولسنا بصدد بيان ذلك، فإن لها نظائر كثيرة في النِّسبِ المُدَّعاة لكثير من العلماء

---

(١) انظر لهذه القاعدة «آثار المعلمي» (٦/ ١٥٢).

(٢) «نشر النور والزهر في تراجم أفاضل أهل مكة من القرن العاشر إلىٰ القرن الرابع عشر» للشيخ المؤرخ عبد الله بن أحمد المعروف بابن ميرداد (م:١٣٤٣).«الأعلام» (٤/ ٧٠). والكتاب مخطوط بخط مؤلفه، وأخرىٰ بخط الإمام المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكلاهما من محفوظات مكتبة الحرم المكي، وقد طبع «المختصر من كتاب نشر النّور والزهر في تراجم أفاضل مكة»، للشيخ محمد بن سعيد العمودي، وأحمد علي، عن مكتبة عالم المعرفة للنشر والتوزيع في (٦٤١) صفحة، طبعته الثانية (١٤٠٦)، كما طبع: «نظم الدرر في اختصار نشر النّور والزهر..» للمؤرخ عبد الله غازي المكي، وللأصل قصة كادت تودي به تلفًا.. لولا أن الله سلم! ذكرها الكاظمي في «مذكراته» (٢/ ١٠٣٨).

والصالحين والملوك، وإن جرت عادة أهل العلم بالتغاضي عن ذلك غالبًا.

فأما نسبة جدنا محمد بن حسن بن صالح إلىٰ علي ابن المعلم حسين فأراها مسلّمة إلَّا أن عدد الآباء بين صالح وعلي أراه أقل مما يجب، فلعله سقط ذكر بعض الآباء، والله أعلم.

وكذلك تسمية الآباء بين حسينٍ المعلم وأحمد بن إبراهيم قد تكون صحيحة.. وإن كان ذكر أحمد بن إبراهيم وما بعده باطلًا.

فأما كون آل المعلمي من ذريّة الصديق رضي الله عنه فلا دليل عليه، غير أن بعض أصحابنا يستأنسون بالشهرة وبما عليه أفراد العشيرة من الفضل والصلاح والخير والمواظبة علىٰ تلاوة القرآن وتعلمه وتعليمه والصبر والقناعة، ونحو ذلك. وليس هذا بحجة، فإن الاشتهار حادث، ولعله إنما حدث بعد التركيب الذي في ذلك النقل، والمبني علىٰ الباطل باطل. وفي الدنيا عشائر كثيرة متصفة بصفات الخير، وليست كلها من ذرية الصديق رضي الله عنه.

وقد عارض ذلك ما ذكره النسابون القدماء!

قال الملك الأشرف المتوفىٰ سنة (٦٩٧)، واسمه عمر بن يوسف بن رسول[1] في كتابه «طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب» صفحة (٥٧): «عدنان من ولد إسماعيل [عليه السلام] له ولدان: مَعَدّ وعَكّ».

---

(١) ثالث ملوك الدولة الرسولية التي حكمت اليمن (٢٣٢) عامًا، (٦٢٦-٨٥٨)، وكان عهدها أخصب عصور اليمن، لا سيَّما في العلم والمعرفة، فقد أصبح كثير من العلماء يولون وجوههم شطر مدينة (تعز) عاصمة هذه الدولة؛ لما يجدون عند ملوكها ووزرائها من حفاوة وإكرام. ومنهم شيخ اللغة: المجد الزبيدي صاحب «القاموس المحيط والقابوس الوسيط في ما ذهب من كلام العرب شماطيط»، وتلميذه الحافظ ابن حجر العسقلاني، وغيرهم كثير، انظر: «الدولة الرسولية في اليمن»، لشيخنا المؤرخ إسماعيل الأكوع رحمه الله. وغيره كثير.

وقال في صفحة (٦٣-٦٤): أما عَكّ بن عدنان فهم أصلان: الشاهد، وعبد الله أبناء عَكّ».

وقال صفحة (٦٤-٦٥): وأما عبد الله بن عَكّ فبطنان: (عبس) وبَوْلان، فبطون (عبس) من عَكّ...منهم (بجيلة)، وهم بسهام قبيلة محمد بن حسين البجلي الصالح»[1].

ومحمد بن حسين البجلي هو أخو جدنا علي بن حسين، وأبوهما هو جدنا المعلم حسين.

وقد ذكرهم الشرجي في ترجمة محمد بن الحسين البجلي، وأنهم بـ (عواجه).

ثم قال: «وبنو البجلي هؤلاء من (بجيلة عبس) بن عَكّ بن عدنان».

والشرجي توفي سنة (٨٩٣)، وأكمل «طبقاته» سنة (٨٦٧)، كما في آخرها[2].

و(بجيلة) هذه غير (بجيلة) القبيلة المشهورة التي منها جرير بن عبد الله البجلي.

ولهم (بجيلة) ثالثة هي من بطون الأشعريين.

وهكذا (عبس) هذه غير (عبس) القبيلة المشهورة التي منها قيس بن زهير العبسي، وغيره، ولهم عدة قبائل أخرىٰ يقال لكلٍ منها: (عبس).

---

(١) سهام بالفتح، أحد ميازيب اليمن المشهورة، يبدأ انصبابه من (صنعاء) وينتهي في البحر الأحمر، شمال مدينة (زبيد)، نسبة إلىٰ سهام بن سهمان بن الغوث من حمير الصغرىٰ، وعلىٰ جنباته بلدان لا تحصىٰ، ومنهل بلدة (عواجه).

(٢) ص (٤٢٣).

وكذلك (عَكّ) هذه هي عَكّ المشهورة، وذكر بعضهم عَكًّا آخر من الأزد اسم أبيه «عُدثان» بضم أوله، وبالمثلثة، وقال بعضهم: بل «عدنان»، كالأول. وقال جماعة: إنما هو عَكّ واحد. ثم اختلفوا فأكثرهم علىٰ أنه أخو مَعَدّ بن عدنان، وقال بعضهم: ليس لمَعَدّ أخٌ وإنما عَكّ من الأزد.

وبالجملة فالأكثر أن عَكًّا الذي نُسب إليه محمد بن حسين البجلي وآله هو أخو مَعَدّ بن عدنان جد النبي ﷺ.

فهذا هو الظاهر في نسبنا آل المعلمي، أنه ينتهي إلىٰ عَكّ بن عدنان، والله أعلم.

أما ما حكاه الأخ الأجل الشيخ أحمد بن مصلح الريمي من حفظه عن كتابي إليه فلا أتذكر الآن تفصيل ما في ذلك الكتاب، فإن كان فيه ما يُخالف ما حققته هنا فقد رجعت عنه. وإذا اجتمعتم به فاعرضوا عليه كتابي هذا، وإلا فإذا لم يكن عليكم كلفة فانقلوه وابعثوا إليه نقله.

وإني أرغب إليكم أن تتداركوا شجرة آل المعلمي فتبدؤون بذكر محمد بن الحسن بن صالح، وتتبعوا الكتب والرسائل والخِتَم والمُقَدَّمات القديمة[1]، بخطه أو خطوط أبنائه، فقد تظفرون في بعض ذلك برفع نسبه

(١) الختم بكسر الخاء وفتح التاء، جمع ختمة وهي المصاحف، وفي «المعجم الكبير» لتيمور باشا (٣/ ١٥٨): «خَتْمة: تطلق علىٰ قراءة القرآن جميعه. وتطلق علىٰ نفس المصحف. وكذلك أطلقها ابن إياس وكذلك في «روضة الأعيان في التراجم»، «الدرر الكامنة»: وكان ينسخ الختمات والربعات».
والمقدمات جمع مقدمة، بضم الميم، وفتح الدال المشددة، وفتح الميم، وهو يريد بها صناديق خشبية مزخرفة، ذات أبواب صغيرة، توضع في المجالس، ومراده تفتيش الأوراق التي فيها، وحوامي المصاحف، لاستخراج التواريخ المتصلة بالعمل الذي أشار به علىٰ المرسل إليه. ولم ينهض بتلك المهمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

أو نسبته إلىٰ رجل أو قبيلة، ثم تحاولون إثبات ترجمته: مولده، ووفاته، وطلبه العلم، وما له من رسائل، وشيوخه، وتلامذته، وغير ذلك، من ما يتعلق به بقدر ما يتحصل.

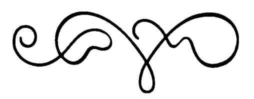
ثم تحصرون أولاده بأسمائهم، ثم تعقدون لكل واحد منهم فصلًا تذكرون فيه ترجمته، وأسماء أولاده وأولاد كُلٍّ منهم، وهكذا إلىٰ عصرنا، مع ترجمة من يُمْكِنُ ترجمته منهم، كما مر.

فإذا تم ذلك فابعثوا الكتاب إليَّ لأطبعه، وأبعث نسخه إليكم إن شاء الله تعالىٰ.

وهذا عمل مُتْعِبٌ، لكن أجره عظيم، ونفعه عميم، وهو أعظم أهمية من البحث عن أصل النسبة.

وقد بلغني أنكم عازمون علىٰ الحج هذه السنة فسررت جدًّا؛ لأني بالأشواق إلىٰ الاجتماع برجل لبيب متثبت مثلكم.

هذا وقد يسر الله تعالىٰ هذه السنة شيئًا من المال قدره مئة وثلاثون ريال فرانصه، أرسلتها بيد الأخ الفاضل الفقيه عبد الجبار بن حسين[1]، مع بيان قسمتها كما ترون صورة منه مع هذا، وكلفته أن يستعين بكم علىٰ إبلاغها مأمنها[2].



(١) لم أقف علىٰ خبره، وتاريخ وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخبرني الشيخ محمد المعلمي (ابن المرسَل إليه) أن أباه لم يحج تلك السنة، وأن هذا المال معونة، كان يرسلها الإمام لفقراء عشيرته كل سنة، وقد تقدم قول تلميذه الكَنَوي: «سخيًّا في خفا، يكاد لا يعلم أحد ما يقوم به من إنفاق في سبيل الخير خصوصًا لذوي رحمه وعشيرته». رحم الله المعلمي وجمعنا به في جنات النعيم.

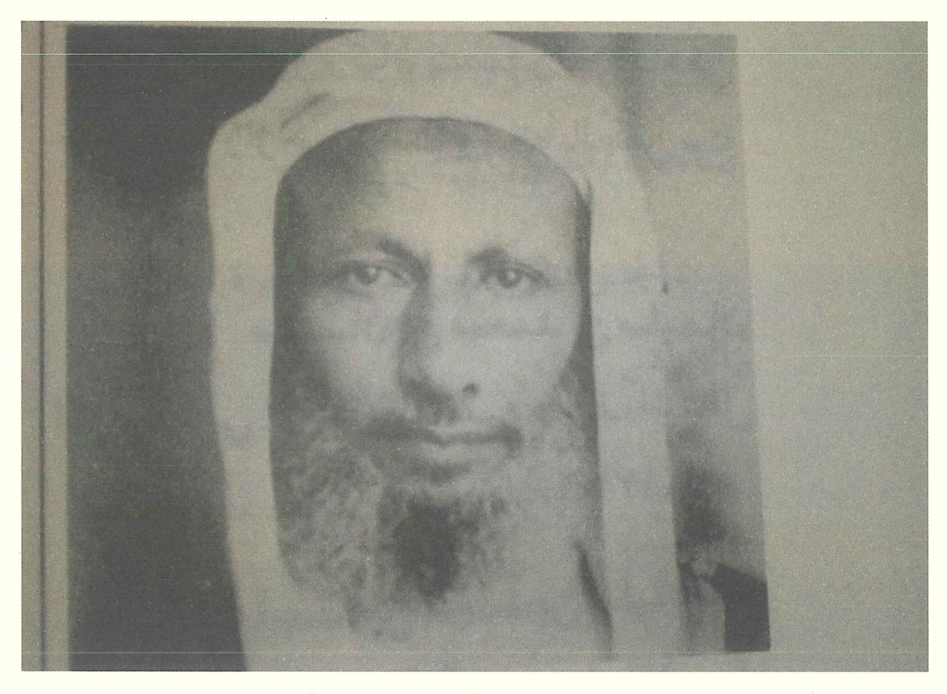


صـور

ذات صلـة بالـترجمـة



منظر لقرية (المحاقرة) بمحَلة (الطُّفن) مسقط رأس الإمام المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ



صورة رسمية للإمام المعلمي رحمه الله



صورة للإمام المعلمي أثناء البحث في مكتبة الحرم المكي الشريف.





صورتان لدائرة المعارف العثمانية بمدينة (حيدر آباد الدكن)



صورة لأحمد بن يحيى المعلمي



صورة لعبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن يحيى المعلمي
حفيد الإمام المعلمي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. اللهم صل على محمد وعلى آل
محمد كما صليت على آل ابراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم
انك حميد مجيد. ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في
قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم

أما بعد فقد صحبني الولد الفاضل محمد بن احمد بن محمد بن احمد المعلمي وفقه الله تعالى عامين
كاملين بمكة المكرمة وحمدت صحبته وأدبه وحرصه على طلب العلم وقرأ علي كتباً في
العربية الآجرومية فالمتممة فالقطر وطرفاً من ألفية ابن مالك - مع اعراب عدة أجزاء
من القرآن - وألفية زبد ابن رسلان والرحبية مشروحة وسمعني كثيراً أشرح ما يجب في الاعتقاد
والعمل وأخذ بنصيب من معرفة ذلك مع صلاح في نفسه واقباله على الخير وعزوفه
الى اللهو واللعب. وشدة محبته لي وحرصه على راحتي واتعابه نفسه في خدمتي حتى في
حال مرضه أسأل الله تعالى أن يجزيه خيراً ويزيده توفيقاً وصلاحاً وان يصلح شئونه
في دينه ودنياه. ثم تضافرت الدواعي لرجوعه الى الوطن لزيارة والديه
وغير ذلك والتمس مني ان أكتب له وصية نافعة فرأيت من الحق علي ان اجيبه
الى ذلك ومن الله تعالى أسأل التوفيق لي وله. ورتبتها على مطالب

المطلب الاول العقيدة في شأن ذات الله عز وجل وصفاته

بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم الى الخلق وكان اول من دعاه العرب وكان العرب
في جاهليتهم يعترفون بوجود الله عز وجل وربوبيته وانه رب كل شيء

صوة الصفحة الأولى من وصية الإمام المعلمي

ويدع الغيبة والنميمة والسب والشتم والإيذاء فإذا تيسر له بعد

ذلك أن يمشي إلى بعضهم [illegible] فهو حري أن يكون محبوبا فيما بينهم

هذا في شأن الدنيا فأما الدين فينبغي للإنسان أن يكون مؤثرا [illegible]

عز وجل على كل شيء [illegible] ويحرص على أن

يفهم الناس أنه إنما يريد لهم الخير وأنه لا يريد علوا في الأرض ولا فسادا ولا

فخرا ولا شهرة ولا غير ذلك من الأغراض، وإنما همه طاعة الله

عز وجل ثم أن ينصف الناس فلا يظلمهم ولا يحتقرهم و

وعليه أن يسعى في مصالح دنياه بالجد والصبر والمثابرة في حدود الحلال وليعلم

مع ذلك أن الأمر كله لله عز وجل وأنه إنما يسعى امتثالا لأمر الله عز وجل

فإذا حصل مطلوبه من نيل الخير وزوال الضر علم أن ذلك من فضل الله

عز وجل وكرمه فشكره على ذلك وحرص على الزيادة من طاعته وإن خاب مسعاه

علم أن ذلك من فضل الله عز وجل وكرمه فإنه لا يدري لعله لو حصل

مطلوبه لكان شرا له في دينه ودنياه. وأقل ما في الأمر أن تكون

تلك الخيبة عقوبة من الله عز وجل له على ذنب متقدم وهذا أيضا خير لأنه

كفارة له وإصلاح لشأنه. والحاصل فكل شيء يقضيه الله عز وجل ويقدره

للمؤمن فهو خير له على أن يوقن بذلك ويجري على حسب يقينه فما عليه إلا أن

يجتهد في طاعة الله عز وجل وفي إصلاح دنياه في حدود ما أذن الله به

ثم ليكن يعتقد كل الاعتقاد أن كل ما قضاه الله عز وجل له فهو خير أسأل الله لي

التوفيق لي ولكم ولجميع المسلمين في ٧ محرم الحرام ١٣٧٤

كتبه

عبد الرحمن بن يحيى المعلمي

صورة الصفحة الآخرة من الوصية



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الأنبياء والمرسلين
أما بعد فإني لما عزمت على العودة من مكة المكرمة إلى الوطن
طلبت من شيخنا العلامة عبد الرحمن يحيى المعلمي أن يكتب لي
وصية نافعة جامعة أستفيد منها بما بقي من العمر
فأجابني على ما طلبت منه وقد استفدت منه وأفدت
غيري فيما يقرب من نصف قرن من الزمن ثم في عام
١٤٢٨هـ أعطيت الوصية الولد الأستاذ أحمد بن غانم
الأسدي ليقوم بنشرها لما رأيت عنده من الاهتمام
بنشر ما يتصل بحياة الشيخ عبد الرحمن المعلمي وقد سبق
له ترجمة لشيخنا فعلى هذا الوصية بخط شيخنا رحمه الله
والولد أحمد بن غانم الأسدي أحق بنشرها وهو أهل
لذلك وإن أي نشر من غيره يعتبر خيانة علمية
فرحم الله شيخنا عبد الرحمن وأثابه على هذه الوصية
وغيرها وشكر الله الولد أحمد بن غانم واهتمامه بحياة
شيخنا العلمية ونشر علومه والتعريف بمحاسنه
وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه
كتبه محمد بن أحمد بن محمد المعلمي ٤ من شهر شعبان ١٤٣[illegible]



نماذج من

مراسلات الإمام المعلمي

اخي الصفي حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كتابك رقيم ٢٤ مارس سنة ١٩٣٦ وصل [illegible] الله تعالى على عافيتك وصلاح حالك وكتبك السابقة

وصلت ولا عذر لي في عدم الجواب الا انه [illegible] من الخلق المرضي [بفتح الواو] ملازم لي

الخلقي [بضم الخاء] اعني الانقباض والانطباع عن المزاورة يزداد تمكنا فاني هنا انا سيا

تقضي على المصلحة كثرة زيارتهم ولكن نفسي [illegible] فاذ [illegible] ذلك حتى اني لا اكاد اتعهد زيارتهم ولو

يوم العيد وفي مقابل ذلك اكره ان [illegible] زيارتي ولو يوم العيد . و حسبك ما بيني وبين

الاخ علي من المودة لم اكتب اليه منذ [illegible] ومعرفته ان لا يكتب الي . وكذا الاخ الحاج الشيخ

سليمان فان منزلته في قلبي مكينة [illegible] لا اكاد اكتب اليه الا شبه المكره دعنا من هذا

فانك تعلم حقيقة هذا الامر من نفسك انت مني وانا منك وليس على وجه الارض بعد سيدي الوالد

حفظه الله تعالى من يسرني سروره ازيد منك ولا اعلم لك ذنبا اما ما ذكرته من النقود المرسلة

فاني منذ مدة احرص على التوفير والى الان [illegible] يمكني اكثر من ثلثمائة وخمسين ربية مع اني مشهور

هنا بالبخل وهذا المقدار فكرت ان ابعث اليك منه بشيء ولكن الى الان ما عزمت على ذلك

اولا لاني من نحو سنتين لم ارسل الى الوالد شيئا ولاني قبل ذلك ارسلت ما ارسلت به وطلبت الجواب

فلم يصل جواب وكررت الكتب والاجوبة ولا ادري ما السبب اهو تعويق من جهة الحكومة

فان محمود الحرازي هنا يشكو مثل هذا ام غير ذلك

وثانيا قد ضاق صدري من الاقامة هنا واحب ان اخرج شهرا او شهرين (انفتح)

وثالثا دائرة المعارف هذه الايام [illegible] اخرجوا اثنين من مصححيها القدماء

ممن لهم صلات وروابط باهل الحل والعقد فاما انا فليس لي شفيع الا لياقتي

وهي في هذا الزمان وهذا المكان اضعف الشفعاء

ورابعا انا مشتغل بتاليف رسالة مهمة واحب ان اطبعها على نفقتي ان امكن لاني

لا اطمع ان احدا يساعدني بطبعها ولا تطاوعني نفسي ان اطلب المساعدة من احد



اما الوحدة [illegible] ما [illegible] هنا [illegible] الاجتماع به [illegible]
[illegible] في السنة ثلاث مرات [illegible]
[illegible] الناس [illegible] كنت [illegible]
مرتين مشاهدة [illegible] رغبت عنها [illegible] ان الالعاب
الجديدة [illegible] في الغش والخلاعة [illegible]
[illegible] النطق [illegible] السينما [illegible]
القصة اما الغناء الهندي [illegible] الاعصاب [illegible]
الى العلم والدين ههنا متقاطعون [illegible]
اما الفرجة والنزهة فلا [illegible] الاحوال [illegible]
ولهذه الامور شغلت لحيتي [illegible] وصرت كما قيل
[illegible] الذئب فاستأنست [illegible] انسان [illegible]
وبالجملة فحياتي ههنا تعيسة [illegible] فان نعمه سبحانه وتعالى
علي وعلى خلقه لا تحصى ومن اعظم ذلك [illegible] الله تعالى [illegible] الاحتياج الى احد
من الناس واني رزقت شيئا من [illegible] الكتب [illegible] وقد وجدت لذة في كتابتي لهذا الجواب
على خلاف العادة فطولته واجد في [illegible] الى التطويل ولكن اخشى ان تعد اكثر كلامي
نوعا من الهذيان ولعله كذلك
وصل كتابك هذه الليلة ليلة ٩ من محرم واهل البلد مشتغلون بالمآتم المحرمية وانا
هذه السنة رغبت عن التفرج [illegible] كنت اعرف اكثر هذه المعاني [illegible]
وكنت هذا اليوم قد اشتغلت بالكتابة في الرسالة المذكورة آنفا حتى سئمت [illegible]
وترددت في الخروج للتفرج فلما جاء كتابك انفتح لي هذا الباب فشرعت في كتابة الجواب
وخشيت ان انا اخرته ان تنفتح لي طبيعتي المعهودة فيتأخر
واقسم بالله تعالى لولا ان عندي شيئا من [illegible] ارجو ان ييسر الله تعالى نشره وان
طاعتي لله عز وجل حقيرة [illegible] حياة ان ييسر الله تعالى لي خيرا منها
لكان الموت احب الي من الحياة بل [illegible] هو المحبوب والحياة مكروهة
هذا معتقدي الآن ولا ادري [illegible] بعد والسلام

اخوك
عبد الرحمن

المكرم

الأخ الفاضل الكريم حليف الوفاء أليف الصفاء شريف الأخلاق ماجد الأعراق الفقيه محمد بن سليمان المعلمي حفظه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وصلني كتابكم الكريم المؤرخ ١٢ شهر ربيع الأول سنة ٥٨ وطيه كتاب سيدي الوالد حفظه الله فجزاكم الله تعالى خيرا لقد كشفتم عني غمة كبيرة فإنه منذ أمد بعيد أواتر المكاتيب بوسائط مختلفة ولا أرجع إلى جواب وكنت في ارتباك شديد لا أدري ألا تصل المكاتيب أم لا تصل الجوابات أم حدث حادث أم سيدي الوالد غير راض عني أم ماذا ولكن بوصول كتابكم مع مكتوب الوالد تبين لي أن مكاتيبي لم تصل (حتما يلعب بعض الأشرار ببعض) جزاكم الله تعالى خيرا عما تقومون به من مراعاة خاطر سيدي الوالد وهنيئا لكم ذلك وسوف ترون إن شاء الله تعالى بركة ذلك في الدنيا والآخرة

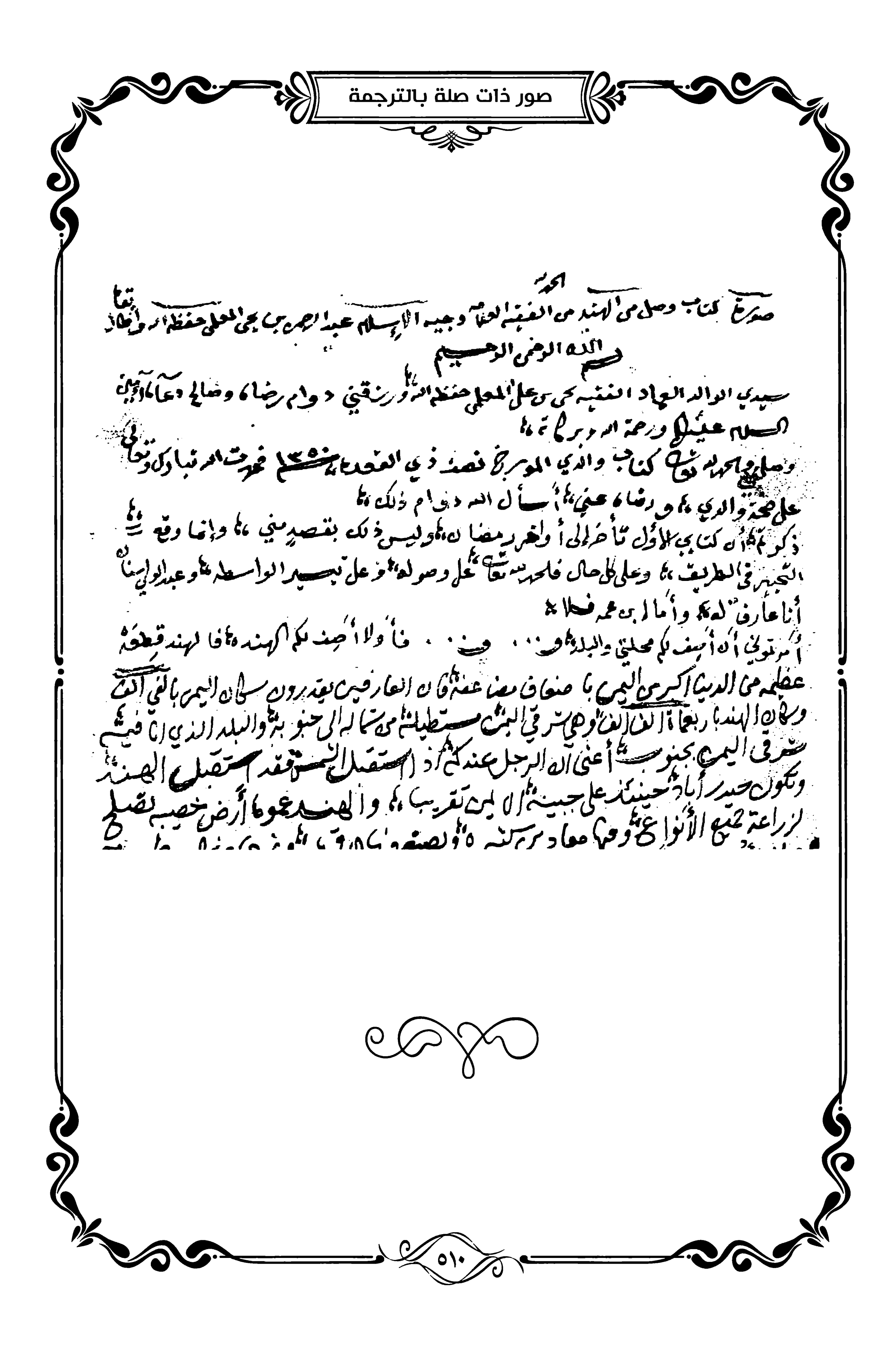
تفضلوا اقرءوا سلامي على الشيخ الهمام سعيد بن أبي بكر معوضه أطال الله بقاءه وإني وإن سرني سروره بالتخلص من متاعب الوظيفة ومصاعبها فقد غمني حرمان أهل الناحية من ولايته فإن ولايته وإن كانت تعبا عليه ففيها راحة لأهل الناحية وإني لآسف من العوارض التي اضطرته مع همته القعساء وهمته الشماء إلى أن يؤثر راحة نفسه على راحة أهل الناحية كلهم

هذا كتاب شيخنا الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي ونقلناه في سنة ١٣٧٠ وقد أرسله من المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الفاضل الشاب النبيه الفقيه أحمد بن محمد بن عبد الله المعلمي وفقه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وصلني كتابكم وفيه نقل الإجازة المشتملة على نسب آل المعلمي، وقد كنت وقفت على نقل تلك الإجازة في بعض كتب والدي رحمه الله فنقلتها عندي، وكنت ذكرت ذلك لشيخنا العلامة الفقيه أحمد بن محمد بن سليمان المعلمي رحمه الله لما سمعته يتشكك في النسبة فلم يعبأ بها وقال: هذه هي التي جاء بها علان. والنقل المذكور بعد الخطبة بالمعلم حسين ثم يذكر عدة آباء ثم يقول إنه ابن أحمد بن إبراهيم بن علان النقشبندي صاحب الطريقة المشهورة ابن خليل بن علان بن عبد الملك بن علي إلخ وقد وجدت ترجمة أحمد بن إبراهيم هذا في عدة كتب وهذه نسبته كما في ترجمته في كتاب «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» للمحبي وترجمة قريبه محمد علي علان في الخلاصة أيضا وفي «خبايا الزوايا» للشيخ حسن العجيمي وغيرهم «أحمد بن إبراهيم بن خليل بن علان بن عبد الملك بن علي بن علي بن مبارك شاه بن أبي بكر اسمه محمد بن أبي محمد بن طاهر بن حنون (ويقال له قفشنونية) بن علان بن حسان بن عفيف بن يونس بن يوسف بن إسحاق بن عمران بن زيد بن محمد بن أبي بكر الصديق». وهذه النسبة إلى عمران توافق ما في نقل الإجازة سوى سقوط بعض الحلقات من النقل، وذلك مرة [illegible]



الحمد

صورة كتاب وصل من الهند من الفقيه العلامة وجيه الإسلام عبد الرحمن بن يحيى المعلمي حفظه الله تعالى وأعاذ

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي الوالد العماد الفقيه يحيى بن علي المعلمي حفظه الله ورزقني دوام رضاه وصالح دعائه آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وصل والحمد لله تعالى كتاب والدي المؤرخ نصف ذي القعدة سنة ١٣٥٠ فحمدت الله تبارك وتعالى

على صحة والدي ورضاه عني، أسأل الله دوام ذلك

ذكرتم أن كتابي الأول تأخر إلى أواخر رمضان وليس ذلك بتقصير مني وإنما وقع

التأخير في الطريق، وعلى كل حال فالحمد لله تعالى على وصوله وعلى تيسير الواسطة وعبد الولي إننا

أنا عارف له وأما ابن عمه فلا

أمرتموني أن أصف لكم محلتي والبلد و... ف... فأولاً أصف لكم الهند، فالهند قطعة

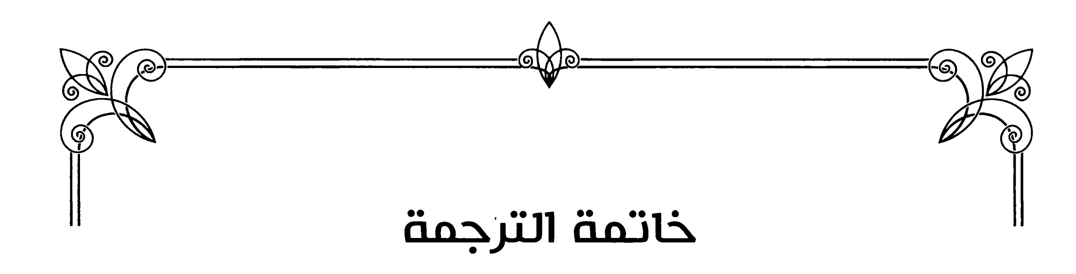
عظيمة من الدنيا أكبر من اليمن بأضعاف مضاعفة فإن العارفين يقدرون سكان اليمن بألفي ألف

وسكان الهند بأربعمائة ألف ألف وهي شرقي اليمن مستطيلة من شمال إلى جنوب والبلد الذي أنا فيه

شرقي اليمن بجنوب أعني أن الرجل عندكم إذا استقبل الشمس فقد استقبل الهند

وتكون حيدر أباد حينئذ على جبينه الأيمن تقريباً والهند عموماً أرض خصبة تصلح

لزراعة جميع الأنواع وفيها معادن كثيرة ...



خاتمة الترجمة

آن لي أن أغمد القلم، وأرفع العَلَم مكتفيًا بما فتح الله به وهو خير الفاتحين، من فصول ومباحث تلك الأبواب الستة، بأصلها وهامشها، فإن شفت العليل وأروت الغليل فنعِمَّا، وإن لم فهي النهر الدال على البحر: «آثار المعلمي»، فولِّ وجهك شطرها، فلعلك ترتوي من علمه، وتكتفي بما هنا من خَبره؛ لأن هذا الحبر كنبيٍّ ضيَّعه قومه، فالتلاميذ قصروا، والأقران جفوا، وهكذا حال علماء اليمن الأعلام هداة الأنام ومصابيح الظلام، يتقلبون بين جفاء الجيران، وهضم الإخوان، وفي الله العوض وحسن الخلف.

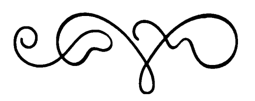
وسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم.

كتبه

أحمد بن غانم الأسدي

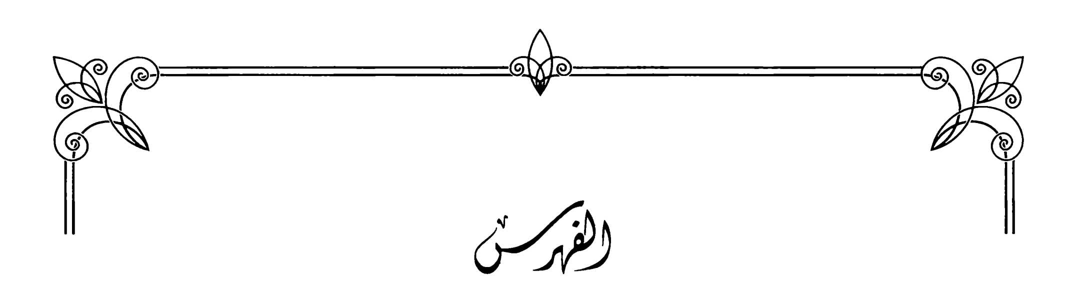
ليلة الجمعة لست مضين من شهر شعبان لعام أربعين وأربعمئة وألف

من هجرة رسول الله ﷺ(١).



---

(١) كتبتُ الخاتمة وأنا كاسف البال، مهيض الجناح، لوفاة والدة زوجتي، الوالدة الصالحة العابدة حليمة بنت عبد الله بن أحمد الأسدي، التي رحلت عنا غرة هذا الشهر، طاوية بساط العطف والحنان عليَّ وعلى أولادي، أسال الله تعالى أن يجزيها عنا خير الجزاء وأن يسقيها من سلسبيل دار البقاء، وأن يجمعنا بها مع نبينا العظيم ورسولنا الكريم ﷺ.



الفهرس


تم بحمد الله